سلسلة خزانة التراث

النظام

في شرح شعر المتنبي وابي تمام

لابي البركات شرف الدين المبارك
بن احمد الاربلي المعروف بـ «ابن المستوفي»

دراسة وتحقيق
الدكتور خلف رشيد نعمان

وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة
بغداد ـ ١٩٨٩

طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة . « آفاق عربية »
رئيس مجلس الادارة :
الدكتور محسن جاسم الموسوي

تعنون جميع المراسلات
باسم السيد رئيس مجلس الادارة
العنوان ـ بغداد ـ اعظمية
ص.ب. ٤٠٣٢ ـ تلكس ٢١٤١٣ ـ هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

النظام في شرح شعر المتنبي وابي تمام

لابي البركات شرف الدين المبارك
بن احمد الإرْبلّي المعروف بـ «ابن المستوفي»
المتوفي سنة ٦٣٧ هجرية

دراسة وتحقيق

الدكتور
خلف رشيد نعمان

الديوان الكامل لشعر ابي تمام وابي الطّيب المتنبي

الجزء الاول:

وفيه: ١ـ شعر ابي تمام على قافية الهمزة
٢ـ شعر ابي الطيب على قافية الهمزة والالف

الطبعة الاولى لسنة ـ ١٩٨٩ م

بســم الله الرحمــن الرحيم

ـ كلمــة لا بد منها ـ

بعد أن أنجزت كتاب « شرح المشكل من أبيات أبي تمام المفردة » لأبي علي المرزوقي دراسة وتحقيقاً حملته الى الدائرة الثقافية في وزارة الاعلام . لعلها تتفضل مشكورة بنشره . وأذكر انني عدت مسروراً ذلك لانني أنجزت عملاً يستحق النشر .

ثم بدأت بالاعداد والشروع في تحقيق هذا الكتاب ، كتاب « النظــام في شرح شــعر المتنبي وأبي تمام » .

ومرّ شهر وتلاه آخر وآخر . وأنا أراجع الدائرة الثقافية بشأن كتاب المرزوقي ، فوهن العمــل في تحقيق كتاب « النظــام » لفتور الميل وضعف الرغبة ، ذلك لانني كنت أتساءل مع نفسي : ما قيمة انجازه إذا لم يتيسر له النشــر . ولما كنت غير قادر على نشره على نفقتي لأنني واحــد من الــذين يعيشون ليومهم لارتباط ذلك بالمرتب الشــهري ، فلمَ التعب ولم العناء . ولكن ما جدوى هذه المناقشــة وقد انصرفت منذ زمن الى هــذا النوع من العمل الذي باتت أسبابه مرتبطة بأسباب حياتي .

وبعد انتظار طويل جاء رفض الدائرة الثقافية على نشر الكتاب بحجــة لم أتبيّنها . فحملته الى دائرة أخرى لها صلــة بالمعرفة والاهتمــام بالتراث

وبعد شهور من الانتظار أيضاً رفضته « الدائرة الاخرى » أيضاً بحجة انهم يهتمون بنشر نوع معين لا يدخل الأدب ضمن اهتماماتهم .

وأذكر انني حين قابلت المسؤول قلت له : ان هذا الكتاب الذي رفضتم نشره قد عملت فيه ثلاث سنوات ، فماذا تعطوني في حالة موافقتكم على نشره ؟.. أظن انه لا يمكنكم أن تعطوني بحساباتكم بما يساوي ما يأخذه عامل على صبغ سيارة لمدة ثلاثة أيام وربما ثلاث ساعات .

لذلك انصرفت عن مواصلة العمل في هذا الكتاب . كتاب « النظام » . وفي يوم من أيام تموز من سنة خمس وثمانين وتسع مئة وألف زارني الصديق الاستاذ طالب الخفاجي المدرس في كلية الآداب ، وعرض عليّ إعادة طبع كتاب « ديوان أبي تمام بشرح الصولي » ، فقلت له : ولماذا إعادة طبع كتاب، وهناك كتاب غير منشور جاهز للطبع . فقدمت له كتاب المرزوقي المرفوض. فسعى مشكوراً بطبعه في دار نشر ببيروت ، بمساعدة صاحب مكتبة النهضة العربية السيد هاشم حسين . فلهما مني أفضل الثناء وأجزل الامتنان . فلولاهما لما كتب لكتاب المرزوقي أن ينشر .

وكان لهما أيضاً فضل عودتي الى دفاتري وأوراقي ألملمها وأنسقها مجدداً للعمل بكتاب « النظام » بنفس رضية ورغبة أكيدة .

ولا أريد أن أتحدث عن كتاب النظام الضخم وعن العمل فيه ، فسوف أترك تقدير ذلك للقارىء الكريم . ولكنني أرغب أن أذكر بالعرفان السيدة الهام أيوب صبري على ما قدمته من عون من خلال مكتبتها الخاصة أو من خلال مكتبة معهد اعداد المعلمين في الاعظمية وهي المسؤولة عنها في توثيق وتخريج كثير من الشواهد الشعرية التي وردت فيه .

خلف رشيد نعمان

بسم الله الرحمن الرحيم

- ١ -

هذا كتاب يتناول شرح شعر شاعرين عظيمين في الشعر العربي ، بل هما أعظم نهدين فيه ، وهما : أبو تمام وأبو الطيب • وإذا كان لهذين العظيمين من يتصدى لشرح شعريهما فخليق برجل عظيم مثلهما أن ينهض لذلك ، وأن يكون ابن المستوفي : المبارك بن أحمد هو هذا الرجل • في هذا الكتاب الذي أضعه بين يديك الذي أسماه صاحبه « النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام » •

الكتاب الذي لم يقف فيه صاحبه بعد تأمّله في شعر هذين الشاعرين ، على ما عنّ له واستخرجه واستنبطه وكشف عنه من معاني شعريهما ، وما تحقق له من إحاطة تكاد تكون تامّة في مشكلات هذا الشعر • بل وضع أمامنا ـ فيه ـ أهم ما قاله شراح هذا الشعر من نقد وفسر وكشف وبيان عبر خمسة قرون هي فترة قمة العطاء الفكري في المعرفة والأدب والفن ، وكل ما هو حضاري لهذه الامة • من أمثال الصولي والخارزنجي والآمدي والمرزوقي وأبي العلاء والقاضي الجرجاني وابن جني وابن فورّجه والتبريزي والعكبري والكندي والمخزومي والعروضي والخوارزمي وعبدالواحد بن زكريا والقصباني وغيرهم •

وإذا كانت لهذا الشارح الفذّ أسبابه في شرح شعر هذين الشاعرين العظيمين وقد بيّنها في أول خطبة له في هذا الكتب حين قال :

« فانيّ وجدت الناس كثيراً ما يتجاذبون القول فيما أشكل من معاني أبي تمام حبيب بن أوس الطائي ، وأبي الطيب أحمد بن الحسين الجعفي، لميلهما الى التكلّف وعدولهما غالباً عن العفو الى المستكره »[1] .

فلا نشك في أن عظمة هذين الشاعرين تغري رجلاً مثل ابن المستوفي، لما اتصف به من معرفة واسعة واطلاع شامل بالتصدي لشعريهما شارحاً، ليبدو مقدرته على حل مغاليق هذا الشعر الذي وجد الناس يتجاذبون القول فيما أشكل من معانيه .

* * *

(1) مقدمة مؤلف الكتاب : 1 .

لقد انعقد لهذين الشاعرين من الموهبة وبُعد الصيت ما لم ينعقد لغيرهما في أدبنا العربي • فقد شغلا الناس بشعرهما منذ أن ظهرا على مسرح الوجود الى يوم الناس هذا • فقامت حولهما معارك نقدية ما زالت حتى يومنا هذا مثار جدل ومناقشة تشحذ الهمم وتستثير القرائح •

فما زال الباحثون يكتبون في ذلك المنعطف الذي أحدثه أبو تمام في الشعر العربي قبل أكثر من أحد عشر قرناً عندما طرح اتجاهه الجديد في الشعر الذي ارتبط فيما بعد باسمه فقيل عنه : انه مذهب أبي تمام ، قامت عليه بعد ذلك معركة بين خصومه وأنصاره هي في حقيقتها معركة بين القديم والجديد، تحددت معالمها بعد عدة عقود فيما أطلق عليه بلغة النقد مصطلح « عمود الشعر » •

وما زال الباحثون يكتبون أيضاً في شاعرية المتنبي وفيما دار حولها من جدل ومعارك نقدية ملأت دنيا الأدب وشغلت أناسه قديماً كما تملأها اليوم وتشغل المهتمين به •

ولا أريد هنا أن أبحث في المكونات الأساسية لعبقرية هذين الشاعرين • ولكن من الثابت أنهما ولدا وهما مهيئان بقوى لا تكون إلا فيهما وفي أضرابهما من النوابغ[٢] ، وهبها الله لهما وحيث لا تكون لغيرهما من الناس ، تدفعهما الى هذا المصير الذي انتهيا اليه ليكونا بعد ذلك أعظم شاعرين في العربية •

* * *

(٢) مقدمة « شرح ديوان المتنبي » للبرقوقي ، ص١٤ •

فكيف تفسر خروج صبي من قريته ــ جاسم ــ[٣] ربما لم يتهيأ له عندما كان فيها حل رموز الابجدية التي ستكون فيما بعد وسيلته الى أن يكون أعظم فنان في صياغة عباراتها • ثم هاجر الى دمشق طلباً للرزق ، وقيل انه اشتغل عند حائك • وقيل أيضاً انه عمل عند « خمّار » • ويبدو أن المقام لم يستقر به فيها ، ربما لأنه شعر أنه لم يخلق لذلك ، أو ان هدفه من الاقامة فيها لم يتحقق ، فهجرها وسافر الى مصر • ولا بدّ ان شيئاً من الاستقرار قد تحقق له ــ ولو الى حين ــ حين وجد نفسه في جامع عمرو بن العاص بالفسطاط يسقي الماء في جرّة لرواده فوفّر له هذا العمل أن يقف على حلقات الدرس التي كانت تقوم في الجامع ، وأن يقف على ما كان يدور ويجري فيها •فشعر أن ما يبتغيه قد تحقق ، وانه بات يحيى من أجل هدف محدد تهيأ له ، فتعلّم ودرس وتابع التحصيل حتى ثقف العربية • وقد ساعده على استيعابها ما كان يتمتع به من حافظة قوية ، وذكاء وقّاد •

حُكي عن الجمل المصري[٤] أنه قال : ما رأيت أذكى من أبي تمام ، خرجنا جميعاً الى شاطىء النيل بمصر ، ودفعنا ثيابنا الى قبطيّة لتغسلها ،

---

(٣) جاسم : القرية التي ولد فيها ابو تمام سنة تسعين ومائة للهجرة • أنظر أخبار أبي تمام للصولي : ٢٣٤ ، وهي من قرى الجيدور من أعمال دمشق، وهناك من يعتقد أن جاسم قرب «منبج» قرب «حلب» •

(٤) هو الحسين بن عبدالسلام الجمل ، أبو عبدالله : شاعر مصري ، له اماديح فى المأمون العباسي وغيره من الخلفاء والأمراء ، وله باع في الهجو • اخباره في تهذيب ابن عساكر : ٣٠٦/٤ وارشاد الأريب ، ٧٦/٤ •

ونِمتُ أنا . رجلس هو ومعه شِعرُ الطِّرِمّاح ، فما فرغ من دقِّ ثيابه حتى حفظ له خمس عشرة قصيدة . والجملُ المصري كان شاعراً راوية .(٥)

وهذا أبو الطيب ، ولد بمحلة فقيرة تعرف بـ « كندة » في الكوفة . أغلب قاطنيها بين روّاء ونساج ، وكان أبوه واحداً منهم . ولكنه اختلف الى كتاب فيه أولاد أشراف الكوفة ، فتعلم فيه دروس العلوية . أما كيف دخل هذه المدرسة الخاصة ؟ فهذا أمر يكتنفه الغموض . ومهما يكن فمن الثابت أنه لم يكن مثل جميع أقرانه أن يصيروا كما صار هو إليه : شاعراً فرداً ، أو أن ينتهوا الى ما انتهى هو إليه . واذا كانت هذه المدرسة فتحت ذهنه على المعرفة فمما لا شك فيه أن شيئاً مهيئاً فيه ساعدت المعرفة على شحذه فانبرى يستزيد من كتب الوراقين وهو الفقير الذي لا يملك ثمن كتاب . فقد وفّرت له حافظته القوية وذكاؤه الوقاد ما ينبغي له أن يدفعه ثمناً لشراء الكتب .

حُكي عن أبي الحسن محمد بن يحيى العلوي الترمذي قال : « ..... وقد تعلّم القراءة والكتابة ، فلزم الأدب والعلم ، وأكثر ملازمة الورّاقين ، وكان علمه من دفاترهم ، فأخبرني ورّاق يجلس إليه يوماً ، قال : ما رأيت أحفظ من هذا الفتى ابن عبدان قطّ . فقلت له : كيف ؟ قال : كان اليوم عندي ، وقد أحضر رجل كتاباً من كتب الأصمعي ، سمّاه الورّاق وأنسيه أبو الحسن يكون نحو ثلاثين ورقة ليبيعه ، قال : فأخذ ينظر فيه طويلاً ، فقال له الرجل : يا هذا ! أريد بيعه ، وقد قطعتني عن ذلك ، فان كنت تريد حفظه فهذا يكون إن شاء الله بعد شهر . قال ، فقال له ابن عبدان : فإن كنت قد حفظته في هذه المدّة فما لي عليك ؟ قال : أهب الكتاب لك . قال : فأخذت الدفتر من يده وأقبل يتلوه عليّ الى آخره ، ثم استلبه فجعله في كمّه وقام . فعلّق به صاحبه وطالبه بالثمن ، فقال : ما لي الى ذلك سبيل ، قد وهبته لي .

(٥) ديوان ابي تمام بشرح التبريزي : ٤/٦٠٤/اخبار متفرقة عن ابي تمام .

قال : فمنعناه منه ، وقلنا له : أنت قد شــرطت على نفسك هذا للغــلام ، فتركه عليه » .

أذكر هذا لأبي الطيب ، وأذكر لابي تمام تلك ، للتدليل على القدرة الفائقة التي يمتلكانها .

ان هذه القدرة العجيبة مكنتهما من استيعاب العلــوم اللسانية فحفظــا ما شاء لهما أن يحفظا من الشعر ، واطلعا على ما خفي من معانيه ، وفهما أسرار اللغة ومعاني الالفاظ ودلالاتها المختلفة ، كما كان لهما من ثقافة عصرهما ومن معارفه النصيب الاوفر .



فهذا أبو تمام يقول عنه محمد بن سعيد أبو عبدالله الرّقي : « رأيت رجلاً علمُه وعقلُه يفوق شعره »[٦] • وقال الحسن بن رجاء : « ما رأيت أحداً قطّ أعلم بجيد الشعر قديمه وحديثه من أبي تمام »[٧] • وذكر الآمدي عن أبي تمام وعن سعة اطلاعه على الشعر العربي فقال : « كان أبو تمام مشتهراً بالشعر مشغوفاً به ، مشغولا مدة عمره بتبحّره ودراسته ، وله كتب اختيارات مؤلفة فيه مشهورة معروفة ، فمنها الاختيار القبائلي الاكبر ، اختار فيه من كل قبيلة قصيدة • وقد مرّ على يديّ هذا الاختيار ، ومنها الاختيار الذي تلقّط فيه محاسن شعراء الجاهلية والاسلام ، فأخذ من كل قصيدة شيئاً حتى انتهى الى ابراهيم بن هرمة ، وهو اختيار معروف يعرف بأختيار شعراء الفحول • ومنها اختيار تلقّط فيه أشياء من أشعار المُقلين والشعراء المغمورين غير المشتهرين ، بوّبه أبواباً ، وصدّره بما قيل فيه في الشجاعة ، وهو أشهر اختياراته ، وأكثرها في أيدي الناس يلقّب بالحماسة • ومنها اختيار المقطعات ، وهو مبوّب على ترتيب الحماسة إلا أنه ذكر فيه أشعار المشهورين وغيرهم من القدماء والمتأخرين ، وصدّره بذكر الغزل ، وقد قرأت هذا الاختيار وتلقّطت منه تنفاً وأبياتاً كثيرة ، وليس بمشهور شهرة غيره • ومنها اختيار مجرد في أشعار المحدثين ، وهو موجود في أيدي الناس • فهذه الاختيارات تدل على عنايته بالشعر ، وانه اشتغل به وجعله وكده ، واقتصر من كل الآداب والعلوم عليه ، وانه ما فاته كبير شيء من شعر جاهلي ولا اسلامي ولا محدث إلا قرأه وطالع فيه »[٨] •

---

(٦) اخبار أبي تمام للصولي : ١٦٨

(٧) أخبار أبي تمام » ١١٨

(٨) الموازنة للامدي ١/٥٨-٥٩

لقد مكنه اطلاعه الواسع أن يضع يده على عموم الشعر العربي ، فظهر ذلك جلياً في شعره : لغة ومعاني وصياغة .

وهذا أبو الطيب الذي له من سعة اطلاعه ومعرفة بالشعر العربي وبخفاياه وأسرار صناعته هذا الاقتدار في تصريف اللغة كيف يشاء ، فكان يتعمد عدم الافصاح عن غوامضه وشوارده ، وكان يطربه أن يجد الناس يختلفون فيها ويختصمون حولها ، وكان يتقصد ذلك ويقصدهم حين يقول :

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جرّاها ويختصم

فقد ذكر علي بن حمزة البصري أحد رواته الذي استضافه عند مروره ببغداد ، ورافقه في رحلته الى فارس ، انه سأل المتنبي عن أحد أبياته المعقّدة التي دار حولها الجدل ، وهو قوله :

وكانَ ابنا عدوّ كاثَرَاه له ياءَي حروفُ أُنَيْسِيانِ

أجابه : أتظن هذا الشعر لهؤلاء الممدوحين ، هؤلاء يكفيهم اليسير ، وانما أعمله لك لتستحسنه ، أي لك ولأمثالك »

وقد ذكر هذا في شعره فقال :

ولكن تأخذ الآذان منه على قدر القرائح والعلوم .

فكان المتنبي يعرف كيف يخاطب الناس ، ويعرف أصنافهم ومداركهم ، وهذا لا يتأتى إلا لمن خبر اللغة وأدرك أسرارها وفهم معانيها ، وهو حين يحدد المراد يتصرف عند ذاك تصرف الواعي المقتدر الذي يعرف أين يضع سره من خلال استيعابه التام لها وتلعّبه بها ، فهي عنده طيّعة لينة يعبر بها عن أدق الافكار وأخفاها . وهي عند غيره « من دونها خرط القتاد » . وهذا شأن النابغين البدعين .

يقول ابن الأثير في كتابه المثل السائر في معرض استشهاده بشعر أبي تمام حبيب وأبي عبادة الوليد (البحتري) وأبي الطيب المتنبي ، « وهؤلاء هم لاتُ الشعر وعُزّاه ومَنَاتُه ، الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته ، وقد حَوَتْ أشعارهم غرابة المحدثين الى فصاحة القدماء ، وجمعت بين الامثال السائرة وحكمة الحكماء .

أما أبو بمام : فانه ربّ معان وصيقلُ البابٍ واذهان ، وقد شُهد له بكل معنى مبتكر لم يَمْشِ فيه على أثر ، فهو غير مُدافعٍ عن مقام الإغراب الذي برّز فيه على الاضراب .... فمن حفظ شعر الرجل وكشفَ عن غامضِه وراض فِكرَه برائضه ، أطاعته أعِنّةُ الكلام ، وكان قوله في البلاغة ما قالت حَذام ....

وأما أبو عبادة البحتري : فإنه أحسنَ في سَبك اللفظ على المعنى ، وأراد أن يَشْعُرَ فغنّى . ولقد حاز طرفي الرقة والجزالة على الاطلاق ، فبينا يكون في شَظَفِ نَجْدٍ إذ تشبَّثَ بريف العراق .

وسئل أبو الطيب عنه وعن أبي تمام وعن نفسه فقال : أنا وأبو تمام حكيمان . والشاعر البحتري ، ولعمري إنه أنصف في حكمه ، وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه ، فإن أبا عبادة أتى في شعره بالمعنى المقدُود من الصّخرة الصمّاء في اللفظ المصوغ من سلاسة الماء ، فأدرك بذلك بُعْدَ المرام مع قربه من الافهام . وما أقول إلا انه أتى في معانيه بأخلاط الغالية (الطّيب)، ورَقى في ديباجة لفظه الى الدرجة العالية .

وأما أبو الطيب المتنبي فإنه أراد أن يسلك مسلك أبي تمام فَقَصُرتْ عنه خطاه ، ولم يُعْطِه الشعر من قياده ما أعطاه ، لكنه حظى في شعره بالحِكَم والامثال واختص بالابداع في وصف مواقف القتال ....

ومع هذا فاني رأيت الناس عادلين فيه عن سَنَن الوسط ، فإمّا مُفَرّط في وصفه وإمّا مُفْرط .

وهو وإنْ انفرد بطريق صار ابا عُذره ، فإن سعادة الرجل كانت أكبر من شعره ، وعلى الحقيقة فانه خاتم الشعراء ، ومهما وصف به فهو فوق الوصف وفوق الاطراء .

ولقد صدق في قوله من أبيات يمدح بها سيف الدولة :

لا تَطْلُبَنَّ كريماً بعدَ رُؤْيتِهِ
إنّ الكرامَ بأسخاهُمْ يَداً خُتِموا

ولا تُبالِ بِشِعْرٍ بعدَ شاعِرِهِ
قَد أفْسِدَ القَولُ حتىأحْمِدَ الصَّمَمُ

* * *

ولسائل ها هنا (والكلام لإبن الاثير) أن يسأل ويقول : لِمَ عدلتَ الى شعر هؤلاء بثلاثة دون غيرهم ؟

فأقول : بأني لم أعدلْ إليهم اتفاقاً ، وانما عدلْتُ إليهم نظراً واجتهاداً، وذلك اني وقفت على أشعار الشعراء قديمها وحديثها ... فلم أجد أجمع من ديوان أبي تمام وأبي الطيب للمعاني الدقيقة ، ولا أكثر استخراجاً منها للطيف الاغراض والمقاصد . ولم أجد أحسن تهذيباً للالفاظ من أبي عُبادة...»(٩)

تلك هي شهادة قيّمة من هذا الأديب الناقد المشهور ، بحق هؤلاء الثلاثة الذين يمثلون القمم السامقة في الشعر العربي ، وإذا كان هناك شيء من

---

(٩) المثل السائر لابن الاثير : ٢٢٨/٣

التحفظ فيما قاله بحق أبي الطيب عندمـا ذكر « انه أراد أن يسلك مسلك أبي تمام فقصُرت عنه خُطاه ، ولم يعطه الشعر من قيادة ما أعطاه» ــ وهو قول يحتاج الى التأمل والجـدل ــ فانه أعطاه ما يستحق من الاعتراف له بالاختراع للمعاني الدقيقة والاستخراج للطيف الاغراض والمقاصد . وانـه فوق الوصف والاطراء . وهو بذلك ــ في نظره على الأقل ــ لا يتخلف عن أبي تمام.

ولعل فيما نذكره لبعض النقاد العرب ما يقربنا من ادراك منزلة هذين الشاعرين: يقول ابن رشيق : «انما حبيب أبو تمام كالقاضي العدل: يضع اللفظة موضعها، ويعطي المعنى حقّه بعد طول نظر ، والبحث عن البيّنة ، أو كالفقيه الورع: يتحرى في كلامه ويتحرّج خوفاً على دينه . وأبو الطيب كالملك الجبار : يأخذ ما حوله قهراً وعنوةً ، أو كالشجاع الجريء، يهجم على ما يريد ولا يبالي ما لقى ولا حيث وقع»[١٠].



(١٠) العمدة لابن رشيق : ١٣٣/١

وإذا كان شعر أبي تمام يمثل نقلة جديدة في الشعر العربي الذي كان يسير على وفق ما درج عليه ــ هذا الشعر ــ منذ عصر ما قبل الاسلام بما لا بد من أن يتحقق في القصيدة بما عرف به بعد ذلك بـ « عمود الشعر » وخروجه عليه ، فان شعر أبي الطيب يمثل الظاهرة الفنيّة المكتملة في هذا الشعر •

لقد كان أهم ما يميز شعر أبي تمام احتفاءه بألوان البديع والحاحه على المعاني الدقيقة العميقة • فالمعروف عن أبي تمام انه وضع يده على عموم الشعر العربي • ولعل اختياراته العديدة ، تلك التي ذكرها الآمدي ، كما عرفنا ، تكشف مدى ومقدار اطلاعه على الشعر العربي • فحاول بعد أن اختمر هذا التراث الضخم في عقله ووجدانه أن يصل الى سبيل جديدة في الشعر العربي• ولكن كيف يتحقق له ذلك وهؤلاء النقاد الذين زعموا أن القدماء قداستنفدوا المعاني وأن المحدثين يجرون بريح القدماء ، وانهم عالة على المتقدمين • فكانت محاولة أبي تمام في أن تكون له قدم ثابتة في الابتداع والاختراع والاتكاء على نفسه في استنباط المعاني • وبذلك يكون نقض قولهم « ما ترك الأول للآخر شيئاً »[11] عندما قال :

فلو كان يفنى الشعر أفناه ما قرتْ ... حياضك منه في العصور الذواهب
ولكنه صوبُ العقول إذا انثنت ... سحائب منه أعقبت بسحائب[12]

---

(١١) اشارة الى بيت أبي تمام :

يقول من تقرع أسماعه ... كم ترك الاول للآخر

وعندما قال :

أما المعـــاني فهي ابكـــار إذا نصت ولكن القوافي عــون .

لكن استنباط المعاني وابتداعها عمل يتطلب جهــداً ومشقــّة ، وتأمــلاً وتفكيراً « فالشاعر لا يستطيع أن يخلق قصيدة كاملة بديعة لا يمس فيها معنى لشـــاعر سبقه ، فكان الخلق بطبيعة الحال يقف عند البيت والبيتين »[13].

وبحكم استيعاب أبي تمام للجيد من الشعر العربي ولقدرته الفــذة على إختزان الافكار والمعاني ، كان يقف على بعض المعاني المطروقة فيحــاول أن يضيف إليها أو يتوسّع فيها أو يستقصيها ليستنبط منها فكرة جــديدة ، فاذا عركها ولانت له قيادتها تناولها تناولا يتمشّى مع روح عصره ، وينســجم مع تطور الحياة التي أخذت تميــل الى الرقة في الخيال والرشــاقة واللطف في التعبير فتبدو كأنها جديدة وطريفة . وقد أدرك أبو بكر الصــولي هذا حين قال : « إن ألفاظ المحــدثين مذ عهد بشـــار الى وقتنا هذا كالمنتقلة الى معان أبدع وألفاظ أقرب وكلام أرق ، وان السبق للأوائل بحق الاختراع والابتداء والطبع ولاكتفاء . »[14]

وحين يصوغها فانه « يتحرى الغرض الذي يريد أن يحققه ، ولكــن هذا التحقيق قد تعترضه قيود اللغة فيحطمها ، ورسوم البلاغة فيخرج عليها ،وذوق الناس فلا يعبأ به ، فهو ثائر وهو مجدد »[15]

أنظر العمدة لابن رشيق : ٩١/١

(١٢) اخبار ابي تمام للصولي : ١٥٤

(١٣) ابو تمام للبهبيتى : ١٨٤

(١٤) اخبار ابي تمام للصولي : ١٦

(١٥) ابو تمام للبهيتي : ١٩٣

فاذا أحسّ ان شعره خلا من لفح العاطفة وحدّة الانفعال لجأ الى البديع يطلبه ويسرف في استعماله ليخفف من جفاف المعنى وعسر اجتلابه ، وليسبغ عليه شيئاً من التزويق والصنعة ليلطف من وقعه على الأذن •

وعلى الرغم من كل هذا الجهد فقد كانت له معانيه التي انفرد بها ، فقد أدرك بعضها أبو علي محمد بن العلاء السجستاني • ومنها قوله :

وإذا أراد الله نشر فضيلة   طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت   ما كان يُعْرَف طيبُ عرف العود[١٦]

وإن كان يرى أن المعاني التي انفرد بها لا تزيد على ثلاثة[١٧] • إلا أن الآمدي خالفه حين أعلن « ان له — على كثرة ما أخذه من أشعار الناس ومعانيهم — مخترعات كثيرة وبدائع مشهورة »[١٨] • وهي عند ابن الأثير قد بلغت العشرين : « وقد قيل أن أبا تمام أكثر الشعراء المتأخرين ابتداعاً للمعاني ، وقد عُدّت معانيه المبتدعة فوُجِدت ما يزيد على عشرين معنى ، وأهل الصناعة يكبرون ذلك وما هذا من مثل أبي تمام بكبير »[١٩] •

فمن ذلك قوله :

يا أيها الملك النائي برؤيته   وجودُهُ لمُرَاعى جُودِهِ كَثَبُ

ليس الحجاب بمقصٍ عنك لي أملاً   ان السماء تُرَجّى حين تَحْتَجِبُ

وقوله :

لا تنكري عَطَلَ الكريمِ من الغِنَى   فالسيل حرب للمكان العالي

---

(١٦) الموازنة للآمدي : ١/١٣٨
(١٧) الموازنة » : ١/١٣٧—١٣٨
(١٨) » » : ١/١٣٨
(١٩) المثل السائر لابن الاثير : ٢/٢٢

وقوله :

شُعْلَةً في المفارق استودعتني ... في صميم الفؤاد ثُكْلاً صميما
تستثيرُ الهموم ما اكتنّ منها ... صُعُداً وهي تستثير الهموما

فالبيت الثاني من المعاني المخترعة ، وقد تفقّه فيه فجعله مسألة من مسائل الدَّوْر ، وهذا من إغراب أبي تمام المعروف .

كذلك نقل ابن رشيق اعتراف العلماء بتوليد أبي تمام للمعاني وابتداعه لها ، فقال : « وأكثر المولدين توليداً فيما ذكره العلماء أبو تمام »[٢٠] .

لقد كان أبو تمام يتناول معاني الشعراء الذين سبقوه ـ وهي كثيرة ـ يقول عنها ابن المعتز : « لما نظرت في الكتاب الذي ألّفه من « اختيار الاشعار » وجدته طوى أكثر إحسان الشعراء ، وإنما سرق بعض ذلك فطوى أكثره ، وجعل بعضه عُدّة يرجع إليها وقت حاجته »[٢١] .

ويقول عنها الآمدي : « ان الذي خفى من سرقاته أكثر مما ظهر منها على كثرتها »[٢٢] .

أقول: لقد كان يتناول معاني الشعراء الذين سبقوه تناول البارع الذي يعرف كيف يخفى العلاقة بينها وبين الاصل الذي أخذت منه ، أو يباعد بينها ، أو يتعمق فيها ، ليصرف الباحث أو القارىء عن الاحساس بها ، أو إدراكها ، وربما يؤدي ذلك الى غموض المعنى وابهامه، فيلجأ الى فنون البديع يكسوها بها ليكون أحق بها من الذي سبقه إليها ، كما قال الصولي : « ومتى أخذ معنى وزاد عليه ووشّحه ببديعه وتمّم معناه فكان أحق به»[٢٣] .

---

(٢٠) العمدة لابن رشيق : ١٨٩/١
(٢١) الموشح ٤٧٨ . ورسائل ابن المعتز : ٢٤ . جمع د. عبدالمنعم خفاجة
(٢٢) الموازنة للامدي : ٥٩/١
(٢٣) أخبار أبي تمام ، ٥٣

وقد أدى اسرافه في طلب البديع الذي كان الدافع إليه ابراز المعنى وإضاءته وتحلية الشعر وتجميله تعويضاً عن العاطفة « الى أن يصبح عنده غاية في حدّ ذاته »[٢٤] ، فقاده الاسراف الى التكلّف .

ومما زاد في غموض معانيه وتكلّف شعره انه أخذ يظهر ثقافته الواسعة ليسبغ على معانيه ثياباً منوعة مما حفظ من لغة وتاريخ ، ومما حذق من علم وفن ، ومما اطلع عليه من فلسفة ومنطق . ففي كتاب « أخبار أبي تمام » لأبي بكر الصولي باب يحتوي على طائفة من أقوال أبي تمام ذات طابع عقلي تعتمد على المهارة في التعبير ، زعم الصولي أنها من مرويّات أبي تمام،وهي تكشف ميل أبي تمام الى أسلوب أهل المنطق[٢٥] .

وان من يتأمل قوله :

صاغهم ذو الجلال من جوهر المجـ ـد وصاغ الانام من عَرَضِه

يشعر أن الشاعر تأثر في حدود معينة بمعطيات الفلسفة اليونانية .فالجوهر والعرض من معطيات فلسفة أرسطو . وقد ذكر التبريزي في شرحه : « لأن العرض قد جرت عادته أن يذكر مع الجوهر الذي يستعمل في صناعة الكلام » .

فبات شعره يحتاج الى إدامة النظر وطول التأمل . قال الآمدي : « ..... حتى صار كثير مما أتى به من المعاني لا يعرف ولا يعلم غرضه منها إلا بعد الكدّ والفكر وطول التأمّل ، ومنه ما لا يعرف معناه إلا بالظنّ والحدس » .

وقد أدى غموض بعض معانيه الى فساد عبارته ، فقد ذكر ابن المعتز في قوله :

---

(٢٤) قضية عمود الشعر لوليد ابراهيم قصاب . رسالة ماجستير : ١٠٧
(٢٥) اخبار ابي تمام : ٢٤٧-٢٤٨

المجد لا يرضى بأن ترضى بأن يرضى المؤمل منك إلا بالرضا .

قال : « وبلغنا أن اسحق بن ابراهيم رأى حبيباً الطائي ينشد هذا وأمثاله عند الحسن بن وهب فقال : « يا هذا شددت على نفسك »[٢٦] .

لقد كان أبو تمام يشق على نفسه كي يجيء بالشعر الدقيق على هذا النمط الذهني . ولذلك قال القاضي الجرجاني : « فانه حاول بين المحدثين الاقتداء بالاوائل في كثير من ألفاظه فحصل منه على توعير اللفظ فقبح في غير موضع ، فقال :

فكأنما هي في السماع جنادل وكأنما هي في القلوب كواكب

فتعسف ما أمكن ، وتغلغل في التعصب كيف قدر ، ثم لم يرض بذلك حتى أضاف طلب البديع فتحمله من كل وجه ، وتوصل إليه بكل سبيل ، ولم يرض بهاتين الخلتين حتى اجتلب المعاني الغامضة وقصد الأغراض الخفية فاحتمل فيها كل غث ثقيل . وأرصد لها الافكار بكل سبيل ، فصار هذا الجنس من شعره إذا قرع السمع لم يصل الى القلب إلا بعد اتعاب الفكر وكد الخاطر ، والحمل على القريحة ، فان ظفر به فذلك بعد العناء والمشقة ، وحين حسره الاعياء وأوهن قوته الكلال ، وتلك حال لا تهش فيها النفس للاستماع بحسن أو الالتذاذ بمستطرف ، وهذه جريرة المتكلف »[٢٧] .

لقد أضاف القاضي الجرجاني بكلامه هذا صفة أخرى لمذهب أبي تمام اضافة الى طلب البديع واجتلاب المعاني الغامضة ، هي صفة التعسف والتغلغل في التصعب .

---

(٢٦) البديع لابن المعتز : ٥٥ . وورد الخبر في وساطة الجرجاني : ٧٢ . على الوجه الآتي : « يا هذا شققت على نفسك ، ان الشعر لأقرب مما تظن » .
(٢٧) الوساطة للجرجاني : ١٩

وقد أدرك المرزوقي فيما بعد هذا التعسف في شعر أبي تمام فقال عنه: « ان أبا تمام معروف المذهب فيما يقوله مألوف المسلك لما ينظمه نازع في الابداع الى كل غاية حامل الاستعارات كل مشقة، متوصل الى الظفر بمطلوبه من الصنعة أين اعتسف ، وربما عثر ، متغلغل الى توعير اللفظ وتغميض المعنى أنى تأتى له وقدر»[٢٨].

انّ اسرافه في طلب البديع واجتلاب المعاني الغامضة ثم التعسف والتغلغل في التصعب من أجل النزوع الى الابداع قد أوصل بعض شعره الى الاحالة والخطأ ، فلم تخل له قصيدة من بيت محيل. وقد أدرك هذا الآمدي فقال: « أما أخذ السهو والغلط على من أخذ عليه من المتقدمين والمتأخرين ففي البيت الواحد والبيتين والثلاثة ، وربما سلم الشاعر المكثر من ذلك البتة، وتعرى منه حتى لا تؤخذ عليه لفظة . وأبو تمام لا تكاد تخلو له قصيدة واحدة من عدّة أبيات يكون فيها مخطئاً أو محيلاً عن الغرض ، عادلاً أو مستعيراً استعارة قبيحة ، أو مفسداً للمعنى الذي يقصده بطلب الطباق والتجنيس أو مبهماً بسوء العبارة والتعقيد حتى لا يفهم، ولا يوجد له مخرج مما لو عددناه لما أتى عليه الاحصاء كثرة»[٢٩].

فمن مطابقاته الرديئة :

سرت تستجير الدمع خوف نوى غد   وعاد قتاداً عندها كُلُّ مرقدِ

لَعَمْري لقد حرَّرت يوم لقيتَهُ   لو أنَّ القضاءَ وحده لم يُبَرَّدِ

قال ابن المعتز : «فلم تخرج ها هنا المطابقة خروجاً حسناً»[٣٠]

---

(٢٨) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٤/١

(٢٩) الموازنة : ٥٢/١

(٣٠) الموشح ، ٤٧١ . رسائل ابن المعتز : ١٩

ومن متجانسه القبيح قوله:

فَرَتَّتْ بِقَرَّانَ عينُ الدين وانشترت
بالاشترينِ عيونُ الشرك فاصطلما[31]

قال الآمدي : « فان انشتار عيون الشرك في غاية الغثاثة والقباحة ، وأيضاً فان انشتار العين ليس بموجب للاصطلام»[32].

وقوله:

ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت فيه الظنون أمَذْهَبٌ أم مُذْهَبُ

قال الآمدي: « فهذا كله تجنيس في غاية الركاكة والهجانة»[33]

ومن استعاراته القبيحة قوله:

لو لم تُفَتَّ مِسَنَّ المجدِ مُذْ زمنٍ
بالجود والبأس كان الجود قد خُرِقا[34]

وقوله :

يا دهر قوّم اخدعيك فقد أضججتَ هذا الانام من خُرُقِك[35]

ان هذه الاستعارات وغيرها جعلت القاضي الجرجاني يعلّق عليها بقوله : « وقد كانت الشعراء تجري على نهج قريب من الاقتصاد، حتى استرسل فيه أبو تمام ومال الى الرخصة فأخرجه الى التعدي، وتبعه أكثر المحدثين فوقفوا عن مراتبهم عند الاحسان والاساءة والتقصير والاصابة»[36].

---

(31) الشَّتَر : بفتحتين : انقلاب في جفن العين . والاصطلام : الاستئصال.
(32) الموازنة : 1/285
(33) الموازنة : 1/286
(34) الموازنة : 1/263 . الموشح : 471 ، رسائل ابن المعتز : 19
(35) الوساطة ، 432 . والموازنة : 1/261
(36) الوساطة : 429

واذا كان هذا الذي تناوله النقاد لبعض شعر أبي تمام المحيل، فماذا نقول فيما نسمعه له حين يروق مزاجه ويصفو خاطره، وحين لا يجد ما يدعوه الى التعسف والتصعب. ماذا نقول في قوله لمحمد بن عبدالملك الزيات الذي كان يرغب أن يكون أبو تمام شاعره الخاص:

لهان علينا أن نقول وتفعلا ونذكر بعض الفضل منك وتفضلا

فلما بلغ قوله:

وجدناك أندى من رجال أناملاً وأحسن في الحاجات وجهاً وأجملا
تُضيءُ اذا اسودّ الزمانُ وبعضُهُم يرى الموتَ أن يَنْهَلَّ أو يتَهَلَّلا
والله ما آتيك إلاّ فريضَةً وآتي جميعَ الناس إلاّ تَنَفُّلا
وليس امرؤٌ في الناسِ كنتَ سلاحَهُ عَشيَّةَ يَلْقى الحادثات بأعزلا

فقال له محمد: «والله ما أحبُّ بمدحك مدح غيرك لتجويدك وابداعك، ولكنك تُنَغِّصُ مدحك ببذله لغير مستحقِّه. فقال: لسان العذر معقولٌ وان كان فَصيحاً»(٣٧)

وماذا نقول في قوله:

شهدت لقد أقوَتْ مغانيكم بعدي
ومحَّت كما محَّت وشائع من بُردِ
وأنجدتُمُ من بَعْدِ اتْهَامِ داركم
فيا دَمْعُ أنْجِدْني على ساكِني نَجْدِ

فاذا بلغ الى قوله في الاعتذار:

أتانِي مع الرُّكْبان ظنٌّ ظَنَنْتُهُ
لَفَفْتُ له رأسي حَيَاءً من المجْدِ

---

(٣٧) اخبار ابي تمام : ١١٨ـ١٢٠

لَقَدْ نَكَبَ الغدرُ الوفاءَ بِساحتي
إذنْ، وسَرَحْتُ الذَّمَّ في مَسْرحِ الحَمْدِ

ومِنْ زَمَنٍ أَلْبَسْتَنِيهِ كأنهُ
إذا ذُكِرَتْ أيامُهُ زَمَنُ الوَرْدِ

وكيفَ وما أخْلَلْتُ بَعْدَكَ بالحِجا
وأنتَ فلمْ تُخْلِلْ بِمكرُمَةٍ بَعْدِي

أُسَرْبِلُ هُجْرَ القولِ مَن لو هَجوتُهُ
إذنْ لَهَجاني عَنْهُ معروفُهُ عندي

كريمٌ مَتى أمْدَحْهُ أمْدحْهُ والوَرَى
مَعِي، وإذا ما لمتُهُ لمتُهُ وحدي

فإن يكُ جُرْمٌ عَنَّ أو تَكُ هَفْوَةٌ
على خَطَأٍ مِنِّي فَعُذْرِي على عَمْدِ

قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد : « ما سمعت أحسنَ من هذا قطّ ، ما يهضم هذا الرجل حقّهُ إلاّ أحدُ رَجُلَين : إمّا جاهل بعلم الشعر ومعرفة الكلام ، وإمّا عالم لم يتبحّر شعره ولم يسمعه »[٣٨] ،

وكان قبل هذا يعيب شعره ويستهجن بعض ما يرد فيه فيقول : « ما أشبّه أبا تمام إلا بغائص يخرج الدّر والمخشلبة »[٣٩] .

قال أبو العباس عبدالله بن المعتز : « وما مات إلا وهو منتقل عن جميع ما كان يقوله ، مقرّ بفضل أبي تمام وإحسانه »[٤٠] .

---

(٣٨) اخبار أبي تمام : ٢٠٣-٢٠٤
(٣٩) أخبار أبي تمام : ٩٦ · ومروج الذهب : ٢٢/٤
(٤٠) النجوم الزاهرة : ٢/٢٥٠

وماذا نقول عندما نسمع قوله في قصيدته التي مطلعها :

غَدَت تستجير الدمع خوف نوى غدِ وعاد قَتاداً بعدها كل مرقدِ

فاذا وصل المنشد الى قوله :

ولكنني لم أحوِ وَفْراً مُجَمَّعاً فَفُزْتُ به إلا بشَمْلٍ مُبَدَّدِ
ولم تُعْطِني الأيّامُ نَوماً مُسَكّناً ألَذُّ به إلا بِنَومٍ مُشرَّدِ

قال أحد شعراء ذلك العصر وهو عمارة بن عقيل : « لله دَرُّه ! لقد تقدَّم صاحبكم في هذا المعنى جميعَ من سبقه على كثرة القول فيه ، حتى لَحبَّبَ الاغترابَ ، هِيهِ ! فأنشده المنشد :

وطولُ مُقَامِ المرءِ في الحيِّ مُخْلِقٌ
لدِيباجَتَيْهِ فاغْتَرِبْ تَتَجَدَّدِ
فإني رأيتُ الشمسَ زِيدَتْ محَبَّةً
الى الناس أنْ ليستْ عليهم بِسَرمَدِ

فقال عُمارةُ : « لقد كَمُل واللهِ ، إنْ كان الشعر بجودة اللفظ وحسن المعنى واطّراد المراد واستواء الكلام فصاحبكم هذا أشعر الناس ، وإن كان بغيره فلا أدري »[٤١] .

وقال عمارة حين تليت على مسامعه قصيدة أبي تمام :

الحقّ أبلجُ والسيوف عَوارِ فحذارِ من أسد العرين حَذارِ

« لله دره . لقد وجد ما أضلته الشعراء ، حتى كأنه كان مخبوءاً له »[٤٢] .

---

(٤١) اخبار ابي تمام : ٦٠–٦١ والاغاني : ١٠١/١٥ وابن عساكر ، ٢٢/٤–٣٢
(٤٢) اخبار ابي تمام : ٩٦

ويرى عمارة أن أبا تمام : « ما يعتمد معنى إلا أصاب أحسنه ، كأنه موقوف عليه »[٤٣] .

وبعد

فأننا أمام شاعر فحل تمخّض عنه العصر الذي عاش فيه ، وقد مثله بشعره أصدق تمثيل — العصر الذي كان يعتلج بمرحلة تطور حضارية — حين أبرز معالمهما في الشعر بتطبيق جريء ، فلم يعبأ بحملة النقاد والأدباء ضده ، فكان شعره البداية الجريئة في فتح الباب لشعراء المعاني . وكان — لذلك — زعيمهم في هذا المجال ، وكان قدوة فيه لمن جاء بعده .

وكذا فعل أبو الطيب من بعده ، فكان من أبرز رواد هذا الباب . فاذا كان أبو تمام هو الذي فتح الباب لشعراء المعاني ، فان أبا الطيب هو البارز بين الشعراء الذين جاؤوا بعد أبي تمام ، وهما بلا منازع ومعهما أبو العلاء من أبرز شعراء المعاني .

* * *

---

(٤٣) الاغاني : ٣٨٧/١٦

- ٦ -

لكن المتنبي لم يواجه تلك الحملة التي واجهها أبو تمام من علماء اللغة والكتاب والشعراء ، وبذلك يكون أبو تمام مهد الطريق للمتنبي • فقد امتصّت الحقبة الزمنية الفاصلة بين أبي تمام وأبي الطيب شدّة تلك الحملة التي تناولت شعر أبي تمام وعنفها ، بعد أن استقر هذا المذهب في وجدان الناس ، فبات شعر المعاني مألوفاً لديهم ، فخفّت حدّة الحملة على هذا المذهب ، وباتت مسألة معالجة المعاني الدقيقة في الشعر والاحتفال بالمحسنات البديعية من الأمور التي تألفها الاسماع ويرتضيها الذوق ويتقبلها الذهن • كما يتطلبها فن الشعر • وبات الشعر الذي يتناول هذه الجوانب يجد سوقاً نافقة حين يثير في قرّائِهِ التأمل والتفكير ويشنف أسماعهم بالبديع المختار •

غير أن الحملة التي تناولت شعر أبي الطيب انصبت على الجانب اللغوي من خلال استعماله للألفاظ ودلالاتها بشكل جريء على ما تؤديه للمعنى المطلوب ، وعلى الوصول الى المعنى بعد تقديم الكلام وتأخيره ، وعلى نجاح الاستعارة أو اخفاقها أو إفراطه فيها ، وعلى إصابة المعنى وتفوقه على من سبقه من الذين تناولوا هذا المعنى أو ذاك • وعلى حسن التخلص والخروج وعلى ابتداءاته وعلى المعاني المشتركة ، وغيرها من المسائل التي تمثل مادة النقد في زمانه • ويمكن تلخيص مآخذ العلماء على أبي الطيب فيما ذكره القاضي الجرجاني بقوله : « فان المعترضين عليه أحد رجلين : إمّا نحوي لغوي لا بَصَرَ له بصناعة الشعر ، فهو يتعرّض من انتقاد المعاني لما يدلّ على نقصه

ويكشف عن استحكام جهله ... أو معنوي مدقق لا علم له بالاعراب، ولا اتساع له في اللغة، فهو ينكر الشيء الظاهر، وينقم الأمر البيّن»(٤٤)

ولم يكن أبو الطيب جاهلاً لهذا الذي يفعله . فقد ترقّت أساليب الكلام في عصره وابتدع المتكلمون والمنشؤون من فنون الكلام ما يمكن أن يحمل غير معنى وأحد وغير وجه واحد.

وكان أبو الطيب واحداً من أولئك الذين برعوا في فن المخاطبة واخفاء الغرض وطريقة العرض حين يرغب وعندما يشاء، فكان تصرفه باللغة تصرف القادر الماهر العارف بأسرارها وبقدرتها على العطاء والايحاء والايماء. فكان يتعامل بها ومعها، حين يريد أن تكون وسيلته لغرض يرسمه في ذهنه ، تعامل العالم الذي يريد أن يخضعها لمشيئته فيميل بها أو يلويها نحو ما يريد بما يستدعيه فن القول وبما تتطلبه أصول البلاغة . وليس تعامل الجاهل الذي يتعثر في استعمالها فيحيل ويخطيء.

واذا كان أبو تمام كالقاضي العادل يضع اللفظة موضعها ــ على حد قول بعض النقاد العرب ــ ويعطي المعنى حقه بعد طول نظر، أو كالفقيه الذي يتحرى الكلام ويتحرّج خوفاً على دينه ، فقد كان أبو الطيب كالملك الجبار ، يأخذ ما حوله قهراً وعنوةً كالشجاع الجريء يهجم على ما يريد ولا يبالي ما لقى ولا حيث وقع ».

أجل . لم يكن يبالي بضوابط النقاد والعلماء التي درجوا عليها في نقد الكلام ولم يخضع لمقاييسهم ، بل كان يخضع لمقاييس الفنان الذي بداخله . فهو حين يخرج عمّا ألفوه من فنون التعبير وأساليب الكلام ، فانما كان ذلك بدافع ما يحسّه في نفسه من القدرة على كسر الطوق الذي صنعوه للغة لتبقى

---

(٤٤) الوساطة : ٢٣٤ وما بعدها

عاجزة عن التوليد والابتكار ولينفي عنها العقم الذي طوقوها به، وليثبت قدرتها على التعبير عما يشعر به وما يعتمل في وجدانه —هو الفنان الأصيل—.

ولذلك بات عرضة للمعترضين الذين جعلهم القاضي الجرجاني أحد رجلين: امّا نحوي لغوي لا بصر له بصناعة الشعر، فأنكر عليه قوله في جملة ما أنكروه عليه:

تخطّ فيها العوالي ليس تنفذُها　　　كأن كلّ سنان فوقها قلم

فزعم انه أخطأ في وصف درع عدوه بالحصانة، وأسنّة أصحابه بالكلال[٤٥].
أو معنوي مدقق لا علم له بالاعراب، ولا اتساع له في اللغة: «كفعل بعضهم في قوله:

لأنتَ أسودُ في عَيْني من الظُّلَمِ ★

فانه أنكر « أسود من الظلم »، ولم يعلم انه قد يحتملُ الكلام وجوهاً يصح عليها، وان الرجل لم يرد « أفعل » التي للمبالغة[٤٦].

واذا كان لقسم من هؤلاء المعترضين من العلماء والنقاد الحق في نقد شعره فقد ضيّع قسم منهم هذا الحق في اسفافهم الذي لا مسوغ له سوى حقدهم على الشاعر، ومحاولة النيل منه، لما عرف عنه من ترفع وكبرياء وموهبة فذّة لا يدانيه فيها أحد فربطوا في بعض مواضع نقودهم هذه بتلك.

صحيح أن الكتب التي أُلفت في النيل من شعره لا تخلو من رصد سليم لبعض الهنات التي وقع فيها، لكن الالحاح في تتبع تلك الاخطاء والهنات وملاحقتها من دون سند علمي أفقدها الجدّيّة التي ينبغي أن تجعل من كتبهم كتباً علمية موضوعية.

---

(٤٥) الوساطة : ٤٣٤
(٤٦) الوساطة : ٤٣٩

ولا أريد أن أتعرض هنا في هذه الدراسة الموجزة الى ما احتوته هـذه الكتب من نقود جادّة وغير جادة . ولكن يكفي أن أذكر على سبيل المثال ما ورد في كتاب أبي علي محمد بن الحسن الحاتمي الموسوم بـ « الرسالة الموضحة »(٤٧) ، وفيها يحاول أن يقرن بيتي أبي الطيب وهما :

أتحسَبُ بيضُ الهند أصلَكَ أصلَها وانّكَ منها ساء ما تتوهّمُ
إذا سَمِعَتْ باسْمِ الأميرِ حسِبْتَها من التّيْهِ في أغمادِها تَتَبسَّمُ

ببيت أبي نواس :

تتيهُ الشمسُ والقمرُ المنيرُ إذا قلْنا كأنّهُما الأميرُ .

وان بيت أبي الطيب الثاني من قول أبي نواس نقلاً من جهة الى جهة. انتهى معنى كلامه .

ان تقارب المعنى أو نقله من جهة الى أخرى لا يوجب القياس عليه إلا بالحكم للأجود. وإذا كان الحاتمي أقنع نفسه فيما قال ، وظنّ أن الناس تقبّلوا منه ذلك فقد وهم . ولو أنصف لسأل نفسه ، أين الأجود ؟ وماذا يقول بإحكام الصياغة الشعرية في بيتي أبي الطيب والنثرية في بيت أبي نواس؟ ماذا يقول بلفظة « التيه » وورودها عند الاول ، وما يتبعها من حركة عندما أتبعها بلفظة « تتبسم » وهي هنا تكاد تكون لازمة لكل من يتيه خيلاء ويتبختر . والابتسام كما هو معروف من دلالات التيه . وليس للفظة « التيه » في بيت أبي نواس ما يظهره ويكشف عنه أو يدل عليه .

ان القارىء لبيتي أبي الطيب يحس بالحركة والحياة ما لا يحس به أو يشهده في بيت أبي نواس ، ذلك لأن الوهم قد جنح بالسيوف فحسبت

---

(٤٧) الرسالة الموضحة للحاتمي : ٢٠ تحقيق ، د. محمد يوسف نجم . دار صادر ط٤ بيروت

ـ كما يقول ـ انك وإياها من أصل واحد • والشاعر ينكر عليها ذلك ، ولكنها تستلذه وتعتقده ، وهي لذلك إذا سمعت باسمك يأخذها التيه فتبتسم خيلاء وهي في أغمادها ، فكيف بها حين تُستل وتُنتضى • انها صورة مركبة معبرة لا نجدها في بيت أبي نواس •

ونقول : كيف يجيز لنفسه أن يقرن هذه الصورة ببيت أبي نواس الذي يفتقر الى الظلال الموحية إلاّ من صورة مستهلكة من كثرة التداول والاستعمال •

كذلك لا نعلم لماذا هجن الحاتمي أبيات المتنبي التي يقول فيها ؟ :

أديبٌ رسَتْ للعلم في ارض صدرِه
جبالٌ ، جبالُ الارضِ في جَنْبِها قَفُّ
جَوَادٌ سَمَتْ في الخيرِ والشرِّ كفُّهُ
سُمُوّاً فوَدّ الدَّهْرُ ان اسمه كفُّ
فَلَيْسَ بدونٍ يُرْتَجَى الغيثُ دونه
ولا ينتهي الجودُ الذي خَلْفَه خَلْفُ[٤٨]

سوى انه يقولُ في مستهل ذكره لها في كتابه : « وأهجن من هذا لفظاً وأقلّ من البيان حظّاً قوله : » : أديب ••• الابيات •

ونتساءل : أين هي الالفاظ المستهجنة في هذه الابيات • وإذا لم تكن هذه الأبيات من البيان ، فما البيان عنده ؟

ويبلغ بالحاتمي السخف حداً لا يجد ناقده قولاً يخاطبه به • مثل ذلك ما ذكره في كتابه انه خاطب المتنبي بقوله : ومن تقصيرك في الاخذ قولك :

لا بقومي شَرُفْتُ بل شرَفوا بي وبنفسي فخَرْتُ لا بجدودي

(٤٨) الرسالة الموضحة للحاتمي : ٤٠

فانك أخذته من قول الأول :

نفسُ عصامٍ سَوَّدَتْ عِصاما وعلّمته الكَرَّ والإقداما
وجَعَلَتْهُ مَلِكاً هُمَاما[٤٩]

ولا تعليق لنا على ذلك .

ان قدرة المتنبي تتجلى في أنه تمكّن من أن يستخدم اللغة استخداماً فريداً فيه من الاتساع ما يمكنه من التعبير عن أدق المعاني والافكار فتبدو للقارىء وكأنها قريبة منه حين يبدو له انه يتحسسها . ولكن لا يمكنه التعبير عنها بالقدرة والدقة التي كفلها لها الشاعر . وما نقمة اللغويين عليه عندما أعلنوا خروجه على اللغة في كثير من المواضع إلا لانه تمكّن باقتدار يكاد يكون معجزاً أن يشحن الكلمات ليفجّر فيها طاقات جديدة للتعبير عن العاني، وبذلك تمكّن من إثراء اللغة ، وهذا شأن العباقرة الذين ينهضون باللغة ويفجرون فيها طاقات كامنة ، ولا يقفون عند حدود معينة لا يتجاوزونها فيساعدون على جمودها .

ولا أقول ان أبا الطيب مظلوم في كل ما أنكروه عليه من أخطاء ، فقد كان في بعضها ما يستحق أن يعاب عليه ، ولكن من المؤكد أن حسناته أكثر من سيئاته ، وانها لا تقاس في خضم إحسانه الواسع الضخم . وان له من المحاسن ما يصعب أن تجد لها نظيراً . وهذه حكمه وأمثاله وغرره ما زالت تتردد على ألسنة المتأدبين منذ أكثر من ألف سنة ، تنهض بيننا حيّة ــ نحن أبناء هذا الجيل ــ وستبقى تخاطب الذين يجيئون بعدنا . ثم قل لي كيف يكون خلود الشاعر ؟ وهذه أقواله تتدارسها ونشنف أسماعنا بها وتتمثل بها الى يومنا هذا .

---

(٤٩) الرسالة الموضحة للحاتمي : ٥٤

وللتدليل على ذلك أضع هذه الابيات أمام القارىء ، وأطلب منه أن يتأملها ويستشفّ ما فيها من المعاني والافكار ، وإن شاء فلينثرها ، ليقارن بين نثره وصياغة أبي الطيب وفنه في التعبير • قوله :

هو الجدُّ حتى تَفْضُلَ العينُ أختَها — وحتّى يصيرَ اليومُ لليوم سَيِّدا
وما قَتَلَ الأحرارَ كالعَفْوِ عَنْهُمُ — ومنْ لك بالحرّ الذي يحفَظُ اليَدا
إذا أنت أكرمتَ الكريم ملكتَهُ — وإن أنتَ أكرمتَ اللئيمَ تمرّدا
أزِلْ حسدَ الحُسّاد عني بكبْتِهِمْ — فأنتَ الذي صَيَّرتهُمْ لي حُسَّدا
وما أنا إلا سَمْهَرِيٌّ حملتَهُ — فزيَّنَ مَعْرُوضاً وراعَ مُسَدّدا
أجزني إذا أُنْشِدْتَ شعراً فإنما — بشعري أتاكَ المادحونَ مُرَدَّدا
ودعْ كل صوتٍ دون صوتي فانني — أنا الصائحُ المَحْكيُّ والآخرُ الصَّدى
تركت السُّرَى خَلفي لمن قلَّ ماله — وأنعلتُ أفراسي بنُعْماكَ عَسجَدا

وقوله :

يا أعدل الناس إلا في معاملتي — فيك الخصام وأنت الخصم والحكمُ
وما انتفاع أخي الدنيا بناظره — أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورمُ
أعيذها نظرات منك صادقة — إذا استوت عنده الأنوار والظلم
أنا الذي نظر الاعمى الى أدبي — وأسمعت كلماتي من به صمم
أنام ملء جفوني عن شواردها — ويسهر الخلق جرّاها ويختصم
إن كان سركُمُ ما قال حاسدنا — فما لجرح إذا أرضاكُمُ ألم
ليتَ الغمام الذي عندي صواعقه — يزيلهنّ الى مَنْ عنده الديم
هذا عتابك إلا أنه مقة — قد ضُمِّن الدرَّ إلا أنه كَلِم

وقوله :

نزلنا عن الأكوار نمشي كرامةً لمَنْ بانَ عنه أن تُلِمَّ به ركبا
نَذُمُّ السَّحابَ الغُرَّ في فِعْلِها به ونُعْرِضُ عنها كلما طلعت عَتْبا
ومَنْ صَحِبَ الدُّنيا طويلاً تقلَّبتْ على عينِهِ حتى يَرَى صِدقَها كِذبا
ذكرت به وصلا كأنْ لمْ أفُز به وعيشاً كأنيّ كنت أقطعه وثبا

وقوله :

أتَوْكَ يجرُّونَ الحديدَ كأنهُمْ سروا بجيادٍ ما لهنَّ قَوَائِمُ
وقفت وما في الموتِ شكٌّ لِواقف كأنك في جَفْنِ الردى وهو نائمُ
تمرّ بك الأبطال كَلْمَى هزيمةً ووجهُكَ وضّاحٌ وثغرك باسمُ

وقوله :

ومرادُ النفوس أصغرُ من أن تتعادى فيه وأن تتفانى
ولو أن الحياة تبقى لحيٍّ لعددنا أضلّنا الشُّجْعانا
وإذا لم يكن من الموت بُدٌّ فمن العجز أن تموت جبانآ

وقوله :

وإذا كانت النفوسُ كِباراً تَعِبَتْ في مُرادها الأجسامُ

وقوله :

ذريني أنل ما لا يُنال من العُلا فصعبُ العلا في الصعب والسهلُ في السهلِ
تريدين لُقيان المعالي رخيصة ولا بدّ دون الشهد من إبرِ النحلِ

وقوله :

ليس التعلّلُ بالآمالْ من أرَبي ولا القناعة بالإقلال من شيمي

وما أظنّ بناتِ الدهر تتركني ... حتى تسدّ عليها طرْقها هِممي

لُمِ الليالي التي أخنت على جِدتي ... برقّةِ الحال واعذرني ولا تَلُمِ

أرى أناساً ومحصولي على غنم ... وذِكرَ جودٍ ومحصولي على الكَلِم

رِدي حياضَ الرّدى يانفس واتركي ... حياضَ خوْفِ الردى للشاء والنّعمِ

مَن لو رآني ماءً ماتَ من ظمأ ... ولو مثَلْتُ له في النوم لم يَنَمِ

ميعادُ كل رقيق الشفرتين غداً ... ومَنْ عصى من ملوك العُرب والعجم

فإن أجابوا فما قصدي بها لهمُ ... وإن تولّوْا فما أرضى لها بِهِمِ

وقوله :

عرَفتُ الليالي قبل ما صنعت بنا ... فلما دهتني لم تزِدني بها علما

وما الجمع بين الماء والنار في يدي ... بأصعبَ من أن أجمع الجدّ والفهما

وإني لمن قوم كأنّ نفوسهم ... بها أنَفٌ أن تسكن اللحم والعظْما

فلا عبَرتْ بي ساعةٌ لا تُعِزّني ... ولا صحبتني مهجةٌ تقبلُ الظّلما

وقوله :

واحتمالُ الأذى ورؤية جانيـ ... ـه غِذَاءٌ تضْوَى به الأجسامُ

ذلّ من يَغْبطُ الذّليلَ بعَيْشٍ ... رُبّ عيشٍ أخفُّ منه الحِمامُ

كلُّ حِلْمٍ أتى بغيرِ اقتدار ... حُجّةٌ لاجيءٌ إليها اللئّام

من يَهُنْ يَسْهُلِ الهوَانُ عليه ... ما لجرحٍ بميّتٍ إيْلامُ

وقوله :

وأنا الذي اجتلبَ المنيّةَ طرفُه ... فمَنِ المطالَبُ والقتيلُ القاتلُ

لا تجسرُ الفصحاء تُنشِدُ ها هنا ... بيتاً ، ولكنّي الهِزَبْرُ الباسلُ

ما نال أهلُ الجاهلية كلّهُمْ ... شعري ولا سمعت بسحري بابلُ

وإذا أتتك مَذَمّتي من ناقصٍ ... فهي الشهادة لي بأنّيَ كاملُ

وقوله :

ولا تحسَبنَّ المجد زقاً وقينةً فما المجدُ إلا السيف والفتكةُ البِكْرُ
وتضريب أعناق الملوك وأن ترى لك الهَبَوات السُّودُ والعسكرُ المَجْرُ
وتركك في الدنيا دويّاً كأنما تداولَ سمعَ المرءِ أنملُهُ العشرُ

وقوله :

إذا غامرت في شرفٍ مَرُومِ فلا تقنع بما دون النجومِ
فطعم الموت في أمرٍ صغير كطعم الموت في أمرٍ عظيمِ
يرى الجبناءُ أن العجزَ عقلٌ وتلك خديعةُ الطبعِ اللئيمِ

وقوله :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يُراقَ على جوانبه الدَّمُ
والظُّلْمُ من شيم النفوس فإن تجد ذا عِفّةٍ فَلِعِلّةٍ لا يَظلِمُ
ومن البليّة عذل مَن لا يرعوي في غيّهِ وخطابُ مَن لا يفهمُ

وقوله :

تُعِدُّ المشرفيةَ والعوالي وتقتلنا المنونُ بلا قتال
ومَن لم يعشق الدنيا قديماً ولكن لا سبيل الى الوصال
رماني الدهر بالأرزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال
فصِرتُ إذا أصابتني سهام تكسّرت النصالُ على النصال
يُدَفِّنُ بعضنا بعضاً ويمشي أواخرنا على هام الأوالي

وبعد ، فهذا غيض من فيض هذا الشاعر الملهم ، ولعل خير ما نختتم به هذا المختار من شعره أن أطلب قراءة القصيدة التي مطلعها :

ملومكمـــا يجلّ عـــن المــلام ووقع فَعاله فوق الكـــلام

التي يقول عنها القاضي الجرجاني : « ان هذه القصيدة كلها مختارة ، لا يُعلم لاحد في معناها مثلها ، والابياتُ التي وصف فيها الحمى أفراد ، قد اخترع أكثر معانيها ، وسهل في ألفاظها ، فجاءت مطبوعة مصنوعة ، وهذا القســـم من الشعر هو المطمِع المُؤْيس[50] .

وعندي أن أبا الطيب أكثر جرأة وجســـارة في التعبير ، بل أقل إحتشاماً لمن يخاطبهم من أبي تمام ، ولذلك جاءت عبارته أكثر إثارة للسامع ، فكان إذا خاطب الممدوح خاطبه وملؤه الشعور بالتفوق والتفرد ، فتجيء عبارته قويّة ومثيرة ، تمثّل قوّته في نفسه وتمثل ثورته ، وقلقه الدائم في الحياة ، حتى ليجد فيها القارىء اللبيب الفطن الثائر على أوضاع عصره ، لسان حاله والمعبر عن وجـــدانه .

* * *

(٥٠) الوساطة : ١٢١

لقد كان أبو تمام شاعر العلاقات الحميمة والودّ المتبادل ، والمطالب المشروعة في حياة تكتنفها الدعة ، وتستظلّ بالهدوء ، وتتسم بالاستقرار ، إلا في حالات معينة تحاول الخلافة في بغداد أن تثبت جدارتها وتبيّن قوتها كما فعل المعتصم عندما أغاث المستنجدة به حين نادته « وا معتصماه ! » ، فأجابها والكأس بيده ، فتركها ولم يرفعها الى شفته إلا في نهاية حملته •
هكذا كان حال الدولة وتلك هي أمارة القوة والاستقرار ، وفي هذا الوضع الهادىء عاش أبو تمام •

ولعل أمر نشأته والتشكيك في انتسابه جعلت تطلعاته لا ترقى الى أكثر من إرضاء ذوي الجاه والسلطان والتقرب إليهم للحصول على ما يفيض عن حاجته لإحياء مجالس لهوه وطربه • فهو حين يختص بالحسن بن وهب انما يختص بصديق تجمعه إليه مجالس الشرب والطرب والظرف • فاذا تبادل معه الهدايا فلا بأس من توثيقها بالشعر الذي يحتوي على كل فكر طريف ومعنى رقيق ودقيق ، وهي على العموم مطالب وحاجات متواضعة لا تشكل خطراً على مصالح هذه الطبقة ولا تكلفهم كثيراً •

وإذا اتصل بمحمد بن عبدالملك الزيات ، فإنما لرغبة محمد بن عبدالملك في ذلك وتقديره لشاعريته حين وجد في إهابه شاعراً خطيراً في صناعته لا يمكن أن تتجاوزه العين المبصرة • وكان ينافسه على هذه العلاقة عدوّه اللدود ابن أبي دؤاد • وكان كل واحد منهما يرغب في أن يختصّ به •

التي استأثر بها دون بقيـة الشـعراء[٥١] ، لينفقهـا ــ وهو المتلاف ــ على أصدقائه وخُلانه ومجالس لهوه التي لا تنقطع .

إنها حيـاة هادئة لا تعكرها هموم ، وإذا كانت له هموم ، فلا نظنّ أنها شبيهة بهموم أبي الطيب . وهمومه هـذه ربما تكون بسبب محافظتـه على أنواع العلاقات التي تربطه بالطبقة العاليـة في المجتمع العباسـي حينذاك ، وكيفية الوصول اليها ، والحصول على جوائزها وصلاتها ليحافظ على امتداد حياته اللاهية ، غير أن حياته هذه لم تخلُ من الاحساس بخيط من المـرارة يستشعره في أعماقه حين يجد أن دنياه لم تعطه إلا دون ما يسـتحقه ، وإلا فما باله يقول :

ليالي بات العزّ في غير بيته — وعظم وغدُ القـوم في زمن وغد

ولا يفوتنا أن نذكر أن حياته في بداية أمره لم تكن سهلة ميسورة ، فقـد عانى ما عاناه من شظف العيش ومرارة الايام عندما رحل من قريته واسـتقر وكان إذا اتصل بغيرهم من الخلفاء والأمراء ، فانما كان ذلك لنيل جوائزهم في الفسطاط ، ولعلنا نحس بهذا حين نقرأ له الابيات التي يصف فيها تعـذر الرزق عليه بمصـر :

أخمسـة أحـوال مضت لمغيبه — وشهران بل يومان نكل من البكل
وأبسُط من وجهي الذي لو بذلته — الى الأرض من نعلي لما نقب نعلي

* * *

أما أبو الطيب فقد كانت حياته صراعاً مستمراً ضدّ دهره . تجرع مرارة هذا الصراع طوال أيام حيـاته يوماً بعد يوم ، وربما لحظة بعد لحظة ، هموم

---

(٥١) فقد قيل : « ما كان احد من الشعراء يقدر أن ياخذ درهماً واحداً في ايـام ابي تمام . فلما مات ابو تمام اقتسم الشعراء ما كان ياخذه » . أنظـر اخبار ابي تمام : ١٠٤ــ١٠٥

لا حصر لها منذ نشأته الى يوم مقتله • بدأت منذ اليــوم الذي أدرك فيه من هو ؟ وماذا يريد ؟ • وانتهت حين أدركوا خطورته فناصبوه العداء فأتمروا به ليتخلصوا منه •

فقد شــهد النصف الاول من القرن الرابع الهجري ،وهي الحقبة التي عاش فيها أبو الطيب • تمزق الخلافة العباسية الى ولايات وإمارات صغيرة ، فضعفت سلطة الخليفة ببغداد ، حتى خضع في عاصمة ملكه لواحد من أولئك الطامعين • وكان حال الولايات والامارات التي انسلخت عن الأم لا يختلف عن حال الخلافة في بغداد ، فقد كانت البلاد تسودها الفوضى وينخــر فيها الانحــلال ، ويتهددها الصراع القائم بين أمــراء الولايات في الداخل ، كما يتهددها خطر الروم من الخارج •

يقول الدكتور محمد نايل : « وكان المتنبي كبير الهمة ، شديد الطموح ، له عقل مثقف وقلب شجاع ، وفيه غرور واعتداد واستعلاء • فما الذي يمنعه أن يحاول محاولة الطامحين في السلطان والرياسة ، وقد توافرت له الطاقات الفاعلة ، وتهيــأت له الفرص المواتية !! إن الشــعوب في ضعف وضيــاع ، تستجيب لكل واثب ، وتسلم قيادها لكل مغامر ، والمتنبي نفسه يصورها في إحدى زفراته :

وإنما الناس بالملــوك وما	يفلح عُرب ملوكها عجمُ
لا أدب عندهــم ولا حسب	ولا عهــد لهم ولا ذمــم
في كل أرض وطئتهــا أمــم	ترعــى بعبد كأنها غنــم

ولقد حاول الرجل فعلاً ، إذ روى الثعالبي : « أن المتنبي دعــا الى بيعته قوماً من رائشي نبله على حداثة سنه والغضاضة من عوده ، وحين كاد يتــم له

أمر دعوته ، تأدى خبره الى الوالـي ، ورفع إليه ما هم به من الخروج ، فأمر بحبسه وتقييده »[٥٢].

ولعل هذه المحاولة التي خابت ، هي التي صورها خصوم المتنبي ، بأنه إدّعى النبوة ، سخرية به ، وإثارة للدهماء عليه ، أو لعل أنصاره الذين استجابوا لبيعته هم الذين أشاعوا عنه ذلك بعد فشله ، ليسلموا بأنفسهم من تهمة الخروج معه ، لثقتهم بأن الوالي لا يسوءه إحداث فتنة في الدين بقدرما يزعجه إحداث فتنة في الحكم .

على أن خيبته في الوصول الى الولاية ، لم تثنه عن التطلع لها طوالَ حياته ، فظل يعمل لها بأسلوب آخر ، عن طريق عبقريته الشعرية ، وفرض سلطانها على الملوك والولاة . ومن هذا الطريق استطاع كافور أن يغريه بترك سيف الدولة ، والاتجاه الى القاهرة ، في مدة التغير والضيق والتنكر له فى حلب .

ولعل هذا الطموح البعيد لدى الشاعر ، الى جانب الاعتداد والكبرياء ، وإباءه أن يمدح من هم دون الملوك من الرؤساء والكبراء ، هو الذي أثار عليه حفائظ الناس ، فأكثر من حساده من الوزراء والوجهاء والعلماء ، فأفسدوا عليه قلب سيف الدولة ، ثم أفسدوا عليه قلب كافور أيضاً ، فعاش بهمٍّ فادح، يضيق بالدنيا وبالناس ، ويشكو لؤم الطباع ، وأمراض النفوس ، في أكثر ما أنشأ من شعر »[٥٣]» .

لقد كان شعره شاهداً على ما وصلت اليه أمته من التردي والانحلال والضياع ، ينظر إليها ويعيش محنتها بقلبه الشجاع الذكي وبطموحه وإعتداده وبما وهب من حسّ يقظ وانفعال ثائر . لقد كان عملاقاً في جيل من الأقزام ،

---

(٥٢) اليتيمة للثعالبي : ١/٧

(٥٣) اتجاهات وآراء في النقد الحديث : ١٠٦

فراح ينفث فكره وتجربته وعـذابه مع الايام حتى بات الدهر منشداً لشعره :

وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا

لقد أدرك حكام عصره خطورة شعره الذي سيبقى بقاء الدهر ، فتزلفوا له ، ففرض عليهم سـلطانه ، يستجدونه ويستعطفونه بالترغيب تارة وربما بالترهيب أخرى ، فاذا اشترط عليهم ألاّ ينشدهم إلا وهو واقف ، ولا يقبل الارض بين أيديهم! قبلوا • وهذه بدعة من شـاعر لم يسبق لاحـد غيره ان اشترطها • وقد كانت الشـعراء تقف على أبواب الممدوحين لا يدخلون عليهم حتى يؤذن لهم • لكن أبا الطيب أراد أن يثأر لنفسه من هؤلاء الصغار •

فقد ذكروا : أن سبب مدح المتنبي لأبي القاسم طاهر بن الحسين العلوي، أن أبا محمد الحسين بن طغج لم يزل يسأل أبا الطيب أن يمدح أبا القاسـم طاهر بن الحسين بقصيـدة ، وأبو الطيب يمتنع ويقول : ما قصدت سـوى الأمير ، ولا أمدح سـواه ، فقال له الامير : قد كنت عزمت أن أسألك قصيدة أخرى فيّ ! فاعملها في أبي القاسـم ، وضمن له عنده كثيراً من المال • فأجابه الى ذلك ، فقام الامير وأبو الطيب في جماعة حتى دخلوا على طاهر — وعنده جماعة من أشراف الناس — فنزل أبو القاسم طاهر عن سريره وتلقّاه وسلّم عليه ، ثم أخذ بيده وأجلسه على المرتبة التي كان عليها ، وجلس بين يدي أبي الطيب ، حتى أنشده القصيدة •

لقد قلب أبو الطيب الصورة حين عكس الادوار ، وجعل الممـدوح يقف بين يدي المادح •

لقد كان لشعره مفعول السحر على العقول والقلوب • وتأتّى هذا له منذ بداية حياته ، فقد روى الثعالبي : « يحكى أنه تنبأ في صباه وفتن شرذمـة بقوة أدبه وحسن كلامه » • فإن كان هذا شأن السامعين فكيف يكون حـال

الممدوحين عندما يجدون لهم مكاناً في شعره . لذلك فرض سلطانه على الممدوحين الذين لم يجدوا سبيلاً الى الخلود ــ خلود ذكرهم ــ إلاّ في هذا الشعر .

قال أبو عمرو السلمي : عدتُ أبا علي هارون بن عبدالعزيز الاوداجي في علّته التي مات فيها ، فاستنشدني :

لا تكثرُ الامواتُ كثرةَ قِلّةٍ إلا اذا شَقِيَتْ بك الأحياء[٥٤]

قال أبو عمرو السّلمي : فلم أزل أنشده وهو يستعيده حتى مات » .

وإذا ذكر التأريخ بطولة سيف الدولة ووقوفه المشرف في وجه اعتداء الروم على حدود المسلمين ــ وهو أمير من جملة أمراء ذلك الزمن ــ وبلاءه الذي يكاد يكون محدوداً بسبب تطاحن هؤلاء الامراء وتشرذمهم ــ فإن خلوده جاء بلا شك من التقاء ارادته مع إرادة هذا الشاعر العظيم ألذي خلّده وخلّد أعماله بشعره . ولو لم يكن لهذا الصوت من دويّ ضخم لضاعت بطولات هذا الفارس على أفواه شعراء مغمورين وكتّاب سيرة غير نابهين.

ومن المفارقات ان أولئك الذين حاولوا أن يخلدهم بشعره ، في محاولة بائسة منهم يستجدون بها مديحه لهم ، طواهم الزمن وخملوا حين خملوا هم بفعالهم ، ولم يبق لهم سوى أسماء يتردد ذكرها في شعره ، وبقي هو ما بقى لهذا الشعر من خلود .

ويصاحب اعجاب الممدوحين الشديد بشعره خوفهم الشديد منه ومن عنف طموحه ، فقد ذكروا : أن أبا الطيب المتنبي لمّا ودّع أبا الفضل بن العميد ، ورد كتاب عضد الدولة يستدعيه ، فعرّفه ابن العميد ، فقال المتنبي:

(٥٤) هذا البيت من قصيدة يمدح بها الاوداجي ، مطلعها :

أمن ازديارك في الدجى الرقباء إذ حيث كنت من الظلام ضياء

ما لي وللديلم ؟ فقال أبو الفضل بن العميد : عَضُدُ الدولة أفضل مني ، ويصلك بأضعاف ما وصلتك به . فأجاب : بأني مُلقى من هؤلاء الملوك ، أقصدُ الواحد بعد الآخر ، وأُملكهم شيئاً يبقى ببقاء النيرين ، ويعطونني عرضاً فانياً . ولي ضجرات واختيارات ، فيعوقونني عن مرادي ، فأحتاج الى مفارقتهم على أقبح الوجود . فكاتب ابن العميد عضد الدولة بهذا الحديث، فورد الجواب بأنه مملك مُرادَه في المقام والظّعن.فسار المتنبي من أرّجان، فلما كان على أربعة فراسخ من شيراز ، استقبله عضد الدولة بأبي عمر الصباغ ، أخي أبي محمد الابهري صاحب كتاب « حدائق الآداب » ، فلما تلاقيا وتسايرا ، استنشده ، فقال المتنبي : الناس يتناشدون فاسمعه ، فأخبر أبو عمر أنه رُسم له ذلك عن المجلس العالي ، فبدأ بقصيدته التي فارق مصر بها :

ألا كُلُّ ماشيةِ الخيزَلَى فِدا كُلّ ماشيةِ الهَيْدَبَى

ثم دخل البلد ، فأنزل داراً مفروشة ، ورجع أبو عمر الصّباغ الى عضد الدولة فأخبره بما جرى ، وأنشده أبياتاً من كلمته هي :

فلمّا أنخنا ركزنا الرّما ح حول مكارمنا والعُلا
وبتنا نُقَبِّل أسيافنا ونمسحها من دم العِدا
لِتَعْلَم مصر ومن بالعراق ومن بالعواصم انّي الفتى
وأني وفيتُ وأني أبيتُ واني عتوت على من عَتَى

فقال عضد الدولة : هوناً ، يتهددنا المتنبي »

وإذا كان حقاً يطلب منصباً أو ولاية ، فلماذا هذا الخوف منه ، ولماذا لا تعطى له كما أعطيت لغيره . ويبدو أن في الامر شيئاً أبعد مما تتصور ، فقد عبر كافور عن هذا الخوف عندما اتخذ من قصة تنبئه حجة حين قال لمن عاتبه

في أمر الشاعر : « يا قوم ،من ادعى النبوة بعد محمد ، أما يدعي المملكة بعد كافور ؟ فحسبكم » .

وفي ظني انهم على حق في خوفهم منه ، فهو الى جانب كل الصفات التي إتصف وتميز بها ، هناك اشارات غامضة عن نسبه . منها ما ذكره الخطيب البغدادي عن التنوخي : « قال : واجتمعت بعد موت المتنبي بسنين مع القاضي أبي الحسن ابن أم شيبان الهاشمي الكرخي ، وجرى ذكر المتنبي ، فقال ... وكان المتنبي لمّا خرج الى كلب ، وأقام فيهم ،ادعى انه علوي حسني ، ثم ادعى بعد ذلك النبوّة ، ثم عاد يدعي انه علوي ، الى أن أشهد عليه بالشام بالكذب في الدعويين ، وحبس دهراً طويلاً ، وأشرف على القتل ، ثم استتيب وأشهد عليه بالتوبة وأطلق »(٥٥).

وبودّنا لو يكون بوسعنا أن نتعرف على ما جرى له بالشام ، وكيف اشهد عليه بالكذب ؟ ولماذا طلب التوبة ؟ وإذا كانت هذه النتائج واضحة لدينا ، فان الأسباب المؤدية لها غير واضحة ، ولعلها انتزعت منه انتزاعاً . وان أول ما نقف عليه هو هذا الالحاح على ادّعائه بالعلوية مرتين ، وخطورة هذه الدعوة من رجل يمتلك صفات القيادة والطموح الى طلب المجد والسؤدد . وخطر هذا على حكام ذلك العهد الذين لا يمتلكون من شرعية الحكم سوى قوة تسلطهم الغاشمة .

ولعلنا لا نقف طويلاً نبحث في خلجات هذه النفس الكبيرة التي عبّر عنها بقوله :

وفؤادي من الملوك وإن كا ... ن لساني يرى من الشعراء

أقول لعلنا لا نقف طويلاً عندما نجده يقول : ان هذه القصائد المطلوبة منه لم تكن هي ما يريده لتكون صوته الى مدح من يمدحهم لغرض المدح،

(٥٥) انظر مقدمة ابن المستوفي في هذا الكتاب في التعريف بالشاعر .

إنما هي صوته الناعي لما لم يتحقق له ، فلا تخلو ـ في كل ما قاله ـ من شكوى الزمان وجور الايام ومن مشاعر الطموح والطلب • فيقول :

ألا ليت شعري هل أقول قصيدة فلا أشتكي فيها ولا أتعتّب

وهي ـ هذه القصائد ـ بعد ذلك تنفيس لما يحسه من الشعور بالمرارة والغضب ، ولذلك لم تكن وظيفة هذه القصائد المدح والتكسب بالمدح فحسب ، وإن جاء هذا الغرض في خضم ما يوجبه توظيف القصيدة في ذلك الزمان •

وقد تنبه نقاد شعره وشرّاحه الى هذه الظاهرة ، ظاهرة الشعور بالمرارة والغضب التي تأخذ أحياناً صورة السخرية والهزء ،فيقول أبوالفتح ابن جني في معرض شرحه للبيت :

وأخلاق كافور إذا شئت مدحه وإن لم أشأ تملى عليّ واكتب

يقول أبو الفتح : « وقوله « وإن لم أشأ » فيه ضرب من الهزء • وهكذا عامة شعره « وانه ذكر كثيراً منه » •

فلماذا هذا الهزء ولماذا هذه السخرية التي تشيع في عامّة شعره •
ولعل ما يكشف عن نفسية المتنبي ، وما يطلبه حقاً ، ما ذكره أبو الفتح وقت قراءة البيت الذي يخاطب فيه كافور :

وهبتَ على مقدار كفّي زماننا ونفسي على مقدار كفّيك تطلب

عليه (أي على المتنبي) • يقول المتنبي : كنت إذا خلوت أنشد هذا البيت :

وهبتَ على مقدار كفّيك عسجداً ونفسي على مقدار كفّي تطلب

أنظر إليه وتأمل كيف يقلب معنى هذا البيت فيغيّر ألفاظه حين يخلو بنفسه ، فيكشف ما كان يخبئه ويخفيه • فلا يفوت قوله على الفطن:«ونفسي على مقدار كفي تطلب» • فما مقدار هذا الذي تطلبه كفه ؟ وهي بلا شك غير

الكف التي تطلب العسجد من كف كافور . انها على ما يبدو الكف القادرة على حفظ ما تطلبه وتتطلّع إليه النفس العالية الأبية ذات الطموح العالي .

ونعود فنقول : لعل في اختلاف أبي الطيب وهو الفقير ابن السقاء الساكن في محلة كنده بمدينة الكوفة الى كتّاب فيه أولاد العلويين ، يثير تساؤلا عن كيفية دخوله هذا الكتّاب المخصص لاولاد الاشراف ، ومن الذي رشحه إليه ؟ ولماذا ؟

يضاف الى ذلك هذا الاعتداد بالنفس وهذا التفاخر الذي لا يصدر إلا عن رجل يعرف قدر نفسه وقدر أصله وأرومته ، ولكنه لا يريد أن يكشف عنه لاسباب لا نعرفها وقد دافع عن هذا النسب في قصيدته التي مطلعها :

لا تحسَبوا ربعكم ولا طلله   أوّلَ حَيّ فِرَاقُكُمْ قتله

وإن لم يفصح عنه ولكنه اكتفى بأشادته بآباء له عظام ، فقالَ :

أنا ابنُ مَن بعضُهُ يفوقُ أبا الـ   باحِثِ والنَّجْلُ بعضُ مَن نَجَلَه

كما كان يحتاط لذلك فيقول :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي   وبنفسي فخرت لا بجدودي

هل لأنه أراد أن يعرف بعد أن تقرر اخفاء نسبه ، بهذا الرجل الضخم الذي صار إليه ، فيقول في رثاء جدته لأمه :

ولو لم تكوني بنت أكرم والد   لكان أباكِ الضخم كونك لي أمّا

وهل هذا النسب غير معروف ــ على الأقل ــ عند الأقربين ، الذين يعرفونه حقّ المعرفة ؟ ونعود الى قصة مدحه لأبي القاسم طاهر بن الحسين العلوي ، الذي تلقاه وسلم عليه ثم أخذ بيده وأجلسه المرتبة التي كان عليها

وهنا لنا وقفة : فمن الجائز أن هذا الممدوح العلوي لم يفعل ذلك لو لم يعتقد أن هذا الذي أجلسه مجلسه انما هو علوي مثله ــ ونحن نعرف ان

المتنبي ادعى العلوية مرتين ـ فاذا لم يكن أعلا منه ، فهو بمنزلته التي تسمح له بترك مجلسه له ، وعلينا أيضاً أن نعرف ان هذا العمل لا يقدم عليه أي ممدوح ، فكيف إذا كان الممدوح علوياً ؟ .

ولعل فيما أذكره عن الباحث الاستاذ جاسم عبود السعدي الذي قدمت لنا أبحاثه عن أبي الطيب ما تكشف عن بعض الجوانب المجهولة التي تدور حوله . فقد ذكر لي : « أن الأعراب الذين يقطنون المنطقة التي تحيط قبر المتنبي يذكرون بشأن الضريح القائم بينهم انه « قبر السيد أحمد بن الكاظم المِتْنَبِّي » ، ويبدو انهم توارثوا هذه التسمية منذ ذلك العهد الذي قتل فيه المتنبي في هذه المنطقة القريبة من «النعمانية» في موضع يقع جنوب النعمانية القديمة المسماة بـ «البغيلة» . وهو (أي القبر) يقع في الشمال الغربي من مدينة النعمانية الحديثة ، على يمين عابر جسر النعمانية الجديد متجهاً الى الشوملي . وهنا أترك للسائل أن يتساءل : ما الذي يربط اسم أحمد المتنبي المتوفى سنة ٣٥٤هـ ، وهو اسم الشاعر ، بالامام الكاظم عليه السلام المتوفى سنة ١٨٣ هـ ؟ وما الذي يدفعهم الى اعتبار قبره مزاراً يتبرك به القوم الذين يقطنون تلك المنطقة ويحيطونه بالكرامات .

رحم الله أبا الطيب كانت حياته قلقة غير مستقرّة ، دائم الترحال في جسده وفي نفسه . يقصد الممدوحين فيخيبون أمله ، فتثور نفسه الأبية ، وتتحكّم فيه كبرياؤه فيهدد ويتوعد ولكن دون فائدة ، ثم يكبت إباءه ويمسك كبرياءه وتلجئه الحاجة الى معاودة المدح .

وإذا كانت جناية أصحاب الشأن في عصره أضرّته ، فدفعته الى التشاؤم والتذمر ، فان جناية العلماء الذين تناولوا شعره بالشرح أكثر ضرراً ، ذلك لأنهم لم يدركوا طبيعة هذا الشعر الصادر عن هذه النفس الابيّة ، ومايختلج فيها من ثورة ورفض ، فانصرفوا الى شعره يخضعونه الى مقاييسهم السائدة

في النقد ، ولم يبالوا بما كان يجري في وجدانه من انفعال فيحوّله الى نوع من التعبير في طريقة مخاطبته وأسلوب عرضه .

وإذا كان أبو الفتح ابن جني ، وهو الذي يفترض فيه الفهم لنفسية أبي الطيب ، يتعذر له بأقل من قدره عند معالجته لبيتيه :

يا عضد الدولة من ركنها أبوه والقلب أبو لبّه
ومن بنوه زين آبائه كأنها النور على قضبه

وان ابن المستوفي الذي كان من أقدر الناس على فهم هذا الشعر ، حاسب أبا الفتح على هذا القليل من الاعتذار ، تبيّنت لنا جناية العلماء على شعر أبي الطيب وعليه . وما دروا أن الشعر إنما هو الرجل نفسه .

أنظر كيف يفسر أبو الفتح البيت الاول :

« اللّب : العقل ، والعقل زين القلب ، فكذلك أنت زين أبيك ، فكأنه فضله على أبيه » وهذا حسن من أبي الفتح ، ولكنه يقول بعد ذلك : « ولولا حذقه لما جَسَر على هذا الموضع » .

ولماذا يجعل هذه جسارة ؟

ثم قال أبو الفتح في البيت الثاني :

أي أبناؤك زين آبائك لأنهم يدلّون بكرمهم عليهم ، ولم يجعل الاولاد زيناً له ، كما جعل هو زين أبيه كما ذكرت من قبل أنه فضّله عليه . فلأجل هذه اللطائف التي يأتي بها في شعره قال :

لا تجسر الفصحاء تنشد هاهنا بيتاً ولكني الهِزبرُ الباسلُ

ويبدو أن ابن المستوفي استكثر ما قاله أبو الفتح بحق أبي الطيب ، فلا يرضى على ما ذكره ، بل يريد منه أن يضعه مع الشعراء المداحين ، ولا يخرج على عاداتهم في المدح . فيقول : « كثيراً ما يعتذر أبو الفتح لأبي الطيب

بأعذار لا تقوم بذنبه ، ومعظمها أنه يصفه بالاقدام في القول على ما لا يقدم عليه غيره من معان وألفاظ يستعملها خارجة عما جرت عليه عادة الشعراء في أشعارهم ، حتى ربما اعتذر له عن هجو أتى به في معرض مديح ، مثل هذا الذي ذكره في شرح ما تقدم . وهذا وأمثاله أعذار ساقطة لمفارقتها طريق الشعراء وخرقها العادة فيما أجمعوا عليه »[٥٦] .

ولذلك أقول : ربما لا نجد تفسيراً للكثير مما يعتمل في وجدان أبي الطيب عند أولئك الذين شرحوا شعره ، ذلك لانهم قيدوا أنفسهم بتلك المقاييس التي وضعوها لعموم الشعر . وإذا وجدوا شيئاً من هذه اللطائف عابوه عليها ، ذلك لانهم أيضاً جعلوا أبا الطيب واحداً من أولئك الشعراء وعليهم أن يخضعوه ويخضعوا شعره لتلك المقاييس . وما دروا أن أبا الطيب ظاهرة أدبية خرجت على المقاييس ، فظهر عجزهم ، لانهم لم يدركوا أنهم أمام هذه الظاهرة الفريدة في الأدب العربي ، وان لهذه الظاهرة وجهين ــ مثل العملة ــ : شخصيته وشعره . وهي لذلك تحتاج الى نوع جديد من التعامل والفهم والإدراك .



(٥٦) تجد هذا الكلام في موضعه من هذا الكتاب

ذكرنا ان ما دعا المبارك بن أحمد (ابن المستوفي) الى تناول شعر هذين الشاعرين انه وجد اختلاف الناس فيما أشكل من معانيهما ، فقال :

« فاني وجدت الناس كثيراً ما يتجاذبون القول فيما أشكل من معاني أبي تمام حبيب بن أوس الطائي ، وأبي الطيب أحمد بن الحسين الجعفي ، لميلهما كثيراً عن الطبع الى التكلف ، وعدولهما غالباً عن العفو الى المستكره ، إلا أن أبا الطيب أعظمهما معنى مستغلقاً وأكثرهما تركيباً مستبهماً ، والناس في شعره إثنان : محام عنه مفرط ، ومتعصب عليه مفرط . وكلاهما متجاوز به حدّه ، غال فيه حكمه ، دفاعاً عنه ، ومتحاملاً عليه ، وهم مع ذلك عن معانيه أشدّ سؤالا ، وأكثر في كل مقام مقالاً ، وأنا أجمع من أقوال العلماء في ذلك ما أداني البحث عنه إليه ، ووقفني العلم به عليه ، مختصراً ما أورده بوسع جهدي ، ملخصه بقدر طاقتي ، وناسبه الى قائله ومسنده الى ناقله .. »[٥٧]

ان نهوض الرجل بهذا العمل الخطير يدلل على قدرة فائقة وثقة عالية بالنفس ، والحق ان القارىء سوف يكتشف ثقة الرجل بنفسه الذي لم يكتف بما قدمه من شرح للمشكل من شعر الشاعرين ، بل في تصدّيه لمناقشة الاعم الاغلب من شروح الشراح الذين نقل منهم ممن سبقوه .

ان هذا العالم الجليل في اللغة والأدب يمتلك إحساساً أدبياً مرهفاً ، وإدراكاً للمعاني وفهماً دقيقاً لها ولدور الالفاظ وما تؤديه من دلالات ومن

(٥٧) انظر مقدمة ابن المستوفي في موضعها من هذا الكتاب

قدرتها على الايحاء من خلال تذوقه وإدراكه لجمال الاسلوب وأثره في القول. وإذا كان هذان الشاعران يمتلكان القدرة الفذّة على الصياغة الفنّية، والغوص على المعاني ما لم يتيسر لغيرهما أن يبرز فيهما، فان ابن المستوفي لم يتعامل مع شعرهما مثل تعامل غيره من اللغويين الذين تجمدوا على ما ورد عن السلف وتقيدوا بالضوابط التي درجوا عليها فجعلوها مقياساً يقيسون به كل كلام، وقد فاتهم أن اللغة تتطور بتطور الحياة، وان معانيها تتجدد تبعاً لما يطرأ على حياة الناس، وان للشعر لغة خاصة، وان المقتدر من المبدعين من يجدد ويطوّر ويبدع دون الاخلال بالأصول العامة للغة. وهذا ما أدركه ابن المستوفي من خلال فهمه لشعر هذين الشاعرين.

ولكي يقدم للقارىء فهمه هذا، وضع أمامه أغلب ما دار في الكتب التي تناولت بالشرح والنقد شعر هذين الشاعرين، وبذلك وضعنا مؤلف هذا الكتاب أمام مجموعة من العلماء الاعلام الذين تناولوا بالشرح والتفسير شعرهما، من المعجبين بهما، ومن الذين استدركوا على ما فات على هؤلاء المعجبين من المعاني التي فاتت على سابقيهم الذين لم يتح لهم الكشف عنها، وممن سلّطوا الضوء على جوانب لم يتمكن السابقون مِنْ جلائه وكشفه كما ينبغي، وبذلك تكون الكتب التي اعتمدها بين شروح ونقود على تلك الشروح، على أن المتابع لتلك الشروح سيجد أن ابن المستوفي قد قلّل من اعتماده على تلك الكتب التي تناولت مساوىء الشاعرين، أو التي غالت في رصد السرق والاخطاء، وهي الكتب التي حفلت بها الساحة الادبية في تلك الفترة.

لكن كتابه هذا لم يخل من بعض النقود الصائبة التي وردت في تلك الكتب، لما في ذكرها من فائدة تكسب الكتاب صفة التحري عن الدقة وتسِمُه بالموضوعية.

فالمؤلف عندما استعان بشرح الصولي فلأنه يعرف مقدار حب الصولي لشعر أبي تمام وتعصبه له ، ولأنه أمام شرح يكاد يكون متكاملاً • ومثله الخارزنجي والمرزوقي وغيرهم • وحين نقل الى كتابه أقوال أبي الفتح والواحدي والعكبري فلادراكه بمقدار إعجابهم بشعر أبي الطيب • وإذا استعان بجهود غير هؤلاء من العلماء الذين سوف يرد ذكرهم ، فلأن هناك ما يوجب ذلك لما في أقوالهم من أهمية تضيف الى كتابه ما لا بد من ذكره ولا يمكن إغفاله لأهميته •

وبذلك سوف نلتقي من خلال صفحات هذا الكتاب مجموعة من العلماء الاعلام على امتداد خمسة قرون بدءاً بالصولي وانتهاءاً بمؤلفه المبارك بن أحمد ، المعروف بابن المستوفي الاربلي ، وهم :

أبو بكر محمد بن يحيى الصولي وأبو حامد الخارزنجي وأبو علي المرزوقي ، وأبو العلاء المعري وأبو الفتح بن جني وأبو زكريا التبريزي وأبو الحسن علي بن أحمد الواحدي وأبو البقاء العكبري •

فاذا كان لهؤلاء دورهم البارز فيما قدموه من شروح لشعر الشاعرين نقلها ابن المستوفي الى كتابه وعلق عليها ، فلا يمكن أن نغفل أدوار العلماء الآخرين الذين كانت لهم إضافاتهم وإسهاماتهم فيما قدموه من شروح وتعليقات على شروح الذين سبقوهم ، من أمثال : الآمدي والقاضي الجرجاني وأبي اليمن الكندي والمطرّز وإبن فورجّة والشريف المرتضى وأبي محمد المخزومي وأبي الحزم مكي بن ريان وأبي الفضل العروضي وأبي الفضل الخوارزمي وعبدالواحد بن زكريا وأبي الحسن زيد بن رفاعة وأبي عامر الجرجاني وعلي بن عيسى الربعي وأبي القاسم الفضل بن محمد بن علي القصباني •

وتلاحظ بعد ذلك ، أننا لم نغال إذا قلنا أن ابن المستوفي قد وضعنا أمام هذا الجمهور من العلماء الأجلاء تتدارس بهديهم شعر هذين الشاعرين •

ويمكن آن نصنفهم الى ثلاثة جموع :

الأول : وهم الذين تناولوا بالشرح شعر أبي تمام : وأبرزهم في هذا الباب : الصولي والخارزنجي والآمدي والمعري والتبريزي •

الثاني : وهم الذين شرحوا شعر أبي تمام والمتنبي : وأظهرهم : المعري والتبريزي •

الثالث : الذين تناولوا شرح شعر المتنبي : وهم : أبو الفتح بن جني والواحدي وأبو العلاء المعري والعكبري والتبريزي وابن فورجّه والمخزومي والعروضي وزيد بن رفاعه وأبو الحزم والربعي وأبو عامر الجرجاني والقصباني •

وقد كانت لبعضهم جهود مشتركة في شرح شعر الشاعرين ، وكان أبو الفتح ابن جني واحداً من هؤلاء • غير أن ابن المستوفي نقل الى كتابه أغلب ما قاله أبو الفتح في شرح شعر المتنبي ، ونقل القليل مما قاله في شرح شعر أبي تمام •

ويأتي على رأس هؤلاء الشراح صاحب هذا الكتاب وهو أبو البركات المبارك بن أحمد المعروف بابن المستوفي الاربلي لجهوده القيمة في الشرح ونقد شروح الذين سبقوه •

وإذا كان علينا أن نتعرف على هؤلاء العلماء ، أو على قسم منهم بحسب أهمية الشروح التي ذكرها لهم صاحب هذا الكتاب فمن المفيد أن يكون عرضهم على وفق تسلسلهم التأريخي ، لان ذلك يضعنا أمام منهجية تتبيّن من خلالها ردّ اللاحق على السابق ، أو ما قدّمه اللاحق من إضافات على السابق من خلال قراءتنا لشروحهم • وإذا كان ذلك لم يتحقق في الكتاب لان المؤلف في كثير من مواضع شرحه لا يلتزم بذلك ، فسوف نعين القارىء

يتعرف على أبرز الاسماء التي شـاركت مع المؤلف في بناء هـذا الكتاب ، وعلى وفق تسلسلهم الزمني .

*   *   *

وأول هؤلاء ، هو :

ـ على الأقل ـ في هذا الجزء الذي يمكن أن نتحكم فيه حين نريد لـه أن

أبو بكر الصـولي :

هو أبو بكر محمد بن يحيى بن عبدالله بن العباس المعروف بالصولي .

ولد ببغداد سنة ثـلاث وأربعين ومائتين هجرية وتوفي سـنة خمس وثلاثين وثلثمائة هجرية .

وهو أول من جمع شـعر أبي تمام ثم قام بشرحه :

أولاً : من أجل ألا يشذ منه حرف بعد أن نظـر الى اختـلاف الناس واضطراب روايتهم لشعره[٥٨] .

وثانياً : وألا يغمض منه معنى حين وجد بعض العلماء يعيبونه لغموضه، وإن كان لا ينكر أن يقع منهم مثل ذلك ، لأنهم لم يعملوا فكرهم في فهمـه، ولان عقولهم درجت على قبول شـعر الاوائل الذي ذلل لهم لكثرة روايتـه لهم وروايتهم له فصار مألوفاً عندهم[٥٩] .

نقول ان الصـولي يعدّ أول شـارح لشعر أبي تمام حيث لم يقـع بين أيدينا ما يدل على أن أحداً سبق الصولي الى شرح هذا الشعر .

---

(٥٨) اخبار ابي تمام ، ٥٥

(٥٩) اخبار ابي تمام : ١٤

فقد عمل الشرح في كتاب بعد أن جمع الشعر في كتاب ، وبعد تأليف كتابه المسمى « أخبار أبي تمام » . يدلّنا على ذلك قوله :

« فسألتك ابانته ، وتكليفي جمع ما تريد منه ، فعرفتني أن تكميل ذلك لك وبلوغي فيه أقصى إرادتك ، إتباعي أخباره بعمل شعره كلّه مُعَرّباً مفسَّراً ، حتى لا يشذّ منه حرف ، ولا يغمض منه معنى ، ولا ينبو عنه فهم ، ولا يمجّه سمع ، فاسرعَتْ بذلك إجابتي وعملْتُه بالفكر نيّتي . وتضمّنْتُ عملَ شعره لك بعد أخباره في مدحه وهجائه ، وفخره وغزله وأوصافه ومراثيه »[٦٠] .

وتجيء أهمية هذا الشرح :

أولاً : من اعتباره أول محاولة رائدة بين الشروح التي تناولت شعر أبي تمام ، ومن الثابت أن الذين تناولوا شعر أبي تمام بالشرح بعد الصولي، وهم على التوالي : أبو حامد الخارزنجي وأبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، ومحاولة الآمدي في شرح قسم من شعره في كتابه « الموازنة »، وحسين بن محمد الرافعي المعروف بالخالع والمرزوقي في كتابيه «الانتصار» و « شرح المشكل » ومحمد بن أحمد الخوارزمي المعروف بابن الريحان البيروني وأبو العلاء المعري في كتابه « ذكرى حبيب » والخطيب التبريزي ، ثم ابن المستوفي : قد توسعوا في شروحهم ، فقدّموا إضافات مهمة لم يكن للصولي أن يصل اليها في ذلك الوقت الذي كان فيه فنّ الشرح في بدايته ، فرست على أيديهم بعد ذلك قواعد للتفسير والشرح والنقد على وفق أصول ثابتة : أهمها التركيز على كشف المعنى ، واحتمال الوجوه التي ينصرف اليها من خلال مواضع الكلام وتقديمه وتأخيره ، والتوسع في التخريجات النحوية

---

(٦٠) رسالة الصولي الى مزاحم بن فاتك في كتابه « أخبار أبي تمام » : ٥-٦

واللغوية ، ودلالات الالفاظ • ولا شك في أن شرح الصولي ــ على الرغم من إفتقاره الى معظم ما ذكر ــ سيظل على المدى العلامة الاولى التي تهدي الى الطريق •

ثانياً : ان قرب عهد الصولي بعهد أبي تمام ، وهو قرب لم يسمح لكثير من الاحداث أن تندثر ، يسّر للصولي تفسير شعره على وفق معرفته لتلك الاحداث واطلاعه عليها •

ثالثاً : أثار شرح الصولي هذا لبعض الابيات نقد الشراح المتأخرين لعدم موافقتهم عليه ، فنشأت من جرّاء ذلك مناقشات أدبية غنية أثرت النقد وتوسعت في معالجة معاني أبي تمام الشعرية •

قال الصولي في شرح البيت :

ولّى وقد الجم الخطّى منطقه   بسكته تحتها الاحشاء في صَخَبِ

الخطّى : رمح منسوب الى الخط ، قرية بالبحرين ، تحمل الرماح الى زابل ثم تحمل إليها • يقول : من خوف الرماح لا يطيق الكلام ، ولكن أحشاءه تصطخب • يريد : ان الفزع ربما أحدث صاحبه وتحركت أرواح بطنه ، يقال هذا في رجل به أدرة ، إذا غضب تحركت رياح بطنه • قال الشاعر في رجل آدر :

ما زال منه الحمق واللجاجه   في حاجة منه وغير حاجه

حتى حسبناه على دجاجه

وقال جرير :

لهم ادر تصوّت في خصاهم   كتصويت الجلاجل في القطار

قال المرزوقي معقباً :

« ذكر بعضهم (يريد الصولي) انه ولى هذا المنهزم من خوف الرياح لا يطيق الكلام • ــ وأتى بما ذكر الصولي الى آخر بيت جرير ــ ثم قال:

هذا لفظه في التفسير . ولو تأمل هذا المفسّر أدنى تأمّل لكفى مؤونة هذا الغوص البعيد .والوجه أن يكون المعنى : ألجمه الخوف بلجام السكوت ، ولكن قلبه يجب ، وأحشاءه تخفق ، حتى صار لها كالجلبة . وهذا معلوم عند الخائفين . ربما تسمع صوت جوانحهم عند من لاقاهم على خطر » .

ثم عقب ابن المستوفي على كلام الصولي بقوله :

لو قطع فسره عند قوله « تصطخب » أتى بالمعنى . أما الباقي فزيادة قبيحة لم يردها أبو تمام ولا دل عليها شعره ، وما استشهد به مما هُجي به ذوو الادر ، فليس ذلك من الخوف ، وإنما هو شيء يعتريهم من رياح تعرض لهم. وهذا أمر معروف يقع منهم في الامن لا في الخوف »(٦١) .

وهكذا نلاحظ ما أثاره شرح الصولي من تعليقات ومناقشات جاءت بعده تتّسم بدقة الفهم وبالموضوعية من خلال ما تؤديه الالفاظ من المعاني الصريحة والمؤولة ،لم تترك للصولي أن يرسل الكلام جزافاً وعلى وفق هواه .

لقد كان ابن المستوفي يتخذ ــ في الغالب ــ من كلام الصولي البداية التي يستهلّ بها شرحه للبيت . ثم يذكر بعد ذلك كلام الشرّاح الذين تناولوا هذا البيت من الذين جاءوا بعد الصولي ، وربما تكون في أقوالهم ما يخالف رأي الصولي فيخطئونه ، وربما يكون الصواب معه . لكن ابن المستوفي الذي يجعل من نفسه رقيباً وحكماً يتكفل ذلك من خلال تعليقات ، هي غاية في الدقة والموضوعية .

وإذا كان شرح الصولي على قلّته واختصاره قد أهمل كثيراً من القصائد بدون شرح ، فان الشرّاح الذين جاءوا بعده سدّوا هذا النقص فملأوا الثغرات وسدّوا الفجوات التي تُركت بدون شرح أو توضيح . كما فعلت

---

(٦١) للتوسع بالمعرفة أنظر الصفحة : ١١١/١ وما بعدها من كتاب شرح الصولي على ديوان أبي تمام

تعليقات ابن المستوفي ـ على بيان الخطأ والصواب فيما تناولوه ـ فعلها في إثراء الشروح وإغنائها بالمفيد .

لقد استفرغ ابن المستوفي معظم ما ورد في شرح الصولي في كتابه « النظام » إن لم نقل كلّه . كذلك قام بدور جليل ، حين أعاد للصولي حقّه في هذا الشرح الذي ضيّعه عليه الشرّاح الذين جاءوا بعده ، ونخصّ منهم أبا زكريا التبريزي الذي كان ينقل عن الصولي الى شرحه ولا يشير إليه بشيء ، حتى ظُنّ أن شرح الصولي هذا إنما هو مختصر لشرح التبريزي لديوان أبي تمام[٦٢] . ثم جاء ابن المستوفي بكتابه هذا الذي أعطى فيه للصولي حقه الذي ضيّعه عليه التبريزي عندما نسب بتحديد دقيق ما للصولي وما للتبريزي .

* * *

ويضعنا كتاب ابن المستوفي هذا أمامَ إمَامٍ عالم جليل آخر هو

* * *

الخـــارزنجي :

أبو حامد أحمد بن محمد البُشتي الخارزنجي ، المتوفى سنة ٣٤٨ هـ . « إمام أهل الأدب بخراسان في عصره بلا مُدَافَعَةٍ » قاله ياقوت عنه[٦٣] . ويكفي للتدليل على منزلته انه صاحب كتاب « تكملة كتاب العين » . ولما دخل بغداد تعجّب أهل العلم من معرفته في اللغة ، وقالوا عنه : « هذا خراساني لم يدخل البادية قطّ » .

---

(٦٢) كشف الظنون : ١/نهر ٧٧١ .
(٦٣) معجم الأدباء لياقوت : ٢٠٤/٤

ومما يؤسف له أن هذا العالم الفاضل لم يأخذ حقه من الشهرة والتعريف الذي يستحقّه بين العلماء ، حتى ان بعضهم بات يشكك في معرفته، وينّهمه بالتصحيف عندما أخرج كتابه « تكملة كتاب العين » • وقال مدافعاً عن نفسه : « ولعل بعض الناس يبتغي العيب بتهجينه والقدح فيه ، لأني أسندت ما فيه الى هؤلاء العلماء (وقد ذكرهم) من غير سماع ، وإنما إخباري عن صحفهم كاخباري عنهم ، ولا يزري ذلك على من عرف الغثّ من السمين، وميّز الصحيح والسقيم ••• »(٦٤)

لقد كانت جريرة هذا الرجل — إذا عدّت هذه جريرة — ان معرفته مستقاة من الكتب والدفاتر • ولا أريد مناقشة هذا القول ، وذلك تمشياً مع إعتزاز القوم آنذاك بتلقّي العلم والمعرفة عن الشيوخ بالسماع أو بمشافهة الثقاة من أهل اللغة — واحترامنا له — • ولكن إذا كان فيما يذكرونه ويذهبون اليه الكثير من الصحّة والسلامة • فأين نضع رجلاً لم يخرج من موطنه إلا حاجّاً ، فدرس وتعلم وثقف العربية عن دفاتر وصحف أهل اللغة والمعرفة • وقد شهد له بذلك فضلاء عصره منهم : أبو عمر الزاهد صاحب « ثعلب » ومشايخ العراق بالتقدم • وكان يقول مدافعاً : « أنا بين عَرَبَيْن: بُشْتَ وطُوسَ » •

لقد تناول هذا العالم الجليل شعر أبي تمام بالشرح ، ولا نعلم إذا كان شرحه شعر أبي تمام تناول جميع شعره أم انه اقتصر على شرح أجزاء منه ، غير أن هذا القليل من الشرح الذي ذكره لنا ابن المستوفي في كتابه يضعنا أمام رجل ذي باع طويل في اللغة والأدب ، يعالج أفكاره بأسلوب جذاب وعبارة رشيقة تتميّز بالتركيز والاختصار غير المخل ، حتى كأنه ينتقي عبارته بعد تأمّل طويل فتجيء دقيقة ومؤدية للمعنى على أحسن وجه •

---

(٦٤) معجم الأدباء لياقوت : ٢٠٨/٤

ولذلك فان ابن المستوفي ـ في كثير من الاحيان ـ يجعل من كلام الخارزنجي النهاية التي يختتم بها شروح الشرّاح الذين تناولوا البيت ، لاعتقاده بصحّة رأيه وسلامة عرضه . أي انه يجعل من كلام الخارزنجي نهاية لكل الآراء ، وكأنه يريد أن يجعل كلامه الكلمة الفاصلة ، أو الخاتمة لاقوال السابقين لأنها جمعت بين إصابة المعنى ودقة الهدف في لفظ مختصر مُتَخَيَّر .

ولعل في مراجعتنا بيت أبي تمام الآتي كما ورد في هذا الكتاب يتبين لنا بعض ما ذكرناه :

أي مَرْعى عَيْن ووادي نسيب لحبته الأيّام في ملحوب

قال الصولي :

ويرويه قوم « أي مَرْعى عِينٍ » وهو تصحيف عند قوم ، وإنما يريد « أي مرعى عَين » ، جعل نظرها الى الحسان رعيا لها . و « لحبته الايّام » يريد : وطئته فقشرته ، وهذا مثل «شرب الدهر عليهم وأكل» . و«ملحوب»: موضع" رحل أهله عنه فخرب . و«العَين» عندي وجيه

وفي حاشية : يجوز انه أراد وجه الحسان التي كنّ فيها .

وقال غيره : « ووادي نسيب » : أي في هذا الوادي أهل يستحقون أن ينسب بهم ، يقال : نسب الشاعر بالمرأة ، ينسِب بالكسر . أي ذكرها في شعره وشبّب بها »

ويروى « لحّبتْه » مشدّداً ، أي صرعته . ويقال : لحّبه : قطعه بالسيف ، وقيل معنى « لحّبَه » : أي ألقاه على الطريق الواضح . ومن روى « لَحَبَه » بالتخفيف فهو من القشر ، ومعنى لحب ولحّب يرجع الى معنى واحد . ويروى « من ملحوب » : بجعله نفسه مرعى عين ووادي نسيب ، كما يقال : أيّ رجل نزلنا به من فلان . ومن روى « في ملحوب » : جعل المرعى والوادي فيه . هذا معظم كلام أبي العلاء ، وبعض عبارته » .

وفي بعض حواشيه : « عين » جمع عيناء • لما عبّر عن النساء بالعين عبر عن ربعهن بالرعي • « ووادي نسيب » : وادٍ نسب إليه النسيب ، ويقال فيه النسيب ، ويجوز أن يكنى بالنسيب عن العشق • أي أيّ وادي عشق »

وبعد هذا الاستعراض الذي قدمه ابن المستوفي والذي شارك فيه الصولي والمعري وغيرهم مما ذكر لهم في حواشي الكتب التي نقل عنها . يختتم شرح هذا البيت بكلام الخارزنجي الذي يقول : « يقول : أي محل ترتع العين فيه وتأنس به لِحُسْن من كان فيه ، ووادي غزل ونسيب بأهله قد عفته الأيام وأثّرت فيه بهذا الموضع المدعو ملحوبا » •

أنظر كيف جاءت عبارة الخارزنجي ، هذه التي اختتم بها ابن المستوفي شروح الشرّاح • وهي كما تبدو لي ، عبارة رجل متمكن ، لا يثلبّت في القول ولا يلتاث عليه المعنى ، عبارة الكاتب الذي تجري أفكاره متدفقة مع ألفاظه، فيطرحها بيسر وسهولة • بمهارة الصائغ الماهر في صوغها لامتلاكه القدرة والادوات اللازمة ، حتى تبدو عبارته من دقتها وإحكامها وإصابتها المعنى كأنها وضعت في قالب لا يصلح لها غيره • وانه وقف عليها طويلاً قبل أن يخرجها •

لننظر أيضاً الى معالجة بيت آخر لأبي تمام كما وردت في هذا الكتاب :

مَلَّكتْهُ الصَّبا الولوعَ فألْ فَتْهُ قعُودَ البِلَىوسؤرَ الخُطوبِ

قال الصولى :

أي تركته للبلى ، وتنتهي إليه الخطوب

وقال أبو العلاء المعري :

يروي « مُلِّكته الصَّبا » : على ان « الصَّبا » اسم ما لم يسمّ فاعله، ويروي « مَلَّكَتْه » على انها فاعلة • والمعنى واحد • وقوله « قعُود

البِلَى » ، أصل القعود في الفتيِّ من الابل ، وأصله أن يكون قد صلح للركوب ، وأن يُقعَدَ على ظهره • و « سؤْر الخطوب » : بقيّتها • ومن عرف مذهب الطائي لم يعدل عن هذه الرواية ،ومن روى «سُودَ الخطوب»: فله وجه إلا انه جدير بأن يكون تصحيفاً • وإذا رُوي بالدال احتمل أن يخفض فيعطف على « البِلَى » وأن يرفع فيعطف على « الصَّبا » •

وفي بعض حواشي ديوانه : وقد روي في العمود « ملّكته الصّبا » بتشديد اللام من « مَلّكته » بفتح الميم ، و «الصّبا» فاعل • و«الولوع» مفعول • أي الصّبا ملّكته ولوعَها •

وقال الخارزنجي :

يقول : ملكت الايام هذا المحل ريح الصبا ، حتى عفته وتركته مركباً للبلى ، وبقية ما أبقته حوادث الزمان • وروى « فأبقته » وهو أجود من قوله « فألفته » بالفاء •

وهكذا نجد ابن المستوفي حين تحتدم الآراء وتتشعب ، فتميل الى معالجة المسائل الجانبية نراه يختتم شرحه بما قاله الخارزنجي وكأن في كلامه فصل المقال • كما يجد القارىء الصديان حين تتشعب به المسالك والدروب في كلام الخارزنجي ما يروي صداه عندما يكشف الخارزنجي له المعنى بأوجز عبارة وأوضح أسلوب •

وربما تكون آراء الشرّاح مما لا تعجب ابن المستوفي ، ولكن لا بد له من ذكرها ، ففي هذه الحالة يستهل شرحه بكلام الخارزنجي ، وكأنه يريد بذلك أن يمهد للقارىء الطريق ويسهل له الوصول ، ويوفر عليه المشقة فيقول له : هذا هو المعنى المطلوب • ثم ينقل له بعد ذلك كلام الشرّاح الآخرين ، ليجعل القارىء على بيّنة من كل ما يدور حول البيت • وهذا ما ستجده عند قراءتك للبيت :

فاسألِ العيس ما لديها وألّف° بين اشخاصها وبين السهوب

ويروى : « فسل »

قال الخارزنجي :

السهوب : المفاوز . يقول : سل العيس ما عندها من السير ، واقطع بها الطرق البعيدة منتجعاً ملكاً يكفيك المهمات .

قال أبو يحيى :

يقول : طالبها مما عندها من السير واقتضها إياه ، واجمع بينها وبين الارضين ، يكن ذلك منها إسعاداً لك على ما تبتغيه ...

وقال الصولي :

سلها أن تعطيك ما عندها من الضروري من أشباحها » .

ولا شك في أنك واجد الفرق بين أساليب هؤلاء العلماء الثلاثة في التعبير عن معنى البيت .

وعلى وجه العموم إذا كانت عبارة الشرّاح الذين قرأت لهم في شرح الابيات التي مرّ ذكرها تتميّز بالدقة العلمية في محاولة الكشف عن مدلولات الالفاظ للوصول الى المعاني بطريقة ربما تفتقر الى الطلاوة فان عبارة الخارزنجي على الرغم من دقتها العلمية في الكشف عن المعنى تكون دائماً عالية الصياغة رائعة الاسلوب شأنها شأن العبارة الادبية التي تعتمد التشبيه والمجاز .

وإليك مثالاً للتدليل على ما ذكرناه من خلال قراءتنا لشرح البيت :

وركب كأطراف الاسنّةِ عرّسوا على مثلها والليل تسطو غياهبه

سيجد صدق دعواي في عبارة هذا الأديب الكبير ، وسأكتفي بذكرها وحدها دون بقيّة الشروح ، وأطلب ، قبل ذلك ، من القارىء أن يقرأ شروح

الشرّاح لهذا البيت في موضعها من هذا الكتاب ،ثم أترك له تقدير ذلك بعد فراغه من قراءة جميع الشروح .

قال الخارزنجي :

« يقول : رب ركب كأنهم أطراف الاسنّة حدّةً وشهامة ونفاذاً ، نزولهم في السفر قليل ، لا يستقرّون كأنهم نزلوا على حدّ السنان ، فلا قرار لهم لحرصهم على بلوغ هذا الملك ، والوفود إليه » انتهى كلامه .

وعلى الرغم من مجيء الخارزنجي بعد الصولي في التسلسل الزمني ، وعلى الرغم من اعتماد ابن المستوفي في كتابه هذا على جماعة من الشرّاح الذين جاءوا بعد الخارزنجي وهم على التوالي : الآمدي والمرزوقي وأبو العلاء والتبريزي ، وهي فترة انتقل فيها الشرح الى مراحل متقدمة من خلال تنقّله بين هؤلاء الشرّاح ،تبقى عبارة الخارزنجي في شرحه متألقة بأسلوبها الأدبي وبدقتها ووضوحها . وهذا ما دعا — فيما يبدو — ابن المستوفي أن يضعها بما يليق بها بين الشروح في كتابه[٦٥] .

انني أدعو الباحثين والمهتمين بمسائل الشعر والنقد والأدب أن يدرسوا هذا الرجل من خلال شرحه لشعر أبي تمام ومن خلال كتابيه : « تكملة كتاب العين » و « شرح أبيات أدب الكاتب » في حالة وجودهما ، دراسة نقدية فاحصة ودقيقة للتعريف به وبعلمه وأدبه ونقده . ويمكن أن نقول — بهذا الصدد — ان ما قدّمه الخارزنجي من شرح ربما يفوق ما قدمه الصولي أو المرزوقي في هذا المجال . وان مشكلة هذا الشرح أنه ضاع مع الكتب التي ضاعت من تراث هذه الأمة ، وضاعت معه جهوده في تناول هذا

---

(٦٥) أنظر الى شرح البيت :

لقد أخذت من دار ماوية الحقب   انحل المغاني للبلى هي أم نهب

وبعد ان ذكر ابن المستوفي شروح : الامدي والمعري والصولي والتبريزي ، انتهى الى شرح الخارزنجي الذي يقول في نهايته « وهو أوضح التفاسير »

الشعر ، ولم يبق منه سوى نتف قليلة في كتاب النظام • ولو كان موجوداً لكان له شأن بين شروح شعر أبي تمام •

ويمكن أن أقول بثقة : انه يمكن للباحث ــ أي باحث ــ أن يستل شرح الخارزنجي هذا من كتاب «النظام» ، ليجعل بين أيدينا شرحاً جديراً بالتقدير بين شروح مشكلات شعر أبي تمام العديدة ، يضاف الى المكتبة العربية ، وسيكون لهذا الشرح منزلة عالية بين تلك الشروح •

الحق اننا نقف من خلال كتاب «النظام» على شرح مهم لشعر أبي تمام، ربما لم يصل إلينا كاملاً ــ وأعني بذلك شرح الخارزنجي ــ ولا نعلم فيما إذا كان ابن المستوفي قد استفرغه كله في كتابه أو نقل عنه بعضه • ولكن الذي نعلمه أن الذي وقفنا عليه من خلال هذه النقول القليلة كان شرحاً عالياً في مبناه ومعناه جديراً بالاهتمام والتقدير •

* * *

أبو علي المرزوقي،

هو أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي المتوفى سنة ٤٢١هـ • عالم جليل آخر من علماء القرن الخامس الهجري ممن تناولوا بالشرح شعر أبي تمام • « من أهالي أصبهان كان غاية في الذكاء والفطنة وحسن التصنيف وإقامة الحجج وحسن الاختيار »[٦٦] • تتلمذ لابي علي الفارسي • قال عنه الصاحب بن عباد : « فاز بالعلم في أصبهان ثلاثة : حائك وحلاج واسكاف • فالحائك : هو المرزوقي ، والحلاج : أبو منصور بن ماشدة ، والاسكاف : أبو عبدالله الخطيب بالرّي »[٦٧] • فكان المرزوقي ذلك الفاضل الكامل العالم في الفقه

(٦٦) معجم الأدباء : ٥/٣٤ وبغية الوعاة ، ١٥٩

(٦٧) معجم الأدباء ٥/٣٤ وروضات الجنات للخونساري : ١/٢٤٤

واللغة والنحو . والأديب الماهر والشاعر المجيد[٦٨] . فصنع التصانيف الجليلة في علم العربية[٦٩] . فكانت لا مزيد عليها من الجودة بشهادة الباحثين الذين ترجموا له ، وقد ذكر انه كان يتفاصح في تصانيفه كإبن جني [٧٠]

ان منزلة هذا الرجل في الفقه والادب والنحو جعلت منه « حجة وقته » فقصده الناس من كل صوب ، وخثّوا إليه آباط الرّحال فأخذوا عنه[٧١] ، حتى أصبح رأساً بنفسه[٧٢] . وقد بلغ من تقدير أهل عصره له انهم كانوا ينادونه بالإمام [٧٣] .

لقد أحب أبو علي المرزوقي أبا تمام وأحب شعره ، ولذلك خصّه باهتمامه فتناوله في ثلاثة كتب . الاول : شرحه كتاب حماسة أبي تمام ، والثاني : انتصاره لأبي تمام في مؤلفه الموسوم بـ « الانتصار لابي تمام من ظلمته » والثالث : كتابه : « شرح المشكل من شعر أبي تمام » وقد قمنا بتحقيقه ونشره .

في هذه الكتب نجد فكر المرزوقي ومنهجه في نقد شعر أبي تمام وشرحه، وترشدنا ـ هذه الكتب ـ أيضاً الى نقود الذين ظلموا أبا تمام من الذين لم تصل إلينا أخبارهم .

وإذا كان الكتابان اللذان خص بهما شرح شعر أبي تمام ودفاعه عنه يكشفان عن قدرته في فهم هذا الشعر ، فان مقدمة كتابه في شرح ديوان حماسة أبي تمام التي يقول عنها الدكتور أحمد أمين : « لم أر مثلها في اللغة

---

(٦٨) روضات الجنات : ٢٤٤/١
(٦٩) انباه الرواة للقفطي : ١٠٦/١
(٧٠) معجم الأدباء : ٣٤/٥
(٧١) انباه الرواة : ١٠٦/١
(٧٢) معجم الأدباء : ٢٠٤/٥
(٧٣) الأزمنة والامنة : ٩/١

العربية » قد كشفت عن أفكاره النقدية في مسائل الادب والشعر ، خصوصاً تلك التي تناولت قضية « عمود الشعر » وهي القضية التي ارتبطت بظهور مذهب أبي تمام في الشعر ، والضجّة التي قامت حوله •

ان قدرة المرزوقي الفذة في معالجة هذه القضية المثيرة للجدل وشرحها شرحاً دقيقاً ووافياً فاق الذين سبقوه جعلت هذه القضية في أذهان الناس مقرونة باسمه •

كذلك ضمّت هذه المقدمة في جملة ما تضمنته مسائل نقدية في غاية الاهمية • منها ما يتعلق بنقد الشعر ونقد النثر • كما احتوت أيضاً على بحث يكاد المرزوقي فيه أول من علل الاختلاف الناجم في مذهب أبي تمام في الاختيار عنه في النظم • فيقول في ذلك : « ان أبا تمام كان يختار ما يختار لجودته لا غير ، ويقول ما يقوله من الشعر بشهوته ، والفرق بين ما يشتهي وبين ما يستجاد ظاهر » • ثم يذهب في التعليل فيقول : « بدلالة أن العارف بالبزّ قد يشتهي ما لا يستجيده ، وأن يستجيد ما لا يشتهي لبسه ، وعلى ذلك حال جميع أعراض الدنيا من العقلاء والعارفين بها في الاجادة والاشتهاء»[٧٤]

لقد كان المرزوقي مع تراث أبي تمام دارساً وباحثاً ومنقّباً ومتفهماً لدقائقه • ووضع أمامه ما دار حول شعر أبي تمام من نقود وشروح بدءاً بالصولي ومروراً بمن شرح هذا الشعر من أمثال الخارزنجي والازهري المتوفى سنة ٣٧٠هـ والخالع المتوفى سنة ٣٨٠هـ وانتهاءً بموازنة الآمدي •

أقول لقد وضع هذا الناقد الحصيف المحب لشعر أبي تمام هذا التراث الضخم أمامه دارساً له وباحثاً فيه ، فكانت له ــ بعد ذلك ــ طريقته في فهم هذا الشعر وكانت له نظرة خاصة في تفسيره[٧٥] •

---

(٧٤) مقدمة شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، ١٣
(٧٥) مقدمة كتاب « شرح المشكل من شعر أبي تمام » للمرزوقي ، تحقيق : د. خلف رشيد نعمان

ان عقلية المرزوقي عقلية باحثة تنقّب عن العلل وتكشف عن الاسباب وترفض الاستسلام للأوهام والاباطيل • لقد كان يرى ان المعرفة تمرّ عن طريق اليقين ، واليقين عنده : يقين حسّي ويقين علمي • والحسّي : هو كل ما يزود الذهن عن طريق الحواس ما يعج به العالم الخارجي • والعلمي : ما يدركه الذهن عن طريق التجربة الذاتية • وعن طريق التمازج بين اليقين الحسّي واليقين العلمي تتكون المعرفة التي « تجعل الحدس في عالم اللامنظور يؤدي عمل الحس في عالم المنظور • الاول هو نتيجة البصر والثاني نتيجة البصيرة »[٧٦] •

لقد أدرك المرزوقي أهمية البصيرة وشدّة الحاجة إليها في تفسير آيات القرآن الكريم ، من خلال ما جاء في قوله تعالى « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أمّ الكتاب وأخر متشابهات »[٧٧] •

فالمحكم عند المرزوقي « هو الذي لا يحتمل إلا معنى واحداً فيوافق ظاهره باطنه إذا تأوله ، كأنه أحكم أمره ، ومنع متدبره من تسليط الشبهة عليه ، كما منع هو نفسه من أن يتورّده الاحتمال ، وأصل الإحكام المنع »[٧٨] •

ثم يوضح المرزوقي المتشابه فيقول : « وقد وصف الله تعالى الكتاب كله بالمتشابه كما وصفه بالحكيم ، بقوله تعالى : « آلر تلك آيات الكتاب الحكيم »[٧٩] • وكما وصف آيه بالإحكام فقال : كتاباً متشابهاً ، والمعنى: يصدق بعضه بعضاً ، فلا يختلف ولا يتناقض • وقال علي لابن عباس (عليهما السلام) حين وجه به الى الشراة قبل القتال : لا تناظروهم بالقرآن ، فان

---

(٧٦) مقدمة كتاب « الأزمنة والأمكنة » للمرزوقي : ٢٦/١

(٧٧) الآية ٧ من سورة آل عمران

(٧٨) الأزمنة والأمكنة : ١٠٠/١

(٧٩) الآية ١ من سورة يونس

القرآن حمال ذو وجوه ، ولكن ناظروهم بالسنّة ، فإنهم لا يكذبون عليها ، فقوله «حمال» أي يحمل عليه كل تأويل • وهذا يترجم عن معنى المتشابه»[٨٠]

بهذه الطريقة كان المرزوقي يدرك أهمية البصيرة في التفريق بين المحكم والمتشابه من آيات القرآن الكريم والاحاديث والاخبار للوصول الى المعنى المقصود في مواضع الاشتباه التي تحمل غير معنى واحد •

وبهذه المنهجية أخذ ينظر في شعر أبي تمام ، فيعالج معانيه عندما يرى ان الالفاظ في سياقها تحتمل أكثر من دلالة واحدة ، وان لها أكثر من وجه • ولا شك في أن معرفته في اللغة وبما تدل عليه الالفاظ وإحساسه الدقيق بما توحيه تلك الالفاظ وما تعكسه من ظلال من خلال صياغتها الفنيّة ، جعلته لا يقتصر على تفسير واحد للبيت الحمّال الذي يدور حوله الخلاف ، وبذلك يتجاوز التفسير عنده لبعض الابيات الى وجهين ، وربما الى ثلاثة وجوه ، ذلك ان نظرته الثاقبة الذكية ومن ورائها خلفيته المعرفية والعلمية واطلاعه الواسع ومعرفته العميقة في اللغة ساعدته على إدراك معاني الالفاظ ومواقعها في الكلام وما يؤديه اختلاف المواقع الى الاختلاف في المعاني ، ولذلك نراه يضع القارىء أمام معان متعددة ، تبدو له كأنها حبيسة النص الشعري ، وكأن الرجل قد أطلقها من عقالها فأخذت تحيَى في وجدان القارىء وفكره •

لنتأمل معاً كيف يشرح المرزوقي بيت أبي تمام الآتي :

يَذُمُّ سنيدُ القومِ ضِيقَ مَحَلِّهِ   على العلم مِنْهُ انَّه الواسعُ الرَّحْبُ

يقول المرزوقي :

يجوز أن يكون أراد بـ « سنيد القوم » رئيسهم ، ومَنْ تُسند إليه أمورهم ، ويكون المعنى : انه إذا نظر رؤساء القوم الى فناء هذا الممدوح

---

(٨٠) الأزمنة والأمكنة : ١/١٠٠

الرحب ، ومحلّه الواسع ، ورحله المحتمل لكل من يقصده من الزوّار والعفاة، صغر في عيونهم محالّ أنفسهم ، وضاقت رحالهم وأفنيتهم حتى يذمّوها ويشكوا ضيقها على علم منهم بسعتها •

ويجوز أن يكون أراد بـ « السنيد » الملصق الدعي ، فيكون المعنى : حاسده الدعي يبلغ في حسده الحد الذي يستحسن معه البهت والمكابرة ، حتى يجيء الى ما لا شك فيه ولا لَبْس ، فيدّعيه على خلاف ما هو عليه ، كأنه أراد : لا يحسده إلا الدعي ، فاذا حسده كان هكذا ، والاول أحسن » •

أنظر إليه كيف يذهب بنا في وجهين من تفسيره لهذا البيت ، وكيف يعطي مسوغات الدليل لكل واحد من المعنيين اللذين طرحهما أمام القارىء ، وذلك من خلال فهمه للفظة « سنيد » في دلالتين لها • وهو في هاتين الدلالتين لا يخرج عما يتطلبه سياق البيت • ثم يقول لنا بعد ذلك بأمانة العالم : أي المعنيين أحسن•

وستكون لهذه المعرفة الواسعة في اللغة ولهذا الاحساس الدقيق بفن الكلام أثر بارز في فهم شعر أبي تمام وفنه وطريقة أسلوبه ومذهبه ، ولذلك كثيراً ما تراه ينبري ليدافع عنه وعن فنه ، فيردّ مثلاً على الذي عابه على قوله:

لوْ لَم تُصادِفْ شِيَاتُ البُهْمِ أكثرَها
في الخيلِ لم تُحْمَدِ الأوضاحُ والغُرَرُ

قال المرزوقي :

يروى : « شيات البُهم » بضم الباء ، جمع «البهيم» ، وهو الصمت الذي لا شِيةَ فيه ولا وضح : أي لون كان • فأمّا « البهَم » : فهو الصغير من أولاد العز • ويروى أيضاً : « أكثر ما في الخيل » • والمعنى : أكثر الشيات التي تكون في الخيل • إلا انه يروى معه «البَهْم» بفتح الباء • والمعنى: ان

شيات البَهم لما كان أكثرها في الخيل ، وكأنّ الغرّة والتحجيل في البَهم لا يُريان إلا قليلاً عزّاً في الخيل وحمداً . وهذا مَثَل لعزّ الكرام وشرف أخلاقهم مع قلّتهم في الخلق . وقد قال قبله :

ان الكرامَ كثيرٌ في البلاد وإنْ
قلّوا كما غيرُهم قلٌّ وإنْ كثروا

لا يَدهمَنَّك من دَهمائهم عددٌ
فإن جلَّهم بل كلَّهم بَقَرُ

وكلَّما أمسَتِ الأخطارُ بينَهُم
هَلْكَى تبيَّنَ من أمسى له خطرُ

ولقد نقلنا لك هذا الشرح من كتابه « شرح المشكل من شعر أبي تمام »، ولكنه يعود لمناقشة هذا البيت في كتابه الآخر ، وهو « الانتصار من ظلمة أبي تمام » . وهو موجود أيضاً في كتاب «النظام» .

قال المرزوقي :

وحكى بعضهم : ومما أحال فيه أبو تمام قوله :

لو لم تصادف شيات البُهم أكثرها في الخيل لم تحمد الاوضاح والغرر

وقال : (أي ذلك البعض) لم تحمد الاوضاع والغرر لوجود شيات البهم في الخيل ، ولا لعدمها في « شيات البهم » ، وقد يكونان فيهما . قال المخارق بن شهاب يصف فرساً :

له رعشاب كالمسترب وغرّة للمدح ولون كالوذيلة مذهب

انتهى كلامه .

قال أبو علي (المرزوقي) : « البيت يروى على وجوه منها : « لو لم يصادف شيات البَهم » بفتح الباء « أكثرَ ما في الخيل » بفتح الراء . ومنها

شيات البُهْم » بضم الباء ، « أكثر ما في الخيل » بفتح الراء • و « البُهم » بالضم جمع «بهيم» • وقد روى « أكثرها في الخيل » والمعنى : ترى من البهم أبيض وأسود ، كما ترى في الخيل • ولا ترى في البهم أغرّ محجّلاً إلا قليلاً • فلما عزّ في البهم حُمد في الخيل • وانتصب «أكثرَ» على الحال ، والتقدير : لو لم تصادف شيات البَهم أو البُهم أكثر ألوان الخيل لم تحمد الاوضاح والغُرر على قلّتها • ودَلّ على القِلّة وإن لم يذكره وذكر الاكثر•

وقوله :

وكلما أمست الاخطار بينهم هلكى تبيّنَ من أمسى له خطر
لا يدهَمنك من دهمائهم عدد فان جلهم بل كلهم بقر

والمعنى : ان السواد الاعظم يستولي عليهم الجهل والغباوة ، وإذا أمسى جمهورهم بلا خطر فالخطير من بينهم ظاهر الأمر ، مشهور الخطب لا يخفى • ولولا شيات البُهم هي التي تُصادَفُ كثيرة في الخيل لم تحمد الاوضاح والغرر على قلّتها ، لان الحمد أبداً يتبع الأقلّ ، والذمّ الأكثر • وقد قال عزّ وجل : « قليل من عبادي الشكور » • وإذا كان الامر على هذا فتقول الطاعن : لم تحمد الاوضاح والغرر لوجود الشيات البهم في الخيل لا لِعَدَمِها في « شيات البهم » ظلم" منه ، واشتغال عما قاله بغيره ، وذلك ان الرجل قال : « لو لم تصادف شيات البهم أكثر ما في الخيل » ، وهذا ظاهر • » انتهى كلامه •

ولعلك معي في أن المرزوقي عندما أراد أن يكون لهذا البيت وضوح في ذهن القارىء ، فلا بد له عندئذ من تصحيح الرواية ، وحتى يتم له ذلك راح يتابع معاني الالفاظ ، وما تدل عليه في الروايتين وبيان الفرق بينهما وأْتلاف إحداهما في السياق المقرر لها في البيت واختلاف الاخرى وما يؤدي ذلك الى الاخلال بالمعنى • وبهذه الطريقة التي تدلل على باعه الطويل في النحو واللغة ذهب الرجل يناقش المنتقد لهذا البيت •

وربما يذهب الى أبعد من ذلك عند رده على منتقدي أبي تمام ، فيذكر انهم لم يفهموا مراده وانهم لحنوا في قراءتهم لشعره ، لأنّ أبا تمام كان يتقصد ذكر مثل هذه الاشياء التي تقلّ وتعزّ ليُرى علمه ومعرفته في اللغة والنحو . فدلّ دفاعه عنه على تضلعه وطول باعه في النحو وتخريجاته .

والمرزوقي من أوائل من تبيّن ما أسماه (أهل المعاني) بالتصوير في شعر أبي تمام[81] .

أراني قد أطلت في الحديث عن دفاعه عن أبي تمام . ولا يفوتني أن أطلب من القارىء أن يقرأ ردّ المرزوقي على خصوم أبي تمام الذين عابوا عليه قوله:

قوم تراهم حين يطرق حادث   يُسمون للخطب الجّليل فيطرق[82]

وبعد :

فلم أجد عالماً في حدود معرفتي بما ورد في هذا الكتاب يقع موقعاً عالياً من نفس ابن المستوفي مثل الموقع الذي يحتلّه المرزوقي ، لقد كان المرزوقي في وجدان وفكر ابن المستوفي عالي الجناب ، كبير المنزلة يحظى دائماً بتبجيله واحترامه ، يذكره ويذكر معه عبارات التوقير ، التي يخصّه بها ، وربما أشرك غيره معه بها ممن ورد ذكرهم في كتابه ولكن في حدود ضيقة وقليلة . فاذا جاء ذكره قال عنه : « قال أبو علي أدام الله عزّه .. أو : قال الشيخ أدام الله عزه ... »

ذلك ـ فيما يبدو لي ـ ان ابن المستوفي يشترك مع المرزوقي في نهجه وفي نزعته في مناقشة شعر أبي تمام ، وربما تأثر به . فقد كان المرزوقي من

---

(81) أنظر الحركة النقدية حول مذهب أبي تمام . د. الربداوي : ٤١٥
(82) أنظر شرح الصولي لديوان ابي تمام : ٣/١٧٠ . وهذا البيت من القصيدة التي مطلعها :

الدار ناطقة وليست تنطق   بدثورها ان الجديد سيخلق

القلائل الذين أدركوا سرّ صناعة أبي تمام وفهموا شعره ومقاصده في فنه .
فهو أول من أشار الى اختلاف أبي تمام في النظم عنه في الاختيار ، كماتصدى لخصومه وظلمته فأنصفه بكتابيه اللذين نقل عنهما ابن المستوفي الشيء الكثير .

وبعد :

فان ما يمكن زعمه ان ابن المستوفي قد استفرغ معظم ما ورد في كتاب المرزوقي الموسوم بـ « شرح المشكل من شعر أبي تمام » . أما كتاب « الانتصار من ظلمة أبي تمام » وهو الكتاب الآخر للمرزوقي ، فقد وجدت منه نقولاً في كتاب ابن المستوفي هذا ، ولكن لا يمكن التأكد من مقدار ما نقله ابن المستوفي منه ، لأنه مفقود .

* * *

أبو العلاء المعري المتوفى سنة ٤٤٩هـ .

هو أحمد بن عبدالله بن سليمان المعري العالم الجليل الغنيّ عن التعريف بعلمه الوافر وذكائه النادر . كان غاية في الفهم متضلّعاً في اللغة وحاذقاً بالنحو ، جيد الشعر .

لقد أدرك هذا العالم الفذ بعلمه الواسع وبفطنته الفريدة أن الشعر العربي يقف على ثلاثة أعمدة ، وبهم يصل الى درجة من السمو والكمال . وهم : أبو تمام حبيب بن أوس وأبو عبادة البحتري وأبو الطيب المتنبي . ولقد وقف هذا العالم الجليل والشاعر المبدع والفيلسوف الكبير على شعر هؤلاء الثلاثة دارساً له ومتأملاً ومنقباً فيه ، فخصهم بثلاثة كتب أو قل ثلاثة شروح . وإذا ضاع بعضها فلا نعدم أن نجد من استفرغ بعضها في كتبه من الشرّاح الذين جاءوا بعده من أمثال : التبريزي وابن المستوفي .

وهذه الكتب هي « ذكرى حبيب » وهو كتاب مختصر في غريب شعر أبي تمام[٨٣] . وكتاب « عبث الوليد » فيما يتصل بشعر البحتري[٨٤] .وكتاب اللامع العزيزي في تفسير شعر المتنبي ، عمل للأمير عزيزالدولة ، ومقداره مئة وعشرون كراسة[٨٥] .

وهناك كتاب آخر لم يذكره ياقوت وهو « معجز أحمد » ذكره خيرالدين الزركلي في كتابه « الأعلام » ، قال : « ان لابي العلاءَ كتاباً هو « شرح ديوان المتنبي » يقع في جزأين تمّ نسخهما سنة ١٠٥٩ هـ في خزانة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بتونس . وربما يكون هذا كتاباً آخر ، أو أن يكون المقصود به « معجز أحمد » .

كان أبو العلاء المعري من محبّي شعر المتنبي وكان يتعصب له ، وقد سبب تعصبه هذا جفاء الشريف المرتضى له . لقد كان الشريف المرتضى رضي الله عنه يبغض المتنبي ويتعصب عليه ويتنقصه ، ويتبع عيوبه[٨٦] : « فجرى يوماً بحضرته ذِكر المتنبي فتنقّصه المرتضى ، وجعل يتبع عيوبه ، فقال المعري: لو لم يكن للمتنبي من الشعر إلاّ قوله :

★ لكِ يا منازلُ في القلوبِ منازلُ ★

لكفاهُ فضلاً ، فغضب المرتضى ، وأمر فَسُحِبَ برجلِه وأُخرج من مجلسه ، وقال لمن بحضرته : أتدرون أيَّ شيء أراد الاعمى بذكر هذه القصيدة ؟ فإن للمتنبي ما هو أجود منها لم يذكرها ، فقيل : النقيب السيد أعرف ، فقال : أراد قوله في هذه القصيدة :

---

(٨٣) معجم الأدباء لياقوت : ١٥٦/٣
(٨٤) « « « ، ١٥٦/٣
(٨٥) « « « ، ١٦٢/٣
(٨٦) « « « : ١٢٤/٣

وإذا أتتك مذمّتي مِن ناقصٍ   فهي الشهادة لي بأنيَّ كامل[٨٧]

لقد كانت عادة العلماء والمؤلفين في ذلك العهد يضعون لكتبهم أسماء وعنوانات تتسم بنمط معين لا يخرجون عليه ، وهي في حقيقتها تكاد تكون

اختصاراً لما يتضمنه الكتاب • فمن الملاحظ أن الكتب التي كانت تدور حول شعر أبي تمام وأبي الطيب تأخذ في تسميتها نسطاً يجري على الوجه الآتي: « شرح المشكل من شعر أبي تمام » للمرزوقي و « الانتصار من ظلمته » للمرزوقي و « الموازنة بين البحتري وأبي تمام » للآمدي و « شرح مشكل المتنبي » لابن سيدة و « الواضح في مشكلات شعر المتنبي » لابي القاسم الاصفهاني ، و « الفتح الوهبي على شرح مشكلات المتنبي » لابن جني . و « الفتح على فتح أبي الفتح » لابن فورجه ، وغيرها من التسميات •

لكن الملاحظ أن أبا العلاء اتخذ لكتبه ــ فيما يتعلق بالشعراء الثلاثة ــ تسميات تبدو غريبة بعض الشيء إذا قيست بالعادة الجارية عند مؤلفي ذلك العهد •

فقد خصّ المعري أبا تمام بكتابه المسمى « ذكرى حبيب » كما تناول شعر البحتري بكتابه المسمى « عبث الوليد » • أما أبو الطيب فقد شرح قسماً من شعره بكتابه المسمى « معجز أحمد » •

ولو تأملنا هذه التسميات لوجدنا فيها ما يثير الدهشة لخروجها على المألوف ، ولكن دهشتنا سوف تزول إذا أدركنا أن التسميات إنما تعبّر عن آراء المؤلف النقدية بشعر هؤلاء الشعراء • ومن براعته وقدرته ونفاذ بصيرته انه كثّف رأيه النقدي بعبارة موجزة تأخذ شكل التسمية تتناول شعر كل واحد منهم •

---

(٨٧) معجم الأدباء : ٣/١٢٤

فمن المعروف أن القرآن الكريم هو كلام الله سبحانه وتعالى المعجز ٠ وقد تحدّى سبحانه وتعالى العرب أن يأتوا بمثله٠وقد تدرج فيهذا التحدي، فطلب منهم أول الأمر أن يأتوا بعشر سور حين قال جل من قائل : « أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين »[٨٨] ثم خفف عنهم حين عجزوا فدعاهم الى واحدة ، فقال سبحانه وتعالى : « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله »[٨٩] ٠ وقال تعالى : « أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله ، وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين »[٩٠] ٠ ثم أنهى حيرتهم بكلام قاطع يعلمهم فيه عن عجزهم فقال جل من قائل : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »[٩١]

لقد كان القرآن الكريم معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم ٠ فهو الذي نزل على صدره ، وهو أول من نطق به أمام الناس ، وهو الذي تأثر به أكثر من غيره فبات يجري في كلامه ، حتى بات كلامه ــ من غير كلام الله ــ معجزاً أيضاً ٠

---

(٨٨) الآية ١٣ من سورة هود
(٨٩) الآية ٢٣ من سورة البقرة
(٩٠) الآية ٣٨ من سورة يونس
(٩١) الآية ٨٨ من سورة الاسراء
اذا كنت قد قدمت واخرت في الآيات فما ذاك إلا لأن الحديث حديث أدب ٠ ومن المعروف عند العلماء أن ترتيب الآيات جاء على الوجه الآتي : اولا في سورة الطور ثم في سورة هود ثم في سورة يونس ثم في سورةالبقرة ثم في سورة الاسراء ٠ وهذا هو ترتيب السيوطي في الاتقان : ١٩٨/١ ٠ والفخر الرازي في التفسير الكبير ٠ وفيه اختلاف عند غيرهم٠

وإذا حكمنا على الناس بعجزهم عن أن يأتوا بمثل سور القرآن الكريم، وإذا لم يكن لاحد من الناس أن يصل في قوله الى مرتبة اعجاز القرآن الكريم حين أغلق سبحانه وتعالى دونهم الباب بقولــه جلت قدرته « قل لئن اجتمعت الانس والجن ... » فقد كان لبعضهم نصيب من القول تتفــاوت درجــات اعجازه بتفاوت حظوظهم من النبع الاعلى الذي هو القرآن الكريم ، ومن بعده حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم بمقدار تأثرهــم بالمأثور من كــلام البلغاء والفصحاء من الناس ، فمنهم من وصل الى القمّة ومنهــم من هــو دون ذلك .

ويبدو أن أبا الطيب قد وصل الى القمة التي سمحت لأبي العلاء أن يطلق على شعره بالشعر المعجز . وحين أراد لهذا الاعجاز أن يرتبط بأسمى إعجــاز عرفته العربية بعد إعجاز القرآن ، وأعني به كلام رســول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو فوق كل كلام وكل شعر . وشعر أبي الطيب الذي هو دون هذا الاعجاز الذي أراد أن يقرنه به ، ولذلك اتخذ من اسم أبي الطيب الذي هو « أحمد » وهو أيضاً من أسماء الرسول الكريم صلى الله عليه وســلم، هذه التورية التي لا تخفى على أحد حين قال « معجز أحمد » .

فاذا كان النبع هو القرآن الكريم ، وإذا كان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أول من نطق بكلام الله سبحانه وتعالى ، وتأثــر به وتربى عليه فجاء كلامه بعد كلام الله ، فهناك واحد من البشر شرب من هذا النبع ، فجاء بعدهمــا بمراتب وإن لم يكن له أن يدانيهما في كلامه ، ولكنه فاق غيره من المتكلمــين والشعراء فنطق بهــذا النوع من الشعر المعجــز الذي أطلق أبو العلاء عليه « معجز أحمد » .

ونحن نعلم أن سر إعجاز القرآن هو استحالة إبدال أو حذف أو اضافــة كلمة في الآية الواحدة ، لا بل استحالة إبدال أو حذف أي حرف في الكلمــة دون الاخلال بالصياغة والمعنى . وإذا كان هذا الامر واضحاً في أذهــاننا ،

فيمكننا عندئذ معرفة وإدراك ما دار بين أبي العلاء وبين ابن فورجّة بخصوص شعر أبي الطيب .

قال ابن فورّجه في شرح البيت :

قد شرّف الله أرضاً أنت ساكنها   وشرّف الناس إذ سواك انسانا

قال : نهاية ما يقدر عليه الفصيح أن يأتي بألفاظ القرآن أو ألفاظ الرسول أو ألفاظ الصحابة بعده ، وعند أبي الفتح (ابن جني) انه يقدر على تبديل ألفاظ هذا الشعر بما هو خير منه .

وقرأت على أبي العلاء ، ومنزلته في الشعر ما قد علمه من كان ذا أدب ، فقلت له يوماً في كلمة : ما ضرّ أبا الطيب لو قال مكان هذه الكلمة كلمة أخرى أوردتها ، فأبان لي عوار الكلمة التي ظننتها ، ثم قال لي : لا تظنّن أنك تقدر على إبدال كلمة واحدة من شعره بما هو خير منها ، فجرّب إن كنت مرتاباً ! وها أنا أجرّب ذلك منذ العهد ، فلم أعثر بكلمة لو أبدلتها بأخرى كان ألْيَق بمكانها ، وليجرّب من لم يصدق يجد الامر على ما أقول »[٩٢] .

ماذا أقول بعد تجربة أبي العلاء مع شعر أبي الطيب وهو العالم المتضلع في اللغة الفذ بفنون الشعر . ويكفيه أنه التزم بما لم يتمكن غيره من التزامه في لزومياته والحاذق في النحو . أقول لم يقدر أن يستبدل كلمة بأخرى أليق منها في شعر أبي الطيب . لقد امتحن الرجل نفسه فأخفق في الامتحان، وهو الذي استوعب اللغة وفهم مرامي الالفاظ وتعدد دلالاتها ومقاصد معانيها من خلال مواقعها ، ولا أدلّ على ذلك فيما تقول عنه كتب التراجم انه : « عندما دخل (أي المعري) على العالم الجليل الشريف المرتضى أبي القاسم ، فعثر

(٩٢) شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ، لابن عدلان : م٤ ص٢٣١

برجُل ، فقال : من هذا الكلب؟ فقال المعري : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً »[٩٣] • أقول : لقد أخفق أبو العلاء الذي كان يجرّب « منذ العهد » فلم يعثر بكلمة لو أبدلها بأخرى كانت أليق بمكانها في شعر أبي الطيب ، ومن طريف الامر أن أبا العلاء على علّو منزلته وسمو معرفته ينقل التحدّي الى الآخرين • فهل يرانا — بعد أن جرّب بنفسه — أهلاً لهذا الامر ، عندما قال : « وليجرّب مَن لم يصدق •••»

وقبله : أبو الفتح ابن جني راويته ومفسر شعره يقول : « وانني لأعجب من يجهل فضله ، وهو الذي يقول :

إذا كان شمّ الروح أدنى إليكُمُ　　فلا برحتني روضة وقبول

فأيّ متحدّث يتعالى الى أن يقول « فلا برحتني » • وهل هذه الفصاحة والطلاقة إلا نور من عند الله عزّ وجل استودعه قلبه »[٩٤]

كان أبو العلاء يجد في شعر أبي الطيب الفصاحة ، وإذا ظهر له أو لمنتقديه ما يناقض ذلك ولم يجد لذلك جواباً ، وَجَدَ له المسوغ الذي لا يضعف من شأن شاعره ومعرفته • فهو يقول في بيت أبي الطيب

أعزّ مكان في الدُّنَا سرجُ سابح　　وخيرُ جليس في الزمان كتاب

قال أبو العلاء : قلّما توجد « الدنا » في الشعر مجموعة ، وإنما جاء بها أبو الطيب قياساً ، ولعله سمعها في بعض الاشعار » •

وهذا إعتذار من لا يريد أن يضعف من قيمة صاحبه ، لانه — في نظره — بلغ المنزلة الرفيعة في معرفته وإتقان صنعته ، وان ثقته به ثقة لا تتيح الاعتقاد

---

(٩٣)　معجم الأدباء لياقوت : ١٢٣/٣

(٩٤)　الفسر لابن جني « الجزء المطبوع » ٢٥/١،

بتخطئته ، ولذلك أخذ يسوغ له عمله بما لا يدخل في باب العلم والمعرفة السابقة والتثبت منها ، فدفع ذلك الى القياس أولاً ، ثم الى أن يقول : « لعله سمعها في الاشعار » ثانياً .

ومن أجل أن يجد له المسوغ لما لا يرضاه غيره عنه ، يحاول أن يستقرىء كلام العرب ليجد فيه ما يبيح لشاعره استعماله ، ولكنه يقف دون لجاجة في الجدل ليترك لشاعره المخرج الذي يخرج منه سالماً من النقد معافى منه ، فيقول عند مناقشته للفظة «سائر» التي وردت في البيت :

حللتم من ملوك الناس كلهم   محل سمر القنا من سائر القَصَبِ[٦٥]

يقول أبو العلاء :

« سائر » عند البصريين مأخوذ من سور الشيء ، وهو بقيته ، فيرون انه يجب أن يقدم قبل هذه الكلمة بعض الشيء الذي هي مضافة إليه ، فيقال : لقيت الرجال دون سائر بني أميه ، لأن الرجال بعضهم . ولا يجوز أن تقول : لقيت القوم دون سائر الناس ، لانه لم يتقدم شيء يجعل « سائر » بقية له . وعلى هذا المنهج أكثر كلام العرب .

وقوم يقولون « سائر » مأخوذ من سار يسير . وقولهم : ليست سائر القوم ، أي الجماعة التي يسير فيها هذا وينشر .

وبيت أبي الطيب على مذهب البصريين يضعف ، لان القنا ليست من القصب في الحقيقة ، فكأنه قال : لقيت عنترة العبسي دون سائر بني كلاب ، وعنترة ليس منهم ، والبيت على الوجه الآخر لاكلام فيه»[٩٥] . انتهى كلامه .

أنظر إليه كيف يبحث ويجهد في البحث ليجعل لبيت صاحبه وجهاً لا كلام فيه ولا عيب عليه .

* * *

---

(٩٥) انظر شرح هذا البيت في موضعه من هذا الكتاب

ذكرى حبيب :

من المعروف عن أبي تمام انه مثّل بشعره البداية الجريئة في فتح الباب لشعراء المعاني الذين جاءوا بعده ، فكان زعيمهم بلا منازع ، وكان القدوة لهم • وحين نذكر شعراء المعاني من الدين جاءوا بعده نقف على اثنين منهم ، هما : أبو الطيب المتنبي وأبو العلاء المعري ، وقد كان حظهما من دراسة شعره وتأمله وتفهمه الشيء الكثير • فقد قيل أن ديوان أبي تمام لا يفارق المتنبي في حلّه وترحاله •

ولقد عاش أبو العلاء مع أبي تمام وشعره معايشة الأليف للأليف اللذين يربطهما حبل واحد وإتجاه واحد في البحث عن المعاني والغوص فيها وحسن صياغتها • فاذا قرأ أبو العلاء شعر أبي تمام ، تأمّله ، وإذا تأمّله فهمه وأدركه وتمثّل معانيه ، فإذا اختلف غيره معه وجد لأبي تمام المسوغ ، ذلك لانهما يشتركان في انهما ضليعان في اللغة ، فالمعروف عن أبي تمام انه وضع يده على عموم أشعار العرب ، وعلى عموم المعاني التي ترددت في أشعار الشعراء • كما اطلع على حسن صياغتهم وتصرفهم في الالفاظ وقدرتهم على توظيفها في إستنباط المعاني • وهذه اختياراته الجمة من الشعر العربي التي ذكرها لنا الآمدي ، وذكرناها له في مطلع حديثنا عنه[٩٦] • « وانه ما فاته كبير شيء من شعر جاهلي ولا اسلامي ولا محدث إلا قرأه وطالع فيه»[٩٧] • فهذا أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، يقول : « ما سمعت الحسَن بن رجاء ذكر قطّ أباتمام إلا وقال :ذاك أبو التمام ، ما رأيت أعلم بكل شيءمنه»[٩٨] ••

---

(٩٦) أنظر شرح الصولي لديوان أبي تمام : المقدمة : ٢٣
(٩٧) الموازنة ـ للامدي : ١/٥٨ـ٥٩
(٩٨) أخبار أبي تمام للصولي : ١٧١

وكان يقول أيضاً : « سمعت الحسن بن رجاء يقول : ما رأيت أحداً قطّ أعلم بجيد الشعر قديمه وحديثه من أبي تمام »(٩٩) .

فاذا كانت لابي تمام كل هذه المعرفة الواسعة التي ظهرت في شعره من خلال معانيه الدقيقة ، فحريّ برجل مثل أبي العلاء أن يكون له مثل هذا الاهتمام الجم به وبشعره . فخصّه بكتابه الذي أسماه « ذكرى حبيب » ، وعلى الرغم مما قيل عنه انه كتاب مختصر في شرح شعر أبي تمام فان من الملاحظ — على أهمية هذا الشرح — ان التبريزي في شرحه على ديوان أبي تمام اعتمد في عموم ما ذكره عن الابيات المشكلة من شعر أبي تمام على شرح أبي العلاء في كتابه المسمى « ذكرى حبيب » .

ويبدو لي — وربما أكون على خطأ — ان شعر أبي تمام إنما هو نوع من الرياضة الذهنية والمتعة العقلية عند ذوي الميول الفكرية ، وعلى وجه الخصوص عند أبي العلاء الذي يحاول أن يجرّب ، من خلال هذا الشعر الذي يحتاج الى التأمّل وكدّ الذهن ، حل معضلاته وكشف معانيه . ولذلك حاول في كثير من الابيات ألاّ يقف على معنى واحد عندما يرى ان الكلام يحتاج للكشف عنه الى احتمال أكثر من معنى . ولا شك في أن الكشف عن عويص أبي تمام يحتاج الى معرفة عميقة باللغة واطلاع واسع ، وهذا مجال ممتاز لقدرة المعري اللغوية التي نجد انها خضعت الى هذا النوع من التحدي للكشف عن معاني الشاعر ، تلك التي يدور حولها الخلاف .

ان شعراً من هذا النوع لا بد أن يجد دعوة من لدن عقلية علمية لغوية مثل عقلية أبي العلاء ، وهذه الدعوة أو الاستجابة هي نوع من المتعة التي يتحسسها أصحاب الهوايات العقلية في الكشف والاستنباط والاختراع . ان رجلاً مثل المعري الذي تحيط به الهموم ويعذبه التفكير فيما حوله ، سيجد

---

(٩٩) » » » : ١١٨

في شعر أبي تمام ما يروّح عن نفسه ويجلب لها المسَرّة ، وما يشحذ همّته ويثير فيه التفكير في أشياء محببة الى نفسه ، وهل غير اللغة التي هو فارسها في مراميها البعيدة ومقاصدها نحو المعاني الدقيقة . وما في ذلك من حسن الصنعة وجمال الصياغة ولطف الاستعارات وخفائها ودقتها ما يفتح نفس المعري ويروّح عنها ويبعث فيها النشاط .

وإذاً فان هذا الشعر وقراءته ومعالجة معانيه تبعث في نفسه ووجدانه وخاطره كل ما هو محبب إليه وتشيع فيه تداعياً للخواطر والأفكار وللفصيح مما سمعه أو قالته العرب . وهو بالتالي يثير ذكرى أثيرة الى نفسه هي ذكر وتذكّر لهذا التراث الضخم في اللغة والأدب والشعر والعلم والمعرفة عند العرب مما اختزنه في عقله ووجدانه ، وهي أيضاً لم تكن ذكرى مؤلمة يحاول التخلص منها حين تضغط على ذهنه ، إنما هي « ذكرى أثيرة حبيبة » . ومن هنا جاءت التسمية ، تسمية كتابه الذي تناول فيه شعر أبي تمام « ذكرى حبيب » و«حبيب» هو اسم أبي تمام « حبيب بن أوس الطائي » .

وإذا كان من عادة المحب أن يتقبل من محبوبه كل فعل وأمر ، لان كل ما يصدر عن المحبوب محبوب ، فذلك ما يفعله أبو العلاء عندما يعالج شعر أبي تمام الذي كثيراً ما يجد له المسوغ لاستعمال عبارة ربما لا تكون مألوفة عند السامع أو لأنها لم تكن في موضعها السَّوي . لنستمع الى أبي العلاء وهو يتناول عبارة « حيّة الليل » في بيت أبي تمام :

حَيّة الليل يشمس الحزم منه إن أرادت شمس النهار الغروبا

قال أبو العلاء :

يعني انه يسري في الظُّلَم ، وكثير من الحيات يرتقب الليل فتخرج فيه لابتلاع فراخ الطائر الذي تقرب منه . تقولُ العرب : حيّة الوادي ، وحيّة

الجبل ، فأما حيّة الليل فيجوز ألا يكون أحد استعملها قبل الطائي .

وعليك أيها القارىء أن تتأمل معي بعد أن ذكر أبو العلاء استعمال العرب لحيّة الوادي وحيّة الجبل ، ولم يكن بينها ان قالت « حيّة الليل » راح يعتذر له بقوله : « فأمّا حيّة الليل فيجوز ألا يكون أحد استعملها قبل الطائي » وفي عبارته هذا معنى جواز أن يكون أحد استعملها قبل الطائي .

وللتدليل على ما يحدثه شعر أبي تمام عند أبي العلاء من نشاط ذهني ورياضة عقلية ، نورد معالجته للأبيات الآتية :

تجدّدُ كلما لُبِسَتْ وتبقى إذا ابتُذِلت وتُخلِقُ في الحِجاب
إذا ما أُبرزت زادت ضياءً وتَشْحُبُ وجنتاها في النّقاب
وليسَتْ بالعَوان العَنْسِ عندي ولا هي منك بالبِكْر الكَعاب

قال المرزوقي :

يعني صنيعة اتخذها عنده ونعمة أولاها إياها ، فيقول : هي تزداد على النشر جدةً ، وعلى الابتذال والذكر بقاء ، فان صينت عن الاسماع وكتمت وحجبت عن المقامات ، وسترت كان ذلك خلوقها ودروسها ، ثم قال : وليست هذه العارفة عندي بالعوان العنس ، أي زفّتْ وهي بكر عوارفك عندي فجاءت غضّة لم تعنس ، أي لم أمطل بها ، كالتي قعدت بعد بلوغ النكاح أعواماً لم تنكح ، وهي على ذلك ليست ببكر عطاياك ، وأُولى منائحك ، ولكنك تأتي بأمثالها كل وقت .

وقال أبو العلاء :

قد عاب أهل العلم هذا البيت لقوله «العَنس» . وقال : « لم يُسمع إلا في صفة الابل » . كأنه ذهب الى أنه أراد «العانس» ، فوضع «العَنْس»

مكانها ، ويجوز أن يكون هذا غلطاً على الطائي ممن عابه ، إذ كان مثله مع أدبه لا يغيب عنه مثل ذلك . و«العانس» التي تحبس عن التزويج بعدالبلوغ حتى تبلغ عشرين سنة أو أكثر ، ويستعمل هذا الوصف للرجال والنساء . و«العَنْس» : الناقة الشديدة المُسِنّة . ويحتمل أن يكون أبو تمام أراد : ليست صنيعتك عندي مثل الناقة التي هي عوان قد أسنّت إذ كنت تجدّدها في كل حين ، ولا هي منك البكر الكعاب ، أي ليست أولى صنائعك .

وقال الصولي :

يقول : ليست عندي بقديمة منك في كل وقت لك عندي صنيعة ، ولا هي منك بالبكر ، أي ولا هي بأول أياديك . و«الكعاب» : التي كعب ثديها في صدرها ، وهو أول ما يتفكّك . ويكون قوله «بالعوان» : أي لم أمدح بها سواك .

قال المبارك بن أحمد :

في كلام الصولي تضادّ ظاهر لمتأمّله ، وكرر أبو تمام معنى بيته فقال:

وصنيعة لك ثيّب اهديتها   وهي الكعاب لعائذ بك مصرم
حلت محل البكر من مُعطَىً وقد   زفّت من المعطى زفاف الأيّم

لقد وضعت أمامك أيها القارىء أقوال الشرّاح في تفسير هذا البيت للفائدة. ومن خلال ذلك يتبيّن لك دور أبي العلاء ومحاولته في التقصي في معالجة هذا البيت ليخرج بعد ذلك على من عابه على لفظة «العَنس» الى مقصد : يرى احتمال وروده في ذهن أبي تمام فيقول : « ويحتمل أن يكون أبو تمام أراد : ليست صنيعتك عندي مثل الناقة التي هي عوان ...الخ » .

أرأيت كيف يدافع المعري عن أبي تمام ، وكيف يجد له المسوغات التي تجعل كلامه غير مختل ، ولا شك في أن ذلك يكلف أبا العلاء مشقّة التأمّل

والتدبّر والتفكير والنظر ـ إذا كان في ذلك تكليف ومشقّة ـ . وهل هناك أعذب من المشقّة الذهنية لرجل يجد في هذا النوع من المشقّة متعة حين انقطع عن الناس فحبس نفسه وانصرف الى التأمّل والتفكير . وهل هناك أحبّ إليه من هذا التفكير الذي يجد له هوى في نفسه وميلاً ورغبة في ممارسته . وإذا كان الذي يدافع عنه شاعراً عالماً باللغة والأدب ، وقد ذكر عنه « ان مثله مع أدبه لا يغيب عنه مثل ذلك » وان الذي ينتقدونه يتعثرون في نقدهم له لعدم فهمهم للغته وعدم إدراكهم خفايا ما يريد ، وأبو العلاء هو القادر على الغوص على معاني الشاعر العارف لما يرمي إليه المدرك لسرّ استعماله لهذه اللفظة دون غيرها . فلِمَ لا ينبري للدفاع عنه ليعطيه حقه .

لننظر الى محاولته في ضبط لفظة «النكب» في قول أبي تمام :

عَنَّت فأعْرَضَ عن تَعْرِيضِها أرَبِي
يا هذه عُذْري في هذه النُكَبِ

قال أبو العلاء :

« عَنَّتْ » : اعترضت و«التعريض» : ذكر الشيء باختصار في ذكره ، وأصله أن يذكر في عُرْض الحديث . وقوله « في هذه النُكَب » يروى بضم النون وفتح الكاف ، كأنه جمع نُكْبة . مثل ظُلْمَة وظُلَم . ولم يذكروا «نُكبَة» بضم النون ، وإنما المعروف : أصابتهم نَكبَة بالفتح . فإن كان الطائي سمعه في شعر فيجوز أن يكون من باب «نَوْبَة» و«نُوَب» ودَوْلَة ودُوَل . ولو رويت «النُكُب» بضم النون والكاف لكانت جمع نَكُوب ، من قولك : خَطْبٌ نَكُوب . وهو أوجه في كلامهم من الرواية الاولى » .

وهذا مادعا أبو العلاء الى تأليف كتابه « ذكرى حبيب » عندما وجد الناس يختلفون في فهم شعره بسبب عدم ضبطهم له وعدم سماعهم له من

الثقات فقال : « إنما أغلَقَ شعرَ الطائي انه لم يؤثر عنه ، فتناقلته الضَّعَفَة من الرُّواة ، والجهلة من الناسخين فبدلوا الحركة بالحركة ، فأوقعوا الناظر بما جنوه في أمّ أدراص وتغلّس[100] ، وغيّروا بعض الاحرف بسوء التصحيف ، فغادروا الفهم خابطاً في عشواء ، لان تغيير الضمة الى الفتحة والكسرة يُنشِب الفِطن في الهبالة ، فأمّا نقل الحاء الى الخاء والدال الى الذال فيُحدث عنه إلباس تُقْرَن به بَلادَةٌ واتكاس »[101] .

ويؤيد ذلك التبريزي • ويقول : « وهو كما ذكر أبو العلاء :

« لأن في شعره صنعة لا يكاد يخلو منها ، ومواضع مشكلةٌ تصعُب على كثير من الناس ، لا سيما على مَن لا يستأنس بطريقته ، فيقع لذلك فيه خلل ، لان شعرَ غيره يَقرُب متناوَلُه ، ويسهلُ على القارىء التوصل الى معرفة معانيه وأغراضه »[102] •

أكتفي بهذا للتدليل على ما يوفره شعر «حبيب» من جهد محبب ومتعة ذهنية محببة الى أبي العلاء ، تذكره بهذه المعارف الواسعة في اللغة والادب والفكر والفلسفة التي يحفل بها هذا الشعر ، شعر «حبيب» ، وهي بلا شك « ذكرى حبيبة » عنده •

* * *

عبث الوليد

وهو الكتاب الذي تناول فيه أبو العلاء شعر أبي عبادة البحتري ، وربما لا يكون لبحث هذا الكتاب موضع في دراستنا هذه التي تتناول شاعرين ،

---

(١٠٠) « وقع في أم ادراص وتغلّس » : اي في داهية . أنظر اللسان مادة غلس ودرص •

(١٠١) ديوان ابي تمام بشرح التبريزي ، مقدمة الشارح ، ١/١

(١٠٢) ديوان ابي تمام بشرح التبريزي ، مقدمة الشارح : ٢/١

هما : أبو تمام وأبو الطيب • وما دمنا قد تعرضنا الى كتابي أبي العلاء فيما يتعلق بأبي تمام وأبي الطيب ، فمن المناسب ألاّ نغفل ذكر الكتاب الثالث ، الذي يدور حول شعر البحتري •

ومن الحق أن نقول ان ما شجعنا على بحث العلاقة بين أبي العلاء وبين أبي تمام وأبي الطيب ومن خلال تسميته لكتابيه تلك التسمية غير المألوفة ، ان كتاب «النظام» يدور حول شعر هذين الشاعرين ، وان ما ذُكر فيه لأبي العلاء من شروح تملأ صفحاته وبذلك كانت شواهدنا التي بنينا عليها البحث قريبة منا وفي متناول أيدينا •

وإذا افتقدنا في كتاب «النظام» ما يمكن أن نستعين به من شواهد فيما يتعلق بشعر البحتري فليس أمامنا إلا أن نحاول أن نستكشف العلاقة التي قامت بين أبي العلاء وبين البحتري التي كان من ثمرتها كتابه المسمى « عبث الوليد » في غير كتاب النظام •

وهناك من يقول ان القدماء لم يتناولوا بالشرح شعر أبي عبادة البحتري، سوى ما ذكر من جَمْع لشعره • وربما يكون أبو بكر الصولي أول من جمع شعر البحتري الذي كتب له مقدمة خرجت فيما بعد في كتاب اسمه « أخبار البحتري » على غرار كتاب « أخبار أبي تمام » حقق هذه الاخبار وعلّق عليها مشكوراً الدكتور صالح الاشتر •

يقول الدكتور صالح الأشتر في كتاب « أخبار البحتري » :

« ولا نغالي حين نقول إنّ هذا الكتاب الذي ننشره اليوم ـ على صغر حجمه ـ شرحاً لديوان البحتري ، أو شرحاً لكثير من جوانب شعره التي يصعب فهمها بدونه • وقيمة هذا الشرح ان ديوان البحتري لم يحظ خلال

القرون بما حظي به ديوان أبي تمام والمتنبي مثلاً من عناية كثير من الشرّاح. وننظر اليوم فلا نجد شرحاً يحل غامضه »[١٠٣] .

وإذا علمنا أن هذا الكتاب مع مقدمته يقع في حدود مئة واثنتين وتسعين صفحة ، احتلت أخباره أغلب صفحات الكتاب لتبين لنا مقدار الصفحات التي تناولت شعر البحتري بالشرح .

ويقول الدكتور الأشتر في مقدمته أيضاً :

« لم يصل إلينا كتاب « معاني شعر البحتري » الذي ألّفه الآمدي صاحب الموازنة . وكتاب « عبث الوليد » للمعري ليس شرحاً لديوان البحتري كما وهم ابن خلكان »[١٠٤] بل هو كتاب يتضمن أغلاط البحتري في ديوانه ، وحاجي خليفة يدلنا على شرح للديوان عمله عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله الجيزي الفرضي الشافعي المتوفى سنة ٧٤٦هـ »[١٠٥] .

يتضح لنا مما تقدم أن شعر البحتري لم يتعرض له أحد بالشرح الى عهد أبي العلاء ، اللّهم إلا ما ذكر للآمدي في كتابه « معاني شعر البحتري » المفقود . أما كتاب « عبث الوليد » فلم يتضمن سوى أغلاط البحتري في ديوانه . وبذلك نستنتج أن شعر هذا الشاعر الكبير لم يحظ باهتمام العلماء والأدباء والباحثين في تلك الفترة بقدر اهتمامهم بشعر الشاعرين الآخرين : أبو تمام وأبو عبادة .

ولا شك في أن ذلك يثير تساؤلا سوف يدخلنا في باب نقول فيه : ربما لأن شعر هذا الشاعر قريب من الافهام ، لا يوجد فيه تمحّك ولا تعمّل يدخل الى الآذان ويستجيب له الوجدان . وبسببٍ من سهولة معانيه وقرب

---

(١٠٣) أخبار البحتري للصولي : مقدمة المحقق : ٣٣

(١٠٤) وفيات الاعيان لابن خلكان : ٩٥/١

(١٠٥) كشف الظنون : ٧٧٩/١

ألفاظه لم تدر حوله مناقشات أو جدل ، إلا فيما ذكر من هذا الشعر حين أريد له أن يكون قبالة شعر أبي تمام لما في هذا من عويص النظم والمعنى ولما في ذاك من قرب المأتي ويسر المأخذ عندما جمعهما الآمدي في كتابه « الموازنة » .

وتتساءل مرّة أخرى ، فهل هذا الشعر مما لا يرضى عنه أبو العلاء ، ومما لا يرضي اهتماماته العقلية والذهنية حين لا يجد فيه ما يثير فكره ويحفّزه الى التأمّل ؟ ولكن من الثابت انه وجد فيه ما يمكن أن يحاسبه عليه لما فيه من أخطاء وأغلاط . ولذلك سمى كتابه « عبث الوليد » . والوليد هو اسم الشاعر أبي عبادة البحتري ، وقد يتبادر الى أذهاننا ان «الوليد» هو الصبي المولود حين يولد .

ولعلني لا أشتط حين أذهب الى أبعد من ذلك فأقول : ان الشعر الحق هو الذي يحدث ــ عند سماعه ــ هزّة في النفس يبعث فيها النشوة ويشيع في الروح والوجدان التطريب . وأقول في ذلك كما قال أبو تمام :

فكيف ولم يزل للشعر ماء   يرفّ عليه ريحان القلوب .

والشعر الصادق ذلك الذي يعبّر عن المشاعر والاحاسيس بعفوية يخفق لها القلب كما يخفق القلب حين يستقبل حركات الوليد التي تنمّ عن عفويّة آسرة بعيدة عن الافتعال والتصنع ، وهي على العموم حركات عابثة لا يحكمها ضابط ولا يسددها هدف .

وكذا شعر أبي عبادة يستقبله القلب ويستجيب له الوجدان وترفّ له النفس وتنفعل ،وكما تتأثر وتنفعل بحركات الوليد . ومن المعروف ان ما يصدر عن الوليد إن هو إلا عبث ، ولكنه عبث محبب . وهذا شعر أبي عبادة البحتري كما يراه أبو العلاء ، شعر تتأثر به النفس وتستجيب ، ويحدث فيها

هزّة من التطريب ، ولكنه يفتقر الى الضوابط التي يرى انها تنزل به الى حد العبث • فألّف كتابه الذي تضمن أغلاط الشاعر في ديوانه •

من هنا ، ربما ، جاءت تسمية أبي العلاء لكتابه الذي تناول فيه شعر البحتري « عبث الوليد » • الشعر الذي يعبث بقلوبنا كما يعبث الوليد بمشاعرنا •

وبعد :

فهذا ما ظننته ، وربما أسرفت في ظنوني وفي تعلاتي لكتب أبي العلاء الثلاثة ، وربما أكون مخطئاً فيما ذهبت إليه ، ولكنها على كل حال محاولات للتعليل ، ربما تكون صائبة وربما يجانبها الصواب •

* * *

أبو زكريا التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ هـ

هو يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي • من أئمّة اللغة والأدب ، رحل الى أبي العلاء من موطنه وأخذ عنه ، كما أخذ عن غيره من أئمّة زمانه • كان له اهتمام بشعر أبي تمام وشعر أبي الطيب ، فشرح شعر أبي تمام وشرح حماسته ، وشرح أيضاً شعر أبي الطيب ، وهو بذلك يشارك أستاذه المعري اهتمامه في شرح شعر الشاعرين •

ومن الحق أن نقول ان التبريزي على الرغم من اعتماده على ما قدمه أستاذه المعري من شرح شعر أبي تمام في كتابه « ذكرى حبيب » فقد قدّم لنا التبريزي شرحاً متكاملاً لشعر أبي تمام لم يسبقه إليه أحد منذ أن قام الصولي بشرح شعر أبي تمام • وشرح الصولي هذا مختصر لا يقاس بشرح

التبريزي الكبير الذي استفرغ فيه معظم شرح الصولي إن لم نقل كله ، كما استفرغ فيه معظم شروح الشرّاح الذين جاءوا بعد الصولي •

وإذا تكلمنا عن التبريزي وشرحه لديوان أبي تمام فذلك لان هذا الديوان مطبوع • أما شرحه لديوان أبي الطيب فأنه على ما يبدو مفقود •

ونعود الى شرحه شعر أبي تمام فنقول : يتميز شرح التبريزي عن بقية الشروح لتناوله جميع القصائد التي وردت في نسخ ديوان أبي تمام المعتمدة والجامعة لشعره جمعاً شاملاً • مثله في ذلك مثل الصولي في شرحه عموم شعر أبي تمام ، كما اتخذ التبريزي في شرحه الترتيب الذي اعتمده الصولي على الحروف ، إلا انه أضاف الى الديوان بعض القصائد التي لم يذكرها الصولي ، وقام بجمع القصائد المشكوك في صحة نسبتها الى أبي تمام وجعلها في آخر الديوان ، بعد أن أفرد لها باباً خاصاً ألحقه بالديوان • وبذلك يكفيه أن تكون له هاتان الفصيلتان : فضيلة جمع هذا الشعر : الاصيل منه والمنحول وفضيلة هذا الشرح الوافي لعموم الشعر بما لم يسبقه إليه أحد •

وقد اعتمد في ذلك ـ كما ذكرنا ـ على شرح أستاذه أبي العلاء في كتابه « ذكرى حبيب » ، وعلى شرح أبي حامد الخارزنجي لشعر أبي تمام • وعلى شرح أبي علي المرزوقي في كتابيه « المشكل من أبيات أبي تمام المفردة » و « الانتصار من ظلمة أبي تمام » ، وعلى ما أخذه عن الآمدي من «موازنته» ومن كتابه « معاني شعر أبي تمام » ، وإن لم يكثر منهما ، وعلى شرح أبي بكر الصولي الذي استفرغ معظمه كما ذكرنا •

لكن ما يتبادر الى ذهن الباحث ويقف عنده فيما يتعلق بهذا الشرح هو معرفة مقدار جهود التبريزي فيما قدمه لنا في كتابه هذا !

الحق ان هذه الجهود ـ ونحن نقدر للرجل حقه فيما بذله من جمع وضبط وتبويب وترتيب ـ جهود قيمة ، ولكن ـ على وجه العموم ـ تبقى قسم من هذه الجهود لأصحابها الذين نقل عنهم معظم شروحهم ـ من كتبهم ـ لشعر أبي تمام .

وإذا كان التبريزي قد اعتمد على ما قدمه أبو العلاء من شرح لهذا الشعر في كتابه « ذكرى حبيب » فتبقى للتبريزي فضيلة ملء الجوانب التي تحتاج الى إضاءة أو إيضاح أو شاهد يتطلبه شرح أبي العلاء ، وهي اضافات لا تشكل بأي حال من الاحوال إخلالاً بالمعنى أو السياق ، وانما تزيده وضوحاً وتبياناً . وقد تكفل التبريزي هذا العمل وأنجزه على أحسن وجه . فاذا وردت عبارة تحتاج الى توضيح أو تفسير قطع التبريزي كلام أبي العلاء وأدخلنا معه في نقلة لغوية أو صرفية لبيان أصل الكلمة واشتقاقها أو موقعها من الاعراب . وإذا وردت لفظة أراد أبو العلاء أن يقول عنها انها وردت في لغة العرب ، أو انه اكتفى بالاشارة الى سلامة موضعها ، تكفّل التبريزي تقديم الشاهد من شعر أو غيره ليعزز بذلك مقالة أبي العلاء ، ويقوم بذلك من تلقاء نفسه دونما حاجة الى تنبيه .

لكن التبريزي ـ وهذا ما لا يحمد له ـ لا يضع في كثير من مواضع الشرح الفواصل التي تفصل أو تميّز كلامه عن كلام أبي العلاء ، حتى ليبدو للقارىء ان ما يعرضه كأنه له ومن كلامه . وللحقيقة فان معظم ما ذكر على هذا الشكل عُرف فيما بعد عن طريق ابن المستوفي في كتابه هذا الذي بين يديك .وهنا تبرز أهمية هذا الكتاب «النظام» ، ودور ابن المستوفي في إعطاء كل ذي حقّ حقه .

وإذا كانت حالة التبريزي مع أستاذه أبي العلاء تأخذ هذا الوضع من التداخل والاختلاط ، وعدم الفصل بين كلامه وكلام أستاذه في كثير من

مواضع الشرح ، فقد تجاوز التبريزي حدود هذه الحالة الى أبعد من ذلك فيما يتعلق بشروح الشرّاح الآخرين من الذين استعان بهم من أمثال : الصولي والخارزنجي والمرزوقي ، فهو ينقل عنهم وكان قليل الاشارة اليهم ، وربما يغفل ذكرهم ، فيبدو الشرح وكأنه له •

وقام الاستاذ الدكتور محمد عبد عزام محقق ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي مشكوراً بتوضيح وبيان ما اختلط بين التبريزي وبين الشرّاح مستنداً بذلك على ما نوره به ابن المستوفي فاعطى ما للتبريزي وأعطى لغيره ما لهم من حقوق في شروحهم تلك التي ضيعها على بعضهم • وإذا كان فات بعض ذلك على الاستاذ الدكتور فقد تكفلت بتثبيت تلك التي فاتت عليه لأصحابها في هوامش الكتاب مستنداً بذلك على ما ذكره ابن المستوفي في كتابه هذا •

وتبقى لهذا الشرح أهميته الكبيرة ، ذلك لان صاحبه جمع فيه أقوال أغلب شرّاح شعر أبي تمام من الذين سبقوه ، وبذلك حفظ لنا ما ذكره في تلك الشروح بعد أن ضاع معظمها ، وأخص بذلك كتاب الخارزنجي و « ذكرى حبيب » لابي العلاء وكتاب « الانتصار » للمرزوقي وكتاب « معاني شعر أبي تمام » للآمدي ، وهذه كلها ضاعت مع ما ضاع من كتب التراث •

نعود ونقول مرّة أخرى ان أهمية كتاب التبريزي تجيء من اعتماد مؤلفه على أقوال الشرّاح الذين سبقوه فنقلها عنهم ، ثم عالج بجهوده الخاصة شرح الأبيات التي لم يتعرض لها أحد بالشرح ، فجاء شرحه شعر أبي تمام كاملاً ، وهذا ما دعا ابن المستوفي أن يهتم به ويعتمده ، ويستفرغ معظمه ولكن على الوجه الذي توخّى فيه الامانة والصدق فبيّن ما للتبريزي من جهود فذكرها له وبيّن ما لغيره من جهود ضيّعها التبريزي عليهم عندما لم ينسبها اليهم ، فذكرها ابن المستوفي لهم •

ولمعرفة الاسباب التي دعت التبريزي الى شرح شعر أبي تمام يمكننا أن نستعين بجزء من أقواله التي عرضها في مقدمة كتابه ، وبها أيضاً تتبيّن منهجه والجوانب التي تناولها في هذا الشعر .ومما قاله :

« فاني نظرت في شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي ، وفيما ذكر فيه من التفاسير ، فرأيت بعضهم يُنحي عليه ويُهجّن معانيه ويُزيّف استعاراته[١٠٦] ، وبعضهم يتعصب له ، ويقول : مَن جهل شيئاً عابه[١٠٧] . كما اعتسف طريقاً ضل فيه »[١٠٨] .

وقال أيضاً : « وانما حثّني على الاشتغال به وتمييز ما ذكره العلماء فيه من معنى أو إعراب واختلفوا فيه ... »

وقال أيضاً : « استعنت الله تعالى على شرحه وذكر الغريب والمعاني والاعراب فيه ، وترجيح بعض أقوال العلماء فيه على بعض ، لان منهم من أنصفه ، ومنهم من أنحى عليه ، وربما احتمل البيت معنيين ويكون أحد المعنيين أقوى من الآخر ، فلا يُميّز بينهما إلا من حسن فهمه ، وصفا ذهنه ، لان نقد الشعر أصعب من نظمه ، فأوضحت ذلك بإيراد ما لا محيد عنه للقارىء منه ، والناظر فيه بلفظ موجز ، قليله يدل على الكثير ، وقصيره يُغني عن التطويل ، فخير الشروح ما قل ودل ، ولم يَطُل فيُمل »[١٠٩]

وبعد . فقد التزم التبريزي بما وعد به في منهجه ، ولسنا هنا بصدد تقويم عمله من خلال ما أورده في كتابه والتزامه بما ذكره وألزم نفسه فيه ، فهذا

---

(١٠٦) يقصد الامدي
(١٠٧) يقصد الصولي
(١٠٨) مقدمة الخطيب التبريزي في كتابه شرح ديوان ابي تمام : ١/١
(١٠٩) مقدمة الخطيب التبريزي في كتابه شرح ديوان ابي تمام : ٢/١

عمل يمكن أن يتكفل فيه باحث إذا رغب في ذلك •ولكن علينا هنا أن نقدم للقارىء كتاب ابن المستوفي ، وان نقدم في مقدمتنا هذه ما يعين القارىء على تعريفه بشكل موجز على الكتب التي اعتمدها صاحب كتاب النظام في تأليف كتابه ، وكتاب التبريزي واحد من هذه الكتب •

أما فيما يتعلق بشرح التبريزي لشعر أبي الطيب : فمن المعروف أن للتبريزي شرحاً لشعر أبي الطيب قائماً بنفسه ، ولكن هذا الشرح ــ فيما يبدو ــ قد ضاع ، ولكننا نجد لابن المستوفي نقولاً منه في كتابه «النظام» ولكن لا نعرف مقدار ما نقله ابن المستوفي من هذا الكتاب ، ومقدار اعتماده عليه ، ولعل في نشر كتاب « معجز أحمد » لأبي العلاء والذي نقل منه ابن المستوفي أيضاً ما يبين مقدار ما استعان به التبريزي من هذا الكتاب في تأليف كتابه في شرح شعر أبي الطيب ــ على احتمال استعانته به من خلال نقول ابن المستوفي منه • ولعل ابن المستوفي أدرك طريقة التبريزي في الشرح من خلال معرفته بنهجه في شرح شعر أبي تمام ــ فقد كان يخلط بين شرحه وشرح أبي العلاء ــ فنتمنّى أن يكون ابن المستوفي قد انتبه الى ذلك وهو المعروف بدقتّه المعهودة فينقل ما للتبريزي من كلام له حول شعر أبي الطيب وينقل ما لأبي العلاء من شرح لشعر أبي الطيب من كتابه « معجز أحمد » و « اللامع العزيزي » مثلما فعل في شرح شعر أبي تمام • ولعل في مقابلة ما ورد في هذه الكتب ، أو هذه النقول ما يكشف ما لَبِسَتْ علينا معرفته من كلام للتبريزي ، ومن كلام لابي العلاء • فالمعروف عن التبريزي ــ وقد ذكرنا ذلك ــ انه يخلط كلامه بكلام أبي العلاء كما فعل في شرحه لشعر أبي تمام •

* * *

هو عثمان بن جني الموصلي ، أبو الفتح ، من أئمة الأدب ومن أعلمهم بالنحو والتصريف ، كان صديقاً لابي الطيب المتنبي ، وراوية شعره ، التقاه في حلب في بلاط سيف الدولة الحمداني . أتاح له هذا اللقاء أستاذه أبو علي الفارسي « وصحب المتنبي دهراً طويلاً ، وشرح شعره ، ونبّه الى معانيه وإعرابه ، وكان الشعر أقل خلاله ، لعظم قدره وارتفاع حاله »(١١٠)

إذاً فقد كانت ثمرة هذه العلاقة الحميمة التي قامت بينهما أن تناول شعره بالشرح في كتاب أسماه « الفَسْر » متوخياً « إيضاح عويصه واعرابه وإقامة الشواهد على غريبه »(١١١) . ذلك لان أبا الفتح لم ير « شاعراً كان في معناه ، ولا مجرياً الى مداه ، ولقد كان من الجد فيما يعانيه ، ولزوم طريقة أهل العلم فيما يقوله ويحكيه على أشَدّ وتيرة ، وأحسن سريرة ، وإن كان في بعض ألفاظه تعسّف عن القصد في صناعة الاعراب من ارتكاب شاذٍ وحملٍ على نادرة ، فعن غير جهل كان منه ولا قصور عن اختيار الوجه الاعرف له ، ومن هنا تشبّث قوم لا دربة لهم بالعربية بأشياء من ظاهر لفظه ، إذ لم تكن لهم خبرة بدخيلة أمره »(١١٢)

إذاً فقد تعرض أبو الطيب الى نقد مَن لا دربة له بالعربية من الذين يحكمون على ظاهر اللفظ دون الغوص الى معرفة ما بدخيلة الشاعر وما يرمي إليه من قصد أو مراد .

ولقد كان الشاعر يقيم ذلك عن قصد لم يجانب فيه الطريقة الصحيحة القائمة على سلامة اللغة وبناء الكلام على وفق القواعد المتبعة في العربية ، ذلك

(١١٠) يتيمة الدهر ، للثعالبي ، ١/٨٩
(١١١) الفسر مقدمة ابن جني : ١/٢٠
(١١٢) الفسر مقدمة ابن جني : ١/٢٠-٢١

لأنه شاعر يقصر غيره عن معناه ، ولم يجر أحد الى مداه ، فاذا خرج عن القصد في الاعراب ـ كما يتوهم البعض ـ فما ذلك إلا لانه يريد أن يُرى غيره تفننه ، وقدرته في تصريف العربية وحسن استعمالها وذكر غريبها ، وإيراد النادر منها .

وحين رأي أن أبا الطيب تعرّض الى عيب هؤلاء الجهال في زمن عقمت فيه الخواطر وصديت فيه الاذهان ، وبعد أن وجَدَ أن أبا الطيب يقف وحيداً بين هؤلاء البُهْم كالقارح الجواد ، إستعان بالله وبمشيئته على تفسير شعره منظوماً على الحروف المعجمة ، ذاكراً ما شجر بينه وبين أبي الطيب من المباحثة وقت قراءة ديوانه عليه ، « الى سوى ذلك مما أحضره من تلخيص وإيضاح وشاهد ونظير ، يكونان سبباً للافصاح ... وشرح جميع ما يلتبس من شعره »[113] .

ويقول بعد ذلك مبيّناً منهجه في شرح الشعر :

« وأقرّ كلاً بأذن الله في مقرّه ، ولا أدع مشكلاً من اعرابه إلا فسرته، ولا معدناً من دقيق معانيه إلا أثرته ، ليكون هذا الكتاب قائماً بنفسه ، ومقدّماً في جنسه ، وليُغني الناظر فيه إذا كان له أدنى طبع أن يقرأه على مَن فوقه ، وإن كان لاقراء الرجال معنى لا يواصل إليه من أكثر الكتب ، في أكثر الاحوال ! واسكب اعتراف ذكر أخباره المأثورة عنه في نظم ديوانه الذي في أيدي الناس لشهرته عندهم ، وأذكر غيره من أبياته التي لم تدوّن عنه ، ولأنّني مع ما ذكرت من استقصاء هذا الشرح أتجنّب الاطالة إلا مما تضمّن فائدة أو حشر شبهة »[114] .

---

(١١٣) الفسر ، مقدمة ابن جني : ٣٢/١

(١١٤) الفسر ، مقدمة ابن جني : ٣٣/١

ولمعرفة مقدار ما التزم به أبو الفتح من خلال المنهج الذي وضعه لنفسه في شرح هذا الشعر ، ومقدار ما حققه ، فلا بد أن يترك هذا الى بحث منفصل يتكفل تغطية هذه المسائل بما تستحق من الاهتمام •

غير أن شرح ابن جني هذا لم يسلم من النقود ، فقد ذكر صاحب كشف الظنون انه : « ••• اقتصر في كتابه على تفسير الالفاظ ، واشتغل بايراد الشواهد الكثيرة ، ومسائل النحو الغريبة ، حتى اشتمل كتابه على معظم نوادر أبي زيد وأبيات كتاب سيبويه ، وأكثر مسائله ••• وحشّاه بحكايات باردة لا يحتاج في تفسير هذا الديوان الى شيء منها »[١١٥]

ويبدو لي ان اشتغال أبي الفتح بايراد الشواهد الكثيرة إنما يريد بها الردّ على أولئك الذين يخطئون أبا الطيب ويعيبونه على استعماله لبعض الالفاظ استعمالاً يرون فيه خروجاً على القواعد المعمول بها في اللسان العربي ، أو انها لا تليق بموضعها ، وهو ــ أي ابن جني ــ وإن لم يشر الى أولئك الناقدين بالاسماء من الذين يتداولون النقد في مجالس الأدب ــ حينذاك ــ فقد جعل من كتابه هذا جواباً لنقودهم ، ولعل فيما نذكره يؤيد ذلك • ففي شرحه بيت أبي الطيب :

كالبحر يقذف للقريب جواهراً جُوداً ويبعث للبعيد سَحَائبا

يحاول بيان صواب استعمال لفظة « يقذف » فيقول :

« يقول قد غمر الناس بعطائه ، قريبهم وبعيدهم ، و « يقذف » كلمة فصيحة غير مستنكرة ، لان القرآن قد نطق بها ، قال تعالى : « بل نقذف بالحق على الباطل فَيَدْمَغُهُ »[١١٦] ، وليس بمن يعلق عليه بجفاء هذه اللفظة

(١١٥) كشف الظنون ، حاجي خليفة : ١/عمود ٨١٠.
(١١٦) الآية ١٨ من سورة الأنبياء

وغيرها مما يقصر عنه همته ، ولا يتعالى إليه طبعه ، قدر ما هو في الصورة من يلتفت إليه فيشاغل بالرد عليه ، والتهجين لقوله » •

أنظر الى أبي الفتح في رده ، وكأنه يعلن عن ضيقه وتبرمه بأولئك الذين لا يفقهون •

الحق ان كتاب الفسر هذا يثير تساؤلاً في أذهان الباحثين والناقدين من عشاق الأدب ، خصوصاً عند أولئك الذين شغلهم المتنبي بشعره ، فأثار في أذهانهم رغبة الدخول الى عالمه الحافل بمعانيه وأمثاله وحكمه وبراعة صياغته، وألوانه السحرية الزاهية ، وفنونه الجذابة من خلال شرح عالم جليل من أئمة الأدب واللغة عرف بعلاقته الحميمة بالشاعر وروايته لشعره ، والراوي يكون عادة لصيقاً بالذي يروي عنه ، يفهمه ويدرك أغراضه ومراميه ، ويعرف سر صناعته وخلجات نفسه ، فهل حقق لهم أبو الفتح ذلك ؟•

يبدو أن جانباً من ذلك لم يتحقق ، ذلك لان الشارح قصر عن أن يثير في أذهانهم الاحساس بأخيلة المتنبي وإدراك استعاراته وجمال تصرفه في المعاني من خلال ما توحيه الالفاظ من ظلال ودلالات •

ففي كثير من الاحوال لا يجد القارىء فيما يقدمه له أبو الفتح من شرح لروائع الابيات سوى كلام لا غناء فيه ، ولا يشفي ما يمكن أن يعتلج في النفس من مشاعر التأثير وهزّة التطريب التي تحدثها تلك الابيات • وهو يتطلع الى المزيد من التوضيح والبيان من لدن رجل مقتدر على معالجة شعر هذا الشاعر العظيم ، الذي يقول الشاعر نفسه عنه « ابن جني أعرف بشعري مني » •

ربما يكون أبو الفتح قد أدرك بفطرته انه لو تناول هذا البيت أو غيره من الابيات المأثورة بشرح أو بيان لم يزد عليها شيئاً نافعاً ، أو ربما أحسّ أن الكلام فيها مما يعكر من صفائها في نفس السامع ، فيحدث فيها كدراً يقلل

من الاحساس بحسنها وبهائهـــا ، فآثر الصمت ، وترك للقاريء العيش معها لحظات إحساسه بها ، متمثلاً بقول اسحق الموصلي : « ان من الاشياء أشياء تحيط بها المعرفة ولا تؤديها الصفة » • أقول : ربما •

ولكننا مع ذلك نشعر انه لا يصح أن يتجاهل تلك الجوانب المشـرقة أو الطرائف البالغة الروعة في بعض الأبيات دون كلام • وقد يصاب القاريء بالدهشة حين لا يجد ما يتوقعه عندما يقرأ بيت أبي الطيب الآتي :

أذاقني زمني بلوى شرِقتُ بها   لو ذاقها لبكى ما عاش وانتحبا

سوى شرح للفظة « النحيب والانتحاب » فيكتفي بأنها : « تردد البكـــاء في الضرر » ثم يستشهد ببيت يذكر لمرة بن محكان ، وليته لم يستشهد به، وهو :

وناقة لا يضيع الحي مبركها   لمّا نعـــوها لراعي درها نحبـــا

بل ليته سكت ولم يذكر شيئاً كما كان يفعل مع غيرها من الابيات التي يتركها دون شـــرح أو شـــاهد •

ان شرح أبي الفتح لشعر المتنبي لا يعـــدو عن أن يكون جملاً قصـــاراً تفتقر الى الطلاوة والرواء الذي يفترض ألا تخلو منه ، للأثر الذي يحـــدثه جمال هذا الشعر وروعته في نفس الشارح • وفي كثير من الاحيان يذهب الشارح عند ذكر البيت الى مناقشة لفظة وردت فيه فيتناول بناءهـــا الصرفي أو موقعها النحوي ، وربما يجيء بالشاهد الواحد ، وربما يتعدى الى شاهدين أو أكثر من الشـــعر أو النثر ليدلل على صحة استعمالها في كلام العـــرب ، وبذلك يبتعد عما يحتاجه المضمون من شرح وعن الفن وطرافته وعن الصياغة وما فيها من جمال وإبداع • كل ذلك لا نجده ، واذا وجدناه فأنه يضيع في خضم التخريجات اللغوية والصرفية وكثرة الشواهد •

ربما أكون قد تجنيت على هذا العالم الفذ ، حين طلبت منه مخاطبة قراء شعر أبي الطيب بلغة الاديب المعبر عن إبداع الشاعر بإبداع في الشرح. ولا نشك في أن الرجل خاطبنا بلغته ، وأحسن الخطاب ، انها لغة العالم اللغوي وكأني به يريد أن يدفع عن أبي الطيب إسراف القوم في تخطئته ، وينزع الى هذا الهدف .

وقد أصاب الواحدي بقوله : « فأما ابن جني فانه من الكبار في صناعة الاعراب والتصريف ، والمحسنين في كل واحد منهما بالتصنيف ، غير انه إذا تكلم في المعاني تبلّد حماره ولجّ به عثاره »[117] .

ويذهب ابن فورجة الى حد الاعتذار لأبي الفتح لما يصدر عنه ، وذلك عند قيامه بمقارنة بين أبي الفتح وبين القاضي الجرجاني الذي يرى « انه العليم بالشعر وبغوصه الى المعاني الدقيقة ، وكونه من النقد في الذروة العليا ». أما أبو الفتح فيقول عنه : « وإذا زلّ الشيخ أبو الفتح في معنى بيت عذرناه ، لكونه عن صناعة الشعر بمعزل » .

وتبقى لهذا الشرح أهميته البالغة :

أولاً : لانه خلّف وراءه بما يشبه الحركة النقدية اشتملت على عدة مؤلفات تناولت الشعر والشرح ، بين قادح ومادح ومنبّه . منها كتاب : « الردّ على خطأ ابن جني » لابي حيان التوحيدي المتوفى سنة ٤٠٠ هـ ، وكتاب « التنبيه على خطأ ابن جني » لعلي بن عيسى الربعي المتوفى سنة ٤٢٠ هـ ، و « قشر الفسر » لابي سهل محمد بن الحسن الزوزني ، و « التجني على ابن جني » و «الفتح على فتح أبي الفتح» وهما لابن فورّجه البروجردي ، و « تتبع أبيات المعاني التي تكلم

---

(١١٧) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي : مقدمة الشارح : ٤/١

عليها ابن جني » لعلم الهدى الشريف المرتضى ، و « الواضح في مشكلات المتنبي » لابي القاسم عبدالله بن عبدالرحمن الاصفهاني •
وهناك كتب أخرى : لابي جعفر القزاز ولابن الحاجب ، ذكر بعضها ياقوت ، وذكر بعضها الآخر غيره •

ثانياً : ولان جميع الشرّاح الذين تناولوا شعر أبي الطيب من الذين جاءوا بعد أبي الفتح كانوا عيالاً على شرحه ، فقد اتخذوا من كلامه المادة الاولى التي بنوا عليها شروحهم سواء أكان ذلك بذكر نصوصه أم بتضمينه في شروحهم •

* * *

كذلك قام لابي الفتح نقد لشعر أبي تمام ، فقد نقل ابن المستوفي جزءاً من صور يسيرة من هذا النقد في كتابه «النظام» •

فقد تعرض أبو الفتح لشرح المشكل من شعر أبي تمام ، وما أشكل اعرابه ، وله بذلك كتاب « التنبيه في شرح المشكل من أبيات الحماسة » وكتاب « المبهج في شرح أسماء رجال الحماسة » ، وقد نقل عنهما ابن المستوفي شيئاً من شرح أبي الفتح وتعليقاته ونقده وإعرابه لما أشكل لبعض ما ورد فيهما من الشعر • كذلك نقل شيئاً من نقده على شروح الذين سبقوه من شرّاح شعر أبي تمام • كذلك قام له نقد خالص قائم على تذوق الشعر والبصر بمواقع الكلم وبما تدل عليه ، تجلّت فيه قدرته على تذوّق الشعر مما يدفعنا الى أن نتمنى لو انه أكثر من تناوله لما أشكل من شعر أبي الطيب على وفق هذا النهج •

فمن أمثلة ما ذكره ابن المستوفي من نقد لابن جني على ما أشكل من شعر أبي تمام قوله :

غريبة تؤنس الآداب وحشتَها فما تحلُّ على قوم فترتحل

قال ابن المستوفي :

وبعد أن كتبت ما أثبته في معنى البيت وقع إليّ جزء لطيف اختار فيه كاتبه مواضع من كتاب أبي الفتح عثمان بن جني في أبيات الحماسة ، وقد أفضى به القول الى أن قال : « وقد جاء بذلك المحدثون ، قال الطائي :

غريبة تؤنس الآداب وحشتها فما تحلّ على قوم فترتحل

فكان قياسه النصب ، وأحد وجهي النصب في قولك : ما تأتينا فتحدّثنا ، أي ما تأتينا مُحدّثاً ، معناه : إنك قد تأتينا ولكن لا تحدثنا . فتقديره لو نصب : فما تحلّ مرتحلة ، أي معتقدةً للارتحال ، منصوبة عليه ، مقدرة له ، كقولك : مررت برجل معه صقر صائداً به غدا ، أي مقدّراً صيده . وعليه قول الطائي الصغير :

يروم كاتبه مني مصالحة ولم يكن بيننا شرٌّ فنصطلح

أي لم يكن بيننا شر نعتقد معه الصلح . وهذا أحسنُ حالاً من بيت أبي تمام ، لان هذا ينفي الشرّ والصلح معاً . فهو مثل : ما تأتينا فتحدّثنا ، وبيت أبي تمام لا ينفي فيه الحلول والارتحال جميعاً كما نفى الطائي الصغير . ألا ترى انه قد أثبت الحلول ولكنه نفى الارتحال ، فهذا يوجب النصب على قولك : ما تأتينا فتحدثنا إذا أثبت الاتيان ونفيت الحديث . فبيت أبي تمام صعب المأخذ بعيد من التأوّل ، وأمثل ما يحتال في أمره : ان يكون قد نفى عنها الارتحال والحلول جميعاً ، فكأنه قال : فما تحلّ على قوم وما ترتحل . والطريق الى ذلك انها آنسة بكل قوم تحل بهم ، مقيمة قيامها في أهلها فيهم ،

فكأنها ليست مرتحلة ، ولا حالّة بل مقيمة في رَبْعِها ، غير منصرفة عن أهلها ». (١١٨)

ومن أمثلة دفاعه عن أبي تمام نقده شرح الصولي الذي سبقه الى شرح هذا البيت :

وأقرعُ بالعُتبى حُميّا عتابِها وقد تستقيد الراح حين تُشَعْشَعُ

قال الصولي :

« يقول : واقرع عتابها بعتبها ، أي بإعطائها ما تريد . واقرع : أمزج وأعلو الخمر بالماء ، وقد تستقيد الراح ، أي تأخذ بثأرها فتسكر وان كانت ممزوجة . وتشعشع : تمزج وهي مشعشعة . وحمياها : شدّتها . يقول: وإن فعلت هذا فان عتابها يبلغ مني ويغلبني ، وان مزجت ويعلو حبها كما ان الخمر إذا مزجها شاربها فهي ممزوجة تستقيد منه فتسكره .

قال ابن جني رحمه الله :

« تستقيد ، هنا بمعنى تنقاد . وليس معناه كما ظنّ الصولي ، ولا له هنا معنى ، قال الأعشى :

ففي ذاك ما يستقيد الفتى وأيّ امرىء لا يلاقي الشرورا

معناه : ينقاد ويضرع ، وليس معناه انه يأخذ بقوده ، ألا ترى أن فيه أيضاً:

فان الحوادث ضعضعتني وان الذي تعلمين استُعيرا

وهناك أيضاً أبيات غير هذه تشهد بصحة ما ذكرناه . يقول : « إذا أعطيتها العُتْبَى لانَ حدّها . كما ان الراح إذا مزجت هدأت سورتها » (١١٩)

---

(١١٨) انظر شرح الصولي لديوان ابي تمام ، ٢/١٩١ ، وانظر هذا الشرح في موضعه من هذا الكتاب .

(١١٩) انظر شرح الصولي لديوا ابي تمام : ٢/٧ وانظر هذا الشرح في موضعه في القصيدة من هذا الكتاب .

ومن أمثلة نقده الفني لشعر أبي تمام القائم على التذوّق والاحساس بجمال الصياغة ومواقع الكلم وانتقاء الالفاظ ، قوله في شرح بيت أبي تمام:

أيقنت ان من السماح شجاعةً تدمي وان من الشجاعة جودا

قال أبو الفتح :

« ما أحسن ما ساند أبو تمام ألفاظ بيته وأقام وزنه بقوله « تدمى » وهي حشو البيت ، إلا انها في غاية الظرف • وهذه طريقة الحذّاق بهذه الصناعة ، وقلّ من يعرفها • فأمّا مدعيها فكثير ، ولذلك جهل قدر المبرز النحرير في أكثر الاوقات وغالب الامور »[١٢٠]

فهو يرى أن أبا تمام ، وهو الحاذق بهذه الصناعة التي لا يعرف أسرارها إلا القلّة ، قد ضيّعها عليه من لا يعرف قدره وقدرها من الادعياء •

وهذا الكلام لا يصدر إلا عن رجل امتلك رهافة الحس في تذوق الشعر الرفيع ما يمكنه من النظر بدقة وعمق الى جمال الصياغة وأسرار الصناعة والاحساس بفن مواقع الكلم وما لها من أداء وتأثير •

وليته أكثر من ذلك في تعامله مع شعر أبي الطيب •

وبعد : فان نقده لشعر أبي تمام وان لم يكن كثيراً ، ولكن على قلته فان لذلك دلالة تشير الى اهتمامه بهذا الشعر وانه درسه وتمعن فيه وتعرف على ما فيه من معانٍ قام حولها الخلاف بسبب اختلاف روايتها ، أو لعدم فهمهم وإدراكهم لما فيها من حذق •وكما قال « وقلّ من يعرفها » •

* * *

---

(١٢٠) انظر هذا الكلام في موضعه في القصيدة من هذا الكتاب .

ابن فورجه : كان موجوداً سنة ٤٥٥ هـ

هو أبو علي محمد بن حمد بن محمد بن عبدالله بن محمود بن فورّجة البروجردي . التقى أبا العلاء المعري عند زيارته لبغداد ، وتتلمذ له وقرأ عليه ديوان أبي الطيب . وقد ربطت بينهما علاقة حميمة ، بُنيت على اعجاب أحدهما بالآخر . ولعل الابيات التي دارت بينهما بعد أن ترك المعري بغداد ورجع الى معرة النعمان ، تبين مدى ما يكنه أبو العلاء لتلميذه من تقدير واعجاب ، كما تكشف عن أواصر تلك العلاقة التي قامت بينهما . فقد ذكروا ان ابن فورّجة كتب الى أبي العلاء قصيدة مطلعها :

ألا قامت تجاذبني عناني ... وتسألني بعرصتها مقيلا

فأجابه أبو العلاء بقصيدة مطلعها :

كفى بشحوب أوجهنا دليلا ... على ازماعنا عنك الرحيلا

ومنها :

كلفنا بالعراق ونحن شرخ ... فلم نلمم به إلا كهولا
وشارفنا فراق أبي علي ... فكان أعزّ داهية نزولا
وردنا ماء دجلة خير ماء ... وزرنا أشرف الشجر النخيلا
ولو لم ألق غيرك في اغترابي ... لكان لقاؤك الحظ الجميلا(١٢١)

وأظن انه يكفي للتدليل على منزلة هذا الرجل العلمية ، أن أبا العلاء على جلالة قدره وعلو منزلته قد خصّه بهذه القصيدة ، وإذا كان ابن فورّجة على منزلته العالية غير معروف إلا من خلال كتبه وهي قليلة ، فان اهتمام المعري واحتفاءه به ــ الاحتفاء الذي كشفت عنه هذه الابيات ــ يعد تعريفاً بيّنة بقيمته ومنزلته .

---

(١٢١) شرح التنوير على سقط الزند : ١١/٢

وإذا كانت القصيدة التي كتبها أبو العلاء الى ابن فورّجه تعد من غرر الشعر أسلوباً ومشاعر ، فما زال البيت :

وردنا ماء دجلة خير ماء وزرنا أشرف الشجر النخيلا

يردده أبناء العراق لالتصاقه بأذهانهم وألسنتهم لما فيه من عذوبة ورقّة وطلاوة ، وهو بلا شك لم يرد على هذه الصورة من الرواء إلا لان الشاعر كانت مشاعره وصلت الى حد التوهج حين تذكر ذلك الذي التقاه في بغداد وذكّره بمائها وشجرها . وبذلك تتبين لنا مدى العلاقة الحميمة التي ربطته بينهما ، وهي علاقة اعجاب وتقدير ومحبّة . فاذا كانت من جانب ابن فورجة تدلل على مدى تقديره لأستاذه ، فهي من جانب أبي العلاء شهادة تزكية على علو مكانة هذا الرجل وسمو منزلته وتقديره لفضله وعلمه .

هذا العلم والفضل الذي تقودنا إليه كتبه القليلة ، لما احتوت من آراء ونقود قيمة ، عندما تناول بالشرح شعر أبي الطيب في كتابيه : « التجني على ابن جني » و « الفتح على فتح أبي الفتح » .

وقد كان من الممكن أن تتعرف على المزيد من آرائه النقدية ، كما يمكن أن تكون واضحة كل الوضوح لو أن المقدمة النقدية التي استهل بها كتابه « الفتح على أبي الفتح » كاملة . ولكن مما يؤسف له سقوط قسم من الاوراق التي تضم هذه المقدمة التي تناولت « مفاتيح الغموض والابهام في بعض الشعر العربي » . فقد جعل ابن فورّجه ذلك أنواعاً ثلاثة . وقسّم الاول منها: ثلاثة أقسام ، والثاني : أربعة أقسام . أما النوع الثالث : فلا أقسام له . وهذه محاولة نقدية قيمة حصر المؤلف فيها مصادر الغموض والابهام الذي يجده المرء في الشعر العربي . ومن المؤسف أن تسقط من المقدمة بضع ورقات ، سقط معها القسمان الثاني والثالث من النوع الاول ، كما سقط النوع الثاني وثلاثة من أقسامه ، ولم يبق منه إلا القسم الرابع ، وبقي أيضاً النوع الثالث

الذي لا أقسام له . وقد مثّل المؤلف لكل قسم ولكل نوع بأمثلة من الشعر العربي ، وبما يماثله من شعر أبي الطيب المتنبي »[١٢٢]

وإذا كان معظم ما ورد في كتابي ابن فورّجة عبارة عن ردود على ابن جني ، إلا انهما لا يخلوان من ردود على القاضي الجرجاني وعلى الحاتمي وعلى الصاحب بن عباد ، على ما ورد في كتبهم من نقود تناولت شعر أبي الطيب .

كذلك قام ابن فورّجه بتفسير بعض الابيات التي تركها أبو الفتح بدون شرح وتفسير ، وهي تحتاج الى ذلك لما فيها من غموض وإبهام .

وان ما يتميز به شرحه — والكلام للدكتور محسن غياض — « انه ينظر للقصيدة كوحدة متماسكة ، ويربط في تفسير المعنى بين البيت وما بعده وما قبله ، وقد أتاح له هذا ، الكشف عن معانٍ لم يتوصل اليها ابن جني ولا أدركها »[١٢٣] .

لكن ردود ابن فورّجه في كتابيه على ابي الفتح لم تسلم من النقد ، فقد ذكر أبو المرشد سليمان المعري في مقدمة كتابه « مختصر تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب » : « ولم يخلص تصنيف الاستاذ أبي علي ابن فورّجة رحمه الله فيما نقحه على الشيخ أبي الفتح ابن جني من ألفاظ غير مفيدة ، ومقاصد في الردّ عليه ليست بالرشيدة »[١٢٤] .

وقال الواحدي في مقدمة كتابه « ديوان أبي الطيب » : « أما ابن فورجة فانه كسر مجلدتين لطيفتين على شرح معاني هذا الديوان ، سمى إحداهما

---

(١٢٢) أنظر « الفتح على فتح أبي الفتح » لابن فورجه . تحقيق الدكتور محسن غياض . مستل من مجلة المورد المجلد الثاني سنة ١٩٧٣م

(١٢٣) المصدر السابق .

(١٢٤) « مختصر تفسير أبيات المعاني من شعر ابي الطيب » مقدمة المؤلف: ١٦

« التجني على ابن جني » والأخرى : « الفتح على أبي الفتح » أفاد بالكثير منها غائصاً على الدرر وفائزاً بالغرر ، ثم لم يخلُ من ضعف البنية البشرية ، والسهو الذي قلما يخلو منه أحد من البرية ، ولقد تصفحت كتابيه،واعلمت على مواضع الزلل »[125]

لكن قيمة كتابي ابن فورّجة تتضح من اهتمام الشرّاح الذين جاءوا بعده ، فقد أكثر الواحدي وسليمان المعري ، وكتاب ابن عدلان المنسوب على وجه الخطأ الى العكبري من النقل عنهما والاستشهاد بأقواله التي وردت فيهما ، حتى كاد ــ بعضهم ــ يغفل ذكر اسمه •

وبعد : فاننا أمام عالم جليل وأديب متمكن من التعبير عن أفكاره وما يجول في ذهنه في أدق المواقف والمعاني ، وان ما يميزه عن غيره انه كان واضح العبارة تجري أفكاره بسهولة ويسر ، حتى يكاد القارىء حين يقرأ له كأنه يستمع إليه ويتابعه متابعته الى متحدث لبق • وبلغة مفهومة ، لغة الاديب المتمكن العارف كيف يكسب السامع ويشدّه إليه • وهي لغة عالية وجميلة على الرغم مما فيها من المحاجّة ومن معالجتها لقضايا فكرية ولغوية دقيقة • وهذه القدرة على التعبير ــ كما تبدو للمتابع ــ ترفدها ذاكرة قوية تختزن العلم الغزير والمعرفة الواسعة ، وتسعفه ــ فطنة ذكية ــ على الربط بسرعة بين ما يذكره وبين ما اختزنه في ذهنه من معارف ، فيذكرها في مواقعها التي تقتضيها ، وهو حين يذكرها يتوخى الدقّة في الربط وقرب القرينة وتطابق المعنى ، ولا يترك القارىء دون أن يبصّره بمواطن القرب وبواطن الاتفاق •

لنستمع له في مناقشة البيت :

وللترك للاحسان خير لمحسن   إذا جعل الاحسان غير ربيب

(١٢٥) « ديوان أبي الطيب بشرح الواحدي » مقدمة المؤلف : ٤/١

قال : « وفي الاوراق المنسوبة الى الصاحب تهزؤ بهذا البيت مستظرف ، قال : ومن تعقيده الذي لا يشقّ غباره ولا تدرك آثاره قوله : « وللترك للاحسان ... البيت » ، وما أشك أن هذا البيت أرفع عند امته من قول حبيب :

وقلت للحادثات استبطني نفقاً فقد أنالك إحسان بن حسّان

فما أدري : أمن قوله : تعقيده الذي لا يشقّ غباره أتعجب أم من تشبيهه هذا البيت ببيت أبي تمام ، وكلا الامرين عجيب . أمّا زعمه انه قد عقّد ، فوجه التعقيد ما لا نعلمه ، فانه لم يقدّم لفظة ولا أخّر أخرى عن موضعها ، ولا غرّب في المعنى ولا في اللفظ ، وإنما قال : ترك الاحسان خير لمحسن إذا لم يرب إحسانه . ألا ترانا حين فككنا النظم وجعلناه نثراً أتينا بمثل لفظه سواء ، من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم ولا تأخير . فليت شعري ، أين التعقيد ؟ وأمّا قوله : ما أشك أن هذا البيت أوقع عند حملة عرشه من بيت حبيب . فلا أعلم ما التجاوز بينهما والتشارك ، ولعله رأى اشتراكهما في لفظة «الاحسان» تشابهاً . وحبيب يقول : قل للحادثات جدي في الهرب واتخذي نفقاً في الارض ، فقد أظلك إحسان هذا الممدوح ، وهو يعفى على آثارك . فليت شعري ، ما هذا المعنى من المعنى الاول ، والسلامة من هذا القول أسلم لكل لبيب . وهذا البيت مثل قوله أيضاً :

أبداً تستردّ ما تهب الدنيا (م) فيا ليت جودها كان بخلا
وكفَتْ كون فرحة تورث الهم(م) وخلّ يغادر الوجد خِلاّ

وقوله :

أشدّ الغم عندي في سرور تيقّن عنه صاحبه انتقالا[126]

---

(١٢٦) انظر كتاب « الفتح على فتح أبي الفتح » تحقيق الدكتور محسن غياض، مستل من مجلة المورد العدد الثاني المجلد الثاني ص٨٣

كما تجد له نقداً فنياً رائعاً يدلّ على فحص دقيق لشعر أبي الطيب ، ربما لم يسبقه إليه أحد ، وذلك حين ينظر الى أبيات هذا الشعر ويخرج بما يشبه اليقين الى أن أبا الطيب « لا يواطىء في شعره » • أنظر إليه حين يناقش هذا من خلال بيت أبي الطيب :

وللخـــود مني ســاعة ثم بيننا   فلاة الى غير اللقاء تجــاب

« قال الشيخ أبو الفتح في تفسير هذا البيت ، يقول : إنما اجتمــع مع المرأة ســاعة وباقي دهري للفلاة والمهامة ، وترك شرح ما الناس إليه أحوج• وفي هذا البيت خبء غامض نحب الدلالة عليه لئلا يتوهم سواه متوهم فيزل »

قوله «تجاب» ليس من الجواب ، وكيف يكون منه وقد مضى في هــذه القصيدة « وأدعو بما أشكوه حين يجاب » ، فكيف يوطىء ، وهو يتجنب في شــعره تكرير اللفظة الواحدة في حشو البيت ، فضلاً عن القافية ، فلا تكاد تجد له لفظةمكررة في بيتين من قصيدة واحدة إلا القليل النزر ، بل لا يتجنب مثل ذلك الطائيان ومن له تمرّس بالشعر تمرّسه • فدواوين جميع الفحولــة مملوءة من التكرير ما خلا هذا الديوان الواحد ، فان التكرير عنده مستشنع وفي دينه مسترذل • وقوله « الى غير اللقاء » : لا يريد الحرب ، وانما يريــد الى غير لقاء الخود ، يريد ثم بيننا فلاة تقطع الى غير لقائها على العادة المتعالمة في قول الشعراء : لا وصــل إلا أن تقربنا اليها الابل وإلا أن تقطــع اليهــا الفلوات • وهذا كثير ، فأما أن ظنّ ظانّ انه يريد لقاء الحروب ، كان ذلــك خطأ ، وذلك ان مثله من الشجعان لا يدعي اني أجوب الفلوات الى غير اللقاء ولغير الحــرب ، بل لم يجر للحــرب ها هنا ذكر ، ولم يقتضها كــلام فتأمّله يصح لك قوله •(١٢٧)

---

(١٢٧) المصدر السابق ص٨٥

وبعد : فان هذا العالم الناقد والكلام للدكتور محسن غياض :

« قوي الحجة والعارضة متقن للجدل المنطقي ، ولا يكتفي بالرد وتفنيد ما يعترض عليه ، وإنما يفترض وجود من يحاجج عن الرأي المردود ، ويدافع عنه ، يفترض له وجوهاً من الاقوال والادلة ، ويسارع الى الرد عليها وتفنيدها مقتدراً متمكناً »(١٢٨)

لقد شارك ابن فورّجة أستاذه المعري في إعجابه الشديد وحبّه لشعر أبي الطيب ، فدرسه دراسة واعية مستأنية ، ومتفهمة له ، بما وهبه الله وتوافر له من حسّ نقدي وقدرة على البحث والاستقصاء .

* * *

الواحدي المتوفى سنة ٤٦٨هـ

هو أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري ، من أبرز أئمة اللغة والنحو والادب وعلوم القرآن ، وصاحب المصنفات القيمة العديدة التي توزعت على العلوم التي أتقنها وبرز فيها .

شرح الواحدي شعر أبي الطيب المتنبي شرحاً كاملاً ، ويجيء شرحه بعد شرح أبي الفتح ابن جني ، فكلاهما شرح شعر أبي الطيب شرحاً كاملاً ، كما اعتمد الواحدي إعتماداً كبيراً على شرح ابن جني .

ومن الحق أن نقول أن الواحدي قد أعطى في شرحه جانب المعنى حقه ، فلم يترك بيتاً يحتاج الى الشرح دون أن يتناول معناه بعبارة واضحة

---

(١٢٨) المصدر السابق ص١١٠

وأسلوب يتسم باللطافة . وقد تحقق له ذلك بعد أن وضع أمامه ما قام به ابن جني من جهود سواء فيما يتعلق بشرح المعنى أم بالشواهد التي كان ينقلها الى كتابه أو يضيف إليها شواهد أخرى ، وكان غالباً ما يعتمد عبارة أبي الفتح، معلقاً عليها أو مكتفياً بذكرها . كذلك استعان بما ذكره ابن فورّجة في كتابيه، وبما أخذه عن أستاذه أبي الفضل العروضي .

إنّ الواحدي يأخذ على أبي الفتح في تفسير شعر أبي الطيب ، إغراقه بالشواهد التي لا حاجة تدعو إليها ، وبالمسائل الدقيقة التي يمكن الاستغناء عنها . لنستمع إليه ، وهو يحاول تحديد المآخذ ليرسم ــ فيما بعد ــ لنفسه منهجاً يتخذه ويتناول من خلاله شرح هذا الشعر ، يقول :

« ولقد استهدف في كتاب الفسر غرضاً للمطاعن ونهزة للغامز والطاعن، إذ حشّاه بالشواهد الكثيرة التي لا حاجة له إليها في ذلك الكتاب ، والمسائل الدقيقة المستغنى عنها في صنعة الاعراب ، ومن حقّ المصنف أن يكون كلامه مقصوراً على المقصود بكتابه ، وما يتعلق به من أسبابه ، غير عادل الى ما لا يحتاج إليه ويعرّج عليه ، ثم إذا انتهى به الكلام الى بيان المعاني عاد طويل كلامه قصيراً ، وأتى بالمحال هُراءً وتقصيراً »(١٢٩)

فاذا انتهى من تحديد المآخذ التي وقع فيها ابن جني ، أخذ ينحي باللائمة على ابن فورّجة فيما ذكره في كتابيه ، وإن كان لومه عليه أخف ، فقال :

« وأما ابن فورّجة فانه كتب مجلدين لطيفين في شرح معاني هذا الديوان سمى أحدهما « التجني على ابن جني » والآخر « الفتح على أبي الفتح » ، أفاد بالكثير منهما غائصاً على الدرر ، وفائزاً بالغرر ، ثم لم يخلُ

---

(١٢٩) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي : مقدمة الشارح : ١/٤

من ضعف البنية البشرية والسهو الذي قلّ أن يخلو عنه أحد من البرية . ولقد تصفحت كتابيه وأعملت على مواضع الزلل »[١٣٠]

ولا بد أن تكون هذه المآخذ التي اعتورت كتاب ابن جني وكتابي ابن فورّجة دعته – وهي أسباب وجيهة – وسوغت له أن يتصدى بالشرح لهذا الشعر الذي وجد شغف الناس به شديداً ما يدعوه الى تناوله بما ينبغي لتقريبه الى أذهان الناس ، فيقول في ذلك :

« ومع شغف الناس وإجماع أكثر أهل البلدان تعلّم هذا الديوان ، لم يقع له شرح شاف يفتح الغلق ويُسيغ الشَرَق ، ولا بيانٌ عن معانيه ،كاشف الاستار حتى يوضحها للاسماع والابصار ، فتصديت بما رزقني الله تعالى من العلم ويسّره لي من الفهم لافادة مَن قصد تعلّم هذا الديوان،وأراد الوقوف على مودَعه من المعاني »[١٣١]

ثم أخذ يشرح بعد ذلك في السطور التالية ما سبق أن ذكره من منهجه العلمي – كما يقول – بتصنيف هذا الديوان الذي يخرج متأمله الى نور اليقين عن ظلم التخمين ، بكلام ينفذ الى القصد ويبتعد عن التهويش، فيقول:

« بتصنيف كتاب يسلم من التطويل ، وذكر ما يستغنى عنه من الكثير بالقليل ، مشتمل على البيان والايضاح ، مبتسم عن الغرر والاوضاح ، يخرج مَن تأمله عن ظلم التخمين الى نور اليقين ، ويقف به على المغزى المقصود ، والمرمى المطلوب ، حتى يغنيه عن هوسات المتأدبين ووساوس المبطلين ، وانتحال المتشيعين ، وكذب المدعين الذين تفضحهم شواهد الاختبار عند التحقيق والاعتبار »[١٣٢]

---

(١٣٠) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي . مقدمة الشارح : ٤/١
(١٣١) المصدر السابق : ٤/١
(١٣٢) » » : ٤/١

والحق ان الواحدي قد إلتزم ـ الى حد ما ـ بما ألزم نفسه بالخطة التي رسمها لنفسه في شرح هذا الشعر • وقد تحقق له ذلك ، ولكن بمساعدة من سبقه من الذين تناولوا هذا الشعر ، وعلى رأسهم أبو الفتح وابن فورّجة والعروضي وغيرهم من الذين ذكرهم في كتابه ، فاستوى له شرح جدير بالاهتمام والتقدير •

وهو ـ بعد ذلك ـ لا يبخس قدر نفسه ، فيبيّن خبرته ـ فيما عمله ـ وقدرته ومناقبه ، فيقول انه عمل فيه عمل الخبير ساعياً الى التجديد ، فكشف أستاره وانشرح له ما استبهم على غيره من معانيه وأفكاره ، فتكلم فيه غير متلجلج ولا مبطن من فطنة ودهاء صاحبه • ثم لا ينفك يخص نفسه بالمديح والاطراء ، فيذكر ان أحداً لم يسبقه الى هذا ، وان ما فات على غيره لم يفت عليه ، ناثراً مثل هذه العبارات في تضاعيف كتابه • وقد ذكر بعضاً من هذا في مقدمة كتابه فقال :

« وقدماً سعيت في علم هذا الشعر سَعْي المجد سالكاً للتجدد ، وسبقت فيه غيري سبق الجواد إذا استولى على الامد ، حتى سهلت خرونه وسمحت حنونه ، وذلتْ لي أبكاره وعونه ، وزال العمى فانهتك لي غطاء حقائقه ، وانشرح ما استبهم على غيري من دقائقه ، فنطقت به مبيناً عن إصابة ، ولم أجمجم القول مورياً في إرابة »[١٣٣]

ويمكن أن نقول بعد الذي تقدم أن شرح الواحدي لشعر أبي الطيب من الشروح المعتمدة :

أولاً : لانه شرح متكامل تناول عموم الشعر

ثانياً : لامتلاك الرجل الحس النقدي الذي ساعده على تفهم النص والشعور بما يحتويه من خلال إحساسه بما يتضمنه من حسن الصياغة وجمال الاداء ، ولطف المعاني •

---

(١٣٣) ديوان أبي الطيب بشرح الواحدي : ١/٤

ولذلك فانه الى جانب ما أعطى ـ عند معالجة المسائل اللغوية والنحوية ـ حقها من الاعتبار ، وقد تناولها باقتدار ، وحين يتطلب الحال الى ذكرها ، وتدعو الحاجة الى تناولها فتكون في موضعها ، بعيداً عن الحشو والتطويل ، فكشف هذا الجانب عن قدرة الرجل ومعرفته في اللغة والنحو • فانه في الجانب الآخر ، جانب الكشف عن المعاني : قدم لنا شرحاً وافياً يشبع تطلع الباحث الى ما يريد التعرف عليه بعبارة واضحة وأسلوب جميل يصل الى الصياغة الادبية •

وإذا وجدنا في كتب غيره أكثر مما نجده في كتابه فما ذاك بقصور منه ، فقد كان من أوائل من بحث في شعر أبي الطيب فتناول ديوانه بالشرح ، وقد أوفى وزاد عمن سبقه • وإذا وجدنا عند غيره ممن تناولوا مشكلات أبي الطيب من الذين جاءوا بعده ما يزيد عليه شرحاً وتوضيحاً ونقداً وتفنيداً لما قاله أو ذكره ، فما كان لهم ذلك إلا بعد أن اعتمدوا في كثير من الاحوال على عبارته وشرحه ، حتى ان بعضهم نقل شرحه لبعض الابيات الى كتابه وضيعه عليه حين لم ينسبه إليه ، كما كان يفعل صاحب كتاب «التبيان» المنسوب خطأ الى العكبري • ومنهم من يتناول عبارته ليعقب عليها بالاضافة أو النقد، ولا شك في أن من يتأمل عبارة أحد يجد فيها ما يمكن أن يضيف أو يعلق عليها ، فاذا كان لهم فضل الاضافة فان للواحدي فضل الابتداء •

ذكرنا أن عبارته تتسم بالوضوح ، وتصل أحياناً الى الصياغة الادبية ، وله فوق ذلك وقفات على أبيات أبي الطيب ينتقد فيها شرح الشرّاح الذين سبقوه • ويرى أن معاني أبي الطيب خفيت « على أكثر من روى شعره من أكابر الفضلاء والأئمة والعلماء ، حتى الفحول منهم والنجباء ، كالقاضي أبي الحسن علي بن عبدالعزيز الجرجاني صاحب كتاب «الوساطة» وأبي الفتح عثمان بن جني النحوي وأبي العلاء المعري وابن فورّجة البروجردي رحمهم الله تعالى،

وهؤلاء من فحول العلماء • وتكلموا في معاني شعره مما اخترعه وانفرد بالاغراب فيه وأبدعه ، وأصابوا في كثير من ذلك ، وخفي عليهم بعضه ، فلم يبن لهم غرضه المقصود ، لبعد مرماه ، وامتداد مداه »(١٣٤)

ومن الخير لنا هنا أن تتبين جهود هذا الرجل من خلال معالجته لبيت من أبيات أبي الطيب في كتابه هذا ، مثلاً لما تقول : قال أبو الطيب :

ذكرت به وصلاً كأن لم أفز به   وعيشاً كأني كنت أقطعه وثبا

ولا أريد هنا أن أذكر أقوال الشرّاح الذين تناولوا هذا البيت ، فسيجد القارىء كل ذلك في موضعه من هذا الكتاب ، ولكني أريد أن أنبّه الى ما ذكره الواحدي لأدلل بذلك على صورة من صور معالجته شعر أبي الطيب •

« يقول : ذكرت بهذا الربع وصلاً قصرتْ أيامه حتى كأنه لم يكن لسرعة انقضائه ، وعيشاً وشيك الانقطاع كأني قطعته بالوثوب • وهو أسرع من المشي والعدْو •

قال القاضي أبو الحسن : وهذا المصراع من قول الهذلي :

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها   فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

قال : فجعل المتنبي السعي وثباً ، وليس الامر على ما ذكر ، فان معنى بيت الهذلي بعيد عن معنى بيت المتنبي • يقول : عجبت كيف سعى الدهر بيننا بالافساد ، فلما انقضى ما بيننا من الوصل سكن عن الاصلاح ، ولم يسعَ فيه سعيه في الافساد • هذا ما تفسر به بيت الهذلي ، وأي تقارب لهذا المعنى من معنى بيت أبي الطيب فظنّ القاضي أن معنى بيت الهذلي : عجبت لسرعة مُضي الدهر أيام الوصال فلما انقضى الوصال طال الدهر حتى سكن• فليس يسرّ وإن صحّ هذا المعنى كان له أدنى اشتباه ببيت المتنبي •

---

(١٣٤) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي : مقدمة الشارح ، ١/٣

قال ابن جني :

يريد قصر أوقات السرور . قال : ومن أطرف ما سمعت قول الوليد بن يزيد :

لا أسأل الله تغييراً لما صَنَعَتْ ... نامت وقد أسهرتْ عينيّ عيناها
فالليل أطولُ شيءٍ حين أفقدها ... والليلُ أقصرُ شيء حين ألقاها

والشعراء أبداً يذكرون قصر أوقات السرور ، وأيّام اللهو وسرعة زوالها وانقضائها ، كما قال البحتري :

لا تذكروا عهد التصابي فإنه ... تَقَضَّى ولم نشعر به ذلك العَصْرُ

وقال الآخر :

ظللنا عند دار أبي نُعيْم ... بيوم مثل سالفةِ الذُبابِ

شبّهه في القصر بعنق الذباب .

وآخر يقول :

ويوم كابهام القَطَاةِ مزيَّنٍ ... إليّ صباهُ غالبٍ لي باطِلُه

والشيء إذا انقضى صار كأنْ لم يكن ، وهذا معنى قول أبي الطيب « كأني لم أفز به » ألا ترى الى قول متمم :

فلمّا تفرّقنا كأنّي ومالِكا ... لطول اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً مَعَا

هذه هي طريقته في الشرح ، وهذا ما دعا ابن المستوفي أن يعتمد كتابه فيقتطف منه ما يراه مناسباً ليضعه في شرحه أو ليعلق عليه .

* * *

هو أبو البقاء عبدالله بن الحسين العُكبَري الاصل ، البغدادي المولد والدار . عالم بالأدب واللغة والفرائض والحساب ، وله في ذلك مصنفات جليلة . وعُكبرا : بُليدة على نهر دجلة ، فوق بغداد بعشرة فراسخ . ولد سنة ثمان وثلاثين وخمس مئة . والمعروف عنه انه أضرّ بالجدري وهو صغير، فكانت زوجته تقرأ له . وقالوا عنه : انه قد حاز قصب السبق في العربية ، وصار فيها أحد الرؤساء المتقدمين ، فقصده الناس من الاقطار ، فكان في آخر عمره من أعلم الناس بفنون العربية .

ومَن يقرأ مؤلفاته التي ذكرتها كتب السير يجد أن أغلبها تميل نحو علوم القرآن وإعرابه وإعراب الحديث ، ثم الى مسائل الأدب والشعر . ومن هنا تغلب اهتمامه فيما يتعلق بشعر أبي الطيب بمعالجة المسائل النحوية .

ومن أهم كتبه في مسائل الادب والشعر كتابه المسمى « التبيان في شرح الديوان » ديوان أبي الطيب المتنبي . وهو شرح كامل لهذا الشعر . وهذا الكتاب مطبوع ، وقد طبع بالهند أول مرّة سنة ١٢٦١ هـ . ثم طبع مرّة أخرى بتحقيق مجموعة من الاساتذة الفضلاء في مصر ، وهم : مصطفى السقّا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي .

وهي الطبعة التي اعتمدتها لاستعين بها في توثيق وتحقيق ما ينقله ابن المستوفي الى كتابه من كلام لابي البقاء عن نسخة كانت لديه أثناء تأليف كتابه « النظام » .

ولقد فوجئت منذ قراءتي لأول كلام لابي البقاء العكبري ذكره له ابن المستوفي في كتابه « النظام » ، ذلك لان ما بين يدي من شرح للعكبري (الكتاب

المطبوع) يختلف عما ذكره ابن المستوفي من كلام للعكبري ، فقد ذكر ابن المستوفي في شرح البيت :

إن كان قد ملك القلوب فانه ملك الزمان بأرضه وسمائه

قال : وقال أبو البقاء :

« وفي المعنى ثلاثة أوجه : أحدهما : ان هذا الحبيب ، وهو سيف الدولة لم تقتصر على محبّته القلوب له باعطائه وإحسانه ، بل أضاف الى ذلك ملك الزمان بسيفه وبسطة كفّه ، وكنّى بالارض والسماء عن الاستغراق والاستيعاب . والثاني : انه أضاف الى رضاء القلوب بالعطاء إرضاء أهل الزمان بحسن التدبير ، ووضع الاشياء مواضعها . والثالث : انه أرضى الخلق والخالق حتى أرضى أهل السماء » .

وعدت الى الكتاب المطبوع المنسوب الى العكبري فوجدت فيه ما يأتي:
« الغريب : ذكر « السماء » مبالغة ، وإن كان يريد ملكه بعلوّه وسفله، وطابق في ذكر الارض والسماء . والمعنى : يقول : هو المحبوب ، وهو الملك ، يُحَبّ لجلالة قدره ، فان كان مالك القلوب بحبه ، فانه مالك الزمان يصرّفه على مراده ، وإذا ملك الزمان بأسره ، فغير عجيب أن يملك القلوب».
ولعلك لاحظت الفرق بين الشرحين على الاقل من ناحية اللفظ .

ثم عرجت على بيت آخر في القصيدة توخيت فيه شرحاً لأبي البقاء ينقله له ابن المستوفي ، فأخذت البيت :

أأحبه وأحِبّ فيه ملامةً ؟ إن الملامة فيه من أعدائه .

قال أبو البقاء :

« من أعدائه في موضع رفع ، وفيه وجهان . أحدهما : تقديره ، واقعة على أعدائه ، أي لا تصدر إلا عن عدوّ محبوبه ، فكيف أطيع عدوّه ،

والثاني : تقديره : من جملة أعدائه ، وجعل الملام عدوّاً على المجاز والسعة، كما جعله شـاكياً حرّ القلب في أول الابيات • والمعنى : لا أجمع بين محبته ومحبّة اللوّام ، ولم يقصر في هذا المعنى عن قول أبي الشيص :

أجد الملامة في هواك لذيذة ... حبـاً لذكـرك فليلمني اللوّم

ثم رجعت الى الكتاب المطبوع المنسوب الى أبي البقاء العكبري فوجدت فيه الشرح الآتي :

« الاعراب : هذا استفهام إنكار ، وجمع بين همزتين ، وهي لغة فصيحة• وقد قرأ أهل الكوفة وابن ذكوان بتحقيق الهمزتين في كل القرآن إذا كانتا من كلمة • ووافقهم هشـام إذا كانتا من كلمتين ، كقوله : « جاء أمرنا »

المعنى : يقول : لا أجمع بين حبّه وبين النهي عنه ، يريد النهي عن حبه• وقد ناقض قول أبي الشيص • وأين الثرى من الثريّا في قوله :

أجد الملامـة في هواك لذيذةً ... حُبّاً لذكرك فلْيَلُمني اللوَّم

ولا شك في أنك لاحظت الفرق والاختلاف في الغرض من الاستشهاد بين الشرحين : ففي الشرح الاول في كتاب ابن المستوفي تناول إعراب عبـارة « من أعدائه » • ولم يذكر الكتاب المطبوع شيئاً منها ، إنما أخذ يؤكد على وجود الهمزتين وتسويغ جمعهما • وهناك أيضاً فرق الغرض من الاستشـهاد ببيت أبي الشيص • ففي كتاب ابن المستوفي : انه لم يقصر في هـذا المعنى عن قول أبي الشيص » ، وفي الكتاب المطبوع يقول : « وقد ناقض قول أبي الشيص ، وأين الثرى من الثريا » •

ولم تكن هذه الوقفات وحدها هي التي زادت الشك في اختلاف ما ينقله ابن المستوفي عن أبي البقاء عما هو مذكور من شـرح لأبي البقاء في كتابـه المطبوع ، إنما تناول الاختلاف في شروح الشعر جميعه •

فرجعت الى خطبة كتاب ابن المستوفي ، لأتحقّق من تسمية «أبي البقاء»، وماذا يعني بها ، وهل يعني بذلك غير أبي البقاء العكبري • وعندما راجعت ما يذكره في الخطبة التي تتناول طريق روايــة ديوان شعر المتنبي وجـدت تعريفاً بأبي البقاء • وذلك عندما يقول في معرض : من وقع إليه من كتبهم « ••• وكتاب أبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري » وذلك في مســتهل تناوله لشــعر المتنبي على قافية الألف في الجزء الذي ذكر فيه للمصادر التي اعتمدها في شرح هذا الشــعر •

وإذاً فأن هذا الرجل هو نفسه الذي ينسب إليه الكتاب المطبوع •

وبقدر ما كانت شكوكي تزداد في هذا الجانب كانت همومي تزداد أيضاً، لعدم وضوح الطريق للكشف عن هذه المشكلة •

وبعد فترة التقيت الزميل والصــديق الباحث الاستاذ خليل اســماعيل العاني ، وذكــرت له جانباً من همومي فيما يتعلق بهــذه المسألة ، فأفادني مشكوراً حين قدم لي وريقات أملاهــا عليه أستاذنا الجليل الدكتور مصطفى جواد رحمه الله تتعلــق بنسبة الكتاب المطبوع والمنســوب الى أبي البقــاء العكبري ، لعلهــا تكشف الغموض الذي اكتنف هذا الكتاب ، أنقلها هنــا بنصهــا :

« شرح ديوان المتنبي ــ المنسوب الى أبي البقاء العكبري ــ وقد طبــع بالهنــد أول مرّة سنة ١٢٦١هـ • وينبغي أن نعلم أن أبا البقاء كان ضــريراً منذ الصّبا ، وقد أضرّ بالجدري ، ولإضراره ترجمه الصــلاح الصفدي في كتابه « نكت الهميان في نكت العميان » • وقد ترجم في كتب أخرى ، منها : الكامل لابن الاثير ، وذيل تأريخ بغداد لجمال‌الدين ابن الدبيثي ، ووفيــات الاعيان لابن خلكان ، ومرآة الزمان لسبط بن الجوزي ، وإنباه الــرواة في أنباء النحاة للقفطي ، وذيل طبقات الحنابلــة لابن رجب البغدادي ، وبغيــة

الوعاة للسيوطي ، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العمادي الحنبلي، والوافي للصفدي المذكور آنفاً .

والظاهر أن ترجمته سقطت من معجم الادباء كجملة من التراجم الأخرى.

وقد جاء في مقدمة الشرح : أن مؤلفه قرأه قراءة فهم وضبط على الشيخ مكي بن ريان الماكسيني بالموصل سنة ٥٩٩ هـ ، وتوفي الشيخ مكي بالموصل سنة ٦٠٣ هـ ، وانه قرأه على الشيخ عبدالمنعم بن صالح التيمي الاسكندري بالاسكندرية ، وقد توفى هذا الشيخ فيها سنة ٦٣٣ هـ .

ويذكر في أثناء الشرح : انه انحدر من الموصل فمرّ بسامراء ... وذكر انه نقل بخطّه فوائد من أمالي ابن الشجري البغدادي ، وانه سأله ذات مرة شيخه نصرالله بن الاثير الوزير ، وانه رأى من أهل الرُهيمة بالكوفة جماعة ، وأن الملك الكامل محمد بن عبدالملك العادل الأيوبي ملك مصر والشام سأله مرّة عن نكتة في ديوان المتنبي ، وذكر أيضاً أن هذا الملك اتسع ملكه حتى فتح آمِد من مدن الجزيرة ، وكان فتح « آمد » سنة ٦٢٩ــ٦٣٠ هـ

فلنسأل أنفسنا على حسب الدراسة الداخلية ، هل تنطبق هذه الامور على أحوال عالم ضرير منذ الصبا ؟ لم يغادر بغداد لدراسة ولا لشيء آخر، وإن غادرها الى قرية من القرى فلم يسافر الى الموصل ولا الى الاسكندرية ، وكانت ولادته ببغداد سنة ٥٣٨ هـ وبها توفي سنة ٦١٦ هـ كما ذكرنا .

فالدراسة الداخلية تنفي نفياً باتاً أن يكون الكتاب من تأليف أبي البقاء العكبري . ونبحث عن شارحي ديوان المتنبي فلا نجد فيهم من تنطبق عليه فحوى هذا الشرح واستطراداته ، ونعمد الى كتب التراجم فنجد من المتقنين لمعرفة ديوان المتنبي وروايته شرف الدين عبدالله الاربلي من مدينة أربيل . وهو سميّ العكبري ، وقد انتهت حياته في منتصف القرن السابع الهجري ، إلا أنه لا تنطبق عليه جميع مواد الدراسة الداخلية المذكورة .

وخلاصة ذلك أن شرح الديوان يستحيل أن يكون للعكبري المذكور •

أدلة النفي :

الأول : ان العكبري ولـد سنة ٥٣٨ هـ وتوفي سـنة ٦١٦ هـ ، مع أن الشارح يقول في أول الشرح : « فانّي لما أتقنت الديوان الذي انتشر ذكره في سـائر البلدان ، وقرأته قراءة ضبط على الشيخ الامام أبي الحرم مكـي بن ريان الماكسيني بالموصل سنة ٥٩٩ هـ ، وقراءته بالديار المصرية على الشيخ أبي محمد عبدالمنعم بن صالح التميمي النحوي ••• »

فالماكسيني قد توفي سنة ٦٠٣ هـ ، أي قبل العكبري بـ «١٣» سنة ، فهو إن لم يكن أكبر من العكبري فهو معاصر له حقّ المعاصرة ، وعبدالمنعـم بن صالح التميمي ولد سنة ٥٤٧ ، وتوفي سنة ٦٣٣ ، فليس من المعقول أن يكون شـيخاً للعكبري •

الثاني : ذكر الشارح الرهيمـة « قال : موضع بقرب الكوفـة ، وقال بعضهم : الرُهيمة قرية عند الكوفة وهو الصحيح ، لأني رأيت جماعةبالكوفة ينسبون إليها ، ولكنها خربت بعد الاربعمائة ••• »

والعكبري لا ذهب الى الموصل ليدرس على الماكسـيني ولا كان يرى بعينه ، لان الرجل كان ضريراً •

الثالث : قال الشارح : « قال الشريف هبة الله بن علي بن الشجري العلوي فى الأمالي له « ونقلته بخطي » • مستحيل أن ينقـل العكبري وقـد أضرّ منذ الصبـا •

وقال الشارح في موضع آخر من الشرح : « قال الشريف هبة الله بن الشجري في أماليه : وكتبته بخطي » •

الرابع : قال الشارح : « وأهل العراق يسمون كل ما كان غير مشـبع السواد ، زيتيّاً » وهذا يدل على انه من غير أهل بغداد الى حدود تكريت •

الخامس : جاء في شرح قول المتنبي :

وإن يكن المهدي بان هديه فهذا وإلاّ فالهدى ذا فما المهدي

« وذهب قوم الى أن المهدي معين وهو : محمد بن الحسن العسكري بأنه اختفى وهو صغير في سرداب دار أبيه في سر من رأى . والدار الآن مشهد يزار ، وقد زرته في انحداري من الموصل الى بغداد ، وهم الامامية» . وهذا يدل على الشارح من أهل الموصل .

السادس : قال الشارح : سألني الملك الكامل أبو المعالي محمد بن أبي بكر أيوب ، ملك الديار المصرية والشام والحرمين عن هذا البيت في قوله : « وطريقها عذرا .. » فقلت له : يريد أنها صعبة لم تسلك .

والعكبري لم يلاقِ الملك الكامل قط ولا ذهب الى بلد من مملكته .

السابع : قال الشارح في تعليقه على قول المتنبي :

يُدَبِّر الملك من مصر الى عدن الى العراق فارض الروم فالنُوبِ

« والذي ذكره أبو الطيب لم يملكه ولا تأمر فيه سوى الملك الكامل أبي المعالي محمد بن أبي بكر أيوب . فانه ملك اليمن كله وملك مصر وأعمالها والشام وأعمالها ، وخطب له بالموصل ، وكان أمره فيها ويدبرها ، وملك آمد ، وهي أول أعمال الروم » .

والتأريخ يذكر لنا أن امتلاك الملك الكامل لمدينة آمد كان بين سنة ٦٢٩ وسنة ٦٣٠ هـ ، أي بعد وفاة العكبري بـ «١٣» سنة .

الثامن : قال في كلامه على «كلاّ» : « وقد استوفينا هذا بأبسط منه بكتابنا الموسوم بـ « نزهة العين في اختلاف المذهبين » . وقال في موضع آخر في الكلام على شيء آخر : « وقد بيّنّاه في كتابنا الموسوم بـ « الروضة المزهرة »

وليس للعكبري أي كتاب يسمى بأحد هذين الاسمين •

قال الشارح في شرحه قول المتنبي :

العارض الهتن ابن العارض الهتن ابن العارض الهتن ابن العارض الهتن

قال : «فسمعت شيخي أبا الفتح نصر بن محمد الوزير الجزري•••الخ»

وهذا أبو الفتح هو نصرالله ابن الأثير مؤلف المثل السائر في الادب ، ولد سنة ٥٨٨ أي بعد مولد العكبري بأكثر من عشرين سنة وتوفي سنة ٦٣٧ ، فمن المحال أن يكون شيخاً للعكبري •

دليل النسبة :

قال الشارح في شرحه قول المتنبي :

تتقاصر الافهام عن إدراكه مثل الذي الافلاك فيه والدنا

« الاعراب : قال أبو الحسن عفيف الدين بن عدلان : الرواية الصحيحة مثلُ» بالرفع ، ويكون على تقدير : هو مثل »

فالشارح هو عفيفالدين علي بن عدلان ، فمن هو ؟

قال صلاحالدين خليل بن أيبك الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات :

« علي بن عدلان بن حماد بن علي ، الامام العلامة عفيفالدين أبو الحسن الربعي الموصلي النحوي المترجم • ولد سنة ٥٣٨ هـ وتوفي سنة ٦٦٦ هـ • سمع ببغداد ، وأخذ عن أبي البقاء وغيره ، وسمع من ابن الاخضر وابن مُنينا ، ويحيى بن ياقوت وعلي بن محمد الموصلي وبِزغِش عتيق بن حمدي وجماعة ، منهم الظاهري والابيوردي (المحدث) والدمياطي والشريف عزالدين والداواداري • وأقرأ العربية زماناً وتصدر بجامع الملك الصالح بالقاهرة • وكان علامة في الأدب ، من أذكياء بني آدم • انفرد بالبراعة في حل المترجم والالغاز ، وله في ذلك تصانيف ، منها : عُقلة المجتاز في حل الالغاز، وتصنيفه في المترجم ألّفه للملك الاشرف موسى بن الملك العادل ••• »

* * *

بعد الذي ذكرناه يمكننا أن نقول : ان للعكبري كتاباً شَرَحَ فيه شعر أبي الطيب ، وان المبارك بن أحمد نقل عنه بعض ما ورد فيه ، وان الكتاب المطبوع الذي بين أيدينا والمنسوب الى العكبري ليس للعكبري بدليل ان ما ورد فيه لا يطابق ما ذكره ابن المستوفي : المبارك بن أحمد من كلام للعكبري ــ أولاً ــ وثانياً : للشواهد والأدلة التي ساقها أستاذنا الدكتور مصطفى جواد رحمه الله على انه لشارح آخر قال عنه انه : عفيف الدين علي بن عدلان.

ومهما يكن ، وبعد الذي ظهر لنا فان ذلك لا يضعف من أهمية هذا الكتاب «المطبوع» ذلك لاننا أمام كتاب جليل بما احتواه ، قيّم بما قدمه ، ولا أدلّ على ذلك من احتفاء مجموعة من الفضلاء به فقاموا بتحقيقه ونشره ــ نشر كتاب ابن عدلان ــ .

كما تبقى لكتاب العكبري أهميته . وتتكشف هذه الاهمية عندما جعله المبارك بن أحمد واحداً من الكتب التي اعتمدها في تأليف كتابه «النظام» ، لما فيه من مادة علمية قيمة وأفكار وآراء جديرة بأن تذكر . ولعل أحداً من الباحثين يتصدى لجمع أقوال العكبري التي وردت في كتاب «النظام»،لتكون عوضاً مختصراً عن الكتاب الاصل الذي يبدو انه مفقود . ذلك لان من عادة المبارك بن أحمد انه لا ينقل كلام الشرّاح بكامله من كتبهم التي اعتمدها ، بل يقتطف منها ما يراه مناسباً فينقله الى شرحه ، وفي حالات قليلة يكتفي بذكر معني كلامهم .

وبعد :

فاذا كان للعكبري فضل في متن هذا الكتاب ، فان لابن عدلان فضلاً في حواشيه . ذلك لاننا نقلنا عنه ما وجدناه مناسباً .

* * *

ذكرنا ان المبارك بن أحمد كان قد وضع أمامنا ، أو قل وضعنا أمام جمهور من العلماء الاجلاء ـ ممن تناولوا شعر أبي تمام وأبي الطيب في كتابه هذا . وإذا قدمنا للقارىء ـ في بحثنا هذا ـ تعريفاً بقسم من الذين شاركوا في تكوين هذا الكتاب ، فما ذلك إلا لانه اتخذ من كتبهم عمادا لعمله في تأليف كتابه ، عندما استفرغ معظم ما ورد فيها من شروح وأقوال فيه .

أما بقية الشرّاح ممن كانت استعانته بهم أقل من أولئك ، من الذين اتخذ مما ورد في كتبهم تفاويق نثرها في كتابه ، فلم نتناولهم بالتعريف مثلما تناولنا أصحابهم لمحدودية دورهم في كتاب ابن المستوفي ، ولكي لا يطول البحث الذي نمهّد به لهذا الكتاب فنتجاوز حدود الاهتمام بنصوصه ، نذكر منهم

أبا اليمن الكندي والشريف المرتضى وأبا محمد طاهر بن الحسين المخزومي وعبدالواحد بن زكريا ، وأبا بكر العروضي وأبا الحسن زيد بن رفاعة وأبا عامر الفضل بن اسماعيل التميمي الجرجاني وعلي بن عيسى الربعي والقاضي الجرجاني والآمدي وأبا الحزم مكي بن ريان الماكسيني وأبا الفضل القاسم بن الحسين الخوارزمي والمطرّز وأبا القاسم الفضل بن محمد بن علي القصباني .

بقي علينا أن نتعرّف الى هذا الرجل الذي قدم لنا هذا الكتاب الحافل بمعارف هؤلاء الاعلام في اللغة والأدب والشعر ـ في حدود تناولهم لشعر أبي تمام وأبي الطيب ـ والذين يمثلون قمة الفكر والحضارة خلال خمسة قرون ، فضلاً عما قدمه من جهود . فمن هو ؟

* * *

هو المبارك بن أحمد بن أبي البركات المبارك ابن موهوب بن غنيمة بن علي الصاحب شرف الدين أبو البركات الإربلي ، المعروف بـ « ابن المستوفي »[١٣٥] . وهو عند الزركلي « المبارك بن أحمد المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي المعروف بابن المستوفي »[١٣٦] . وهو عند بروكلمان : « شرف الدين المبارك بن أحمد المعروف بابن المستوفي »[١٣٧] . وفي تأريخ الموصل : « أبو البركات شرف الدين المعروف بابن المستوفي الإربلي »[١٣٨]

وقد سمى نفسه في غير موضع من كتابه « تأريخ اربل » : « المبارك بن أحمد » أو « المبارك بن أحمد بن المبارك » وقد فعل مثل هذا في كتابه «النظام» . وذكر اسم والده « أبو الفتح أحمد » ، وعمه « علي بن المبارك بن موهوب »[١٣٩] . وعند النظر الى كتاب « تاريخ الموصل » نجد ان اسمه ورد على الغلاف على النحو الآتي : « شرف الدين أبو البركات المبارك بن أحمد اللخمي الاربلي المعروف بابن المستوفي »

ولد سنة ٥٦٤ هـ في اربل ، وينتمي نسباً الى بيت كبير ، كانت منه طائفة من الرؤساء والأدباء[١٤٠] . فقد تولى أبوه وعمه وظيفة كبيرة لسرقتكين الزيني حاكم اربل ، وذكر أن والده بنى قبّة في أحد جوامع اربل ليقيم بها الواردون عليها .[١٤١]

---

(١٣٥) بغية الوعاة للسيوطي : ٣٨٤
(١٣٦) الاعلام للزركلي : ٢٦٩/٥
(١٣٧) تأريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان : ١٧٦/٥
(١٣٨) تأريخ الموصل للمطران سليمان صائغ : ١٠٨/٢
(١٣٩) تأريخ اربل تحقيق سامي بن السيد خماس الصفار : ٢٠/١
(١٤٠) تأريخ الموصل : ١٠٨/٢
(١٤١) المصدر السابق .

أخذ العلم عن مشاهير عصره . فقرأ القرآن على محمد بن يوسف البحراني ، ومكي بن ريان ، وسمع من ابن طبرزد ، وحنبل بن عبدالله[142] . وقد ذكرهما في كتابه هذا ، وكان ينقل كثيراً عن مكي بن ريان .

وكان إماماً في الحديث أتقن معرفة الحديث وعلومه وأسماء رجاله[143] .

ماهراً في فنون الأدب من النحو واللغة والعروض والقوافي وعلم البيان وأشعار العرب ، وأخبارها وأمثالها .[144]

وكان بارعاً في علم الديوان وحساباته وضبط قوانينه[145] على الاوضاع المعتبرة عندهم آنذاك ، فتولى الاستيفاء . وللاستيفاء يومئذٍ منزلة رفيعة في مناصب الدولة .[146] حتى صار رئيساً جليل القدر .

ثم تولى الوزارة واستمر فيها حتى توفي مظفرالدين وصارت اربل الى الخليفة المستنصر ، فلازم ابن المستوفي داره .[147] ولا نعلم بعد ذلك لماذا ترك ابن المستوفي وظيفته بعد أن صارت اربل الى الخليفة العباسي المستنصر . فمن المعروف أن اربل والموصل وحلب كانت بيد الاتابكيين . ولعل رجوع اربل الى يد الخليفة أثر في علاقته بالسلطة فلزم داره . وقد عرف عنه تواضعه الجم .[148]

ثم ترك اربل وانتقل الى الموصل بعد حملة التتر على اربل ، وأقام فيها حتى توفي سنة ٦٣٧هـ .

---

(١٤٢) بغية الوعاة : ٣٨٤ .
(١٤٣) تأريخ الموصل : ١٠٨/٢
(١٤٤) بغية الوعاة : ٣٨٤
(١٤٥) المصدر السابق
(١٤٦) تأريخ الموصل : ١٠٨/٢
(١٤٧) المصدر السابق
(١٤٨) بغية الوعاة : ٣٨٤

ثقافته ومصادرها :

ذكرنا انه كان إماماً في الحديث وماهراً بفنون الادب وبارعاً في علوم الاستيفاء ، وهذا يدل على ان الرجل صاحب شخصية ورعة ، متذوقة للادب ومتحمسة لفنونه ، الى جانب ذلك صاحب ذهنية علمية تهتم بالحساب وبقوانينه .

لقد تكونت هذه الشخصية الفذة ذات الصفات الثلاث من خلال تحصيله العلمي العالي في مجتمع عرف بحبه للمعرفة والاهتمام بالعلوم والفنون والثقافة .

فقد انتشرت المعرفة وعمت الثقافة ربوع البلاد التي كانت في حكم الاتابكيين وكان أهمها يومئذ اربل وسنجار وحلب . وكان في اربل مجموعة من المدارس الشهيرة منها مدرسة القلعة التي أسسها الزيني نائب الموصل والمدرسة المظفرية باسم مظفرالدين كوكبوري الذي استوزر المبارك بن أحمد (ابن المستوفي) ومدرسة الربض.(١٤٩)

وفي حلب أقام نورالدين الاتابكي المدارس وعمرها ، وأشهرها المدرسة الرواحية ، وكانت حلب يومئذ تكتظ بالعلماء المشتغلين بالتدريس . وكانت علاقة المعرفة تربط بين هؤلاء العلماء كما كانت قائمة بين مدارس هذه الحواضر ، حلب واربل وسنجار . وكانت الموصل تشكل أهم حاضرة من حواضر المعرفة ، فقد كانت مقصد العلماء الذين يمرون بها للاشتغال بالتدريس ، غير الذين استوطنوها . ومن العلماء الذين قصدوها ودرسوا في مدارسها : أبو بكر سعدون القرطبي والشيخ أبو الفضل بن أحمد الخطيب الطوسي المشهور بمعرفته في التأريخ والرواية . والحافظ سراج الدين الجياني ، ومن المقيمين فيها الشيرجي الذي كان يدرس في الاتابكية القديمة،

---

(١٤٩) تاريخ الموصل : ٢/٩٢

وكان مشتهراً بالحديث والفقه والأدب • ومن علماء ذلك العصر من اشتهر بالتصانيف التي نالت الاحترام والتقدير : ابن الدهان البغدادي صاحب كتاب الفصول في القوافي ، وأثيرالدين الابهري وابن هبل البغدادي الطبيب الماهر والشاعر البليغ • ومن تآليفه كتاب المختار وكتاب الطب الجمالي ، وأبو المجد عمادالدين بن باطيس والكمال بن الشعار الذي كان معاصراً لابن المستوفي الاربلي •

ومن المعاصرين لابن المستوفي في هذه المدة من علماء إربل : أبو حامد عمادالدين الذي اشتهر ببحوثه اللغوية ، منها : كتاب « المحيط في الجمع بين المهذب والوسيط » ، وأخوه أبو الفتح موسى كمالالدين الذي كانت له دراية واسعة بالمنطق والحكمة والطبيعي والالهي (الفلسفة النظرية والطبيعية) والحساب والجبر والمقابلة والمساحة والمخروطات ، وكان متضلعاً في علوم اللغة والتفسير والحديث والتواريخ ، وأبو الفضل شرفالدين أحمد ابن كمالالدين ، وهو من المشتغلين بالتصنيف فشرح كتاب التنبيه في الفقه واختصر إحياء علوم الدين للغزالي ، وأبو يحيى حسامالدين المعروف بالحاجري الشاعر ، وأبو العباس أحمد صلاحالدين القحطاني كان مشتهراً بعلوم الفقه وكان شاعراً مجيداً • وكان يطلق على هؤلاء العلماء بـ « البيت الاربلي » ، وكان منهم صاحب الترجمة المبارك بن أحمد « ابن المستوفي » •

ومن أشهر الذين عاصرهم ابن المستوفي أبناء الأثير : وهم : مجدالدين أبو السعادات المعروف بمؤلفاته في الأصول والفقه وتفسير القرآن والنحو ، وأخوه : عزالدين أبو الحسن علي التاريخي الشهير صاحب كتاب الكامل في التأريخ ، والثالث : ضياءالدين أبو الفتح نصرالله صاحب كتاب «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» وغيره من الكتب •

وإذا كنا حصرنا البحث في هذه الاقاليم فذلك لاننا لا نريد أن تتطرق الى عاصمة الخلافة العباسية «بغداد» فيتشعب بنا الحديث ويطول بما لا يمكن أن نحقق حقّ الوفاء به .

كما أن البحث في هذه المدة يتطلب اهتماماً جديراً بها لا يتحملها بحثنا هذا ، لما اتسمت به من نشاط فكري وأدبي واسع ، ولا شك في أن المرور عليها بهذه الصورة المختزلة إخلال بحقها . ولكن الذي يعنينا من الالمام بها في هذه العجالة أن تتبين ظروف المعرفة التي تهيأت لابن المستوفي في هذه البيئة العلمية التي هذبته وصقلت مواهبه وأعطته كل الذي جعلت منه ذلك العالم البارز في الحديث وفنون الأدب وقوانين الحساب والاستيفاء .

ومن هذه الروافد تشكلت ثقافة الرجل ، فكان لها أثر بارز في أسلوبه وطريقة تفكيره ومنهجه في العمل .

إنّ نظرة سريعة الى مؤلفاته تكشف لنا عن بعض جوانب هذه المعرفة ونوع ثقافته ، فقد ألّف :

- كتاب النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام : عشرة مجلدات (نقوم بتحقيقه ونشره) .
- كتاب تأريخ إربل : أربعة مجلدات ، وقد أحال عليه صاحب وفيات الأعيان في مواضع كثيرة .
- كتاب إثبات المحصّل في نسبة أبيات المفصّل في مجلدين ، وهي عبارة عن شروح الأبيات التي استشهد بها الزمخشري في المفصّل .
- كتاب سرّ الصنيعة .
- أبو قماش : جمع فيه أدباً كثيراً ونوادر وغيرها .
- كتاب « الامثال والاضداد » ذكره في كتابه النظام الورقة : ٢/١١٤ .
- وكان شاعراً بليغاً . فقد ذكر أن له ديواناً .

لقد ذكرنا أنه كان إماماً في الحديث وماهراً بفنون الأدب ، وبارعاً في علوم الاستيفاء .

وأول ما نسجله لهذا العالم الجليل أمانته العلمية ، واستقصاءه ، ودقته في البحث والتحرّي ، والتثبت من أقوال الذين ينقل عنهم ، وصدق نسبتها اليهم . وهو بذلك – حين يتحرى مسائل الادب – لا يختلف عن رجل الحديث الذي يتحرج فيما يقول ، ويتحقق مما ينقل . وإذا كانت هناك التزامات معيّنة يلتزم بها حَفَظَة الحديث النبوي ونقلته يتوارثونها تقاليد ثابتة فيما بينهم حتى باتت هذه الحالة جزءاً من صفاتهم وأصلاً معتمداً في أعمالهم ، فكذلك نجد ابن المستوفي وهو من أئمة الحديث يتعامل مع شراح شعر أبي تمام والمتنبي ، ومع رواته تعامل الرجل الفقيه المدقق في علم الشريعة ومسائل الدين ونقل الحديث والتحرج في روايته ، والوثوق والتثبت من صحّته . وهذا أثر بارز من آثار ثقافته الدينية وتخلّقه بأخلاق الفقهاء وأئمة الحديث فظهر هذا الأثر بصورة واضحة في معالجة المسائل الادبية وفنونها . ولعلنا نلمس شيئاً من ذلك عند مطالعتنا للصفحات الأُوَل من كتابه «النظام» هذا ، في السطور التي ذكر فيها طريق روايته لديوان أبي تمام ، قال :

« قرأت جميع ديوان شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي على الشيخ الثّقة محمد بن عيسى بن بركة البغدادي الحنبلي المعروف بابن الجصّاص ، وأخبرني انه سمعه على الشيخ أبي العلاء محمد بن جعفر بن عقيل البصري ، بقراءة الشيخ أبي الفتوح نصر بن أبي الفرج الحصري ، في مجالس آخرها في شهر ربيع الاول من سنة سبع وسبعين (وخمسمئة) ، بحق إجازته من الإمام أبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي ، ورواه أبو زكريا عن أبي القاسم الفضل بن محمد المعروف بالقصباني على أبي علي عبدالكريم بن الحسن بن الحسين بن حكيم السكري النحوي ، عن أبي القاسم الحسن بن

بشر الآمدي عن أبي محمد بن العلاء السجستاني عن أبي سعيد عن أبي تمام حبيب بن أوس الطائي ، وذلك في مجالس آخرها ثاني عشر ذي الحجّة من سنة تسع وست مئة بأربل بمنزلي • وأجاز لي أبو الفتوح نصر بن أبي الفرج الحصري رحمه الله » •

ومثل ذلك فعل في طريق روايته لديوان أبي الطيب •

ولعل القارىء تنبّه الى محاولته في متابعة تسلسل الإسناد ليصل به الى أبي تمام ، وقد فعل مثل هذا في تسلسل إسناد رواية شعر أبي الطيب ليصل به الى أبي الطيب نفسه • كما تنبّه أيضاً الى ورود عبارات مثل : قرأت وسمعت وأخبرني وأجاز لي ،وبقراءة فلان وفي مجالس آخرها شهر كذا من سنة كذا » • وهذه كلها تدل على مبلغ دقته فيما يكتبه ويذكره ولا يكتفي بذلك بل يحاول أن يبين الحالة التي استمد بها هذه المعرفة ، فهي تارة بالقراءة وتارة بالسماع وأخرى عن طريق الاخبار ، ثم يضيف الى ذلك مكان وزمان ما قرأه أو سمعه •

وهو بذلك يستعين بكل ما من شأنه أن يوثق نقل الخبر ويؤكد صدقه• وهذا لا يقوم به أو يفعله إلا عالم الحديث الدقيق بعمله الذي يناقش المادة التي ينقلها بعد أن يتحرى صدقها ويتثبّت منه ، فاذا وجدها مخالفة للحقيقة بيّن زيفها وعمل على ابطالها •

فمن أمثلة ذلك مناقشته للآمدي بعد رجوعه الى الاصل الذي وجده فيما تيسر له من النسخ الموثقة ، ليفنّد مزاعمه ويرد عليه في بيت أبي تمام :

دارٌ أجلُّ الهوى عن أن ألِمَّ بها   في الركب إلا وعيني من منائحها

قال الآمدي : هذا لفظ محال عن وجهه ، لأن « إلا » هاهنا تحقيق وايجاب • يوجب أن تكون عينه من منائحها إذا لم يلم بها • وإنما وجه الكلام أن يقول :

دار أجلّ بها الهوى عن أن ألمّ بها إلا وعيني من منائحها ، أو أجلّ الهوى إن لم ألمّ بها وليس عيني من منائحها • وقد كنت أظن أن أبا تمام على هذا نظم الشعر ، وان غلطاً وقع عليه من نقل البيت حتى رجعت الى النسخ العتيقة التي لم تقع في يد الصولي وأضرابه ، فوجدت البيت في غير نسخته مبنياً على الخطأ •

وقال الآمدي أيضاً في « شرح معاني أبيات من شعر أبي تمام » • ورواه على ما أورده ، وهو :

دار أجلّ الهوى عن أن ألمّ بها في الركب إلا وعيني من منائحها

معنى هذا البيت يفسد ان لم يسقط منه أحد الحرفين ، امّا «لم» وامّا «إلا» • لأنه أراد : « دار أجلّ الهوى إن لم ألمّ بها وعيني من منائحها » . أي : إن لم ألمّ بها وعيني من منائحها ، أي إن لم ألمّ بها وعيني منيحة لها تحتلب دموعها • والمنيحة : العاريّة ، كالشاة أو الناقة الممنوحة ، أي المعارة لمن يحتلبها ، وشفع فيها وقتاً ثم ترد على مانحها ، أي معيرها ، ولا يحتاج البيت الى «إلا» أو «إن»

• • • • • •

فقوله « أجلّ الهوى عن أن ألمّ بها إلا وعيني من منائحها » عكس المعنى الذي أراده ، وكذلك لو قال : « أجلّ الهوى ألاّ ألم بالدار إلا وعيني باكية » مثله سواء • كأنه : يجلّ الهوى عن أن يلمّ بها وهو يبكي ، وهذا ضد ما أراده •

ورأيت في بعض النسخ مصلحاً ، قد أصلح هذا البيت فجعله « دار أجلّ الهوى عن أن ألمّ بها » • فالرواية ما ذكرته ، لان ذلك هو الموجود في الاصول العتق من نسخ شعره بخط السكري وغيره •

قال ابن المستوفي :

وفي حاشية كتابه هذا بخط يحيى بن محمد بن عبدالله الارزني : « الرواية التي ذكر انها مصلحة هي :

دار أجلّ الهوى عن أن ألمّ بها　　　في الركب إلا وعيني من منائحها

معناها ظاهر صحيح ، كأنه قال : أجلّ الهوى عن أن ألمّ بالدار وأنا باك، أي إذا ألمت بها بكيت . ولا أدري من أين زعم ان هذا ضد ما أراده ، وهذا يدل على فساد تصوره .

وبخطّي عقيبه لما كتبت هذا الكتاب في صفر من سنة تسع وثمانين وخمس مئة ما مثاله الذي ذكر الآمدي انه مصلح لم يكن به حاجة الى اعادته مذكوراً ضمن كلامه ...الخ »

ولا أريد أن أنقل كل ما كتبه ابن المستوفي حول هذا البيت ـ هنا ـ فان لذلك موضعه في هذا الكتاب وسيجيء إن شاء الله ، ولكنني أردت التأكيد على ما لهذا الرجل من نفس طويل وصبر للنظر والتحري ، وهو لذلك يناقش حين يقتنع ،ويعود الى الاصول ليتأكد من الصواب أو الخطأ . يفعل كل ذلك ليصل الى الصدق ، صدق الذين يشعرون بمسؤولية الأمانة العلمية التي يحملونها .

وقد بلغ من شدة حرصه على أمانة ما ينقله عن غيره : انه ربما سمع أو قرأ كلاماً ثم يمرّ وقت لا يتذكر فيه قائله ، فيذكر الكلام ولكنه يحتاط في نسبته الى قائله بعبارة تدل على ما لصاحبه من حق فيه ، ففي ذكره لبيت أبي تمام :

على مثلها من أربُع وملاعِب　　　أذِيلت مصونات الدموع السواكبِ

يذكر كلاماً للآمدي ، ثم يذكر كلاماً لابي بكر محمد بن دريد ، ثم يذكر كلاماً لا يتذكر اسم قائله ، فيقول : وأظن هذا القول من كلام الآمدي ، فاذ عثرت عليه أو لغيره نسبته فيما بعد » •

ومن أمانته وخوفه من أن يقال عنه انه نقل كلام غيره ، أو انه ألم بكلام فلان أو أخذ عن فلان ولم يذكره له ، فانه في كثير من الاحوال ، يذكر رأياً يخالف فيه غيره ، ثم يجد بعد مدة ومن خلال مطالعاته أن رأيه هذا قد سبقه إليه غيره ، فانه يسارع الى ذكر ذلك ، وذكر حق الرجل الذي سبقه • ويمكن أن نلاحظ ذلك من تناوله لبيت أبي تمام :

فسقاه مسك الطل كافور الندى وانحل فيه خيط كل سماء

وبعد أن عرض كلاماً للصولي في شرح هذا البيت ، ثم ذكر بعده كلاماً وجده في طرة كتاب من تلك الكتب التي ينقل عنها ، ثم لم يقتنع تمام الاقتناع بما ذكروه قال :

« لا معنى لقول الصولي • وتشبيهه المطر بخيوط متصلة من السماء الى االأرض • وإنما أراد أبو تمام حسن الاستعارة ، فجعل لكل مطر خيطاً معقوداً ، ثم جعله منحلاً فيه • يعني : سقاه كل مطر ، كما يقال : حل السحاب عزاليه • والعزلاء : فم المزاده السفلى ، وإنما تكون مشدودة بخيط •

ثم قال ابن المستوفي بعد ذلك :

« وبعد أن ذكرت ذلك بسنين وجدت في حاشية بعض دواوين شعره: هذا توهم من كلام الصولي ، والصواب ما ذكره الديمرتي : والخيط يعني خيط العزلاء ، ورأسها يشد بسير في أكثر الامر • ولكنه قال « خيط » ، لان الشد أكثر ما يكون بالخيوط • يقول : جاءتنا السماء بمطر كأفواه القرب والعزالى ••• »

ولا أريد أن أطيل ، فسوف أترك للقارىء قراءة بقية الشرح في موضعه من هذا الكتاب . ولكنني أقف هنا لأكبر روح الرجل العلمية وأمانته التي تدل على مدى احترامه لنفسه وعمله من خلال تمسكه بالحق والعدل بين ما له وما لغيره .

ومن طريف ما يذكر في هذا الباب : انه عندما تناول بيت أبي الطيب :

ذكرت به وصلاً كأن لم أفز به وعيشاً كأني كنت أقطعه وثبا

ذكر قول أبي الخير زيد بن رفاعة في شرح معنى هذا البيت ، ولما لم يقتنع بما ذهب إليه زيد بن رفاعة ، أخذ يناقش شرحه ، واسترسل بإثبات الشواهد ، ثم وجد بعد ذلك أن ما قدّمه ابن رفاعة من أدلة وشواهد قد سبقه الى ذكرها الواحدي . وبأمانة المدقق والمتحرج ، أخذ يعتذر عن ذلك بقوله :

« لمَا نقلت ما ذكرته من قول رفاعة وتعقيبه به ، ووجدت الواحدي قد ذكره فأحببت أن آتي به أيضاً ليطمئن قلبي الى ما ذكرته » .

وهو هنا يفصل بين حقوق الذين ينقل عنهم ، ويذكر لكل واحد منهم ما قام به ثم يترك للقارىء تقدير حق السابق وإن لم يشر الى ذلك في المثال الذي ذكرناه .

وانه في بعض الاحيان من شدّة حرصه وإحساسه ، لا يترك ما يمكن أن يقوم في نفس القارىء من شك يحوم حول ما يفعله أو يقوله دون توضيح مناسب . ففي شرحه لبيت أبي تمام :

عطايا هي الأنواءُ إلا علامةً دَعَتْ تلك أنواءً وتلك مواهبا

قال بعد أن شرح هذا البيت : « وكتبته ولم أنظر علم الله تعالى الى ما ذكره الخارزنجي إلا بعد فراغي » وكان قد ذكر شرح الخارزنجي ثم ذكر بعد شرحه شرح أبي العلاء لهذا البيت .

وبقوله هذا يؤكد ما ذهبنا اليه من تحرجه وشدّة حرصه وصدقه ، وتخوفه مما يشين سلامة ذِمّته .

وبذلك يمكن أن نذكر لهذا الرجل أمانته العلمية فيما كتبه أو نقله عن غيره ، هي أمانة عالم الحديث في عفته وتحرّجه وخوفه على دينه .

هذه الامانة التي تفتقدها عند التبريزي .

* * *

ثانياً : معرفته اللغوية والأدبية :

لقد مكّنته معرفته اللغوية ومهارته بفنون الادب ، واطلاعه الواسع من فهم شعر الشاعرين اللذين تناولهما في كتابه ، كما زودته بقدرة عجيبة على مناقشة ومحاجة الشرّاح الذين سبقوه في تناول الابيات المشكلة والعويصة، وكان دائماً يقدم إضافات وتخريجات لا تخطر ببالهم ، تسعفه في عمله هذا فطنة فذّة وحافظة قويّة وذكاء وقاد يرفده بالحلول والامثلة والشواهد مما حفظه واختزنه ، يستعين بها باقتدار لتعزيز كلامه ، وإحكام رده .

ولعلنا نقترب من بعض ما ذكرناه إذا اطلعنا على مناقشته لبيتي أبي تمام :

بحرٌ يَطِمُّ على العُفاةِ وإن تَهِج ريحُ السؤال بموجه يَغْلَولِبِ

الشَّوْل ما حُلِبَتْ تَدَفّقَ رِسْلُها وتَجِفُّ دِرَّتها إذا لم تُحْلَبِ

« يَطِمُّ » : أي يزيد ويعلو

و « يغلولب » قال أبو العلاء : وأصل « اغلولب » في غلَظِ العنقّ ، ثم استعمل في غيره . فقيل : نَخْل مغلولب ، أي غِلاظ . ونبت مغلولب : أي

كثُرَ واتصل بعضه ببعض . وإن قيل انه من : غَلَبَ يَغْلِب ، فغير بعيد.
آخر كلامـــه .

يقول : بحر نواله فائض ، فاذا سُئل غلب وغرّق العفاة . و « الشول » : الناقـــة التي جفّت ألبانها ، وارتفعت ضروعها ، وأتى عليها من نتاجهـــا سبعة أشهر أو ثمانية ، الواحدة « شائلة » . قاله الجوهري . والرِّسْل : اللبن.

و « ما » في موضع نصب على الظرف . أي مدّة حلبها .

وقال الصولي :

« الشول » : التي أدبرت ألبانها ، والواحدة « شائل » وهي أيضاً التي تُرى انها لاقح ولم تلقح . والجمع « شُوال » . قال بشار :

تعطي الغريرة درّها فاذا أبت كانت ملامتها على الحـــلاّب

هذا كلامـــه .

وهو يوهم (والكلام هنا للمبارك بن أحمد) انه إذا لم يُسأل لا يعطي، كالناقة الشائل إذا لم تُحلب جف لبنها ، وهـــذا قريب من الهجو . وقولـــه « الشوال أدبرت ألبانها » ، صحيح . وأما قوله : « الواحدة : شـــائل بغير « هاء » فليس كذلك ، وقد تقدّم الجوهري فيه ، وقال : هو جمـــع على غير قياس ، وقال : فأمّا «الشائل» بلا « هاء » فهي الناقة التي تشـــول بذنبهـــا للّقاح ، ولا لبن بها أصلاً . والجمع « شُوَّل » مثل راكع ورُكَّع .

وقال الآمـــدي :

أراد أن هذا الممدوح يجود ويوسع . فان سُـــئل أعطى وأكثر وزاد . وذكر : ان الشول ليست هذه حالها ، وان ألبانها تتدفّق إذا حُلبت ، وتنقطع إذا لم تحلب ، ففضل جوده على الغيث . كما قال :

« والغيث يكرم مرة .... »

ولكنه ذكر « الشول » لان ألبانها غياث للعرب وغناها ومعولها ، وإنما أخذ قوله : « وتجف درتها إذا لم تحلب » من قول بشار : « والدر يقطعه جفاء الحالب » ، أي يعطي ما استميح وسئل .

قال المبارك بن أحمد :

وهذا التمثيل الذي ذكره أبو تمام إذا حمل على ظاهر معناه لا يطابق الاول من كلا جانبيه . لان قوله « والشول ما حلبت تدفق رسلها » بإزاء قوله « وان تهج ريح السؤال بموجه يغلولب » .

فأمّا قوله « بحر يطم على العفاة » فليس بإزاء قوله « وتجف درتها إذا لم تحلب » ولعلّي أعثر في كتاب على جواب ما ذكرته فآتي به . والمعنى : هو الذي ذكره الآمدي ، ولم يرد أبو تمام تشبيه الممدوح في أحواله بالشول . إنما نص عنه أن يكون في ابتدائه بالعطاء وسؤاله مثلها .

والمعنى في كتاب أبي زكريا :

يقول : هو للعفاة بحر ، وإن هيج بالسؤال كثُر فيضه ، ثم ضرب مثلاً لكثرة عطائه وإن سئل شيئاً بعد شيء ، فقال : ان الناقة الشائل إذا حُلبت تدفق رسلها ، وان لم تحلب جفّت دِرّتها . هذا كلامه

ولم يكشف المعنى [هذا التعليق لابن المستوفي]

وقال الخارزنجي :

أي بحر نواله زاخر فائض على ماله ، فاذا صادف سؤالاً غلب وغرّق العفاة والزوّار . وقال «الشول» : الابل التي جفّت ألبانها . فإن حلبت درّت ورجعت الالبان الى ضروعها ، وان تركت يبست . أي يعطي ما استميح وسئل » . هذا كلامه .

أرأيت كيف يستعين بأقوال الشرّاح الذين سبقوه ؟ وبحسن تنسيقه لها . وبقدرته الفذة على مناقشتها ومحاكمتها محاكمة عقلية علمية . للمعنى تارة ، وللألفاظ تارة أخرى ، يتساوى في نظره أغلب الذين شاركوا في شرح

هذين البيتين من مشاهير العلماء من أمثال أبي العلاء والآمدي والصولي والتبريزي والخارزنجي . لا يفتأ يعلق على كلام بعضهم ، حتى يظن القارىء أن الكلام للشارح الذي استشهد بأقواله ، ولكن المتأمل لا تفوته اللفتة الذكية لابن المستوفي حين يقول كلمته ــ معلقاً ــ ذات الدلالة الصائبة . ان أمثال هذه الشذرات العديدة من تعليقاته تضيع في تلافيف شروح الشرّاح. وهو يعمل ذلك ــ فيما يبدو ــ لكي لا يجعل الشارح يسترسل ــ ربما في خطأ يراه ويكتشفه له ــ دون تنبيه . وهو أيضاً لا يريد أن يسكت عن الخطأ دون أن يجعل القارىء يقف عليه . ولكن عمله الرئيس يظهر حين يريد أن يتخذ موقفاً آخر أكثر وضوحاً من قول الشارح الذي ذكر شرحه ، وأدْعَى الى التنبيه على الخطأ حين يحدد فيه مخالفته لذلك الشارح أو حين يقدّم إضافة تثري الشرح فيقول عندئذ : « قال المبارك بن أحمد » .

ان هذا الاستهلال أو الابتداء بذكرِ اسمهِ ، له أهمية فيما يدور حول النص من مناقشة ومحاجة تكشف عما يريد ، وحين يريد أن يلقي دلوه في الدلاء .

وفي هذا الكلام الصادر عنه تتعرف على شخصيته وطريقة تفكيره وأسلوبه في المعالجة . ولعلك تتلمس معي بعد أن عرض أقوال الشراح محاولاً الوصول الى المعنى الذي يرتضيه ويقتنع به ، لا ينفك يبحث ويصحح ويعلق، فتراه تارة يستعين بالجوهري في وقفة لغوية ، وتارة يملؤه الشك فيما ذكروه ويحملنا معه على ذلك فيقول : « ولعلي أعثر في كتاب على جواب ما ذكرته فآتي به » . وهذا السؤال الذي لم يجد له جواباً في شروح الشراح هو إحساسه : انه ربما يكون أمام تمثيل رديء ، ولعل أحداً من غير هؤلاء الذين ذكر كلامهم سبقه الى بيان هذا التمثيل الذي يقول فيه :

فأمّا قوله « بحر يطم على العُفاة » فليس بإزاء قوله « وتجف درتها إذا لم تحلب » ويقول قبل ذلك « وهذا التمثيل الذي ذكره أبو تمام إذا حمل على ظاهر معناه لا يطابق الاول من كلا جانبيه ، لان قوله « والشول ما حلبت تدفق رسلها » بإزاء قوله « وإذا تهج ريح السؤال بموجه يغلولب »٠

وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على احساسه بما يكون عليه الاسلوب البلاغي وما يتطلبه بما يتفق ومقتضى الحال ٠

ومن نقده الفني الخالص الذي يكشف عن مقدرة فذة تتعدى حدود العلم الواحد ، مناقشته لأبي العلاء في قضايا الشعر وأوزانه وعيوبه وعيوب التكرير ٠ نقرأ ذلك وغيره في معرض شرحه لبيتي أبي تمام :

اجعلي في الكرى لعيني نصيبا　　كي تنال المكروه والمحبوبا
اشركي بين دمع عيني ونومي　　واجعلي لي من الرقاد نصيبا

قال أبو العلاء :

يجب أن يكون الطائي لم يقل في النصف الاول « نصيبا » لانه إن جعل حكم التصريع فقد أوطأ ٠ والاشبه أن يقول قال : « اجعلي في الكرى لعيني حظّاً » أو نحو ذلك ٠والتقفية والتصريع إنما يُلجأ لهما في أوائل ما كثر من الابيات في العدد ٠ فأما ما جرى في هذا المجرى فترْك التصريع فيه أعرف ٠

قال المبارك بن أحمد :

هذا الذي أتى به أبو تمام لا يكون إيطاء ، ولكنه قبيح ، ولو قال كما قال أبو العلاء لخرج مما يقرب الايطاء ٠ وإنما القبيح في قوله « اجعلي في الكرى لعيني نصيبا » ويعقبه بقوله « واجعلي لي من الرقاد نصيبا » فأتى بالمعنى وبعض اللفظ ٠ وماذا على أبي تمام لو أسقط هذين البيتين ولم يدونهما ، ومضمونهما : انه يأمرها بأن تهبه نصيباً من النوم ليرى ما يكره

وما يحب ، وأظن أن كراهيته إنما هي أن يرى انها معرضة عنه في نومه ، ومحبّته أن يرى طيفها . وهذان حالان متكافئان ، ثم قال : « اشركي بين دمع عيني ونومي » . أي اجعلي عيني تبكي مرة وتنام مرة . وهذا معنى جيد ، إلا انه أتمّه به مما ذكرته قبل من تكرير المعنى »

لقد تناول أبو العلاء بناء البيت من حيث سلامته على وفق قواعد النظم الشعري ، لكن ابن المستوفي لم يستصوب ما ذهب إليه أبو العلاء ، وتجاوز ذلك الى نقد فني خالص تناول فيه الى جانب قواعد النظم ، إخفاق أبي تمام في تقديم معناه – الذي يرى فيه الجودة – بأسلوب ضعيف عندما كرر فيه المعنى وبعض اللفظ .

ومن نقده لأبي العلاء أيضاً في شرحه لبيت أبي تمام :

بكيتك لما مَثَّلَ النأي بالهوى   كأن لم يُمَثِّل بي صُدودُكِ في القُربِ

قال أبو العلاء :

«مَثَّل» من قولهم : مَثَّل بالرجل في القتل ، إذا صنع به ما لا يحسُن ، مثل قطع الانف والاذنين ونحو ذلك . وقد يكون التمثيل في غير القتل إلا انه يريد به الامر الشنيع . والمعنى : انّه جعله مثلاً يُذكر . والغَرَضُ ان الهوى مثَّل به النأي ، أي فعل به فعلاً قبيحاً ، وكان من حق هذا الشاعر ألا يبكي ، وأنكر البكاء على نفسه لانه ادّعى أن الصدود في القرب مَثَّلَ به ، فكان ينبغي أن يسلبه ذلك » .

لكن المبارك بن أحمد يريد أن يتأكد من الرواية الصحيحة ليبني عليها حكمه ولينظر بعد ذلك إذا كان المعري قد توفّق في شرح المعنى وتوضيحه . فقال : ويروى « بكيتك حتّى مثّل » ويروى « كأن لم يمثل لي » . وفي النسخة العجمية : « بكيتك لما مثل » ، أي صوّر . « كأن لم يمثل لي » ، أي اشتغلت في صدودك بالبكاء حتّى كأنك لم تمثّلي بالقرب عندي . وفيها : «. حتّى بكيتك » .

وبعد أن تجمعت لديه هذه الروايات ومعانيها من خلال بحثه الدؤوب - تكشف له المعنى ، فوجد أن في كلام أبي العلاء شيئاً من الفضول في القول الذي لا يصح أن يترك دون ما تفسير • فقال : والكلام هنا للمبارك بن أحمد:

« مَثَّل » إذا كان بمعنى صوّر كان متعدياً بغير حرف • وقوله « مثّل النأي بالهوى » يعني به : فعلاً شنيعاً » ـ أنظر هنا الى الباء وكيف نقلت المعنى وكأنه يريد أن ينبه الى ذلك ـ ونعود الى كلام المبارك بن أحمد ـ: « أي فرّق بين الحبين ، فكأن النَوَى مثّل به البعد لأنه كان جامعاً لهم ففرّقهم • ونحوه قول جرير :

ولمّا التقى الحيّان ألقِيت العصى ومات الهوى لما أصيبت مقاتله

وقوله : « كأن لم يمثل لي صدودك » كلام مستقيم ، أي بكيتك في هذه الحال ، كأن لم يصوّر لي صدودك في القرب فبكيتك إذ ذاك • أي كأن بكائي في البعد أكثر من بكائي من صدودك في القرب ، حتّى كأنني لم أبكِ من الصدود في القرب » •

وقول أبي العلاء : « وكان حق هذا الشاعر ألاّ يبكي » ، فيحتاج الى تفسير •

كما قام له نقد لشعر أبي الطيب على غاية من الموضوعية والادراك السديد • فاذا كان البيتان :

ولو كنتُ سمّيتُهُمْ باسمِهِ لكان الحديدَ وكانوا الخَشَبَ
مبارَكُ الاسْم أغرُّ اللّقب كريم الجِرِشّى شريف النَّسَب

بما تناولهما أبو الفتح وبعده الواحدي بالشرح في حدود ما يبغيانه لإفهام القارىء على مضمونيهما ، فان المبارك بن أحمد يدرك الخلل فيهما ، فلا يفوته أن يذكره ويذكر الاضطراب الذي يعتورهما عندما يعرضها في معرض الذوق السليم والرأي السديد ، فيقول :

« الجرشّي » لفظة مستكرهة ، وكان يمكن أن يضع موضعها غيرها .
وجعل في البيت الاول لقبه اسمه ، وصرح به في البيت الثاني ، فأحال بقوله:
سميتهم باسمه ، وأخبر عنه بما يدل به انه لقبه لا اسمه » .

ولا أريد أن أطيل في هذا الجانب ، لأن أغلب ما في الكتاب من شروح مبنية على مهارته بفنون الادب واللغة ، وهو بذلك يمتلك الباع الطويل الذي يتناول فيه معظم ما قصر فيه غيره ، ولا يجاريه فيه إلا فحول العلماء من الأدباء والنحويين واللغويين . وسوف يكتشف القارىء بنفسه هذه القدرة الفذة من خلال قراءته لهذا الكتاب .

* * *

ثالثا : دقة نقده واستحكام منطقه

المعروف عن الرجل انه تولى ديوان الاستيفاء ، وللاستيفاء يومئذٍ منزلة رفيعة في مناصب الدولة ، وبذلك تحققت له البراعة في علم الديوان وحسابه وضبط قوانينه ، ويخيّل إليّ أن هذا أحدث أثره في ذهنيّة الرجل فظهر في معالجته لمسائل الأدب واللغة والضبط والقياس ، فهو عندما يقرأ شعر الشاعرين ، ويقرأ الشروح التي تناولت شعريهما يقرأهما بأمعان ودقة وبنظرة ثاقبة ، فاذا تبين له خلل في الشعر ذكره ، وإذا تبين له الخلل في الشرح نقده . وإذا كان الخلل في عدم مطابقة الشرح للنص بزيادة أو نقصان نبّه إليه ، وكأنه يعتمد مقياساً يحاول من خلاله أن يكشف الزائد أو الناقص كما يفعل أهل الحساب ، ليكشف عن الغلط .

لنقرأ له وهو يرد على المخزومي وعلى التبريزي عند شرحهما لبيت أبي الطيب :

لا تَجْزِني بِضَنىً بي بعدها بَقَرٌ
تَجْزِي دموعي مسكوباً بمسكوب

قال صاحب فتق الكمائم (أبو محمد طاهر بن الحسين بن علي المخزومي) :
« يقول : لقد أضناني حبهن حتى أحال محاسني وشبيبتي وأبلاني ، فلا يجازيني بعدهن بقر ضنىً يضناني ، لاني قد شبت فلم يبق بي موضع لأن تعشقني النساء كما أعشقهن ، فيجازيني ضناي بضنى ، لكن يقابلن بكائي ببكاء رحمة بي لا عشقاً »

قال المبارك بن أحمد :

« وهذا الذي ذكره لا يدل عليه هذا البيت ، والذي هو معناه : يدعو لهن فيقول : لا تجزني هذه البقر (والبقر هنا كناية عن النساء) ضنىً بضناي بعد فراقهن ، كما هن يجزين دمعي معهن • أي يبكين لفراقي كما أبكي لفراقهن » •

وزاد أبو زكريا التبريزي زيادة لا حاجة إليها ، وهي في قوله :

المعنى : انه بكى عند الفرقة وبكين فجزين دمعه بدمع ، فدعا لهن أن لا يجزينه بضنى ضنىً مثله كما جزينه بالدمع ، أي لا أريدهن يضنين بعدي •

(قال ابن المستوفي ، المبارك بن أحمد ــ مستنكراً ــ) « ونسب التبريزي ذلك الى أبي الفتح » • وقال والذي ذكر في شرح شعره الكبير ما ذكرته في أبيات معانيه : « عنى بالبقر هاهنا النساء • أي لا تضن بي هذه البقر كما ضنيت بها ، وإن كانت تبكي على ما أبكي عليها » •

« وهذا أيضاً قريب من شرح هذا البيت » •

ولعل في المثال الآتي ما يؤكد ما ذهبنا إليه من دقته في نقده ، ومحاسبته للشارح في شرحه على ما يدل عليه لفظ الشاعر • فلا يجوز له أن يزيد إذ لا دلالة له على ذلك • يقول في رده على أبي العلاء في شرح بيت أبي تمام:

نَضَوتَ لهم سيفين رأياً ومُنْصلا
وكُلٌّ كنجمٍ في الدُّجُنَّةِ ثاقبِ

قال أبو العلاء :

« نضوت » أي سللت • و « المُنْصُل » يستعمل في السيف خاصة • والنَّصل : يستعمل في السيف وغيره • و « كُلٌّ كنجم » : أحسن ما يحمل عليه انه أومَأ بـ «كلّ» الى ثلاثة ، يعني : الممدوح ورأيه وسيفه • وذلك أحسن من أن يكون أراد به السيف والرأي دون غيرهما • لأنه لو ذهب الى ذلك لكان الموضع بـ «كِلا» أحقّ منه بـ «كلّ» على انه يجوز أن يوضع «كل» مكان «كِلا» •

قال المبارك بن أحمد :

لم يرِد أبو تمام إلا رأيه ونصله • لأن الظاهر الذي دعا إليه «كل» انما هو قوله « رأياً ومنصلاً » • ويشهد لذلك قوله «سيفين» • ولو انه أراد ما ذكره أبو العلاء لم يقل سيفين ، ولقال « نضوت لهم ثلاثة أسياف » : نفسك ورأيك ومنصلك •وليس في قوله «نضوت» ما يدل على التثليث ، سيما مع وجود التثنية في سيفين ، وأوضح هذا المعنى الذي ذكره أبو العلاء : علي ابن العباس الرومي:

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم ... في الحادثات إذا اتتضين نجوم
منها مصابيح الدّجى ومعالم ... تجلو العمى والباقيات رجوم

ويجوز أن يكون أراد « وكل منهما » فحذف للدلالة عليه ، وكثيراً ما تحذف الصفة •

وقال الجوهري : «كل» لفظة واحدة ، ومعناها الجمع ، فعلى هذا نقول : كلٌّ خضر ، وكلٌّ خضروا . على اللفظ مرّة وعلى المعنى أخرى »

أرأيت كيف يحاول أن لا يخرج على ما يحتمله البيت الشعري من معنى بزيادة أو نقصان ، ولا يرغب في أن يسمع أحداً يتجوّز فيما لا يجوز الاحتمال ، ولو كان ذلك أبا العلاء . وهو لا يكتفي بالرد من خلال ألفاظ البيت ، ودلالات معانيه على ألفاظه ، إنما يذهب للدفاع عن رأيه بالاستشهاد بالشعر تارة وباللغويين تارة أخرى ، وهو بذلك لا يختلف عن ذلك الذي يقيس قدرة البيت على ما يحتمل من معنى من خلال ما فيه من لفظ يدل عليه معنى معين . فاذا تجاوز الحد ذكر اختلال الحِسْبَة .

لكن معرفته اللغوية دفعته الى أن يحتاط ، وذلك حين ذكر ان لفظة «كل» فيها احتمال حذف صفتها . وان كان ذلك لا يسري على بقية أجزاء البيت الذي لا تدل ألفاظه على التثليث .

ومن دقة نقده وتحرجه في فضول القول وزيادته ، وهذا أثر من آثار فكره الرياضي الذي يهتم بالحدود ويتقيد بها ولا يزيد عليها رده على أبي الفتح ابن جني حين تناول في كتابه بيت أبي الطيب :

تغيب الشواهق في جيشه وتبدو صغاراً إذا لم تغب

قال أبو الفتح في شرحه :

« في جيشه » ، أي في جيش الدمستق[١٥٠] ، أي تركب السهل والجبل .

قال المبارك بن أحمد :

---

(١٥٠) الدمستق : ملك الروم

أي لكثرته يعم الجبال فتغيب في جيشه ، وإذا لم تغب ـ يعني الشواهق ـ ظهر منها اليسير ، فبانت صغاراً . ولا دليل عليه في ركوب السهل والجبل .

تأمل كلامه ، بعد أن شرحه أحسن شرح توقف عند عبارة « أي تركب السهل والجبل » وهي عبارة أبي الفتح ، فقال يرد عليه « ولا دليل عليه في ركوب السهل والجبل » .

ومثل ذلك ما يكشف عن دقّة نظرته في النص ومقابلة ما فيه بما يذكره الشارح فيبدو للمتأمل وكأنه يقيس مسائل حسابية لا تحتمل الزيادة أو النقص يفرزها منطلق له ما للحساب من مقاييس ، مثل قوله في الرد على الصولي عند تناوله بيت أبي تمام :

مَتَحَتْ بسَجْلٍ لها كالسِّجال ودَلْوٍ أُفرِجَتْ كالدِّلاء

قال الصولي :

« أي أعطيت من البأس والصبر والجود سَجلاً واحداً ، وهو الدلو . ودلوكَ الواحدةُ مثل دِلاء كثيرة لغيرك .»

قال المبارك بن أحمد :

« لا معنى لذكر الجود مع ذكر الحرب ، وإنما أراد قولهم : الحرب سجال :فيوم لك ويوم عليك . وإذا كان سجله الواحد كسجال كثيرة ، وكان دلوه الواحدة كدلاء كثيرة لم يقم له أحد فيكون سجل الايام له لا عليه »

وبعد أن فرغ مما تدل عليه ألفاظ البيت وانعكاسها على المعنى العام ، وجد أن معناه بجزءيه واحد . فصدره لا يختلف عن عجزه فقال :

« ولا فرق بين نصفي البيت الاول والثاني »

* * *

ولا يفوتنا أن نذكر انه قام له شرح خاص به تناول فيه بعض أبيات هذا الكتاب ، وذلك حين لا يجد أحداً تناولها بالشرح أو الكشف عن معانيها . وسنجد أن هذا الشرح يتميز بجمال العبارة ووضوح القصد ، فمن ذلك قوله في شرح بيت أبي تمام :

ولقد أراني لو وقفت يدي شهرين أرمي الأرض لم أُصِبِ

قال المبارك بن أحمد :

« أراد اني أصبت الغرض في طلبي مودته ، فرميت لشدّة طلبي له مئة، واعهدني لو وقفت يدي وتأنّيتُ أرمي الارض على سعتها أخطأتها .

وسوف يتضح للقارىء جمال هذا التفسير إذا نظر للبيت الذي يسبقه ، وهو :

قرطست عشراً في مودّته في مثلها من شدّة الطلب .

كذلك قام له نقد خاص به للأبيات التي غفل شرّاحها عن نقد ما فيها مما يحتاج الى نقد . وهذا النوع على كثرته وانتشاره في ثنايا الكتاب لا يمكن إحصاؤه في هذه السطور ، كما قام له نقد على بعض الأبيات التي أغفلها الشرّاح فلم يشرحوها ولم ينقدوها . وهو نوع من النقد اللغوي ينصب على الالفاظ . فقد قال في نقد بيت أبي تمام :

بَلَى كان لي في الصبر عنك معوّل ومندوحةٌ لولا فُضُولِيَ في الحبّ

« استعمل لفظة « فضولي » ، وهي لفظة عامية غير عربية » ..

ولا يفوتنا أن نذكر مخالفته لبعض النقاد فيما يتعلق بالمسائل النحوية ، وهي كثيرة ، ومن المفيد أن نذكر منها هنا . فقد جاء في قول أبي الطيب :

حنانيك مسؤولاً ولبيك داعياً وحسبي موهوباً وحسبك واهبا
أهذا جزاء الصدق إن كنت صادقاً أهذا جزاء الكذب إن كنت كاذبا

قال أبو الفتح بن جني :

نصب مسؤولاً وداعياً وموهوباً وواهباً • كل ذلك على الحال •

قال المبارك بن أحمد : والعامل في هذه الاحوال ما في الالفاظ قبلها من معاني الافعال •

قال أبو العلاء : وهذه المنصوبات التي في هذا البيت كقوله : مسؤولاً وداعياً الاحسن أن تكون منصوبة على التمييز ، ولا يمتنع نصبها على الحال•

قال المبارك بن أحمد : الأولى أن تكون منصوبة على الحال ، لانها مشتقة من الافعال ، والتمييز إنما يكون غير مشتق •

ولا أريد أن أدخل في تفاصيل معرفته اللغوية والنحوية ، ولكن يكفي أن أقول ان صاحب خزانة الأدب ذكر له معالجة نحوية للشاهد السابع والثلاثين بعد الست مئة ، ولو ان المقام يتسع لذكرت تلك الآراء التي ذكرها له الشيخ عبدالقادر بن عمر البغدادي للشاهد : « ما كدْتُ آيبا » • وهو قطعة من البيت :

فأبت الى فهم وما كِدْتُ آيبا   وكم مثلها فارقتها وهي تَصْفِرُ[151]

ومن أمثلة ردوده التي تتسم بالدقة والمتابعة العلمية رده على أبي العلاء في مسائل اللغة في بيت أبي الطيب :

إذا علويٌّ لم يكن مثل طاهر   فما هو إلا حُجَّةٌ للنواصب•

قال أبو العلاء : «النواصب» جمع ناصبة • أي الجماعة التي تنصب بالعداوة لاهل البيت ، ولو انه جمع «ناصب» لوجب أن يقولوا «نصاب» ،

---

(151) خزانة الأدب للبغدادي : ٢/٣٧٤

إلا أن وضع «فواعل» في موضع «فعّال» جائز في الشعر • ومثله قول الفرزدق :

وإذا الرجالُ رأوا يزيد رأيتهم   خُضُعَ الرقاب نواكس الابصار

فوضع «نواكس» موضع «نكّاس»

قال المبارك بن أحمد :

الذي ذكره النحويون واللغويون أن «نواكس» في شعر الفرزدق مما جاء فيه «فواعل» ، وعدّوا ألفاظا فيها : نواكس وفوارس وهوالك ، وكلها شاذّ ،لان «فواعل» جمع «فاعلة» كضاربة ، أو «فاعل» صفة للمؤنث كحائض ، أوما كان بغير عقل : كجمل بازل •

فأمّا مذكر من يعقل فلم يجيء «فواعل» إلا فيما تقدم من نواكس وفوارس وهوالك • ولم يقولوا : ان فواعل في بيت الفرزدق موضوع موضع «فعّال» • وعدّوه ضرورة ، فكذا هو في بيت أبي الطيب » •

بعد ذلك ألا يتبين لنا أن الذين ذكروا عنه انه كان ــ إماماً في الحديث ــ باهراً في فنون الادب من النحو واللغة والعروض والقوافي وعلم البيان وأشعار العرب وأخبارها وأمثالها • ــ وبارعاً في علم الديوان والاستيفاء وحساباته وضبط قوانينه ، انهم على حق ، وانهم أصابوا فيما ذكروه عنه ؟

وإذا تجلت كل مهاراته ومعارفه في فنون الادب من النحو واللغة والعروض والقوافي وعلم البيان فيما تناوله من شعر الشاعرين ومناقشة شرّاحه في كتابه هذا ، فقد تجلت أمانة إمام الحديث وبراعة المحتسب في دقّة عمله ، وتحري الصدق وضبطه ومتابعة الصواب فيما ينقل ويناقش •

وبهذه القدرة الفذة على النقد والمناقشة والتأمل والتفكير انبرى للشاعرين ينقدهما في المواضع التي تحتاج الى النقد كما كان يفعل مثل ذلك

مع شرّاح شعريهما • ولو أردت الاسترسال بالاستشهاد لملأت من هذه الغرر صفحات وصفحات ، ولكنني أترك القارىء ينعم بالتأمل بما طرحه هذا الناقد من لآلىء فكره النيّر ، في هذا الكتاب •

* * *

المبارك بن احمد وموقفه من نقاد شعر الشاعرين

من الحقّ أن نقول ان هذا الرجل الجليل يقف في مواضع كثيرة في كتابه ضد هؤلاء الشرّاح فيما ذهبوا إليه في شروحهم لشعر هذين الشاعرين• فهو يتصدى لهم حين لا يقتنع بما يحتجّون به ، ويستوي أمامه كل الذين نقل عنهم •وإذا كان جمع في كتابه هذا اقوال وشروح أغلب الانصار الذين أعجبوا بشعر الشاعرين ونقل أيضاً بعض أقوال خصومهم ، فانه لا يوافقهم على آرائهم ونقودهم حين يجد انها ابتعدت عن الصواب لبعدهم عن إدراك ما يرمي إليه الشاعر ، لذلك تنصب مخالفته لهم على اخفاقهم في معالجة شرح شعر الشاعر ، ولم يستثنِ منهم أو يسلم منهم أحد • فهو يتصدى لابي العلاء وابن فورّجة وهما من محبي شعر الشاعرين كما يتصدى للآمدي والشريف المرتضى رضي الله عنه ، وهو حين يردّ عليهم كأنه يتهمهم ويشكك في معرفتهم ، ولكن بأسلوب العالم الذي يحترم غيره ولا يجرحه بلفظ • وابن المستوفي إنما يفعل ذلك عن ثقة واقتدار ذلك لانه لا يرد إلا بعد أن يتثبّت مما يقول • فقد ذكر في شرحه للبيت :

ان الأسَى القِرْنُ لا تُحيهِ وسيفُكَ الصبرُ فلا تُنْبِهِ

« قال : طالعت هذا البيت فى خمس عشرة نصخة أو ما يزيد نصاً وشرحاً فما وجدت فيها إلا « وسيفك الصبر » ، بتقديم السيف على الصبر » •

ليخرج بعد ذلك بما لا يخطر على بال الذين سبقوه ، وإليك صورة من نقده لهم وفيه تتجمع مصادر ثقافته • لنستمع إليه وهو يناقش ابن فورّجة في شرحه لبيت أبي الطيب :

ان المنيّةَ لو لاقتهمُ وَقَفَت خَرقاء تتّهمُ الاقدام والهربا

قال ابن فورّجة : لا يتهم الهرب في العار ، فإن العار كلّه فيه ، ولكن يتهم الهرب في الادراك ، أي تقدّر انها إن هربت أُدركت ، ومثله لأبي تمام

من كل أروع ترتاع المنون له إذا تجرّد لا نكس ولا جحد

وله أيضاً :

شوس إذا خفقت عقاب لوائهم ظلّت قلوب الموت منها تخفق

قال المبارك بن أحمد :

قول ابن فورّجة : « لا يتهم الهرب في العار ، فان العار كله فيه » قول غير مستقيم ، وعبارة ضعيفة ، والذي أراده المتنبي انها تتهم الاقدام لأنها لا تقوى بمنازلتهم • وتتهم الهرب لانه ينجيها منهم • ويجوز أن تكون «خرقاء» ضد الصناع • أي لا تعرف الاقدام ولا الهرب •

ومما يكشف لنا عن قدرة ابن المستوفي على إدراك المعاني والإحساس بها على الرغم من خفائها • وقد يغفل عن إدراكها أعظم اللغويين والأدباء . فهمه لبيت أبي تمام :

وما كنت كالسائل الايّام محتبطاً عن ليلة القدر في شعبان أو رَجَبِ

قال أبو العلاء :

« محتبطاً » من قولهم : احتبط ما عنده ، إذا طلب معروفه ، ومعنى البيت : انه وصف نفسه بالعلم ، فقال : لم أطلب ليلة القدر في شعبان ولا

ولا رجب ، لا نها تكون في العشر الاواخر من رمضان ، وهذا البيت مبني على ما في الحديث من ذكر ليلة القدر .

قال المبارك بن أحمد معلقاً :

وقول أبي العلاء : « يصف نفسه بالعلم » قول مرذول ، وإنما أراد أن ينفي عن نفسه الجهل ، فلا يكون كمن يسأل الايام عن ليلة القدر في شعبان أو رجب . وهذا إنما يفعله الجاهل ، فهو ليس مثله . ويدل عليه قوله بعده:

بل قابض بنواصي الامر مشتمل على قواصيه في بدءٍ وفي عقب

ولعلك بعد ذلك تدرك إحساسه برفضه عبارة « يصف نفسه بالعلم » فقال : إنما أراد أن ينفي عن نفسه الجهل » . وقد يتبادر الى الذهن أن لا فرق بينهما ، ولكن ابن المستوفي لم يكن كذلك ، فانه بإحساسه الدقيق المرهف أدرك قصد الشاعر ، فترجم هذا القصد بعبارة « إنما أراد ينفي عن نفسه الجهل » .

* * *

وللشريف المرتضى رضي الله عنه منزلة كبيرة عند المبارك بن أحمد . فمن المعروف أن لهذا الرجل الفاضل كتاباً اسمه « تتبع أبيات المعاني التي تكلم عليها ابن جني »[١٥٢] ، وهو ممن يناهضون المتنبي ، وكتابه هذا ـ في حقيقته ـ ردود على ابن جني .

ان من يقرأ ما نقله ابن المستوفي من كلام للشريف المرتضى فى هذا الكتاب نفهم انه كان ينقل من كتاب أعده الشريف المرتضى رضي الله عنه

(١٥٢) معجم الأدباء لياقوت : ٥/ ١٧٤

ليتناول فيه شعر أبي الطيب بالنقد • ويمكن أن نتعرف من خلال هذه النقود المنهج الذي سلكه الشريف المرتضى رضي الله عنه في كتابه هذا • وأول ما يلفت انتباهنا قوله الذي يذكر فيه عنوان الكتاب عندما يقول : انه كتاب أفرده لأبيات معانيه • ثم يقول في منهجه : انه لابيات معانيه خاصة وفي شعره عامة من عيوب للمتنبي لم تسطر وذنوب لم تغفر ، تركنا الإشارة إليها والتنبيه عليها ، لانا لم نضع هذا الكتاب لتتبع المتنبي بل لغير هذا الغرض •

وأول ما نلاحظه من عبارته هذه انه يرى أن للمتنبي عيوباً لم تسطر وذنوباً لم تغفر ، وهو حين رآها في شعره ترك الاشارة اليها ربما لكثرتها أو لأنها لا أهمية لها ، وانها لا تستحق أن تذكر في كتابه الذي تناول فيه أموراً جليلة من شعره تنصب على أبيات معانيه خاصة ، ولامور أخرى لأنه كما يقول « لم نضع هذا الكتاب لتتبع المتنبي بل لغير هذا الغرض » •

ولا نشك في أن الشريف المرتضى رحمه الله ، رجل بارع ، قدير على معالجة المواقف التي يرغب في معالجتها بما يرسمه لها ويخططه • وأظنّ انه من أجل ذلك لم يرغب أن يواجه القارىء في كتابه هذا ليعلن بشكل مباشر غرضه من أول وهلة ليقول انه من العائبين لشعر المتنبي • وهذه كتب الأدب حافلة بالاشارة الى موقفه من المتنبي ، ولعلنا لا ننسى موقفه من أبي العلاء الذي كان يميل الى المتنبي والى شعره •

والنقول القليلة التي استعان بها ابن المستوفي من كتاب الشريف المرتضى رضي الله عنه في كتابه جديرة بالتأمل والتقدير ، لانها تدلل على عقلية فذة ذات قدرة على الاستيعاب والتمييز لاساليب الكلام ، والمعرفة الواسعة في اللغة واستعمالاتها ودلالاتها ، فتراه يقرع الدليل بالدليل والحجة بالحجّة •

والمتتبع لكلام الشريف المرتضى رضي الله عنه من خلال هذه النقول القليلة في كتاب «النظام» هذا ، يجد نفسه أمام عالم كأنه البحر الزاخر في معرفته

يمتلك قدرة فذة على المناقشة والمحاججة ، فيتصدى لابي الفتح ويناقشه فيما ذهب إليه في تفسير معاني أبي الطيب بمنطق علماء الكلام وطرائقهم في المجادلة والمناقشة . وقد اتخذ هذا العالم من فهمه لكلام العرب وأساليبهم ومن معرفته الواسعة في اللغة والنحو وتخريج الكلام ما يعينه على الرد وكانه سيل يجرف أمامه كل ما من شأنه ألا يقتنع به . وإنني أحيل القارىء الى مناقشته لابي الفتح في بيت أبي الطيب :

داء إذا هفا بقراط عنه   فلم يعرف لصاحبه ضريب

في موضعها من هذا الكتاب .

ولست هنا بصدد بيان براعة هذا الرجل وقدرته على الاستيعاب والفهم والمناقشة وتصريف الكلام ، وهو الذي لا يذكره ابن المستوفي إلا ويذكر عبارات التوقير والتبجيل مقرونة باسمه ، ومع عظيم تقديره الى هذا الرجل العالم نراه يناقش بعض أقواله حين يتكون لديه رأي يخالف رأي هذا العالم الجليل . ففي رده عليه في شرح بيت أبي الطيب :

أُناس إذا لاقوا عِدىً فكأنما   سلاحُ الذي لاقوا غُبار السلاهب

قال أبو الفتح : «السلاهب» جمع سهلب وسهلبة ، وهو الطويل والطويلة من الخيل ، يقول : سلاح أعدائهم عندهم كغبار الخيل ، لا يعبأون به ، ولا يلتفتون إليه ، وخصّ السلاهب لانها أسرع ، فغبارها أسخف وألطف .

وبعد أن يذكر ابن المستوفي شرح المخزومي لهذا البيت وشرح الواحدي وشرح أبي العلاء يذكر شرح الشريف المرتضى رضي الله عنه ، ويقول :

قال المرتضى رضي الله عنه : « وذكر قول ابن جني : « خصّ السلاهب وهي الطوال من الخيل ، فغبارها ألطف وأدق » وهذا غير صحيح . لان

السلاهب هي الطوال من الخيل والناس وغيرها ، فيجوز يريد بالسلاهب : البراري الطوال والبعيدة الاقطار . وخصّها بذلك لان غبارها يتفرّق ولا يجتمع لبعد أقطارها ، وطول مداها . ولو لم يكن لفظ السلاهب مما يوصف به الطوال من الارض بأصل الوضع لجاز أن يستعار لهن ، فالشعر مبني على الاستعارة . ولمّا حمل لفظ السلاهب في البيت على طوال الخيل ، لم يحسن أن يبين وجه اختصاصها بوصف الغبار . وقال : « فغبارها ألطف وأدق » ، ولم يذكر سبب ذلك ، ويمكن أن يكون لذلك علّتان : أحدهما : إن السراع من الخيل لا يطول مكث قوائمه في المكان الواحد من الارض لسرعة انتقاله وحركته ، فهو يطأ الارض وطئاً خفيفاً ، بخلاف الهجين والبرذون ، كما قال الشاعر :

يَخْفِي التراب باظلاف ثمانية   في أربع مسّهنّ الارض تحليل .

أراد بـ « يَخْفِي » يظهر ويثير بالضد من لفظة «يُخفِي» بالضم .وأراد «تحليل» تحلّة القسم ، أراد به التقليل والتنزير ، فهذه حلة . والعلّة الاخرى : ان الغبار السريع السائق من الخيل لا يثبت في مكان واحد . ويتعجّل تفرقه وتباعده لشدّة ركضه ، فلم يرض بأن جعل سلاح أعدائهم غباراً حتى جعله أقلّ الغبار وأنزره ، وأقلّه تحصيلاً وثباتاً .

قال المبارك بن أحمد :

هذا البيت الذي أنشده المرتضى لعبدة بن الطيب ، وهو عبدة بن يزيد بن عمرو يصف ثوراً شبّه ناقته به . وقال المفسرون لشعره « يَخْفِي التراب » يستخرجه لشدّة عدوه ، وإذا كان شديد العدو لم يكن خفيف الوطء ، وإن كان وقع حوافره على الارض وقعاً سريعاً .

وقوله رضي الله عنه : « يجوز أن يريد بالسلاهب : البراري ... » وما علّله من انتشار غبارها وتفرّقه ... » فان أراد بغبارها ما تثيره الرياح

فهذا غير مضبوط بقلّة أو كثرة ، فلا يصلح أن يكون موصوفا باحداهما فيخرج عما أراده ، وإن عَنى بالغبار ما تثيره الخيل في البراري فقد عاد الى ما أنكره على أبي الفتح وزاد زيادة لا دلالة في البيت عليها ، وهي كون الغبار مما تثيره الخيل في البراري ، ولا حاجة به في هذا الوجه إذا جعله مما تثيره الخيل الى أن يكون في البراري • وكون «السلاهب» في بيت أبي الطيب جمع «سلهبة» للأنثى أولى ، لان خير جري الاناث (الخضوع) ، وخير جري الذكور (الاشراف) ، كذا ذكروه ، فيكون ما تثيره الاثنى من الغبار أقل مما يثيره الذكر •

هل رأيت كيف يتابع المبارك بن أحمد معاني المرتضى ويجيبه عليها خطوة بخطوة ، ثم يبين وكأنه يلعب معه لعبة حسابية يسد عليه المنافذ ليصل بعد ذلك الى نتيجة هي : انه ينكر عليه ما أنكره على أبي الفتح • ولا يكتفي بذلك بل يشير الى الزيادة التي لا دلالة في البيت عليها •

كذلك كانت له مقاييسه الدقيقة في اللغة ، فهو حين لا يرضى لنفسه أن يتجاوز الحدّ فيما يقول ويبين ويشرح ، لا يرضى أيضاً لغيره أن يتجاوزها • وإذا وجد عالماً فاضلاً مثل الشريف المرتضى رضي الله عنه يتناول بيت أبي الطيب :

ولا فضل فيها للشجاعة والندى وصبر الفتى لولا لقاءُ شعوب

من خلال نقده لشرح ابن جني لهذا البيت ، ثم يتناول لفظة «الندى» من خلال المعنى الذي دلّت عليه هذه اللفظة في بيت مسلم بن الوليد :

يجود بالنفس إذ ضنّ الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

ويقول المرتضى في هذا الصدد :

« انه أراد بلفظة «الندى» في البيت : بذل النفس لا المالَ على ما قاله مسلم بن الوليد : يجود بالنفس ••• البيت •• » وإذا جاز أن يسمى بذلَ

النفس جوداً جاز أن يسميه أيضاً «ندى» وكرماً وسخاء ، لانها كلها أسماء لمسمى واحد » •

فيجيبه ابن المستوفي (المبارك بن أحمد) على ما عهدنا فيه من دقة الفهم وإدراك لدلالات الالفاظ ، وما تؤديه من المعاني الدقيقة وفي مقياس صارم أخذ به نفسه • ويقول :

قول المرتضى رضي الله عنه أراد بلفظة «الندى» في البيت بذل النفس لا المال على ما قاله مسلم بن الوليد : « يجود بالنفس ••• البيت » الفصل

لا يستقيم ، لأن الاسماء ليست موضوعة على القياس ، وإنما يوقف معها ما جاء عن العرب ، ومسلم استعار الجود بالنفس استعارة ، وقال : « إذ ضن الجواد بها » فزاد زيادة حسنة ، ودلّ بها على جوده وشجاعته ، ولولا ذلك لكفاه أن يقول : « إذا ضن الشجاع بها » فوقع أحسن موقع • فأمّا أن يسمّي بذل النفس أيضاً «ندى» وكرماً وسخاء فلا •

ثم أخذ في نقد قول المرتضى بما تدل عليه الالفاظ من المعاني الدقيقة التي لا يمكن الخروج عنها أو عليها ، وإلا لتبدّل المعنى فقال :

« وجعل رضي الله عنه «الكرم» من أسماء الجود ، وليس منها في شيء ، إنما هو ضدّ اللؤم • ولا يصحّ أن يخرجه من أسماء الجود ، كما خرج بذل النفس بالندى » •

ثم أخذ يعتذر إليه عما بدر منه بسبب محاجّته ومناقشته له على الرغم من البعد الزمني الذي يفصل بينهما ، ولكنه الخلق المتين الذي يدل أيضاً على احترامه العميق للشريف المرتضى فيقول : « وإن كان رضي الله عنه إمام هذا الشأن المشار اليه في البيان عنه بالتبيان » •

لكن الامر يختلف حين يتعلق النقد بشعر أبي تمام ، نجد عند ذاك انه المبارك بن أحمد يستعين بالشريف المرتضى رضي الله عنه • فمن المعروف أن للشريف المرتضى كتاباً اسمه « درر القلائد وغرر القصائد » فيه نقد لشعر أبي تمام ، وفي هذا النقد يتصدى لما يعرضه الآمدي المعروف بتعصبه على أبي تمام ، ومحاولة اظهار عيوبه • ولعل في قراءتنا لبيت أبي تمام :

زارني شخصُهُ بطلعة ضيم عَمَّرَتْ مَجْلِسِي من العواد

ما يدلل على ما ذهبنا إليه ، وسوف نجد الشريف المرتضى رضي الله عنه يتّهم الآمدي بـ « قلّة نقد الشعر » •

* * *

ومن المعروف كذلك عن الآمدي الذي كان يتحامل كثيراً على أبي تمام، وقد دفعه تعصبه عليه الى أن يتمحل عليه ويصطنع له الاخطاء • وقد لاحظنا بعضاً من ذلك في نقده للبيت :

دار أجلّ الهوى عن أن ألمّ بها في الركب إلا وعيني من منائحها

ونحن نعرف ان مصادر ابن المستوفي فيما ينقله عن الآمدي من نقد لشعر أبي تمام إنما هو من كتابه «الموازنة» ومن كتابه « شرح معاني أبيات من شعر أبي تمام » وهذا الكتاب مفقود • وقد كان موجوداً في زمن ابن المستوفي الذي ذكر انه نقل عنه في « صفر سنة تسع وثمانين وخمس مئة »

ولبيان دور ابن المستوفي ودفاعه عن شعر أبي تمام وإنصافه من واحد من خصومه ، نقرأ في السطور الآتية مناقشته للآمدي ورده على ما ذكره حول بيت أبي تمام :

ليس الحجاب بِمُقْصٍ عنك لي أملاً ان السماء تُرَجَّى حين تَحْتَجِبُ

قال المبارك بن أحمد :

ذكر الآمدي القول في هذا البيت في غير موضع من كتابه ، مشيراً إليه، واستوفى القول في « شرح الابيات .. » فقال : وأنشده : «قد عــابه قوم بهذا المعنى ، وقالوا : ان الســماء إذا احتجبت بالسحاب فحجابها هو المرجو دونها . وإن كان أراد بالســماء السحاب فقد أخطأ أيضاً ، لان الســحاب يحتجب بماذا ؟ فإن أراد أن بعضه يحجب بعضاً فذلك أيضاً خطأ في العبارة . وتأوّل بعيــد أن يكون سحاب محجوباً في ســحاب ، ويكون الماطر هــو المحجوب دون حجابه ، هذا ما لا يعقل .

والبيت عندي صحيح . ولم يذهب أبو تمام الى شيء مما ذهبوا إليــه وإنما أراد الســماء نفسها ، لان الرزق من السماء ينزل على ما جرى به العرف ونطق به القرآن في قوله تبارك اسمه « وفي السماء رزقكم » . لان الانسان إنما يرفع يده في مسألة ربه والتماس الفضــل من عند السماء ، فاذا أجابــه وأعطاه فكان رزق الله من السماء نزل عليه ، وكذلك إذا افتقر وانسدت عليه الأبواب ، قال : كأن رزقي قد انقطع من السماء ، وكأن أبواب السماء أغلقت دوني ، ونحو هــذا .

فاذا جاء الغيث فهو منسوب الى السماء ، وان كان من الســحاب الذي هو حجاب ، وإنما أخذه أبو تمام من قول مسلم :

كذلك الغيث يرجى في تحجّبه حتى يُرى مسفراً عن وابل المطــر

ما أرى الغيث في هذا لاحقاً غير مسلم ، لان العــذر له يضيق ، لأنا إن تأولنا له ان احتجاب الغيث هو الغمام وإن كان الغيث هو الغمام نفسه إذا ذاب وانحلّ ، وجعلنا ما انحــدر منه كأنه كان محتجباً فيما بقي من السحاب فلا عذر له في قوله « حتى يُرى مسفراً عن وابل المطر » لان الغيث يكون مسفراً

عن وابل المطر وهو المطر نفسه ، وإن أراد بقوله : « حتى يرى مسفراً السحاب » فذلك خطأ ، لان السحاب كان محتجباً بماذا ؟

ويقول المبارك بن أحمد في ختام كلامه :

« ان المفسر لبيت أبي تمام أبو العباس محمد بن يزيد ، وانه وجد ما حكاه بخط الفزاري في جملة أشياء كتبها من ألفاظه وكان ملازماً له »

فتكتشف من خلال ذلك سعة اطلاع ابن المستوفي وتقصيه وبذلك تتكشف مصادر نقد الآمدي وتحامله عليه .

كما كشفت لنا هذه المناقشة قدرة ابن المستوفي الفائقة على الرد والبحث والتقصي وهو يغترف من ثقافة واسعة ومعرفة شاملة ليناقش بفطنة ذكية يستعين بها من خلال ما يحفظ من آيات القرآن الكريم وبما يختزن في ذهنه من أشعار العرب ، كذلك لم يغفل ما دار حول هذا الشعر من أقوال العلماء الذين تناولوه فأدرك ما بين قول الآمدي وأقوال من سبقه من العلماء ، ويخص منهم هنا المبرد الذي كان الفزاري يكتب ألفاظه .

ولعل براعة المبارك بن أحمد وقدرته على الرد والمناقشة والمتابعة والتقصّي تتضح لنا أكثر من ذي قبل ، إذا قرأنا ما دار بينه وبين الآمدي حول بيت أبي تمام الآتي :

قال الآمدي في شرح البيت :

بل قابضٌ بنواصي الامر مشتمل   على قواصبه في بدء وفي عقب

ــ وهو يبني قوله على رواية لهذا البيت تقول « بل سافع » ــ فانه يقول :

« هو من قوله جلّ اسمه « لنسْفَعَنْ بالناصية » . والسَّفع بالشيء هو أن يؤخذ ويجذب جذباً فيه عنف . وكان ينبغي أن يقول : بنواصي الحزم والعزم ، فأمّا «الامر» فإنه غير مفيد » انتهى كلامه .

قال المبارك بن أحمد :

هذا تعصّب من الآمدي • وقول أبي تمام « بنواصي الامر » يريد : نواصي الامر الذي أطلبه من مظانه ومن وجهه ، ولكني لا أظفر ، وهو أولى من الحزم ، لان الحزم الاخذ بثقة ، وأبو تمام وإن كان قد طلب ما طلبه من جهاته فليس على ثقة ، وعلى ان الحزم هو نفس الامر ذكره أبو تمام •

تأمّل رد المبارك تجده يفسر الالفاظ ويستخرج ما فيها من دلالات ومعان، وهذا لا يتأتى إلا لمن أوتي حظّاً وافراً من العلم والمعرفة في اللغة ولمن لهم إدراك وإحساس مرهف ودقيق بمعاني الالفاظ •

ولا يكتفي بذلك بل راح يوثق كلامه بما قالته العلماء • فيقول : « قال الجوهري : الحزم ضبط الرجل أمره وأخذه بالثقة » وإذا كان قد قبض بنواصي الامر فقد فعل الحزم •

فاذا انتهى من ذلك بعد ما تم له من خلال مقياسه الدقيق حين جعل : من يقبض بنواصي الامر فقد فعل الحزم • قال : « وأما العزم فلا معنى له في هذا البيت » وهذا النوع من المناقشة تذكرنا بذهنيته الرياضية المنطقية •

فاذا انتهى من اختبار معرفته في اللغة ومن مقاييسه في ضبط مقدار ما يستعمل من الالفاظ دون زيادة أو نقصان ، توجه الى تجربته الانسانية يستعين بها للرد على الآمدي الذي يقول في تفسير قوله : الحزم : تبني خطوب الدهر لا الخطب •

قال المبارك بن أحمد :

وقوله : « الحزم : تبني خطوب الدهر » ليس بواجب قاطع على كل حال ولو كان ذلك كذلك لما رأيت حازماً قطّ يصيبه من الدهر ما يكرهه ، ولكن لمّا كان الحزم قد يفعل ذلك صلح أن يذكره »

ثم يعود ابن المستوفي ليعقّب بعد أن ذكر ما ذكره فيقول :

«ففي هذا بعض المغايرة لكلامه الاول ، وشاهد ان قوله « بل قابض بنواصي الامر » • «الأمر» فيه أولى من «الحزم» •

ويبلغ الظنّ بابن المستوفي الى حدّ اتّهام الآمدي بأنه كان يضع ويختلق أبياتاً مفسودة في شعر أبي تمام ، يدفعه الى ذلك تعصبه عليه ، ليتخذ منها مادة ليردّها عليه ولينال منه ويسفّه شعره ويبيّن قصوره ، ولا نشك في أن ذلك لا يكون من أخلاق العلماء •

وقد أظهر المبارك بن أحمد شكّه هذا عند معالجته بيت أبي تمام :

إذا وصَفْتُ لنفسي هجرها جنحت ودائعُ الشوقِ في أقصى جَوانحهَا

والبيت الذي يليه في كتابه هذا •

أكتفي بهذا القدر مما استشهدت به من شذرات وهي غيض من فيض للتعريف بهذا الرجل قبل قراءة كتابه •

* * *

هذا هو عمل المبارك بن أحمد في كتابه هذا ، فهو مع شرّاح شعر الشاعرين ينقل عنهم ويذكر لهم ما يجده جديراً بالذكر بأمانة العالم الصادق المدقق • ولا يقف عند هذا الحدّ ، بل يتناول ما يراه مخالفاً لما يراه ويعتقده ، أو لما يحتاج الى تفسير أو شرح ، يستوي في نظره شعر الشاعر أو كلام الشارح • ولذلك يمكن تصنيف عمله في هذا الكتاب ليتناول خمسة اتجاهات :

أولاً : محاولة التثبّت من صحة رواية البيت ، بعد استعراض رواياته المختلفة ، ثم الاستقرار على رواية يعتمدها للشرح •

ثانياً : نقل شروح الشرّاح الذين تناولوا البيت ، وربما يقتصر نقله على ما يراه ضرورياً ، ويترك فضول الكلام .

ثالثاً : مناقشة الشارح فيما أخطأ فيه أو في الجوانب التي ابتعد فيها عن الصواب ، لعدم فهمه لغرض الشاعر أو لخروجه عن جادة الصواب في معالجاته للمسائل النحوية أو الصرفية .

رابعاً : نقد خاص به ينصب على شعر الشاعر لخلل أحسّه فيه ، وقد فات على الشارح فلم يدركه أو يلتفت إليه .

خامسا : شرح خاص به للأبيات التي لم يتناولها من سبقه من الشرّاح .

* * *

منهجه في شرح الشعر

يمكن تحديد منهج ابن المستوفي في شرح شعر الشاعرين بثلاث سمات:

أولاً :

فقد نهج في شرحه نهج الكتب التي تناولت شرح المشكل من شعريهما . وإذا كان شرّاح تلك الكتب تناولوا الابيات المشكلة من القصيدة الواحدة فيقصرون بحثهم على عدة أبيات ويتركون الابيات الباقية من القصيدة المؤلفة من أربعين أو خمسين بيتاً دون شرح أو تعليق ، فان المبارك بن أحمد يختلف عنهم . فهو يتناول معظم أبيات القصيدة ، ولا يترك منها إلا القليل ، وربما لا يتجاوز هذا القليل إلاّ على أربعة أو خمسة أبيات من قصيدة ــ كما

قلت ـ تتكون من أربعين أو خمسين بيتاً • وهو في الغالب لا يترك من القصيدة الواحدة بيتاً دون شرح ، والقصائد التي يتناولها بكاملها هي أغلب قصائد ديواني الشاعرين ، ولا أعلم سرّ تركه لهذه الابيات القلائل في عدد قليل من القصائد دون شرح ، ربما لانه وجد انها لا تستحق الشرح لوضوحها وبيان معناها • ولو لم يسقطها من كتابه لامكن اعتبار شرحه هذا شرحاً كاملاً لديواني الشاعرين •

ثانيا :

لقد رتب قصائد الشاعرين على حروف المعجم (الالف باء) • وقد اعتمد فيما يبدو لي على أقدم ترتيب لشعر كلا الشاعرين• فقد اعتمد ترتيب أبي بكر الصولي في شرحه لديوان أبي تمام ، وهو أول شارح لشعره ، تسلسلاً لقصائد كتابه • كذلك اعتمد ترتيب أبي الفتح بن جني في كتابه « الفسر » لقصائد ديوان المتنبي فاتخذه أيضاً تسلسلاً لقصائد هذا الكتاب •

وإذا كان كتاب الصولي يأخذ الغرض الشعري الواحد ويسلسل قصائده على وفق حروف المعجم • أي انه يأخذ الغرض ويجعل منه باباً ، وبذلك يكون الباب الاول وهو «المديح» فيسلسل قصائد المديح على تسلسل حروف المعجم ، فاذا انتهى من ذلك تناول باب الهجاء ثم الرثاء ...الخ ، فان المبارك بن أحمد يأخذ الحرف الاول من حروف المعجم ويسلسل تحته القصائد التي تتناول جميع الاغراض الشعرية التي تناولها الشاعر في شعره • فان قافية الألف مثلاً تضم أبواب المديح والهجاء والرثاء والغزل ...الخ • وكذلك حرف الباء ثم التاء الى آخر حروف المعجم •

وهو ــ الشارح ــ يبدأ عادة بشــعر أبي تمام فيذكر شعره على قافيــة الالف ويذكر تحت هذه القافية الاغراض الشــعرية التي تناولها الشاعر على هذه القافية مبتدءاً بغرض المديح • فاذا انتهى من ذلك تناول شعر أبي الطيب على قافية الالف أيضاً فذكــر تحتها جميع الاغراض الشعرية التي تناولهــا الشــاعر على هذه القافية التي يتصدرها غرض المديح ثم الرثاء ثم الهجاء ••• وهكذا ينتهي الكتاب بتناول شعر الشاعرين على وفق تسلسل حروف المعجم •

ثالثاً :

بعد أن يكتب ــ الشارح ــ البيت الشعري على وفق وروده في القصيدة يذكر بعده أقوال الشرّاح الذين تناولوا هذا البيت بالشرح ، وهو في العادة يبدأ بكلام أقدم شارح • ففي شرح شعر أبي تمام يبدأ بما ذكره الصــولي وفي شرح شعر أبي الطيب يبدأ بشرح أبي الفتح • ولا تطّرد هذه القاعــدة فقد يتجنبها في كثير من المواضع ، فيذكر أقوال غيرهم ممن تناولوا شــرح شــعر الشــاعرين دون اعتبار الى تسلسلهم الزمني • كذلك فانه حين يذكر أقوال الشرّاح لا يتقيد بها على وفق ما ذكروها كاملة في كتبهم • وربما لا يذكرها البتّة • لانه يرى انها لا تستحق أن تذكر • ولكن في مواضع أخرى يذكر الشرح كاملاً ، وأحياناً يجتزىء منه ما يراه مناسباً فيذكره ، وأحياناً يذكر معنــاه •

وهو من خلال ذكره لاقوال هذه الجمهرة من الشرّاح العلماء ، يذكــر اختلاف روايات بعض الالفاظ والكلمات التي وردت في الدواوين والكتــب التي نقل عنها أو التي تناقلها الرواة لبعض الابيات ، وربما تكون موضــع خــلاف بينهم •

ومن خلال نثره لاقوال الشرّاح على وفق ترتيب وتسلسل يراه من خلال حسّه النقدي يتناول بعض هذه الاقــوال بالنقد والتعليق • وفي كثـير من المواضع يتصل نقده بكلام الشارح فلا يتبين ذلك إلاّ للقارىء الفطن الذي يميّز بين الكلامين •

وأظن انه يتخذ هذا الموقف الذي يرد فيه على الشارح ليوقف القارىء على خطأ وقع فيه الشارح ، ويجد أن السكوت عليه أمر غير مقبول• وليست هذه الحالــة مطرّدة ، أو انها تنســحب على كل نقوده وشــروحه • ففي المواضع التي يرى أن يكون له شرح خاص به ، أو أن يكون لقولــه أهميــة بارزة لانه يشكل خروجاً مغايراً ، أو انه يشكل إضافة مهمــة على الســياق فانه يستهل ما يريد أن يذكره بذكر اسمه ، فيقول : قال المبارك بن أحمد •

وفي نقوده وتعليقاته وشروحه وإضافاته تتداخل وتتزاحم معارفه النحوية والصرفية والبلاغيــة والعروضية ، ولكن يحكم كل ذلك دقّة متناهية وبحث صــادق •

كذلك قام له شرح خاص للأبيات التي تركت بدون شرح ، كما قام له نقد خاص تناول فيه شــعر الشاعرين •

* * *

وللحقيقة فان الرجل قد وفى بما التزم به حين قال في خطبة كتابه هــذا: « ••• وأنا أجمع من أقوال العلماء في ذلك ما أداني البحث عنه اليه، ووقفني العلم به عليه ، مختصراً ما أورده بوسع جهدي وملخصه بقدر طاقتي،وناسبه الى قائله ، ومسنده الى ناقله ، وبالله أثق في تسهيل ما أحاوله »

وقال أيضاً : «وإنما آتي بكل ما يقع إليّ من تفسير مشكل شعره حرصاً على أن أجمع بين أقوالَ العلماء في ذلك اتفقت أو اختلفت » •

* * *

بهذه الروح العلمية ، وهذه القدرة على المواصلة والبحث والتقصي قدّم المبارك بن أحمد عملاً متكاملاً محكماً يجمع بين التلخيص والاختصار غير المخل في جوانب منه وبين البحث والتقصي والمتابعة ، وإن أدت الى التطويل في جوانب أخرى ، متسماً بالصدق والنزاهة في كل ما ذكره شأنه في ذلك شأن علماء الحديث وتحريهم الصادق في توثيق ما يروونه .

وهو بعد هذا وذاك يقف بين يدي الله سبحانه وتعالى رافعاً يده بضراعة يتقي به من عاقبة ما ورد فيه ويطلب تسهيل ما يحاوله .

* * *

مقدمات التحقيق

١ ـ وصف عام للنسخة الخطّية :

اعتمدت في تحقيق كتاب « النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام » على صورة من النسخة الخطّية الوحيدة المؤلفة من جزءين كبيرين من نسختين مختلفتين . أما الجزء الثالث فهو مفقود .

آ ـ الجزء الاول :

مصوّر في ثلاثة مجلدات عن نسخة مصورة بالفوتوستات في مجلدين محفوظة بدار الكتب المصرية برقم (١٠٦٤٠)،وأصلها المخطوط محفوظ بمكتبة «سوهاج» من مدن مصر ، برقم (١٣٥) أدب . وهو مما كانت احتوته مكتبة آل رفاعة الطهطاوي ، ثم أهدي أخيراً الى مكتبة سوهاج .

يحتوي هذا الجزء على (٧٧٢) صفحة في ٣٨٦ لوحة ، في كل صفحة (٢٩) سطراً ، مكتوب بقلم تعليق (فارس) جميل ، من القرن الحادي عشر تقريباً ، وينتهي بآخر شرح قصيدة أبي الطيب المتنبي التي مطلعها :

كم قتيل كما قتلتُ شهيد ببياض الطُلى وورد الخدود .

وفي آخر هذا الجزء ما نصه :

« تمّ الجزء الاول ، والحمد لله رب العالمين ، يتلوه الجزء الثاني : قال ابو الطيب يمدح علي بن إبراهيم التنوخي » ولم يذكر الشعر الذي في أول

الجزء الثاني . وقد بينه الكاتب على الهامش بقوله : ويتلوه في المجلد الثاني:

★ أحادٌ أمْ سُـــداسٌ في أُحاد ★

ب ـ الجزء الثاني :

وهو من نسخة أخرى مؤلفة من مجلـدين ، صورت عن النســخة التي صورتها بعثة الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية الى استامبول سنة١٩٤٩م من الاصل المحفوظ بمكتبة (ينيجامع) برقم (١٠١٥)

وهذا الجزء مؤلف من (٥٥٤) صفحــة في (٢٧٢) لوحــة ، بكل صفحة (٢٧) سطراً ، وهو يبتدىء بقوله :

أحاد أم سداس في أحاد لُيَيْلتنا المنوطة بالتنادي

وينتهي بشرح القصيدة اللامية التي قالها أبو تمام في ابن الزيات ، مطلعها:

متى أنت عن ذهلية الحيّ ذاهل وقلبك منها مدة الدهر آهل.

وفي آخر هذا الجزء ما نصه :

« تمّ الجزء الثاني ، ويتلوه الجزء الثالث ان شاء الله تعالى ، وقال أبو تمام يمدح المعتصم ، ويمدح فتح الخرمية »

وهذا الجزء مكتوب بخط نسخي جميل مشكول . كتبه محمد بن اسماعيل بن حسن بن أبي الحسين بن علي الهِرَقْلي عفا الله عنه وعن جميع المسلمين. ووافق الفراغ من كتابته : ضاحي نهار الاحــد حادي عشر شهر شعبان ســنة ثمان وسبعين وست مئة هلالية » .

ومن طريف ما يذكر مما هو مكتوب على الصفحة الاولى من هذا الجــزء من الذين تملكوا هذه النسخة ما يأتي :

« من نعم الله على عبده الفقير إليه عبدالقادر بن عمر البغدادي » ، وهو كما هو معروف صاحب كتاب « خزانة الأدب » .

وإذا كان الجزء الاول من نسخة غير نسخة الجزء الثاني فان من محاسن الاتفاق أن يكون الجزء الثاني متمماً للجزء لاول بلا فاصل بينهما .

جـ ـ أما الجزء الثالث :

وبه يتم الكتاب فلم نعثر عليه .

٢ ـ الكتب والمخطوطات المساعدة .

ومن أجل توثيق المادة التي نقلها ابن المستوفي الى كتابه ، والتأكد من سلامتها من عبث النساخ وجهلهم بحثت عن تلك المادة في مظانها جهد المستطاع وفي حدود ما تيسّر منها ، فتجمعت لدي مجموعة من الكتب والمخطوطات التي أعانتني على التثبت مما ذكره ابن المستوفي ، منها :

آ ـ كتاب شرح المشكل من شعر أبي تمام لابي علي المرزوقي . وهو مخطوط يقع في (١٣٤) صفحة ، قمت بدراسته وتحقيقه ، وأظنه نشر .

ب ـ كتاب الفسر لابي الفتح بن جني . وقد استعنت بالقسم المطبوع منه وهو الجزء الاول والثاني الى نهاية قافية الدال بتحقيق الدكتور صفاء خلوصي ، وما بعد ذلك فهو مخطوط تفضل المجمع العلمي العراقي مشكوراً بتزويدي بنسخة مصورة من هذا الكتاب تتناول القوافي التي تبدأ من قافية الذال الى نهاية الكتاب .

جـ ـ كتاب الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي لابي الفتح بن جني، بتحقيق الدكتور محسن غياض •

د ـ ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الامام الواحدي • طبع ببرلين سنة ١٨٦١م •

هـ ـ نصوص مفقودة من كتاب « التجني على ابن جني » لابن فورّجة البروجردي ، « وشرح المشكل من شعر التنبي » لابن القطّاع الصقلّي • ونصوص مفقودة من كتاب « المستدرك على ابن جني فيما شرحه من شعر المتنبي » لابي الفضل العروضي، وهذه الكتب بتحقيق الدكتور محسن غياض •

و ـ كتاب « الفتح على فتح أبي الفتح » بتحقيق الدكتور محسن غياض

ز ـ كتاب « تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب » لابي المرشد سليمان بن علي المعري ، بتحقيق الدكتور محسن غياض والدكتور مجاهد محمد محمود الصواف •

ح ـ ديوان أبي الطيب المتنبي المسمى بـ « التبيان في شرح الديوان » لعفيف الدين ابن عدلان ، والمنسوب خطأ الى أبي البقاء العكبري •

ط ـ ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي بتحقيق الدكتور محمد عبده عزام •

ي ـ شرح الصولي لديوان أبي تمام بتحقيق الدكتور خلف رشيد نعمان•

لقد قدمت لي هذه الكتب والمخطوطات العون والمساعدة على التثبت مما ذكره ابن المستوفي في كتابه • فقد ذكرت في صفحة سابقة ان ابن المستوفي اعتمد على مجموعة من الشروح في تأليف كتابه ، وحين وضعت قسماً من هذه الشروح بين يدي ، وهي التي ذكرتها تمكّنت عندئذٍ من مقابلة ما فيها بما ذكره ابن المستوفي مما نقله عنها • وبذلك تحققت لي صحة المادة المنقولة في كتاب « النظام » •

* * *

منهـج التحقيق

بعد انتهائي من تحقيق كتاب « شـرح الصولي على ديوان أبي تمام » عزمت على تحقيق كتاب « النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام » للمبارك بن أحمد الاربلي المعروف بابن المستوفي ، ذلك لان مخطوطة هذا الكتاب لم تفارقني عندما كنت أحقق كتاب شرح الصولي ، فقد استفرغ ابن المسـتوفي معظم شرح الصولي في كتابه في القسم الخاص بشعر أبي تمام • ولذلك كان كتاب النظام معي في كل بيت من أبيات شعر أبي تمام فأتاحت لي هذه العلاقة التعرف على جهود هذا الرجل الفذ في كتابه الضخم الذي تناول فيه بالشرح شعر شـاعرين عظيمين •

ولكن مما يؤسف عليه أن مصادر اعتمادي على تحقيق نص كتاب«النظام» لم تكن على النسخ الخطية الاصلية للجزءين • فان ما أملكه من هذا الكتاب إنما هي نسخة مصورة للجزء الاول ومثلهـا للجزء الثاني • ومن المعروف أن للنسخ المصورة متاعبها من ناحية التصوير لعدم وضوح بعض الصفحات أو السطور أو طمس لبعض الكلمات •

وعلى العموم فقد كان تصـوير الجزء الثاني أوضح من تصوير الجزء الاول •

ولا شك في أن هذه المتاعب لا تسـوغ لي اهمال الاتصـال بنسـخ المخطوطة الأم ، لملافاة ما في النسخ المصـورة من نقص أو طمس ، ولكـن كيف يتحقق لي ذلك وبلدي يعاني ظرفاً خاصاً ليس من الميسور على أفـراده

أن يسافروا ! فهل أتوقف عن العمل ، أو أنصرف الى غيره ؟ والعمر يجري ، ولم يبق منه إلا وشل يسير بعد أن بلغت الثانية والستين ، وكيف أضمن — والاعمار بيد الله العلي القدير — أن يمتد بي العمر ؟ ، فتوكلت على الله ، وعقدت العزم على انجاز هذا العمل الجليل ، على الرغم مما بيدي من وسائل لا تساعد على انجازه بما ينبغي له من الاتقان والتكامل .

وأول هذه المتاعب أن الكتاب يتألف من نسخة فريدة ، ولو ان نسخة أخرى متوافرة منه لأمكن اجراء مقابلة بينهما تساعد على اكمال النقص أو الكشف عن الغامض ، أو توضح الخلل ، أو بيان التحريف والتصحيف .

وثانياً : المتاعب الناجمة عن النسخ المصورة خصوصاً عندما تكون غير واضحة المعالم ، فتبدو فيها الكتابة وكأنها من وراء غلاف ، أو أن ماء تسرب اليها فضاعت معالمها . وربما لا يحدث هذا لو أن الكتاب مؤلف من عشرات الاوراق ، فتسهل العناية به ويزيد الاهتمام بتصوير أوراقه القليلة ، ولكن الكتاب الذي بين أيدينا يتألف من (٧٧٢) صفحة للجزء الاول ومن (٥٥٤) صفحة للجزء الثاني ، وهذا يحتاج بلا شك الى عناية وجهد يستغرقان وقتاً ربما لا يتحمله عامل تصوير لا يقدر مسؤولية عمله على ما ينبغي . وإذا أضفنا الى ذلك أن تصوير هذه المخطوطة قد تم في سنة ١٩٤٩ ، وهناك فرق بين ما كانت عليه التقنية في ذلك العهد وبين ما وصلت اليه اليوم من ضبط ووضوح .

* * *

لقد كان للكتب والمخطوطات المساعدة التي ذكرتها في حقل مقدمات التحقيق أثر مهم في توثيق وتصويب بعض ما ورد في مخطوطة « النظام »، ولذلك أجريت مقابلة دقيقة ومتأنية لكل بيت من أبيات المخطوطة مع ما يقابله

في ديواني أبي تمام وأبي الطيب • كذلك أجريت مقابلة بين ما ورد من شروح الشرّاح الذين ذكرهم ابن المستوفي بما يقابلها من شروح لهم في كتبهم ومخطوطاتهم • ولذلك تشعب العمل ليأخذ بعد ذلك الاتجاهات الآتية :

١ـ ضبط رواية أبيات أبي تمام وأبي الطيب بعد مقابلتها في مخطوطة النظام بما يماثلها فيما روي في شرح الصولي وشرح التبريزي لشعر أبي تمام، وفيما روي في شرح أبي الفتح وشرح الواحدي وشرح كتاب التبيان لشعر أبي الطيب ، وكذلك فيما روي من أبيات في مخطوطات وكتب المرزوقي وابن فورّجة وابن القطاع ، وغيرهم ، والتأكد من صحتها •

٢ـ مقابلة الشروح التي أوردها ابن المستوفي بما يماثلها من شروح أولئك الشرّاح في كتبهم وهي شروح الصولي والمرزوقي وأبي العلاء والتبريزي وابن جني وابن فورّجة والواحدي •••• وغيرهم • والتأكد من صحتها ومحاولة اكمال الساقط وتوضيح المطموس • والى غير ذلك مما يكتنف النسخ المخطوطة من الاضطراب والخلل لمحاولة الوصول الى الصواب•

٣ـ الاستعانة بكتب أخرى لم يعتمدها ابن المستوفي • وقد وجدنا انها مهمة، لما فيها من فائدة في إثراء الشرح • وهي الكتب التي ألّفها أصحابها ، وقد تناولوا فيها شرح المشكل من شعر أبي الطيب ، وهي لا تخرج عما دار حول هذا الشعر من نقد ، ينصب بعضه على الشعر نفسه،وبعضه الآخر على الشروح التي دارت حوله ، وهذه الكتب هي :

آ ـ كتاب الواضح في مشكلات شعر المتنبي لابي القاسم عبدالله بن عبدالرحمن الاصفهاني ، وأهمية هذا الكتاب أن مؤلفه ممن عاصر ابن جني وروى عنه ، وانه عاش بعد ٤١٠هـ • بتحقيق سماحة الاستاذ الامام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور •

ب ـ كتاب شرح مشكل أبيات المتنبي لابي الحسن علي بن اسماعيل بن سِيدة الاندلسي المتوفى سنة ٤٥٨هـ بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين •

فاذا تجمعت كل تلك المادة وتحققت لدينا فائدتها كتبناها في الهامش •

٣ ـ ان طريقة المبارك بن أحمد في كتابه انه يتناول بالشرح وبما يعرضه من شروح الآخرين معظم أبيات القصيدة • وقد يغفل عن ذكر بعض أبياتها ، وفي أغلب الاحوال يتناول أبيات القصيدة بكاملها • وقد وجدت أن إغفال الأبيات التي أسقطها ابن المستوفي وعدم ذكرها مما يضعف من قيمة الكتاب ، إذا علمنا أنها أبيات قليلة ، ربما يكون ابن المستوفي قد أسقطها لوضوحها ـ كما ذكرت سابقاً ـ وأنها لا تحتاج الى شرح • ولذلك وجد انتفاء الحاجة الى شرحها •

وقد رغبت من جانبي أن يضم هذا الكتاب جميع قصائد الديوان ، ولذلك ذكرت تلك الأبيات في الهوامش ، وأعطيتها أرقام تسلسلها في القصيدة ، وذكرت معها جميع الشروح التي دارت حولها والتي تيسّرت لدي ، فاستعنت بشرح أبي الفتح والواحدي وغيرهما في الأبيات التي تتعلق بأبي الطيب ، واستعنت بالصولي والتبريزي والمرزوقي فيما يتعلق بشعر أبي تمام • وبذلك أكون قد قدمت كتاباً فيه جميع أبيات قصائد الشاعرين في هذين الجزءين من كتاب ابن المستوفي •

٤ ـ وقد وجدت اختلافاً بين رواة شعر أبي تمام وأبي الطيب ، فمنهم من يذكر قصائد وأبياتاً لا يذكرها غيره ، فعزمت على أن أذكر تلك القصائد والأبيات بعد كل قافية من قوافي الشاعرين مشروحة بشروح الشرّاح الذين تناولوها •

٥ ـ ذكرت ان الموجود من هذا الكتاب إنما هو الجزء الاول والثاني ، وان الجزء الثالث مفقود ، فليس من تمام العمل أن يترك هذا الجزء الذي

يحتوي على شعر الشاعرين على حروف اللام والميم والنون ...الخ ، بدون ذكر وشرح لها . والى أن يقيض الله لنا أو لغيرنا العثور على هذا الجزء . وهذه دعوة أوجهها الى العلماء والباحثين للبحث عنه والعثور عليه ، فقد عزمت على كتابة هذا الجزء وتناول أبياته على وفق المنهج الذي نهجه ابن المستوفي في شرحه لشعر الشاعرين ، بما تيسر لدي من الكتب والمخطوطات التي استعان بها المبارك بن أحمد ، وان لم تكن جميعها . وبالكتب الاخرى التي لم يعتمدها . وقد اعتمدتها لفائدتها حين ذكرت بعض ما فيها من هوامش الجزءين الاول والثاني .

وبذلك أكون أيضاً قدمت شرحاً كاملاً لديواني هذين الشاعرين العظيمين ، حين أكملت عمل هذا العالم الجليل .

* * *

كتب ببغداد حي ١٤ تموز — د. خلف رشيد نعمان

في ١٦/آذار/١٩٨٧

ملاحظة : (١)

وبعد فقد عمدت الى الاستعانة بالرمز ( ) وهما القوسـان المنحنيتان ليبين ان الكلام المحصور بينهما منقول من كتب ونسخ أخرى ٠ وبالرمز [ ] وهما القوسان المعقوفتان ليبين أن الكلام المحصور بينهما من كلام المحقق ٠

(٢)

تكرر في هوامش صفحات الكتاب التعريف لقسـم من الشعراء الذين وردت لهم أبيات فيه ، وقد آثرت عدم حذف التعريف المكرر ، وذلك للفائدة التي يمكن أن يقدمهـا التعريف لأولئك القرّاء الذين يتناولون من الكتـاب قراءة قصيدة معينة دون غيرها ٠

[بســم الله الرحمن الرحيــم]

[بسـم الله الرحمن الرحيـم]

اللهم اني أحمدك على أن وفّقتني لحمـدك ، وأشكر لك أن أهـلتني لشكرك . وأعدّ ذلك من أعظم نعمة تمنّها عليّ ، وأكبر عارفة تسديها إليّ مع اعترافي بغيرهما من سوابق كرمـك . وشهادتي بسواهما من سـوابغ نعمتك . فاذا حمدتك فأنا أحمـدك اتباعاً لحكمك ، وإذا شـكرت لك فانما أشكر لك وقوفـاً عند أمـرك . ولا أرى ما آتيه من ذلك قضاءً لأيْسَـر مواهبك ، ولا وفاءً بأدني عطاياك ، ولا كفاءً لبعض مِنَنِكَ ، ولا جـزاء لأصغر منحك . وكيف يحمدك على نعمك من حمده لك نعمة عليه مستحدثة، أو يشكر لك على عوارفك من شكره لك عارفة لديه متجددة . لكأنك لسعة طولك وبسطة فضلك تثيب على الحمد وأنت موليه ، وتجزي على الشـكر وأنت واهبـه .

اللهم فلا تجعل إحسانك إليّ بحسب ثنائي عليك ، ولا رأفتك بي على قدر تضرّعي اليك ، فتسلبني كريم ما خولتني ، وتنزع عني جميل ما عودتني، وتحرمني موهبتك أن تفيضهـا عليّ ، وتمنعني رحمتك أن تنزلهـا إليّ . وأعذْني يا ربّ من متابعة الهوى ، ومخالفة الهدى ، واجنبني أن أتعـاطى مشقّة الكلفة ، وأن أميل الى سِنَةِ الغفلة ، وأن يضلّني الباطل عن الحـق،

وقد هداني السبيل إليه ، أو يلفتني الخطأ عن الصواب ، وقد وضح الدليل عليه •

وصلّ اللهم على محمد خير خلقك وأشرف بريتك ، المبعوث بالفصاحة واللسان العربي ، المستغني كلامه عن التبيين بالبيان الجلي الهادي الى أقرب سبيل بأرشد دليل ، أكثر ما صلّيت على أحد من أنبيائك ، وأجزه أوفى ما جزيت أحداً من رسلك •

وبعد •

فانّي وجدت الناس كثيراً ما يتجاذبون القول فيما أشكل من معاني أبي تمام حبيب بن أوس الطائي ، وأبي الطيب أحمد بن الحسين الجُعْفي ، لميلهما كثيراً عن الطبع الى التكلف ، وعدولهما غالباً عن العفو الى المستكره ، إلا أن أبا الطيب أعظمهما معنى مستغلقاً ، وأكثرهما تركيباً مستبهماً • والناس في شعره اثنان : محامٍ عنه مفرط ، ومتعصب عليه مفرط • وكلاهما متجاوز به حدّه غال فيه حكمه ، دفاعاً عنه وتحاملاً عليه • وهم مع ذلك عن معانيه أشدّ سؤالاً ، وأكثر في كل مقام مقالاً • وأنا أجمع من أقوال العلماء في ذلك ما أدّاني البحث عنه إليه ، ووقفني العلم به عليه ، مختصراً ما أورده بوسع جهدي ، وملخصه بقدر طاقتي ، وناسبه الى قائله ، ومسنده الى ناقله •

وبالله أتّقي في تسهيل ما أحاوله ، وعليه أعول في إدراك ما أبتغيه ، فما الثقة إلا به ، ولا المُعَوّل إلا عليه ، ولا التوفيق الا منه ، ولا الملجأ إلا به •

* * *

ذكر طرف من أخبار أبي تمام ونسبه ،

أجاز لي أبو البركات عمر بن المعمّر السقلاطوني ، قال : قُرىء على أبي منصور محمد بن عبدالملك بن خيرون الدباس المقرىء ، وأجاز لي ، قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي[1] . وأجاز لي أبو محمد القاسم بن علي بن الحسن الشافعي[2] ، قال : أجاز لي أبو الحسن علي بن أحمد بن منصور ، قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن علي الخطيب ، قال : حبيب ابن أوس أبو تمام الطائي الشاعر ، شامي الأصل ، كان بمصر في حداثته يسقي الماء في المسجد الجامع ، ثم جالس الأدباء وأخذ عنهم ، وتعلّم منهم ، وكان فطناً فهماً ، وكان يحبّ الشعر ، فلم يزل يعانيه حتى قال الشعر فأجاد ، وشاع ذكره ،وسار شعره، وبلغ المعتصم خبره ، فحمل إليه وهو بسرّ من رأى . فعمل أبو تمام فيه قصائد عدّة ، وأجازه المعتصم وقدّمه على شعراء وقته ، وقدم الى بغداد ، فجالس بها الادباء ، وعاشر العلماء ، وكان موصوفاً بالظرف وحُسن الأخلاق وكرم النفس ، وقد روى أحمد بن أبي طاهر[3] وغيره أخباراً مسندة .

---

(١) أحمد بن علي بن ثابت البغدادي : أبو بكر ، المعروف بالخطيب . أحد الحفاظ المؤرخين . ولد في «غزية» بين الكوفة والشام سنة ٣٩٢هـ ونشأ وتوفي ببغداد سنة ٤٦٣هـ . وكان فصيحاً عارفاً بالأدب ، يقول الشعر ولوعاً بالمطالعة والتأليف .

(٢) القاسم بن علي بن الحسن بن هبةالله ، أبو محمد ، ابن عساكر ، محدث من أهل دمشق ولد سنة ٥٢٧هـ وتوفي سنة ٦٠٠هـ .

(٣) أحمد بن طيفور (أبو طاهر) الخراساني ، أبو الفضل : مؤرخ ، من الكتاب البلغاء الرواة ، ولد ببغداد سنة ٢٠٤هـ وتوفي فيها سنة ٢٨٠هـ ، له نحو خمسين كتاباً . منها : تاريخ بغداد ، وسرقات الشعراء ، وسرقات البحتري من أبي تمام ، واخبار بشار بن برد .

وهو :

حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الاشـج بن يحيى بن مرينا بن سهم بن خلجان بن مروان بن ذفافة بن مرّ بن سـعد بن كاهل بن عمرو بن عدي بن عمرو بن الحارث بن طيء بن مرينا بن أدد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

وأجاز لي أبو القاسم بن علي بن عساكر ، قال : أخبرنا والـدي أبو القاسم[٤] علي بن الحسن رحمه الله في كتاب تاريخ دمشق : حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشج بن يحيى بن مرينا بن سهم بن خُلجان الكاتب بن مروان بن ذفافة بن مرّ بن سعد بن كاهل بن عامر . ويقال : ابن عمرو بن عدي بن طيء ، أبو تمام الطائي الشاعر من أهل قرية جاسم ، وكان أبوه أوس نصرانياً من حوران . مدح الخلفاء والأمراء فأحسن . وحدّث عن صهيب بن أبي الصهباء الشاعر والعطاف بن هارون وكرامة بن ابّان العدوي وأبي عبدالرحمن الأموي وسلامة بن جابر النّهدي ومحمد بن خالد الشيباني ، وروى عنه خالد بن يزيد الشاعر[٥] وأبو الغوث بن الوليد بن عبادة البحتري[٦] ، وأبو بكر محمد بن ابراهيم بن عتّاب ، وأحمد بن أبي طاهر البغدادي .

---

(٤) أظنه يقصد : أبا محمد القاسم بن علي بن الحسن . أنظر ترجمته في الهامش رقم (٢) .

(٥) هو خالد بن يزيد البغدادي ، أبو الهيثم المعروف بالكاتب ، شاعر غزل من الكتّاب ، أصله من خراسان ومولده بها ، عاش وتوفي في بغداد سنة ٢٦٢هـ كان يهاجي أبا تمام ، وله شعر رقيق أكثره غزل . أخباره في ارشاد الأريب ١٧١/٤ وسمط اللآلي ٣١١ وتاريخ بغداد ٣٠٨/٨

(٦) هو يحيى بن أبي عبادة الوليد بن عبيد البحتري الشاعر . يكنى أبا الغوث، وكان مقيماً بالشام ، قدم بغداد ، وروى عن أبيه شعره ، وروى عنه ابو بكر الصولي . اخباره في تاريخ بغداد ٢٢٨/١٤ .

وكان أسمر طويلاً فصيحاً ، حلو الكلام فيه تمتمة يسيرة ، وولد سنة ثمان وثمانين ومئة ، ويقال سنة تسعين [ومئة] • وقال محمد بن يحيى الصولي[٧] : قال قوم : ان أبا تمام هو حبيب بن تدوس النصراني ، فغيّر فصيّر أوساً • وقال أبو القاسم علي بن الحسن ، وقال ابراهيم بن محمد بن عرفة[٨] : سنة ثمان وعشرين ومئتين فيها مات أبو تمام الطائي ، وذكر أبو الحسن محمد بن أحمد القوّاسي الورّاق انه مات سنة ثمان وعشرين ومائتين بسرمن‌رأى ، ونقلت عن كتاب أخبار أبي تمام جمع أبي بكر محمد بن يحيى الصولي : حدثني محمد بن موسى قال : عُني الحسن بن وهب[٩] بأبي تمام ، وكان يكتب لمحمد بن عبدالملك [الزيات][١٠] فولاه بريد الموصل، فأقام بها أقلّ من سنتين ومات في جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين ومائتين، ودفن بالموصل •

---

(٧) هو محمد بن يحيى بن عبدالله ، أبو بكر الصولي • من أكابر علماء الأدب، نادم ثلاثة خلفاء من بني العباس : الراضي والمكتفي والمقتدر . له تصانيف عدة تزيد على خمسين كتاباً ، توفي بالبصرة مستتراً سنة ٣٣٥هـ ، أخباره في وفيات الأعيان : ٥٠٨/١ ، والنجوم الزاهرة : ٢٩٦/٣ ، وتأريخ بغداد : ٤٢٧/٣ . ومقدمة كتاب شرح الصولي لشعر أبي تمام •

(٨) هو ابراهيم بن محمد بن عرفة الازدي العتكي ، أبو عبدالله من أحفاد المهلب بن أبي صفرة . كان إماماً في النحو ، وفقيهاً ، جالس الملوك والوزراء ، ولد بواسط سنة ٢٤٤هـ ومات ببغداد سنة ٣٢٣هـ • جليل القدر ، وكان لا يعنى باصلاح نفسه وملبسه ، له عدة مؤلفات ، أخباره في ارشاد الأريب : ٢٩٦/١ ، وهدية العارفين : ٥/١ •

(٩) هو الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الكاتب . كان يكتب لمحمد بن عبدالملك الزيات ، وولي ديوان الرسائل ، كان شاعراً بليغاً ومترسلا فصيحاً ، وأحد الكتاب الظرفاء . اخباره في فوات الوفيات : ١٣٦/١ ، الفهرست : ١٢٢ ، سمط اللآلئ : ٥٠٦

(١٠) هو محمد بن عبدالملك بن إبان الزيات ، كان شاعراً بليغاً ، وزر لثلاثة خلفاء : المعتصم والواثق والمتوكل ، وقد قتله المتوكل سنة ٢٣٣هـ . اخباره في الاغاني : ٤٦/٢٠ ، والفهرست : ١٢٢

وحدثني عون بن محمد الكندي(١١) ، قال : قرأت على أبي تمام شيئاً من شعره سنة سبع وعشرين ومائتين ، وسمعته يقول : مولدي في سنة تسعين ومائة . قال : وأخبرني مخلد الموصلي(١٢) أن أبا تمام مات بالموصل في المحرم سنة اثنتين وثلاثين ومائتين .

حدّثني أبو سليمان الضرير النابلسي ، قال : قال لي تمّام بن أبي تمام: مولد أبى سنة ثمان وثمانين ومئة . ومات في سنة احدى وثلاثين [ومئتين] . وقال البحتري يرثيه ويرثي دعبلاً(١٣)

قد زاد في كَلَفي وأوقدَ لَوعَتي ... مثوىً حبيبٍ يوم مات ودِعبِلِ
وبقاءُ ضرْبِ الخثعميِّ وشبْهِهِ ... من كل مضْطَربِ القريحة مهمِلِ(١٤)
أهْلُ المعاني المستحيلة إن هُمُ ... طَلَبوا البراعة والكلام المُعْضِلِ
أخوَيَّ لا تَزَلِ السماءُ مُخيلةً ... تغشاكما بِحَيَا مُقيم مُسْبِلِ
جدثٌ على الاهوازِ يَبْعدُ دونه ... مَسرَى النَّعيّ ورمَّةٌ بالموصلِ

وكذا أورده الصولي ، ووجدته في نسخ عدّة من شعره .

قَبْرٌ بأعلى عَقَرقُوف تلفّه ... هوج الرياح ، ورِمَّةٌ بالموصلِ

* * *

---

(١١) هو عون بن محمد الكندي ، أبو مالك ، وكان راوية لشعر أبي تمام. راجع معجم الأدباء : ٦/٩٩ .

(١٢) مخلد بن بكّار الموصلي . شاعر من الرحبة ، أقام بالموصل ، وكان يهاجي ابا تمام .

(١٣) هو دعبل بن علي بن رزين الخزاعي ، أبو علي : شاعر هجاء بذيء اللسان، اصله من الكوفة ، واقام ببغداد ، كان صديقاً للبحتري ، هجى الرشيد والمامون والمعتصم والواثق ، ولد سنة ١٤٨هـ وتوفي سنة ٢٤٦هـ .

(١٤) رواية المخطوطة «مجبل» ولعله تحريف .

ذكر طرف من اخبار أبي الطيب ونسبه :

آجاز لي أبو حفص عمر بن محمد الدارقزّي[15] ، قال أخبرنا أبو منصور محمد بن عبدالملك بن الحسن الضرير ، قراءة عليه وأنا أسمع ، قال : حدثنا الخطيب أبو بكر أحمد بن علي ، قال : أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبدالصمد ، أبو الطيب الجعفي الشاعر المعروف بالمتنبي ، بلغني أنه ولد بالكوفة سنة ثلث وثلثماية ، ونشأ بالشام ، وأكثر المقام بالبادية ، وطلب الأدب وعلم العربية ، ونظر في أيام الناس ، وتعاطى قول الشعر في حداثته حتى بلغ الغاية التي [فيها] فاق أهل عصره ، وعلا شعراء وقته ، واتصل بالامير أبي الحسن بن حمدان المعروف سيف الدولة ، وانقطع إليه ، وأكثر القول في مدحه ، ثم مضى الى مصر فمدح بها كافوراً الخادم ، وأقام هناك مدّة ، ثم خرج من مصر فوردَ العراق ، ودخل بغداد ، وجالس أهل الأدب ، وقرىء عليه ديوانه .

فحدّثني أحمد بن أبي جعفر القطيفي عن أبي أحمد عبيدالله بن محمد بن مسلم الفرضي ، قال : لمّا ورد المتنبي بغداد سكن ربض حميد ، فمضيت الى الموضع الذي نزل فيه لأسمع منه شيئاً من شعره ، فلم أصادفه ، فجلست أنتظر ، وأبطأ عليّ فانصرفت من غير أن ألقاه ، ولم أعُد بعد ذلك . وقد كان القاضي أبو الحسن محمد بن أحمد القاسم المحاملي سمع منه ديوانه ورواه عنه ، وأخبرنا علي بن المحسّن التنوخي[16] عن أبيه ، قال : حدثني

---

(١٥) هو عمر بن محمد بن معمّر بن يحيى بن احمد بن حسان ، أبو حفص ، ابن طبرزذ ، الدارقزي البغدادي ، مؤدب . كان شيخ الحديث في عصره ، حدث ببغداد وأربل والموصل وحرّان وحلب ودمشق وغيرها . ولد سنة ٥١٦هـ وتوفي سنة ٦٠٧هـ . أخباره في كشف الظنون : ١٨٧٧ و٢٠٢٧

(١٦) علي بن المحسن بن علي التنوخي ، أبو القاسم ، قاض ، من علماء المعتزلة ، وكان ظريفاً نبيلا ، وهو حفيد القاضي التنوخي الكبير ، ولد سنة ٣٥٥هـ وتوفي سنة ٤٤٧هـ .

أبو الحسن محمد بن يحيى العلوي الترمذي ، قال : كان المتنبي وهو صبي نزل في جواري بالكوفة ، وكان يُعرف أبوه بعيدان السقّاء ، يستقي لنا ولأهل المحلّة . ونشأ هو محبّاً للعلم والادب ، فطلبه ، وصحب الاعراب في البادية ، فجاءنا بعد سنين بدوياً قحّاً . وقد كان تعلّم الكتابة والقراءة ، فلزم الأدب والعلم ، وأكثر من ملازمة الورّاقين ، وكان علمه من دفاترهم . فأخبرني ورّاق يجلس إليه يوماً ، قال : ما رأيت أحفظ من هذا الفتى ابن عيدان قطّ . فقلت له : كيف ؟ قال : كان اليوم عندي وقد أحضر رجل كتاباً من كتب الأصمعي[17] ، سمّاه الورّاق ، وأنسبه أبو الحسن يكون نحو ثلاثين ورقة ليبيعه ، قال : فأخذ ينظر فيه طويلاً ، فقال له الرجل : يا هذا أريد بيعه ، وقد قطعتني عن ذلك ، فإن كنت تريد حفظه فهذا يكون ان شاء الله بعد شهر ، فقال له ابن عيدان : فإن كنت قد حفظته في هذه المدّة فما لي عليك ؟ قال : أهب لك الكتاب . قال : فأخذت الدفتر من يده وأقبل يتلوه عليّ الى آخره ، ثم استلبه فجعله في كمّه وقام . فعلّق به صاحبه وطالبه بالثمن ، فقال : ما الى ذلك سبيل ، قد وهبته لي ، قال : فمنعناه منه وقلنا له : أنت قد شرطت على نفسك هذا للغلام ، فتركه عليه . وقال أبو الحسن : كان عيدان والد المتنبي يذكر أنه من جعفى ، وكانت جدّة المتنبي همدانية صحيحة النسب ، ولا أشك فيها ، وكانت جارتنا ، وكانت من صلحاء النساء الكوفيات . قال التنوخي : قال أبي : فاتفق مجيء المتنبي بعد سنين الى الاهواز منصرفاً من فارس فذاكرته بأبي ، فقال : تِربي وصديقي وجاري بالكوفة ، وأطراه ووصفه . وسألت المتنبي عن نسبه فما اعترف لي به ،وقال: أنا رجل أخبط القبائل وأطوي البوادي وحدي ، ومتى انتسبت لم آمن من

---

(17) عبدالملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي ، أبو سعيد الاصمعي .راوية العرب ، وأحد ائمة العلم باللغة والشعر والبلدان ، ولد سنة ١٢٢هـ وتوفي سنة ٢١٦هـ ، له مصنفات عديدة ، اخباره في جمهرة انساب العرب٢٣٤، وابن خلكان : ٢٨٨/١ وتاريخ بغداد : ٤١٠/١٠

أن يأخذني بعض العرب بما بينهما وبين القبيلة التي انتسبت إليها ، وما دمت غير منتسب الى أحد فأنا أسلّم على جميعهم ، ويخافون لساني . قال : واجتمعت بعد موت المتنبي بسنين مع القاضي أبي الحسن ابن أم شيبان الهاشمي الكرخي(١٨) ، وجرى ذكر المتنبي ، فقال : كنت أعرف أباه بالكوفة شيخاً يسمّى عيدان ، يستقي على بعير له ، وكان جعفياً صحيح النسب . قال : وكان المتنبي لمّا خرج الى كلب ، وأقام فيهم ادّعى انه علوي حسني ، ثم ادّعى بعد ذلك النبوّة ثم عاد يدّعي انه علوي ، الى أن شهد عليه بالشام بالكذب في الدعوتين، وحبس دهراً طويلاً ، وأشرف على القتل ، ثم استتيب وأشهد عليه بالتوبة وأطلق .

قال وأخبرنا التنوخي ، حدثني أبي : حدثني أبو علي بن أبي حامد ، سمعت خلقاً بحلب يحكون ، وكان أبو الطيب بها إذ ذاك : انه تنبأ في بادية السماوة ونواحيها الى أن خرج إليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الاخشيدية ، فقاتله وأسره وشرّد من كان اجتمع إليه من كلب وكلاب ، وغيرهما من قبائل العرب ، وحبسه في السجن دهراً طويلاً فاعتل وكاد يتلف ، حتى سئل في أمره ، فاستتابه وكتب عليه وثيقة أشهد عليه فيها ببطلان ما ادّعاه ورجوعه الى الاسلام ، وانه تائب منه ، ولا يعاود مثله ، وأطلقه ، قال : وكان قد تلا على البوادي كلاماً ذكر انه قرآن نزل عليه ، وكانوا يحكون له سوراً كثيرة . نسخت منها سورة فضاعت وبقي أوّلها في حفظي ، وهو : « والنجم السيّار والفلك الدوّار والليل النهار إن الكفار لفي أخطار ، إمض على

---

(١٨) ابن أم شيبان : هو محمد بن صالح بن علي العباسي الهاشمي ، المعروف بابن أم شيبان ، قاضي قضاة بغداد ، واضيف إليه قضاء مصر والشام وغيرهما ، ولد بالكوفة سنة ٢٩٤هـ واستوطن بغداد ، وتوفي فيها سنة ٣٦٩هـ ، كان عظيم القدر وافر العقل واسع العلم ، حسن التصنيف نبيلاً ، اشترط لما ولي القضاء الا يتناول عليه أجراً ولا يقبل شفاعة .

سبيلك ، واقفُ أثَرَ من كان قبلك من المرسلين ، فإن الله قامع بك زيغ من ألْحَد في دينه وضلّ عن سبيله » • وهي طويلة لم يبق في حفظي منها غير هذا • قال : وكان المتنبي اذا استوعب في مجلس سيف الدولة ونحن إذ ذاك بحلب ، يذكر له هذا القرآن وأمثاله ما كان يحكى عنه فينكره ويجحده • قال : وأخبرنا التنوخي قال : قال لي أبي : فأمّا أنا فانني سألته بالاهواز في سنة أربع وخمسين وثلثمائة عند اجتيازه بها الى فارس فأجابني جواب مغالط ، وهو ان قال : هذا شيء كان في الحداثة ، أوجبته الضرورة[١٩] فاستحييت أن أستقصي عليه ، فأمسكت •

وأجاز لي أبو محمد القاسم بن علي الشافعي[٢٠] ، قال : أخبرني والدي قال : قال المختار ، يعني محمد بن عبدالله بن أحمد بن ادريس [كلمة غير واضحة] في تاريخه : لمّا هرب المتنبي الشاعر من مصر وصار الى الكوفة ، وأقام بها ، وصار الى ابن العميد فمدحه ، فقيل أنه صار اليه منه ثلاثون ألف دينار • وقال له : تمضي الى عضد الدولة ، فمضى من عنده اليه فمدحه ووصله ثلاثين ألف دينار • وفارقه على أن يمضي الى الكوفة ، يحمل عياله ويجيء معهم اليه ، وسار حتى وصل الى النعمانية بإزاء قرية تقرب منها يقال لها العاقول ، فوجد أثر خيل هناك ، فتنسم خبرها ، فاذا خيل كمنت له فصادفته لانه قصدها ، فطعن طعنة نكس عن فرسه ، فلما سقط الى الارض نزلوا فاحتزّوا رأسه ذبحاً ، وأخذوا ما كان معه من المال وغيره • وكان مذهبه أن يحمل ماله معه أين توجه ، وقتل ابنه معه وغلام من جملة خمسة غِلْمة كانوا معه ، وان الغلام المقتول قاتل حتى قُتل • وكان قتل المتنبي يوم الاثنين لخمس بقين من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة •

---

(١٩) في رواية : « اوجبته الصبوة » ، بمعنى الجهل والفتوة .

(٢٠) مر التعريف به

قال الفرغاني : وحُدِّثت انه نزل المنزل الذي رحل منه فقُتل ، جاء قوم خُفراء فطلبوا منه خمسين ديناراً ليسهروا معه ، فمنعه الشحّ والكِبر ، وتقدّموه وكان من أمره ما كان .

ووجدت في طرّة نسخة من شعره قديمة ، قال علي بن حمزة البصري[21]: صحبت أبا الطيب سنتين ونصف لا أفارقه فيها ليلاً ولا نهاراً ، ولا يحتشمني في شيء ، فما رأيته زنى ولا لاط ولا دخل في حرام ولا حلال ، ولا سمعته قرأ القرآن ، ولا روى خبراً عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا صلى ، ولا ضحك ملء فيه ، وكان اذا سمع شيئاً مضحكاً ستر فاه بكمّه ، وقلّما رأيته يهزل .

* * *

ذكر طريق رواية ديوان أبي تمام

قرأت جميع ديوان شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي على الشيخ الثّقة أبي الفتح محمد بن عيسى بن بركة البغدادي الحنبلي المعروف بابن الجصاص . وأخبرني انه سمعه على الشيخ أبي العلاء محمد بن جعفر بن عقيل البصري ، بقراءة الشيخ أبي الفتوح نصر بن أبي الفرج الحصري في مجالس آخرها شهر ربيع الاول من سنة سبع وسبعين وخمس مائة ، بحقّ إجازته من الامام أبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي ، ورواه أبو زكريا

(٢١) علي بن حمزة البصري ، أبو القاسم . لغوي من العلماء بالأدب له عدة مصنفات توفي سنة ٣٧٥هـ . أخباره في بغية الوعاة : ٣٣٧ .

عن أبي القاسم الفضل بن محمد المعروف بالقصباني[٢٢] ، عن أبي علي عبدالكريم بن الحسن بن الحسين بن حكيم السكري النحوي ، عن أبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي[٢٣] ، عن أبي علي محمد بن العلاء السجستاني، عن أبي سعيد ، عن أبي تمام حبيب بن أوس الطائي ، وذلك في مجالس كان آخرها ثاني عشر ذي الحجة من سنة تسع وستمائة بأربل بمنزلي •

وأجاز لي أبو الفتوح نصر بن أبي الفرج الحصري رحمه الله تعالى •

* * *

ذكر طريق رواية ديوان شعر المتنبي :

قرأت جميع ديوان شعر أبي الطيب أحمد بن الحسين الجعفي على شيخنا أبي الحزم مكي بن ريان بن شبة بن صالح الماكسيني[٢٤] • وأخبرني

---

(٢٢) الفضل بن محمد بن علي القصباني البصري . عالم باللغة والأدب ، من أهل البصرة ، ضرير ، له كتاب في « النحو » و « حواشي الصحاح » و « الأمالي » و « الصفوة في أشعار العرب » توفي سنة ٤٤٤هـ ، أخباره في وفيات الأعيان : ٤١٤/١ والوزراء الكتاب : أنظر فهرست الكتاب ، والنجوم الزاهرة : ٢٣٣/٢ و٢٧١ و٣٣٢

(٢٣) الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي ، أبو القاسم ، عالم بالأدب ، راوية ، من الكتاب النقاد ، له شعر ، أصله من آمد ، ومولده ووفاته بالبصرة توفي سنة ٣٧٠هـ له عدة مصنفات مهمة منها « المؤتلف والمختلف » ، « الموازنة بين الطائيين » و « معاني شعر أبي تمام » و « الخاص المشترك » . أخباره في معجم الأدباء ٧٥/٨ وإنباه الرواة : ٢٨٥/١ وبغية الوعاة ٢١٨ •

(٢٤) هو مكي بن ريان بن شبة الماكسيني ، صائن الدين ، أبو الحزم ، شاعر ضرير ، عالم بالقرآن . ولد ونشأ بماكسين من أعمال الجزيرة على نهر الخابور ، ورحل الى بغداد والشام ، واستقر وتوفي في الموصل سنة ٦٠٣هـ ، قال ابن المستوفي عنه : كان يتعصب لأبي العلاء المعري للجامع بينهما في الأدب والعمى ، أخباره في نكت الهميان ٢٩٦ . ووفيات الأعيان ١٢١/٢ وغاية النهاية ، ٣٠٩/٢ ، وإنباه الرواة : ٣٢٠/٣ ، وارشاد الاريب ١٧٦:٧ •

به عن الكاتبة الشهيرة شُهدة ابنة أبي الفرج بن أحمد الآبري[٢٥] سماعاً عليها ، وأجازت لي في إجازتها العامّة . قالت : أخبرنا أبو البركات محمد بن عبدالله بن الوكيل ، قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن أيوب بن الحسين بن الساربان ، عن أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي .

وأجاز لي الشيخ أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد الكندي[٢٦] ، قال : قرأت ديوان أبي الطيب أحمد بن الحسين على شيخنا أبي محمد عبدالله بن علي المعري النحوي بروايته إياه عن أبي البركات محمد بن عبدالله بن يحيى الوكيل ، عن أبي الحسن علي بن أيوب بن الساربان الكاتب عن المتنبي، ثم سمعته أجمع على الشيخ أبي بكر محمد بن عبيدالله بن الراعوني بروايته عن أبي طاهر أحمد بن الحسن ابن الباقلاني عن أبي الحسن علي بن أيوب بن الساربان عن المتنبي . وكانت قراءتي سنة ثمان وثلاثين وخمسمئة ، وسماعي سنة إحدى وأربعين وخمسمئة . وقُرىء على أبي البركات عمر بن محمد بن معمر بن طبرزد[٢٧] بدار الحديث بأربل . وحضرت من القراءة عليه جملة لم أعيّنها ، وأخبرنا به عن أبي طاهر عبدالباقي بن محمد بن

---

(٢٥) هكذا ورد اسمها في المخطوطة ، وفي الاعلام للزركلي : هي شهدة بنت أبي نصر أحمد بن الفرج بن عمر الآبري . فقيهة ، من علماء عصرها،أصلها من الدينور ، ومولدها ووفاتها في بغداد ، ولدت سنة ٤٨٢هـ وتوفيت سنة ٥٧٤هـ . روت الحديث ، وسمع عليها خلق كثير ، وطار صيتها . تزوج بها ثقة الدولة ابن الانباري . وعرفت بالكاتبة لجودة خطها، أخبارها في وفيات الأعيان : ٢٢٦/١ ومرآة الجنان : ٣٥٢/٨ والدر المنثور ٢٥٦

(٢٦) أبو اليمن الكندي : هو زيد بن الحسن بن زيد بن سعيد الحميري ، أبو اليمن ، تاج الدين الكندي ، من الكتاب الشعراء العلماء ، ولد سنة ٥٢٠هـ ببغداد ونشأ فيها وتوفي سنة ٦١٣هـ ، وسافر الى حلب وسكن دمشق، وقصده الناس يقرؤون عليه تصانيف منها : « شرح ديوان المتنبي » - اخباره في مرآة الزمان ٥٧٥/٨ وابن خلكان : ١٩٦/١ والارشاد ٢٢٢/٤

(٢٧) ذكرنا ترجمة له في صفحة سابقة .

عبدالباقي الانصاري • قال : أخبرنا أبو البركات محمد بن عبدالله بن الوكيل ، قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن أيوب بن الساربان عن المتنبي •

قال المبارك بن أحمد بن المبارك رفق الله به :

وإنما اعتمدت في شرح ديوان أبي تمام الطائي على كتاب أبي بكر محمد بن يحيى الصولي ، وعلى « ذكرى حبيب » كتاب أبي العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان المعري(٢٨) ، وعلى ما ذكره أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي ، وعلى كتاب أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي(٢٩) ، أحدهما : في « شرح مشكل أبياته المفردة » ، والآخر : في « الانتصار لأبي تمام من ظلمته »، وعلى قطعة من كلام أبي حامد أحمد بن محمد الخارزنجي(٣٠) بقرية من قرى نيسابور ، ومعه من غير كلامه • ووقع إليّ كلام أبي تمام وعلى حواشيه جملة من تفسير، وفي أوّله فوق البسملة: « قال مولانا الصاحب الأجل السيد عين الكفاة، تاج الوزراء ، صدر الاسلام والسلمين، وناصح الملوك،

---

(٢٨) أبو العلاء المعري ، أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي المعري ، الشاعر الفيلسوف المعروف ، ولد بالمعرة سنة ٣٦٣هـ وتوفي فيها سنة ٤٤٩ ، له مصنفات مشهورة . وسوف ترد له ترجمة مفصلة في هذا الكتاب،أخباره في ابن خلكان : ١/٣٣ ، ومعجم الأدباء : ١/١٨١ ، ولسان الميزان: ١/٢٠٣ ويتيمة الدهر ٩/٣

(٢٩) المرزوقي : أحمد بن محمد بن الحسن ، أبو علي . عالم بالأدب ، من أهل أصبهان ، له مصنفات مهمة ، توفي سنة ٤٢١هـ • وسوف نذكر ترجمة له مفصلة في الاوراق التالية ، أخباره في معجم الأدباء : ٥/٣٤ ، وإنباه الرواة : ١/١٠٦ وبغية الوعاة : ١٥٩ ، ومقدمة كتابه « شرح المشكل من شعر أبي تمام » •

(٣٠) أحمد بن محمد الخارزنجي البشتي أبو حامد ، نسبته الى بشت من نواحي نيسابور ، ومثلها خارزنج بسكون الراء وفتح الزاي ، أديب خراسان في عصره ، من كتبه « تكملة كتاب العين » و « شرح أبيات أدب الكاتب » . توفي سنة ٣٤٨هـ ، وسوف نذكر له ترجمة مفصلة في هذا الكتاب • اخباره في إنباه الرواة، ١/١٠٧ ، وبغية الوعاة ١٦٩ واللباب ٣٣٥

ولي النعم أبو القاسم عبدالحميد ابن أكفى الكفاة أحمد أدام الله علوّه ، قرأت على الامام أبي المظفر ناصر بن منصور البستي رحمه الله سنة أربع وخمسين وأربعمائة ، قال : قرأت على الامام أبي علي الحسين بن أحمد النوزادي ، قال : قرأت على أبي علي محمد الحسن بن محمد صاحب المرزوقي ، قال: قرأت على أبي عبيد محمد بن عمران بن موسى المرزباني[٣١] ، قال : قرأت على أبي بكر محمد بن يحيى الصولي » • وذكر في الخطبة : « وهذه النسخة من نسخ العجم ، وربما وقع في حواشيها شيء يسير من الشرح بالعجمية • فاذا عنيت « وفي النسخة العجمية ، أو في الطرّة العجمية ، أو في حاشية النسخة العجمية » ، أيّاً ما ذكرت فانما أعني إيّاها • واذا كانت رواية مجهولة ، أو حاشية على ديوانه مجهول نسبها ذكرتها على ما وجدتها •

ووقع إليّ نسخة ديوان شعر أبي تمام بشرح الصولي ، وعلى أوّل طرّة منها ما حكايته : « هذه النسخة صححها إبراهيم بن أحمد بن الليث بنسخة كانت لأحمد بن بكر العبدي[٣٢] ، وكان كتب على حاشية الورقة الاولى : يقول محمد بن جعفر التميمي : قرأ عليّ هذا الديوان الشيخ أبو طالب أحمد بن بكر العبدي أيده الله ورويته له عن أبي بكر الصولي وعن أبي مالك صاحب أبي تمام ، قال إبراهيم : العبارات المنقولة الى الحواشي هي منقولة

---

(٣١) محمد بن عمران بن موسى ، أبو عبيد المرزباني . أخباري مؤرخ أديب ، من خراسان ومولده ببغداد سنة ٢٩٧هـ ووفاته سنة ٣٨٤هـ . له كتب عجيبة ، أتى على وصفها ابن النديم ، أخباره في الفهرست : ١٣٢/١ ، ١٣٢/١ ، الوفيات : ٥٠٧/١ ، ميزان الاعتدال : ١١٤/٣ ، لسان الميزان: ٣٢٦/٥ وتاريخ بغداد : ١٣٥/٣

(٣٢) أحمد بن بكر بقيّة العبدي ، أبو طالب ، من كبار النحاة ، له كتب منها « شرح الايضاح » توفي سنة ٤٠٦هـ ، أخباره في نزهة الالباء : ٤١٠ ووفيات الأعيان : ٢٩/١

من هذه النسخة على اختلاط وتقارب ألفاظها ، وإن كانت المعاني صحيحة • وكتب بخطّه في شعبان سنة سبع وثلاثين وأربعمائة ، آخر ما كان على ثاني قائم فيها • وفي حواشيها ما نقل من كلام المرزوقي وعيّن ، وفيه حواشٍ غير معيّنة ، وما في هذه النسخة وفي نسخة ابن الليث فإشارة الى هذه ، أعني نسخة إبراهيم بن أحمد بن الليث ، وكذا ما فيها بخطّه فاشارة إليها أيضاً •

* * *

[بسم الله الرحمن الرحيم]

قافية الهمزة

قال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي يمدح خالد بن يزيد بن مزيد بن يزيد بن مطر بن مرّة بن همام بن مرّة بن ذهل بن شيبان[1]

١ـ يا مُوضِعَ الشَّدَنيَّةِ الوجْناءِ ومُصارعَ الإدلاجِ والإسْراءِ

قال أبو بكر محمد بن يحيى بن عبدالله الصولي :

«الإيضاع» : سير سريع من سير الابل ، وأوضع الرجل جمله أو ناقته : إذا حملهما على سرعة في السير ، يوضع إيضاعاً • و«الشدنية» : منسوبة الى شَدَن ، محل معروف • و «الوجناء» : العظيمة الوجنات • قال الأصمعي[2]: هي صابة ، مأخوذة من الوجين ، وهو ما صلب من الارض • و « مصارع الإدلاج والإسراء » : يقول : لا يفتر عن الادلاج والاسراء ، فهو مواصل

(١) هو خالد بن يزيد الشيباني ، كان والياً على ارمينية في أيام الواثق ، مات سنة ٢٣٠هـ • راجع الأغاني ، ١٠٤/١٥ ، و٢٠/١٨٦-١٨٧

(٢) الأصمعي : هو ابو سعيد عبدالملك بن قريب الباهلي من تلاميذ أبي عمرو بن العلاء ، واخذ عن خلف الاحمر،توفي سنة ٢١٥هـ وقيل ٢١٦ أو ٢١٧هـ له مصنفات كثيرة ، وكتابه « فحول الشعراء » من أهم كتبه في النقد . اخباره في نزهة الألباء : ١٥٠-١٧٢ ، الفهرست ٥٥ ، سمط اللآلىء ٣٥١

لهما . وسرى وأسرى لغتان . وأدلج إدلاجاً : إذا سار من أول الليل. وادّلج: إذا سـار من آخره .

وقال أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري :

« ومصارع الإدلاج والإسراء » : وهذا مستعار ، لأن الادلاج والاسراء لا يُصارعان في الحقيقة ، إنما الصراع لذوات الشخوص . قال : ومَن روى « مضارع الادلاج »[3] فهـو مُصَحِّف . لأن المضارعـة مقاربـة الشـيء وموافقته ، وان ساغ ذلك على معنى فلا وجه له . هذا كلامه .

إذا جعله سـائغاً على معنى فقد وجد له وجهاً وإن كان ضعيفاً ، على ان الرواية قد جاءت به ، وأراد بالمصارعة ههنا : المعالجة والمحاولة بشدّة ، أي انه أبداً يقاسي ذلك ويزاوله .

قال الجوهري : « الشدنيات من النوق منسوبة الى موضع باليمن » .

٢ــ أقرِ السَّـلامَ مُعَرَّفـاً ومُحَصَّباً
من خالـدِ المَعْرُوفِ والهَيْجـاء[4]

قال الصولي :

« الهيجاء » : تمدّ وتقصرِ ، ونسبه الى المعروف والحرب ، لأنه قـد عرف بهما ، أي الى المعرف والمحصّب يرجع أصله . والمعرّف والمحصّب : موضعان . ثم جعل المديح له متعلقاً بذكر هذه المواضع ، واسـتعار الامثال لجوده بذكرهما » .

---

(٣) وردت هذه الرواية أول ما وردت في كتاب شرح الصولي على ديـوان أبي تمام ، قال : « ويروى : مضارع ، وهو تصحيف ». أنظر كتـاب شـرح الصولي : ١٦٧/١

(٤) رواية بعض نسخ الصولي «ادّ» بدل «أقر» ورواية التبريزي «اقرى»

وذكر قوم انه يريد بذكره في شرف هذه المواضع ، وليس كما قالوا : إنما كان خالد بن يزيد ولي الحرمين ، وأراد الخروج إليهما ثم عـزل عنهما . وقيل : كان وليهما وخرج إليهما مديدة ثم عزل[٥]

قال أبو العـلاء :

هذا البيت يروى على وجوه ، وأجودها وأليقهـا باللفظ أن يقول : « أقرِي السلام مُعَرَّفاً ومُحَصَّباً » . ويكون من : قـرأتُ على فـلان السـلام ، وأقرأتُه غيري ، وتُخَفَّف الهمزة ، فإن خفّفت للضرورة أثبتَ الياء في الخط ، كأن القائل أراد أن يقول : أقرِىء السـلام ، فخفّفَ وبقيت الياء . وإن كانت الهمزة خُفّفت قبل أن يُرام نظمُ الكلمة فلا ضرورة فيها، وينبغي أن يكتب « أقرِ » بغير ياء لانها في لغة من يقول «قَرَى» على وزن سَقَى . و«مُعرَّف» في هذين الوجهين منصوب بوقوع الفعل عليه ، كمـا تقول : أقرىء السلام مكّة ويثرب . و«المعرَّف» الموضـع الذي يقف فيه فيه الناس بعرفة (يوم عرفة) ، و «المحصّب» الموضع الذي تُرمى فيه الجمار، ولو أنه بالالف والـلام كان أوجب ، لانه كذلك يستعمل فيقال : المعـرف والمحصب ، وإنما هما بمكة دون غيرها من البلاد[٦]

---

(٥) هنا إشارة الى قول الصولي ، وقد ذكره في كتابه شرح شـعر أبي تمـام : ١٦٨/١ ، وقال أيضاً : « الهيجاء ، تمد وتقصر . قال لبيـد : « يا ربَّ هيجا هي خير من دعه » فقصر ، وقال غيره :

إذا كانت الهيجاء وانشقت العصا   فحسبك والضحّاك سيف مهند

أي كفاك وكفى الضحاك سيف مهند .

(٦) قال التبريزي مضيفاً الى كلام أبي العلاء في كتابه « ديـوان أبي تمام بشرح التبريزي » : ٨/١ :

قال الشـاعر :

عفا بطحان من قريش فيثرب   فبطن الجمار من منى فالمحصّب

وقال الهذلي :

←

ومن أنشد « اقرِ السلام مُعرِّفاً ومُحَصِّباً » بكسر الراء والصاد فالمعنى : أقرِ أيها الرجل السلام في حال تعريفك وتحصيبك ، والمقروءُ عليه السلامُ محذوف من اللفظ لِعِلْم السامع[7] . والكلام في إثبات الالف في « اقرأ » مثله في إثبات الياء في « أقري » إن كان خُفِّف بعد النظم وجب أن يثبت ، وان كان التخفيف والكلمة منثورة حُذِفت الالف كما تحذف من قولك « اخشَ » .

وقال أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي :

ولو رويت « إقرأ السلام معرّفاً ومحصّبا » لجاز ذلك على بُعد ، ويكون النصب على الظرف ، كما يقال : فرّق المال يميناً وشمالاً » .
بهذا كلامه .

وقوله « وفيه بُعد » لانها مخصوصان محدودان . وخلاصة ذلك : إذا كان الفعل رباعياً فالنصب في معرفاً ومحصباً على المفعول ، حسن فتحت الراء والصاد أو كسرتهما ،ويجوز أن يكونا مع الكسر في معرف ومحصب مفعولين . أي سَلّم على من سكنهما أو حضرهما ، كما كانا مفعولين مع فتح الراء والصاد .

أظنكم من أسرة قمعية ... إذا نسكوا لا يشهدون المعرّفا

فليس حذف الالف واللام من «المعرّف» كحذفها من العباس والضحّاك، لان العرب تستعمل بعض الاسماء مرة بالالف واللام ، ومرة بغير الالف واللام ، ولم يجيء في أشعارهم مثل هذا منكراً إلا أن يكون شاذاً ، وليس امتناعه من المجيء انه غير جائز ، ولكنه اتفاق يقع في اللفظ .

(٧) قال التبريزي في كتابه : ١/٩ معقباً على كلام المعري :
« وذلك مثل قولهم : إذا بلغت حلب فاقرىء السلام ، فيحتمل اللفظ المذكور عموماً وخصوصاً ، ويحتمل ان يكون «معرّفاً» منصوباً بوقوع الفعل عليه : يُراد من حَضَرَ عرفة . ومن أنشد « إقرأ السلام » وجب أن يكسر الراء في «مُعرّفاً» والصاد في «محصّباً» ، لان المراد هو الانسان القارىء ، فنصب الكلمتين على الحال .

٣ ــ سَيْلٌ طَما لَوْ لمْ يَذُدْهُ حادِثٌ
لتَبَطَّحتْ أولاهُ بالبَطحاءِ[٨]

قال الصولي :

ويروى « لو لم يذده «خالد» و«حادث» • والبطحاء : أرض مستوية ينبطح فيها السيل ، وطما : ارتفع • يقول : خالد هذا كان والياً فعزل ، ولو ترك لملأ هذا الموضع من جوده كما يملؤها السيل ، وصَيَّر خالد نفسه سيلاً، وانما يريد جوده •

وقال أبو العلاء :

« سيل طما » يعني به معروف خالد ، ولا يمتنع أن يعنى به خالد نفسه ، أي هذا المذكور سيل طما ــ أي ارتفع ــ لو لم يعقه عائق[٩] ، وقوله «لتبطّحت» أي لانبسطت ، وانما جاء بهذه اللفظة لمجانستها « البطحاء » • ويحتمل أن يكون قوله « تبطّحت » أي حلّت بالابطح ، كما يقال : تبصّر فلان ، إذا أتى البصرة ، أو أقام بها أو انتسب الى أهلها•[١٠]

قال المبارك بن أحمد :

لا أرى لرواية «خالد» معنى ، مثل معنى قوله «ذائد» و«حادث» ، لان خالداً لم يذد السيل على ما قالوا انه عُزل ، إنما ذاده ذائد من غيره ،

---

(٨) رواية التبريزي « يذده ذائد » مكان «حادث» .

(٩) قال التبريزي معقباً على كلام أبي العلاء في كتابه : ١/١٠ :
« وكان المعتصم ولاّه الحرمين ثم عُزل ، يقول : لولا حادث العزل لامتلأت بهباته وجوده بطحاء مكة ، والبطحاء : بطن الوادي إذا كان فيه رمل . قالوا في المثل ، خذ ما قطع البطحاء ، ويسمى بطن مكة بطحاءها ، ويقال للساكنين بها قريش البطحاء وقريش الابطح » .

(١٠) قال التبريزي معقباً على كلام أبي العلاء : ١/١١
« واصل البطح في بني آدم ان يلقى الرجل على وجهه ، يقال : بُطِحَ القتيل »

وحادث عرض له ، إذ لا حكم لخالد في ذلك سواء جعل السيل جود خالد أو معروفه ، أو جعل نفس خالد ، ويرتفع سيل على انه خبر ، أي جود خالد سيل أو معروف خالد . ويجوز أن يكون متّصلاً بقوله : « اقر السلام » أي وقل هذا سيل طما لدلالة المعنى عليه ، ويجوز أن يكون منقطعاً عنه مستأنفاً ، والاول أجود .

٤ ـ وغَدَتْ بُطونُ مِنًى مُنًى مِنْ سَيْبِهِ
وغَدَت حَرًى مِنهُ ظُهورُ حِراءِ

قال أبو العلاء :

إذا ضمت الميم [من مُنى] فهي جمع مُنية ، والمعنى يصحّ على ذلك، وإن رويته « مَنى » فهو حسن ، من قولهم « أصابه مَنىً » أي مقدار .أي غدت بطون منى مُقدّرة لسيبه .

وتحتمل أن يكون من قولهم : داري بمَنَى داره ، أي بحذائها ، كأن المعنى بالموضع الذي قدّر لها أن يَقرُبَ إليها . و « حَرىً منه ظهور حِراء » يحتمل وجهين : أحدهما : أن يكون من قولهم « هو حَرىً بكذا » أي خليق به ، وهي كلمة معروفة . والآخر : من قولهم : هو بِحَرا الدار. أي بفنائها[11] . ويكون معنى « حَرَاً » أي أفنية مسكونة . يقول : غدت ظهور حراء على انها غير مسكونةٍ ، مسكونة من تأميل الناس له .

وحراء يصرف ولا يصرف ، وهو اسم جبل بمكة » . هذا كلامه .

ورواية « مُنى » جمع مُنية أجود حملاً على الوجه الثاني من تفسيرَيْ قوله : وغدت حرى منه ظهور حراء . أي لعلم السائلين بحجه طلبوا مُنى فملأوها أمانيّ ، وسكنوا حراء رغبة في تأمله وعطائه .

---

(١١) قال التبريزي في كتابه معقباً : ١/١١ :
« ويقال لادْحيّ النعامة «حَرا» لانه كالفناء لها ، قال الشاعر :
بيضة ذاد هَيْقَها عن حَراها كلّ طار عليه أن يَطراها .

وموضع « من سيبه » نصب مفعول لاجله ، والهاء في « منه » تعود الى سيبه ، والنسخة العجمية : الحرى : المطر ، ولا أعلم صحته . وفي نسخة : « وغدا حراء منه بالاحراء » . حراء : جبل بمكة ، والاحراء : جمع حرًى . والذي ذكره الجوهري : وأنتم أحراءٌ جمع حَرٍ منقوص ، وإن جاز حمله على السياق فقد جاء مثله : شريف وأشراف . وفي نسخة أخرى : « وغدت بطون مِنى مِنى من سيبه » ، مِنى : أي سيلاً . والذي رويناه « مُنى » بضم الميم .

٩ ـ وتَعَرَّفَتْ عَرَفاتُ زاخِرَهُ ولمْ
يُخْصَصْ كَدَاءٌ مِنْهُ بالإكْداءِ

قال الصولي :

عرفات : تصرف ، وقد جاءت في القرآن مصروفة ، جعلت اسماً واحداً لمكان . وجاءت في بعض الشعر غير مصروفة أيضاً . وكداء : جبل يدخل منه الى مكة(١٢) ، سمي به لصلابته . والكدية : إذا بلغ الحافر إليه لم يعمل فيه معوله ، قيل : قد أكدى الحافر ، ومنه أكدى الرجل : إذا طلب حاجة ولم ينلها .

قال أبو العلاء :

والغالب على « كداء » التأنيث(١٣)

---

(١٢) قال الصولي في كتابه شرح شعر أبي تمام : ١٦٩/١
« ومنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح [الحديث عن جبل كداء] . قال حسّان :
عدمنا خيلنا إن لم ترَوْها تثير النقع موعدها كَداء .

(١٣) جاء في شرح التبريزي : « قال المعري : قال ابن قيس الرقيات :
أقفرت بعد عبد شمس كَداء فكُدَيٌ فالركن فالبطحاء
والاكداء : مصدر أكدى ، إذا قلّ خيره ، وأكدى المكان إذا جمد نباته ، يقال : كدا النبت اذا وقف ضعفاً فلم يطل لان عرقه يبلغ الى كدية صلبة . و « عرفات » تصرف ولا تصرف

قال أبو زكريا (التبريزي) :

« تَعَرَّفَتْ » : تحقَّقَتْ[14]

وفي نسخة « تعرفت » أي عرفت ، وهو الصحيح ، ومثله تظلّمني فلان ، أي : ظلمني .

٦ ــ ولطَابَ مُرْتَبَعٌ بِطِيبَةَ واكْتَسَتْ
بُرْدَينِ بُرْدَ ثَرىً وبُرْدَ ثَراءِ

وروى الصولي : « بُرْد نَدىً » ، يقول :

لو لم يُعزل لاكتست أيضاً « طيبة » وهي مدينة بُرْدَيْن : بُرْد نَدىً : أي ما ينبته الندى ببركته فيحسن به ، وبُرْد ثراء : أي كثرة مال مما يجود به . يقال : أثرى الرجل ، يثرى إثراءً ، إذا كثر ماله . وهذه كلها استعارات منه ، وكذلك كلام العرب جاء عليها .

وأما قوله « ولطاب مرتبع بطيبة » و « لم يخصص كداء منه بالاكداء » فإن هذا تسميه العامة : المطابق ، ويغلطون ، وليس يعرفه ويميّز عنه إلا من نقد في علم الشعر والعروض والقوافي ونقده ، وعرف حلي الشعر ومحاسنه ومعانيه . وهذا يسمى « المجنّس » وهو أن يأتي بلفظ واحد لمعنيين ، كأنه جنس اللفظ فصيّره لنوعين ، واذا مرّ المطابق ذكرته ووصفته إن شاء الله .

وقال أبو العلاء :

« المرتبع » منزل القوم في الربيع . و « طيبة » اسم المدينة ، مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقيل : انه اسم حدث في الاسلام . وفي

---

(١٤) قال التبريزي في كتابه شرح شعر أبي تمام : ١١/١
« تعرفت » أي تحققت عرفات عظم زاخره . وزاخره كثيره وجائشه ، من قولهم : زخرت القِدرُ إذا غلت وجاشت .

كلام لبعضهم : « فأتينا ونحن نَشْر » [١٥] • و « الثرى » : يعني به التراب النَّدِي • والثراء كثرة المال ، ويروى « برد ندىً وبرد ثراء » ، أي لاكتست أرضُها نبات الندى دون المطر على المبالغة ، أي لو سار خالد الى هذه المواضع لاخصبت •

٧ ـ لا يُحْرَمِ الحَرَمانِ خَيْراً إنَّهُمْ
حُرِموا بِهِ نَوْءاً من الانْواءِ

قال الصولي :

قيل : كان ولي الحرمين ثم عُزل عنهما من قبل أن يبلغ • وقيل : أراد بذلك المعتصم ، ثم ولاه غيرهما • و « النوء » سقوط نجم من منازل القمر في المغرب ، وطلوع آخر في المشرق ، وهو من ناء ، ينوء ، نوءاً : إذا ارتفع • وقد ذكره الناس •

وقال أبو زكريا :

« دعا لاهل الحرمين ، أي لا يحرم أهل الحرمين ، وهذا كما يقال : هلكت اليمامةُ ، يُراد أهلُ اليمامة ، وإنما دعا لهم تَرَثّياً ورحمة لما حُرموه من جوده • و « الانواء » معروفة ، والذي يُراد بالنوء هنا المطر الذي يجيء عند سقوط النجم • والنوء : يستعمل في السقوط والطلوع • و«الحَرَمان»: مكة والمدينة » • هذا كلامه

---

(١٥) جاء في كتاب التبريزي ، والكلام لأبي العلاء :
« وكان بعض أهل اللغة يزعم ان الاختيار فيها «طيّبة» بالتشديد ، ولا ريب ان ذاك هو الاصل ، وطيبة : اسم من اسماء النساء ايضاً مخفف من طيبة . فاما قول العامة ، الطيبة في مصدر الشيء الطيّب ، فاهل اللغة ينكرون ذلك ويختارون حذف الهاء ، فيقولون : هذا شيء طيّب بيّن الطيب .

الذي ذكره الصولي يحتاج الى إيضاح ، ففيه اضطراب من جهة قوله « ولي الحرمين ثم عزل عنهما من قبل أن يبلغ . وقبل أراد به المعتصم ثم ولاه غيرهما » اللهم إلاّ أن يريد بقوله « به » المعتصم ، أي بعزله إياه حرم الحرمين نوءاً من الانواء ، والنوء هنا يريد به : النوء الماطر ، فحذف الصفة . أو يريد من الانواء الماطرة فحذف أيضاً . [وقد] يكون عنى بالنوء المطر نفسه ، لانه سبب النوء ، وإلاّ فليس كل الانواء يكون منها المطر .

٨ ــ يا سَائِلي عن خَالِدٍ وفَعالِهِ
زدْ فاغْتَرِفْ عِلْماً بِغَيرِ رِشاءِ

قال الصولي :

يقول : خذ علم ذلك مني بلا تعب

قال التبريزي :

جعل العِلْمَ به كالعين الغزيرة القريبة مثلاً ، أي اصْغِ إليّ سمعَك . فخُذْ عِلْمَ ما أردت سهلاً بغير مشقّةٍ ، كمن ورد ماء فغرف منه بيديه دون رشاء ولا دَلْو .

قال المبارك بن أحمد :

فَعَاله بفتح الفاء : الكرم ، قال الجوهري : والفعال أيضاً مصدر . مثل ذهب ذهاباً ، وهو هنا مصدر لما عدّوه سوء فعلةٍ .

٩ــ أنْظُرْ وإيّاكَ الهَوَى لا تُمْكِنَنْ
سُلْطَانَهُ مِنْ مُقْلَةٍ شَوْسَاءِ

قال الصولي :

نظر الاشوس : نظر في جانب ، يقول : يا مَن يسألُ عن خالد أنظر بعين قاصدة للحق ، ولا تنظر بعين مائلة ، ولا يغلبنك سلطانُ الهوى .

وفي الطرّة خ : شيطانه .

قال التبريزي :

كان النحويون المتقدمون يرون أن « إياك » ينبغي أن تستعمل مع الواو مثل قولهم : إياك وزيداً ، وينكرون مجيئها على غير ذلك إلا أن تستعمل بـ « أن » ، كقولك : إيّاك أن تقوم . والواو عندهم مَرادة[16] ، [وكذلك] تحذف، حروف الخفض معها ، كقولك : أمَرْتُك أن تفعل ،والمراد « بأن تفعل » ، فاذا عُدِمَتْ قَبُحَ عندهم الحذف إلا في ضرورة الشعر كقوله :

إياكَ إيّاكَ المِراءَ فإنّهُ الى الشَّرِّ دعّاءٌ وللشرِّ جالِبُ[17]

وأصحاب هذا القول يرون أن الحذف جاز مع «المِراء» لانه مصدرٌ لماريت فهو مؤدٍّ معنى « ان تُمارى » ، وكذلك الهوى مؤدٍّ معنى « أن تهوَى »[18] . وأما غير هؤلاء فلا يرون بحذف الواو بأساً مع «ان»وغيرها، لأنهم يتأوّلون المعنى إذا قالوا : إياك أن تقوم ، على تقدير قولك : أحذّرك أن تقوم[19] . و«السلطان» المعروف فيه التذكير ، وقد حُكي تأنيثه[20]

---

(16) جاء في شرح التبريزي بين الشرح المنسوب الى أبي العلاء ما يأتي:
« كأنه قال : إياك وأن تذهب ، ولكن الواو حذفت كحذف الباء مع «ان» في مواضع كثيرة .

(17) أنظر كتاب سيبويه : ١٤١/١ من غير نسبة وفي خزانة الأدب : ٤٦٥/١ ينسب للفضل بن عبدالرحمن القرشي ، يقوله لابنه القاسم بن الفضل .

(18) وجاء أيضاً في شرح التبريزي : ١٣/١
« وقيل نصب «المِراء» بفعل مضمر سوى الذي ينتصب به إياك »

(19) وجاء في شرح التبريزي : ١٣/١
« فلماء جاء الضمير المنفصل استغني عن المتصل » ، وناب عن ظهور الفعل

(20) وجاء في شرح التبريزي ، ١٣/١
« شوساء : من قولهم : رجل أشوس ، إذا نظر في شقِ من الغضب ،وقيل: هو ان يجمع أجفانه ويضيّق نظره » .

١٠ـ تَعْلَمْ كم افْتَرَعَتْ صُدورُ رِماحِهِ
وسُيوفِهُ من بَلْدَةٍ عَذْراءِ[٢١]

قال الصولي :

« يقول : كم افتتح من بلدة لم تفتتح قبله ، وقد جعل هذا مثلا»[٢٢]

والرواية المشهورة « وسيوفُه » بالرفع ، والجر أجود معنى ، لأنه لمّا جعل للرماح صدوراً صار الأوْلى أن يكون للسيوف صدور ، لأن استعماله الصدور للسيوف أكثر من استعمالها للرماح • وكلا روايتي الرفع والجر في قوله « سيوفه » جائز حسن ، والجرّ أحسن لما ذكرته •

١١ـ ودعا فأسْمَعَ بالأسِنَّةِ واللُّهَى
صُمَّ العِدَى في صَخْرةٍ صَمَّاءِ

قال الصولي :

اللُّهْوَة : أصلها حَفْنة تطرح في فم الرّحا • والجمع لُهَى ، ثم صارت العطايا لُهىً • يقول : دعا أعداءه الى طاعته بالرغبة وهي اللُّهى،

---

(٢١) رواية التبريزي « وسيوفه » بالرفع والجر .

(٢٢) نذكر فيما يأتي تكملة شرح الصولي : ١٧١/١ :
« وقيل أصل الافتراع إخراج الدم ، ومنه الحديث « لا فَرَعَةَ ولا عتيرة »، فالفرعة ذبيحة كانوا يذبحونها لآلهتهم نذراً عليهم أول بطن تلد الناقة ، ومنه قول الراجز يخاطب الضّبُع وقد أخذت شاة من غنمه :

أفرعتِ في قَراري
كأنما ضَراري
أردْتِ يا جَعَار

قراره غنمه ، قال علقمة :

والمالُ صوفُ قرارٍ يلعبون به ... على نقادته وافٍ ومجلومُ

وفرعتُ دمه ، صببته . قيل : والعذراء أخذتْ من الضيِّق والمَنَعة ، ومنه تعذّرت حاجته : ضاقت وامتنعت . وقيل افترعها : علاها .

والرهبة وهي الأسِنّة . فأسْمَعَ بباسه وجوده من كان لا يسمع ، وكان كأنه في صَخرة صماء لا يوصل إليه لامتناع مكانه ، وكثرة جيشه .

وقال المرزوقي :

يقول : دعا أعداءه الى طاعته بالرغبة وهي اللّهى ، والرهبة وهي الأسنّة ، فاسمَعَ بباسه وجوده من كان لا يسمع الى غيره ، وكأنه كان في منعته واعتزازه في صخرة صماء لا يوصل إليه ولا يُقدر عليه .

وروى بعضهم « صم الصَّدَى » ، والمعنى : أسْمَعَ حيث تتعذر الأسماع .

وقال التبريزي :

« صُمّ العِدَى هم العُتاة الذين لا يجيبونه الى صلح ولا غيره ، وأراد « بالصخرة الصَّمّاء » الصَّمّاء : المنيعة . والمعنى : ان عِداه يذلّون له إمّا بحرب وإمّا بجود . وضرب صم العدى مثلاً للحَيَّةِ التي لاتَسْمَعُ رُقْيَةً » هذا كلامه .

والذي فسّره الصولي في « صم العدى » أحسن ، وليس في قول أبي تمام ما يدعو الى أن يشبه بالحيّة الصَّمّاء .

١٢ـ بِمَجامِعِ الثَّغْرَيْنِ ما يَنْفَكُّ في
جَيْشٍ أزَبَّ وغارَةٍ شَعْواءِ [٢٣]

---

(٢٣) رواية الصولي والتبريزي « من جيش » مكان « في جيش »

قال الصولي :

الأزَبّ : الكثير الشعر ، واستعاره للجيش ، وأخبر أنه كثير السلاح في الجيش ككثرة شعر الأزبّ . و « شعواء » : متفرّقة منتشرة بكلّ مكان[٢٤]

وقال التبريزي :

قال أبو العلاء : « وغارة شعواء » أي متفرّقة . ولا يقولون للذكر أشْعَر ، وأراد بالثغرين : حيث تلتقي ثغورُ المسلمين ، وثغور المشركين[٢٥]

١٣ـ مِنْ كُلِّ فَرْجٍ لِلعَدُوِّ كأنّهُ
فَرْجٌ حِمىً إلاّ مِنَ الأَكْفَاءِ

قال الصولي :

« الفَرْجُ » : المكان المخوف ، يقول : فتح هذه المواضع التي كانت ممتنعة على غيره حتى كان هو كفءاً لفتحها ، كالفرج الذي يُمنع إلا من الاكفاء .[٢٦]

١٤ـ قَدْ كانَ خَطْبٌ عاثِرٌ فأقالَهُ
رَأْيُ الخَلِيفَةِ كَوكَبُ الخُلفاءِ

---

(٢٤) جاء في شرح الصولي : ١٧٢/١ :
والازب في غير هذا : الجبان . قال النابغة :
كما حاد الازب عن الطعان . [وصدر البيت «أثرت الغي ثم صددت عنه»]

(٢٥) جاء في شرح التبريزي : ١٥/١ ، « قال أبو العلاء : وقد شرح أبو الطيب هذا المعنى في قوله :
صَدَمْتَهم بخميسٍ انت غرّته وسمهريّته في وجهه غمَمْ

(٢٦) جاء في شرح التبريزي : ١٥/١ : قال ابو العلاء :
« الفَرْجُ : موضع المخافة ، كأنهم يريدون ان المكان قد حفظ إلاّ ذلك الموضع ، وهو مأخوذ من فرج الذّرّاعة والقميص ، وقال غيره ، الفرْج الثغر ، شبهه بفرج امراة يحمى إلا من كفء لها في النكاح .

قال الصولي :

يقول : قدكان هذا الخطبُ عَثَرَ بك حتى أقالك الخليفة •

ولهذا القول خبر كان لخالد بن يزيد مع المعتصم ، أنا أذكره بعد فراغي من هذه القصيدة ان شاء الله •[27]

وفي الطرّة : يروى « خطو » وفيها « عائر » ، يريد : قد كان خطو عائر ، وهذه الرواية مع قوله « فأقاله » حسنة ، مستعمل مثلها في كلامهم• ورواية قوله « عائر » مع قوله « قد كان خطب » من قولهم : عائر: الفرس إذا أخذ في غير جهة لنشاطه • يصف شدّة الخطب ، وانه غير واقف عند حدّ •

١٩ـ فَخَرَجْتَ مِنْهُ كالشِّهابِ ولمْ تَزَلْ
مُذْ كُنْتَ خَرّاجاً مِنَ الغَمَّاءِ

« الغمّاء » : أصلها من الظلمة • يقال : ليلة غَمّى وغُمّى ، بفتح الغين وضمّها • وقال الجوهري : [الفراء] صُمْنا للغُمَّى [وللغَمَّى] • والغماية : إذا غمّ عليهم الهلال ، وهي ليلة الغماء • وقال في باب « غمم » معجمة :

معجمة: صُمنا الغَمى والغُمى بالفتح والضم ، وصُمنا الغَمّاء ، على فعلاء بالفتح والمدّ •

١٦ـ ما سَرَّني بِخِداجِها من حُجَّةٍ
ما بَيْنَ أنْدَلُسٍ الى صَنْعاءِ

---

(27) اقرأ الخبر في شرح الصولي لديوان أبي تمام : ١٧٥/١ . وسوف يرد الخبر في نهاية القصيدة .

قال الصولي :

يقول : ما سرّني بنقصان حُجّة خَصْمك ان لي ما ذكرته[٢٨] . و «الخداج» النقصان . وأصل ذلك في الناقة : يقال : خدجت الناقة إذا ألْقَتْ ولدها ناقصاً لغير تمام . والولد مخدج ، وهي مخدج» . هذا كلامه.

وقال الجوهري : خدجت الناقة تخدِج خداجا ، فهي خدوج . والولد خديج ، إذا ألْقَت ولدها قبل تمام الأيام ، وإن كان تام الخلق . وأخدجت الناقة : إذا جاءت بولدها ناقص الخلق ، وان كانت أيّامه تامّة . فهي مخدج والولد مخدَج . والخِدَاج في بيت أبي تمام من « خدِجت » . و « ما من » فاعل سرّني .

وفي حاشية النسخة التي ذكرتها ، الصواب : من حَجّةٍ وهو ما صحف فيه الصولي ، أي بأن تتم حجتك وأن يكون لي ملك ما بين هذين البلدين. كما يقال : ما يسرّني به حُمْرُ النَّعَم

١٧ــ أجْرٌ ولكنْ قد نَظَرتُ فلمْ أجِد

أجْراً يَفِي بِشَماتَةِ الأعداءِ

« أجر » أي : الحج أجر ، وقوله : « لم أجد أجراً يفي بشماتة الاعداء » قالوا : أراد : النار ولا العار .

قال المبارك بن أحمد :

أراه : قد أُجرتَ لأنك نويتَ الحجّ ، ولكن هذا الأجر لا يفي بعزلك الذي شمت به أعداؤك .

---

(٢٨) رواية الصولي في كتابه : ١٧٣/١ : « انك ما ذكرته » . ورواية التبريزي لكلام الصولي في كتابه : ١٦/١ : « ان لك ما ذكرته »

١٨ــ لَوْ سِــرتَ لالْتَقَتِ الضُّلُوعُ على أسىً
كَلِفٍ قليلِ السِّــلْمِ للأحْشــاءِ(٢٩)

قال الصولي :

كنَى بقوله : لو سرت عن لو مُتّ ، ويقال : أرقل الى الموت ، وأسرع إليه ، وقيل : الانسان ســائر بعمله الى أجله(٣٠)

وقيل أراد : لو سرت الى البلد الذي أرادوا نفيك إليه • وســنذكر الخبر • ويروى « على أسىً كلف » والأول أجود ، وكذا قرأته على عون بن محمــد ، أي كأنه على حزن شعوف قليل السلم للأحشاء ، يعني الأســى ، وبالله التوفيق » •

وفي نسخة « على أسىً كلف » يجعل كلفاً نعتاً للأسى •

قال المبارك بن أحمد :

الكناية بالسير في البيت عن الموت بعيدة •

وفي نسخة « على جوىً أسف » وفيها : «لو تمّ لالتقت الضلوع» • وهذا كله في النسخة العجمية • وفي نسخة : « أسىً كلبٍ » أي ضارّ •

قال المبــارك :

لا معنى لقولهم : لو سرت ، لو متّ • وانما يريد به : لو رحلــت لكان الأمر كما ذكر ولا ينتقض عليه قوله « سيل طما » وما بعده ، لأن ذلك يكون موجوداً عند أولئك ، وأمّا عند من رحل عنهم فالذي ذكره من التقاء الضلوع على الجوى وما بعده •

---

(٢٩) رواية الصولي «كلم» مكان «كلف»
(٣٠) جاء في شرح الصولي تتمة لهذا الكلام ، ١/١٧٤ :
وقال الشــاعر :
وإن امرءاً قد سار خمسين حجّة الى منهل من ورده لقريب

١٩ــ وَلَجِفٌ نُوَّارُ الكَلامِ وقَلَّمَا
يَبْقَى بَهَاءُ الغرْسِ بعد المَاء[٣١]

ضرب نوار الكلام مثلاً لبلاغته وحسن منطقه ، أي وزال حسن الشعر وذهب رونقه لذهابك ، لأنّك تُحيي الشعر بجودك .

قال الصولي :

ويروى « نوار النوال » و « وقلما يُلْفَى بقاء الغرس » ، أي : لا يبقى بعد جودك ، كما لا يبقى الغرس بعد الماء .

٢٠ــ فالْجَوُّ جَوِّي إذ أقَمْتَ بِغِبْطَةٍ
والأرضُ أرْضِي والسَّمَاءُ سَمائِي[٣٢]

ويروى « إنْ أقمتَ » . يقول : هذا البلد ليس ببلد إلا بك ، فإذا أقمت فجوّه جوي وأرضه أرضي وسماؤه سمائي ، أي : عُلُوّه علوي .[٣٣]

قال الصولي :

حدّثني أبو عبدالله محمد بن القاسم بن خَلاّد[٣٤] ، قال : رفع بعض العمال الى أمير المؤمنين المعتصم بالله ، وكان يلي الخراج لموضع يلي

---

(٣١) رواية الصولي والتبريزي « يلغى بقاء الغرس » .
(٣٢) رواية الصولي والتبريزي « إن أقمت » مكان « إذا أقمت »
(٣٣) هذا الشرح للصولي ، مذكور في كتابه : ١/١٧٥ ، ولم ينسبه ابن المستوفي له .
(٣٤) هو محمد بن القاسم بن خلاّد بن ياسر الهاشمي بالولاء ، أبو العيناء ، اديب فصيح ، من ظرفاء العالم ، يتمتع بحضور البديهة ومن أسرع الناس جواباً ، اشتهر بنوادره ولطائفه ، وكان ذكياً جداً ، حسن الشعر ، مليح الكتابة والترسل ، خبيث اللسان في سب الناس والتعريض بهم . كف بصره بعد بلوغه أربعين سنة من عمره ، أصله من اليمامه ومولده بالاحواز سنة ١٩١هـ ومنشؤه ووفاته بالبصرة سنة ٢٨٣هـ . أخباره في وفيات الاعيان : ١/٥٠٤ ونكت الهميان : ٢٦٥ وميزان الاعتدال : ٣/١٢٣ولسان الميزان ، ٥/٣٤٤ وتاريخ بغداد : ٣/١٧٠

خالد بن يزيد ، قيل أن خالد بن يزيد اقتطع الاموال واحتجن بعضها وفرّق بعضها • فغضب المعتصم وحلف ليقتلنّ خالدا أو ليأخذن أمواله وليَنْفِيَنَّهُ فلجأ الى ابن أبي دؤاد ، فاحتال حتى جمع بين خالد وخصمه ، فلم تقم على خالد حجّه • وأحضره المعتصم للعقوبة ، وكان ابن أبي دؤاد عرّف المعتصم خبره ، وبُطلان ما رُفع عليه ، وشفع فيه ، فلم يشفّعه ، فلما أحضر المعتصم خالدا حضر ابن أبي دؤاد فجلس دون مجلسه ، فقال له المعتصم : الى مكانك يا أبا عبدالله ، فقال : يا أمير المؤمنين ما أستحق إلا دون هذا المجلس ، قال : وكيف ذاك؟ قال لأن الناس يزعمون أن ليس محلي محل من يُشَفَّعُ في رجل بريء ، قال : فارتفع الى موضعك • فقال : مشفّعاً أو غير مشفّع ؟ قال : بل مشفعاً ، قد وهبتُ لك خالداً ورضيت عنه لكلامك • قال ان الناس لا يعلمون برضاك بعد غضبك إلاّ أن تخلع عليه • فأمر بذلك • قال : وقد استحق هو وأصحابه أرزاق ستة أشهر وسيقبضونها لا محالة ، فإن أمرت لهم بها في هذا الوقت قامت مقام الصِّلَة • قال : ليُحمل معه ما استحقّه هو وأصحابه • قال : فخرج خالد وعليه الخلع وبين يديه المال • وان الناس لينتظرون الايقاع به • فصاح رجل به : يا سيد العرب • قال له : كَذبْتَ والله ، سيدُ العرب ابن أبي دؤاد •

قال المبارك بن أحمد :

فلهذا فسّر الصولي قول أبي تمام « من حُجّة » بضم الحاء ، وذكر ذلك كلّه ليصحّ قوله « لو سرت الى البلد الذي أرادوا نفيك إليه » •

* * *

ومن قصيدة له يمدح بها يحيى بن ثابت ثمّ صيّرها في محمد بن حسّان[1]

١ــ قَدْكَ اتَّئِبْ أربَيْتَ في الغُلَواءِ
كمْ تَعْذِلُونَ وأنتُمُ سُجَرائي ؟!

قال الصولي :

قَدْكَ : حَسْبُكَ . اتَّئِبْ : استحي[2] . أربَيْتَ : زدت . في الغُلَواء : في الارتفاع في عذلي[3] . والسجير : الصاحب والصديق ، وقيل هو المملوء محبّة لصاحبه ، والبحر المسجور : المملوء . فأمّا الشجير بالشين ، فهو الغريب .

---

(١) محمد بن حسان الضبي : أديب وله شعر ، وهو من ولاة المأمون ، وقد أدّب أولاده ، ولاه المأمون مظالم الجزيرة وقنسرين والعواصم والثغور ثم الموصل وأرمينية . وقد ولاه المعتصم كذلك ، توفي سنة ٢٣٠هـ ، اخباره في بغية الوعاة ٢٠ وإرشاد الأديب : ٤٧٩/٦ .

(٢) جاء في ضمن شرح الصولي كلام لم يذكره ابن المستوفي ، هذا نصه :
« وقال أبو عمرو الشيباني : « أكل عندي أعرابي فقلت له : ازدد . فقال: ما طعامك بطعام تؤبةٍ ، أي طعام يُستحى منه » .

(٣) وجاء أيضاً في ضمن شرح الصولي ، ١٧٧/١ :
« والغالي في الشيء الزائد فيه ، المترفع ، وغلا السعر : ارتفع ـ والسجراء : الاصحاب » .

يقول : كم تعذلون وأنتـم تحبّون كما أحبّ . وقوله « قدْكَ اتئب اربيت » كلام مختلف المعنى . يريد به : ارفق ، استحي ، وقد عابه قوم ولم يدروا آن العرب ربما كررت الشيء تريد التوكيد والمعنى واحد . قال الراجز:

مهلاً رويداً قد ملأت بطني[٤]

وهذا كقولهم : اذهب عجّل اسرع . ولا يكون هذا عندهم عيبا ، فكيف يعاب أبو تمام ، وانما كرر معاني مختلفة . آخر كلامه .

قال المبارك بن أحمد :

هذا البيت من رديء شعر أبي تمام ، إلا أن قوله « قدك اتئب اربيت » كلام منتظم غير محتاج أن يقال فيه انه مكرر للتوكيد ومعناه مختلف . لأن أبا تمام ركّبه تركيباً صحيحاً . فقال : حسبك استحي متى زدت في ملامي . وقول الصولي « كم تعذلون وأنتم تحبّون كما أحب » غير مستقيم ، وانما أراد : كم تعذلونني وأنتم أصحابي وخلطائي وتعلمون ما بي .

وفي حاشية الكتاب المذكور ط : إنما قال أبو تمام لواحد من أصحابه : قدك ، وللثاني : اتئب ، وللثالث : أربيت . يدل عليه قوله : كم تعذلون ، والاصحاب لا تكون أقلّ من ثلاثة . وهذا الذي ذكره بعيد تعسف ، وذلك لأن العرب تنصرف من خطاب الواحد الى الجماعة . وتفعل ذلك في عكسه . ولو استقام له ذلك لم يرجع أبو تمام الى خطاب الواحد، فيقول : « لا تسقني ماء الملام » .

ووجدت في بعض حواشي ديوانه : « الغلواء » ليست موضوعة في موضعها ، إنما الافراط في الشيء الغلوّ . والغلواء : سرعة الشباب ، ومنه قوله :

---

(٤) انظر مجالس ثعلب ص١٨٩ ، والخصائص لابن جنى : ٣٢/١ وامالي ابن الشجري : ٣١٣/١ و١٤٠/٢ ، وشرح شواهد الألفية للعيني : ٣٦١/١

لم تلتفت لِلِدّاتِها ومَضَت على غُلَوائِها[٥]

ومنه :

كالغصن في غلوائه المتأوّد .

والصحيح أن الغلـواء في بيت أبي تمام موضوعة موضعهـا . قال الجوهري : الغُلَوَاء : الغُلُـوُّ . وصحف في قوله « سرعـة الشبات » وإنما هو الشـباب . لأن الغُلَواء : سرعة الشباب وأوّله . وعليه بيت [ابن] قيس الرقيات الذي أنشده ، وروي البيت الثاني تاء ، وهو :

إلاّ كناشِرَةَ الذي ضَيَّعْتُم كالغصن في غُلوائهِ المُتَنَبِّتِ

وقبله :

من كان أسرع في تفرق فالـج فلبونه جَرَمَتْ معاً واغدّت[٦]

٢ـ لا تَسقِني ماءَ الملامِ فإنّني صَبٌّ قد استعذَبتُ ماءَ بُكائي

قال الصولي :

هذا مما عيب عليه ، وقد حكمنا تفسيره وذكرناه في الرسالة[٧] . كما قال في أوله « لا تسقني ماء الملام » قال في آخره « ماء بكائي » ، اقحم اللفظ على اللفظ إذ كان من سببه . ومنه قول الله عزّ وجل « وجزاء سَيِّئة سيّئة مثلها »[٨] ، فالثانية جزاء وليست بسيّئة . فجـاء باللفظ على اللفظ إذ كان من سببه ، لأن الله عزّ وجل يقول : « ولمن انتصر بعد ظُلْمه فأولئك

---

(٥) هذا البيت لابن قيس الرقيات ، أنظر ديوانه ص١٧٦ بتحقيق د. محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت

(٦) أنظر هذا البيت والذي قبله في اللسان مادة « بنت » وروايته فيه « من كان أشرك » .

(٧) يقصد بالرسـالة هنا « رسالة الصولي الى مزاحم بن فاتك ، التي تتصدر كتابه » اخبار ابي تمام .

(٨) من سـورة الشورى الآية ٤٠ .

ما عليهم سبيل »[٩] • وقال تعالى : « نبشّرهم بعذاب أليم »[١٠] • والبشارة إنما تكون في الخير لا في الشرّ ، ولكنه حمل لفظاً على لفظ •

قال المبارك بن أحمد :

البشارة المطلقة لا تكون إلا في الخير ، وانّما تكون بالشرّ إذا كانت مقيّدة ، كقوله تعالى « فبشرهم بعذاب أليم » ، قاله الجوهري •

والذي ذكره في الرسالة هو هذا المعنى ، وأكثر اللفظ ، إلا انه ذكر أبياتاً فيها ذكر الماء في غير موضع[١١]

---

(٩) من سور الشورى الآية ٤١

(١٠) من سورة التوبة الآية ٢١ والآية ٣٤ . ومن سورة الانشقاق الآية ٢٤

(١١) قال الصولي في كتابه « اخبار أبي تمام » : ٣٤-٣٧ .

وعابوا قوله :

لا تسقني ماء الملام فانني ... صبّ قد استعذبت ماء بكائي

فقالوا : ما معنى ماء الملام ؟ وهم يقولون : كلام كثير الماء ، وما أكثر ماء شعر الاخطل : قاله يونس بن حبيب » . ويقولون : ماء الصبابة وماء الهوى ، يريدون الدمع ، قال ذو الرمة :

أأن ترسمت من خرقاء منزلة ... ماء الصبابة من عينيك مسجوم؟

وقال أيضاً :

أداراً بحزوى هجت للعين عبرة ... فماء الهوى يرفضّ أو يترقرقُ

وقال عبدالصمد ، وهو محسن عند من يطعَن على أبي تمام وغيرهم :

ايّ ماء لماء وجهك يبقى ... بعد ذل الهوى وذل السؤال

فصيّر لماء الوجه ماء ، وقالوا ، ماء الشباب ، قال أبو العتاهية :

ظبي عليه من الملاحة حلّة ... ماء الشباب يجول في وجناته

وهو من قول ابن أبي ربيعة :

وهي مكنونة تحيّر منها ... في أديم الخدّين ماءُ الشباب

وقال أحمد بن ابراهيم بن اسماعيل :

اهيفُ ماء الشباب يرعد في خدّ ... يه لولا اديمهُ قَطَرا

←

وفي طرّة الكتاب المذكور : « أنا عاشق ألفت البكاء واستعذبته ، فلا أقلع عنه للومك » . وعلى كل حال فهذه استعارة قبيحة قد عابها عليه كثير من العلماء ، واعتذروا بنحو ما اعتذر الصولي ، رحمهم الله .

وقال أبو العلاء :

جعل للملام ماء مستعاراً وذلك يوجد في الشعر القديم حرفاً بعد حرف،

وانشدني محمد بن عبدالله التميمي قال : أنشدني ابن السكيّت :

قد قلتُ إذ ماء صباك يرعشُ وإذ أهاضيبُ الشباب تبغشُ

فما يكون أن استعار أبو تمام من هذا كله حرفاً فجاء به في صدر بيته لما قال في آخره : « فانني صبّ قد استعذبت ماء بكائي » ، قال في أوله : « لا تسقني ماء الملام » وقد تحمل العرب اللفظ على اللفظ فيما يستوي معناه . قال الله جل وعز : « وجزاء سيّئةٍ سيئة مثلها » والسيئة الثانية ليست بسيئة لانها مجازاة ، ولكنه لما قال ، وجزاء سيئةٍ ، قال : سيئة ، فحمل اللفظ على اللفظ . وكذلك : « مكروا ومكر الله » وكذلك «فبشرهم بعذاب أليم» كما قال : بشّر هؤلاء بالجنة ، قال : بشّر هؤلاء بالعذاب، والبشارة انما تكون في الخير لا في الشر ، فحمل اللفظ على اللفظ . ويقال انما قيل لها بشارة لانها تبسط الوجه ، فأما الشر والكراهية فإنهما يقبضانه ، كما قال الأعشى :

يزيدُ يغض الطرْف دوني كأنما زوى بين عينيه عليّ المحاجمُ

فلا ينبسط من بين عينيك ما انزوى ولا تلقني إلاّ وأنفك راغمُ

وقال الله عز وجل : « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » ، فهذا أجلّ استعارة وأحسنها ، وكلام العرب جار عليه ، فما يكون ان قال ابو تمام « لا تسقني ماء الملام » ؟ ، وقال العتابي :

أكاتم لوعات الهوى ويُبينها تخلّل ماء الشوق بين جفوني

وقال ابو نواس :

لمّا ندبتك للجزيلِ أجبتني لبيك واستعذبت ماء كلامي

فهذا ـ أعزّك الله ـ زائد لعذره ، وعنوان للاحتجاج عنه ، الى ان تسمع في شعره جميعه ان شاء الله » .

فاذا كان مما يقع عليه التشبيه فهو أقرب رأيسر • قال الطرماح:[١٢]

فقلت لها يا أمَّ حسَّان إنَّهُ هُريقُ شبابي واستَشَنَّ أديمي[١٣]

جعل الشباب يُهرَاق لأنه قد يُشبَّه الشباب بالغصن الذي يعتصر منه الماء وقول ذي الرّمة :[١٤]

أَأَن ترسَّمْتَ مِن خَرْقَاءَ مَنْزِلةً
ماءُ الصَّبَابَةِ من عَيْنيْكَ مَسْجُومُ[١٥]

ليس هذا مستعاراً لأن ثمّة ماء وهو الدمع • والمعنى : الماء الذي يحدث من الصبابة •

٣ـ ومُعَرَّسٍ لِلْغَيْثِ تَخْفِقُ بَيْنَهُ
رَايَاتُ كُلِّ دُجُنَّةٍ وَطْفَاءِ

قال الصولي :

مُعرّس الغيث : المكان الذي يمطر به فيحلّ فيه ، ومعرّس القوم : محط رحالهم في آخر الليل • تخفق فيه رايات : هذا مثل ، أراد كثرة المطر بهذا الموضع • والدجنّة : السحابة المظلمة ، وأصل الدجن : أطباق الغيم

---

(١٢) الطرمّاح بن حكيم من طيء كان شاعراً وخطيباً وراوية . نشأ بالسواد ، يشيع في شعره الغريب ، ترجمته في ، الأغاني : ١٤٨/١٠ ، ٣٨/١٢ دار الثقافة ، المؤتلف ١٤٨ العيني ٢٧٦/٢ ابن عساكر ٥٢/٧

(١٣) لا يوجد هذا البيت في ديوانه .

(١٤) ذو الرمّة : هو غيلان بن عقبة بن بهيش ، من بني صعب بن ملكان بن عدّة بن عبد مناف ، وهو أحد عشاق العرب المشهورين وصاحبته : ميّة بنت فلان بن طلبة من أجمل النساء . أما هو فقد كان دميماً أسود، توفي في البادية ، أخباره في طبقات ابن سلام ٦٥ ، الأغاني : ١٠٦/١٦ ، الموشح ١٧٠ ، شرح شواهد المغني ٥٢ ، السمط ٨١ ، الخزانة ٤٩٦ ، العيني : ٤١٢/١ ، بروكلمان ٢٢٠/١

(١٥) انظر ديوانه : ٥٦٧ ، الخزانة : ٣٧٩/١ ، أخبار أبي تمام ٣٤ .

في السماء . والوطفاء : الدّانية من الارض.[16] فأراد أن لهذه السحابة من دنوّها كالأهداب الى الارض » .

كذا وجدته في شرح ديوانه . ووجدت بخطّي في (....)[17] عنه ما تقدّم ، وبعده : وشبّه البرق بالرايات لأنه يخفق خفقانها ويضطرب اضطرابها عند هبوب الريح . وجعل للغيث معرّساً ، وهو نزول آخر الليل على الاستعارة ، ويقال لنفس المنزل معرّس : قال زهير :

« أثافيّ شفعاً في معرس مرجل »[18] . هذا آخره .

وقال أبو العلاء :

والدُجنّة : ليلة ذات دجن ، وكأنه عَنى السحابة في هذا البيت. والوطفاء : من صفة الغمامة ، يراد بها المتدلية الهيدب . أخذت من الجفن الأوطف ، وهو الكثير الشعر الطويل الهُدْب ، ويقال : سحابة وطفاء . قال أبو العلاء : ولا يمتنع أن توصف الليلة بهذه الصفة إذا كانت فيها سحابة ذات وطف ، ويكون هذا الصّنف مثل قولهم : نام الليل ، وانما ينام فيه .

٤ـ نَشَرَتْ حَدائِقَهُ فصِرْنَ مآلِفاً
لِطرائِفِ الأنْواءِ والأنْداءِ[19]

---

(١٦) جاء في شرح الصولي الزيادة الآتية :
« وعين وطفاء ، كثيرة شعر الشفر ، وجمع الشفر : أشفار . ويقال : شفير الوادي جرفه ، وشفير كل شيء جرفه » . جـ١/١٨٠

(١٧) كلمة غير واضحة وردت في المخطوطة .

(١٨) البيت بالكامل :
أثافي سفعاً في معرس مرجل ونؤياً كجذم الحوض لم يتثلم
هذا البيت من معلقته المشهورة التي مطلعها : « أمن امّ اوفى دمنة لم تكلّم » . أنظر شرح المعلقات السبع للزوزني : ١٠١ . وأنظر ديوانه تحقيق د. فخرالدين قباوة ص١٨ ، منشورات دار الآفاق الجديدة

(١٩) رواية الصولي «لطرائق»

أي نشرت هذه السحابة حدائق هذا المعرّس ، أي نَبْتَه • قاله الصولي• فصرن : يعني الحدائق مآلف لطرائف هذه الامطار من كثرة ترددها عليه ، يعني : ما ينبته من الأنواء •

وفي حاشية من الكتاب المذكور : نشرت حدائقه ، أي : أنبتت الحدائق الألوان • يقال : نشـرت الأرض نشوراً : إذا أصابها مطـر الربيع فأنبتت • وقوله : فصرن مآلفاً : أي : مألف لمعان تثيره فيها • وقوله : «نشزت حدائقه» بالزاي ، أي ارتفعت •

وقال الحسن بن بشر الآمدي :

نشرت حدائقه : أي : حييت ، من قولهم : أنشر الله الموتى فنشروا ، أي : حيوا • وأراد أن هذه الحدائق حييت بالغيث الذي ذكره ، وقولـه : « فصرن مآلفاً لطرائف الأنواء » يريد : بطرائف الأنواء •

وقال أبو العلاء :

المعروف في الحدائق أن تستعمل في النخل والكرم ، واستعار هذا اللفظ لما ينبته السـحاب ، ويروى « نُشرت حدائقه » • ولا يمتنع أن يعني بالحـدائق التي هي معروفة عند العامّة ، ثمّ أضافها الى الغيث لأنه أمطرها وأرواها • أما الحـدائق في الكتاب العزيز فمخصوص بها النخل لقوله تعالى: « وحدائق غُلْبًا »[٢٠] • ويُروى : « نُشِرت حدائقه » على انه فعل لما لم يسمّ فاعله •

٥ــ فَسَقاهُ مِسْكَ الطَّـلِّ كافورُ النَّدَى

وانْحَلَّ فيهِ خَيْطُ كُلِّ سَماءِ[٢١]*

---

(٢٠) من سورة عبس الآية ٣٠

(٢١) رواية الصولي والتبريزي « كافور الصَّبَا »

قال الصولي :

يقول : طيب الصَّبَا يجمع الغيم ويَجْلب طيب الطّل . فاستعار المسك والكافور لطيبهما واختلافهما في شدّة الحرارة والبرودة . ولا أعرف في وصف كثرة المطر أحسن من قوله ،وتشبيهه المطر بخيوط متّصلة من السماء الى الأرض ، وهو قوله : « وانحلّ فيه خيط كل سماء » .

وفي الطرّة من الكتاب المذكور بخط مولانا عبدالحميد : المسك أسود، ويسمى الماء الأسود . قالت عائشة رضي الله عنها : « عشنا زماناً وما لنا طعام إلا الأسودان : التمر والماء » . كنّى بالمسك عن الماء ، لأن الماء عند العرب أسود . و « كافور الصّبا » : سحابة بيضاء ينشئها الصّبا. والسماء : المطر، أي : الوسمي والولي والعهاد .

قال المبارك بن أحمد :

لا معنى لقول الصولي : « وتشبيهه المطر بخيوط متّصلة من السماء الى الأرض » . وإنما أراد أبو تمام حسن الاستعارة ، فجعل لكل مطر خيطاً معقوداً ، ثم جعله منحلّا فيه . يعني : سقاه كل مطر ، كما يقال : حلّ السحاب عزاليه . والعزلاء : فم المزادة السفلى ، وانما تكون مشدودة بخيط .

وبعد أن ذكرت ذلك بسنين وجدت في حاشية بعض دواوينه : « هذا توهّم من كلام الصولي . والصواب ما ذكره الديمرتي : والخيط يعني خيط العزلاء ، ورأسها يشدّ بسير في أكثر الأمر ، ولكنه قال خيط ، لأن الشدّ أكثر ما يكون بالخيوط ، يقول : جاءتنا السماء بمطر كأفواه القرب والعزالي .

وقوله : « مسك الطلّ كافور الندى » مثل . والندى : ما يقع من شدّة البرد ، فتصبح الارض مبيضّة منه كالكافور . والمسك : لون الارض

الرطبة . وكلاهما يعني النبات . والمعنى ، يقول : سقاها السحاب ماء المطر ، وانحلّت فيه عزاليه فكثر به المطر . وقالوا : أراد بمسك الطلّ : أضعفه ، لأن المطر إذا أصاب التراب فاحت له رائحة طيبة . فكيف الروض ؟ واستعار الكافور للصبّا . أراد بَردَها ، وجعلها سبباً لمجيء هذا الطلّ .

قال أبو العلاء :

في هذا البيت ثلاثة أشياء مستعارات : المسك والكافور والخيط . والطلّ : أضعف المطر . وإنما خصّه بالمسك لأن المطر الضعيف إذا أصاب التراب فاحت له رائحة طيبة فكيف إذا أصاب الروض؟ . وجعل الكافور مستعاراً للصبّا ، لأنه أراد بَردَها وجعلها سبباً لمجيء الطّلّ فجمع بين شيئين متضادّين من الطيب ، وهما : الكافور والمسك ، لأن أحدهما بارد، والآخر حار . وقيل أراد بهما : سحابة بيضاء كالكافور[٢٢] .

وفي بعض نسخ شعره : هبّت على هذا المعرّس ريح الصبّا فهاجت رائحة كرائحة المسك ، فجعل نسيم الصبّا كافوراً ، ورائحة الأنواء مسكاً.

وفي بعض نسخ شعره : هبّت على هذا المعرّس ريح الصبّا فهاجت المسك خاصّة للطّلّ ، لأن الطلّ أشخاص تتخايل سواداً ، والشخص يسمى أسود ، والصبّا من جنس الهواء ، وشكله البياض .

---

(٢٢) قال التبريزي في كتابه : ٢٥/١ :

« وقوله : « وانحل فيه خيط كل سماء » : أراد بالسماء المطر ، وكنى بانحلال الخيط عن وقوع الغيث ، لان الشيء إذا كان مشدوداً بخيط فانحل ادى ذلك الى سقوطه وتبدده ، وأصله في القربة والمزاءة ، وهذا كقولهم ، القى اوراقه بمكان كذا ، والقى الغيث بَعَاعَه ، اي ثقله » .

ووجدت في قصيدة طويلــة نسبت الى الزاهي[٢٣] ولا أحققها ، هــذه الألفاظ بعينها :

وقلت للغيدا (....)[٢٤] فلقــد   أنجم ليل الحزن عنّا وانكشط
بالله قومي فانظــري يا هــذه   شواهد هذا الغيث بفقدان القنط

قد ثار كافــور الصّبا واقتاده   مسك النّدى من الحشايا وامتشط

---

(٢٣) هو علي بن اسحق بن خلف ، أبو القاسم أو أبو الحسن القطان ، المعروف بالزاهي . شاعر وصاف محسن ، كثير الملح ، من أهل بغداد ، أكثر شعره في آل بيت النبي ، وله مدائح في سيف الدولــة والوزير المهلبي وغيرهما . توفي سنة ٣٥٢هـ ، اخبــاره في وفيات الاعيــان : ٣٥٥/١ والمنتظم : ٥٩/٧

(٢٤) لفظة غير واضحـــة ربما تكون «بعيني» ، ربما تكون «إتبعيني» . وربما تكون « للغيدِ إتبعيني »

* جاء بعد هذا البيت بيت لم يذكره ابن المستوفي ، هذا نصه :

٦ ـ غني الربيعُ بروضِه فكأنما   أهدى اليه الوشي من صَنعاءِ

شبه ألوان الربيع بوشي صنعاء ، فكأن الربيع تأنق في تربيته ، وكانــت صنعاء معروفة بعمل الوشي ، وهو كل ما نقش من الثياب وحسّن ، ومنه اشتقاق الواشي من الناس لانه يزين القطيعة للاصدقاء . ويقــال للذي ينقش الدينار واشٍ ، وكذلك لكل ناقش شيئاً . قال الشاعر :

فما هِبرِزيٌ من دنانيرِ أيلَةٍ   بأيدي الوشاة بارزاً يتأكّلُ

ذكر ذلك أبو زكريا التبريزي في كتابه شرح ديوان أبي تمام : ٣٦/١ ، وقال أيضاً : قال ابو العلاء :

وصنعاء اسم قديم ، ولم يستعملوه إلا في هذا البلد ، ولم يقولوا امرأة صنعاء ولا غير ذلك ، فيجوز أن تكون كلمـــة موضوعة لم يستعمل منها مذكر ، ويحتمل أن يكون أصلها ان تجري على «أفعَل» وترك استعماله كما لو قالوا ، درع حَصْداء ولم يقولوا : حديد احْصَد ، ولا ريب أنهــا سميت بذلك لما يصنع فيها من البرود وغيرها . وهي ممــدودة ولا تجيء مقصورة إلا في الضرورة ، قال الشاعر :

خليليّ من عَلْيا هلال بن عامر   بصنعاء عوجا اليوم وانتظراني

وقال الراجز :

× لا بدّ من صَنعا وإن طال السّــفر ×

قال المبارك بن أحمد :

وليس في هذه التأويلات ما يؤدي المعنى ، ويقوم بعذر أبي تمام .

٧ـ صَبَّحْتُه بِسُلافَةٍ صَبَّحْتُها
بِسُلافَةِ الخُلَطاءِ والنُّدَماءِ

قال الصولي :

صبّحتُ هذا الموضع بسلافة ، وهي أول عصير العنب وخالصه ، وما يسيل منه عفواً ، بسلافة الخلطاء لا أوباشهم . وهذا كأنه مأخوذ من قول أبي نواس :

والراح طيّبة وليس تمامها إلاّ بطيب خَلائِق الجُلاّس[٢٥]

يقول : كما صبحت هذا المعرّس بسلافة الخمر كذا صبحتها بسلافة الخلطاء ، يعني الخمر .

وقال المرزوقي :

ويجوز أن يكون صبحت الخمرة بأخلاق لهم خالصة كريمة طيبة ، كالسلافة ، ويجوز : صبحتها بخلصان الاخوان[٢٦]

٨ـ بِمُدَامَةٍ تَغْدُو المُنَى لِكُؤوسِهَا
خَوَلاً على السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ

(٢٥) ديوان أبي نواس : ٢٩٥ ، بتحقيق أحمد عبدالمجيد الغزالي/١٩٥٣م

(٢٦) ذكر التبريزي في كتابه : ٢٦/١ كلاماً نسبه الى أبي العلاء ، هذا نصه : « السلافة الاولى مراد بها الخمر ، واشتقاقها من قولهم سَلَفَ أي تقدم، ويقال ان ذلك مَعنيٌّ به أول ما يسيل منها إذا اعتصرت . ويقال : هو ما بدر منها من غير عصر ، ثم كثر ذلك حتى سموا الخمر سلافة . وقالوا، سلافة الحديد ، يريدون خالصه ومتقدمه . والسلافة الثانية : على معنى الاستعارة ، جعل الذين صبح بهم هذه السلافة سلافة من خالط ونادم ، أي افضلهم . وهنا من قول أبي نواس [ثم ذكر البيت : الراح طيّبة . .]

قال الصولي :

يقول : تساعد المُنَى الكؤوس فتصير خَوَلاً لها ، أي معينة على السّراء فيها حتى تتمها ، وعلى الضّراء بإزالتها ، وهذا لفظ المرزوقي ما عدا قوله : فتصير لها أي معينة .

قال المبارك بن أحمد :

قالوا : خَوَل الرجل حشمه ، وهم مَن تعصّب له ، وقد يكون واحداً يقع على العَبْد والأمَة ، وقيل هما جمع خائل : وهو الراعي ، قاله الفرّاء . وقال غيره : هو من التخويل : وهو التمليك . فعلى القول الأول أراد: تغدو المنى وقد غضبت لأصحاب كؤوسها كيف يتصرف فيهم غيرها من نحو الفكر والهمّ . وأراد بالسرّاء والضراء على كل حال كما تقول : هو صاحبي على السرّاء والضرّاء . وعلى القول الثاني : ان المُنَى تصير مملوكة لهم يتصرفون فيها في حالتي سرّائهم وضرّائهم فيتمنون ضروب الأماني . وهذا يحكيه معظم من يشرب الخمر.[27]

وفي حاشية بعض دواوين شعره ، يقول: هذه المدامة فوق مُنْيَة المتمني ،فالمُنى تصير خولاً لكؤوسها لأنها أفضل مما تمنيه ، فهي دون كؤوسها كما أن خدم الرجل دونه في كل حال .

---

(٢٧) جاء في كتاب التبريزي : ١/٢٧ :
« والمدامة : قيل هي من أديمت في الدّن ، اي تركت ، فهذا من دام يدوم ، وقيل :سميت مُداماً ومدامة لانه يدام بها الشراب ، أي : يدار ، ومنه اشتقاق الدوّامة لدورانها . وكل شيء استثبته فقد استدمته . ويقال : استدام القوم : إذا استداروا ، قال الشاعر :
إذا فزعوا لصاعقة اتتهم   راوا اخرى تحرق فاستداموا
[البيت لجرير ، انظر ديوانه : ٥١٣ ، واللسان : مادة (دوم) . وروايته: « اذا أوقعت صاعقة عليهم »] .

وقوله « بمدامة » بدل من سلافة مع إعادة العامل . ويحتمل موضع السرّاء والضراء النصب على الحال .

وفي نسخة : أي : تصير الأماني خولاً لكؤوسها فيظن شاربها انه أغنى الأنام ، وانه خوّل كل شيء ، كما قال :

وإذا شربتُ فإنني ربّ الخورنق والسدير[٢٨]

٩ـ رَاحٌ إذا ما الرَّاحُ كُنَّ مَطِيَّها
كانَتْ مَطَايا الشَّوْقِ في الأحْشاءِ

قال الصولي :

يعني أن شاربها يرتاح ويشتاق أحبابه ، فكأن هذه الكؤوس كانت مطايا لهذا الشوق ، حملته حتّى أدّته . والراح : الخمر . سُمِّيَت لارتياح شاربها .

وقال المرزوقي :

الراح الأولى : الخمر . والراح الثانية : جمع راحة ، وهي الكفّ . والراح : اسم وصفة .

وفي نسخة : قوله « كانت مطايا الشوق في الاحشاء » ، يعني : انها حملته بعد أن كان ساكناً فحرّكَتْهُ وبعثته الى الشائق . وهذا مثل قوله: ماء الملام وماء بكائي . لمّا جعل الأكف مطايا الراح ، وجعل الراح مطايا الشوق . ويجوز أن يكون حملته لترحله عن الاحشاء ، بمعنى أنها تنسيه .

---

(٢٨) هذا البيت للمُنخل اليشكري ، وهو المنخل بن عبيد بن عامر ، من بني يشكر ، وهو قديم جاهلي ، وكان يشبب بهند أخت عمرو بن هند ، وايها يقول :

يا هند هل من نائل يا هند للعاني الاسير

وقيل : إذا حملتها أكفّ شرّابها حملت عن قلوبهم ما فيها من الهمّ .

ومن جر الراح أبدله من قوله بمدامة . ومَن رفعها أراد : هي الراح . وقلّما تقع استعارة مستهجنة رديئة . وقد وقع منها في هذه القصيدة جملة[٢٩] .

١٠ـ عِنَبِيَّةٌ ذَهَبِيَّةٌ سَبَكَتْ لها
ذَهَبَ المعاني صَاغَةُ الشُّعَرَاءِ *

قال الصولي :

هذا مجانس ، وقد فسّرناه . أراد بقوله عنبيّة : أي أنها عنبيّة الأصل . وذهبيّة : أي أن لونها لون الذهب ، أي : أذاب لها صاغة الشعراء ، وهم مبدعو الشعر ذهبَ المعاني ، أي : خالصها ، فوصفوها به ، وبألفاظ لحسنها كأنها سبائك الذهب[٣٠]

١٢ـ صَعُبَتْ وراضَ المَزْجُ سَيِّئَ خُلْقِها
فتَعَلَّمَتْ مِنْ حُسْنِ خُلْقِ المَاءِ[٣١]

---

(٢٩) قال التبريزي في كتابه : ٢٨/١ :
« وقوله «كُنَّ» رده على جمع الراحة ، وإذا جاء الجمع ليس بينه وبين واحده إلا الهاء جاز فيه التذكير والتأنيث ، فيقال على هذا : الراح ملىء من عطائك ، ويجوز ملئت ، على وقل من قال : النساء قامت ، ومن قال : النساء قمن قال ، الراح ملئن . و «المطيّ» جمع مطية ، ويقال انها سميت بذلك لان مَطاها يركب ، أي ظهرها . وقيل سميت بذلك لانها يمطى بها السير ، اي يمد ، ويقال للذكر والانثى مَطِية ».
* جاء بعد هذا البيت البيت الآتي في بقية الاصول ، ولم يذكره ابن المستوفي وهو :
١١ ـ أكل الزمان لطول مكث بقائها ما كان خامرها من الاقذاء
ورواية هذا البيت في كتاب الصولي «بطول»
(٣٠) نقل التبريزي هذا الكلام باغلب لفظه الى كتابه ولم ينسبه الى قائله .
(٣١) رواية الصولي «فراض» ، وقال في شرحه : ويروى «وراض» .

قال الصولي :

ويروى « وراض الماء » وهـذا مليح . يقول : هي شـديدة قويّة ، والماء ليّن ضعيف . وهذا مثل ، فاذا مزجتْ به أخذت من لينه . أخذه من قول أبي نواس :

ألا دَارِها بالماء حتّى تلينَها فلن تُكْرِم الصَّهباءَ حتّى تُهينها[٣٢]

١٣ـ خَرْقَاءُ يَلْعَبُ بالعُقول حبابُها
كتَلَعُّبِ الأفْعَالِ بالأسْمَاءِ

قال الصولي :

إنما قال ذلك لأن الاسماء انما يُتصرف بالافعال في الاعراب . وسمّي الخمر خرقاء ، لأنها تخرق بشاربها . و «الحباب» طرائق الماء فيها إذا مزجت.

وفي الطرّة : « كتلعّب الافعال بالاسماء » وذلك لأن الاسماء يتصرف بالافعال ، فمرّة تنصبها ومرّة ترفعها ، كقولك : ضرب زيدٌ عمراً ، ثم تقول: ضرب عمرو زيداً . أي تلعب بعقول شاربيها كما تفعل الافعال بالاسماء .

وقال أبو العلاء :

أرادوا أن الخرقاء هي التي لا تحسن العمل من النساء ، فاستعار هذه الكلمة للراح ، ولعلها ما وصفت بالخُرْق من قبل الطائي ، ثم ذكر مع ذلك أنها تحسِن اللعب بعقول الشَّرْب كتلعّب الافعال بالاسـماء ، يريد : انها تغيّرها من حال الى حال فترفعها تارة وتخفضها تارة .

وفي نسخة ابراهيم [بن الليث] وذكر معنى الصولي :

---

(٣٢) انظر ديوان أبي نواس : ٢٠ بتحقيق أحمـد عبدالمجيد الغزالي مطبعـة مصر/١٩٥٣

« وعندي أنه يريد أن الاسماء تعمل فيها الافعال فتنتصب وترتفع بالافعال » . هذا كلامه ، وهو معنى الصولي .

١٤ــ وَضَعِيفَةٌ فإذا أصَابَتْ قَدْرَةً
قَتَلَتْ كذلِكَ قَدْرَةُ الضُّعَفَاءِ [٣٣]

قال الصولي :

يقول : الخمر على شدّتها ليس لها بطش ، فإذا أكثر منها قتلت . وقد ألمّ في هذا بقول جرير في النساء ، فصيّره في الخمر :

يصرعن ذا اللّب حتى لا حراك به وهُنّ أضعف خَلْق الله أركانا [٣٤]

وقال : وكذلك قدرة الضعفاء ، لأن الضعيف يفعل الشيء بفَرَق ولا يبقى مخافة أن يعطف عليه ، ولا يكون فيه فضل المقاومة . هذا آخر كلامه .

وإلمامه بقول عمارة بن عقيل [٣٥] أوضح :

ضعائف يقتلن الرجال بلا دم فيا عجباً للقاتلات الضعائف

---

(٣٣) رواية الصولي والتبريزي : « فاذا أصابت فرصة »

(٣٤) أنظر ديوان جرير : ٤٩٢ ، بتحقيق كرم البستاني ، بيروت/١٩٦٤ ، وأنظر شرح ديوان جرير ، بتحقيق محمد اسماعيل الصاوي .
ويروى « انسانا » مكان اركانا . وهذا البيت من قصيدة يهجو بها الاخطل مطلعها ،
بان الخليط ولو طوعت ما بانا وقطعوا من حبال الوصل أقرانا

(٣٥) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الكلبي التميمي . شاعر مقدم ، فصيح من أهل اليمامة ، كان يسكن بادية البصرة ، ويزور خلفاء بني العباس ، وعمى قبل موته ، وهو من أحفاد جرير الشاعر . وكان نحويو البصرة يأخذون عنه ، ولد سنة ١٨٢هـ وتوفي سنة ٢٣٩هـ. أخباره في ارشاد الأريب : ١١/٣ والنجوم الزاهرة : ١٦٤/٢ وثمار القلوب ١٥٩ وأمالي الشجري : ١٦/١ والمرزباني ٢٤٧ وتاريخ بغداد : ٢٨٢/١٢

وقيل : أراد بها إذا كانت في دنّها فهي ضعيفة ، فاذا أصابت فرصة من نفس الشارب لم تبق عليه . والذي أراد : انّها للطافتها ضعيفة فاذا تمكنت من شاربها صرعته وقتلته .

ويروى : إذا أصابت فرصة وغفلة . والأوّل أولى .

١٥ـ جَهْمِيَّةُ الأوْصَافِ إلاّ أنَّهُمْ

قَدْ لَقَّبُوهَا جَوْهَرَ الأشياءِ

قال الصولي :

مذهب جهم : الجحد وقلّة التحصيل ، فيقول : من رقّتها تكاد لا تتحصل إلا أنهم على حال جعلوها جوهراً ، أي : أصلاً للأشياء . يريد قدمَها .

وفي حاشية النسخة المذكورة بخط مولانا : الخمر مشتقّة من الخميرة ، وخميرة كلّ شيء أصله ، وقيل أراد : الماء فيها ، لأنها تبدي أخلاق شاربها وجوهره ، وفيها : الجهمية لا يثبتون لله اسم الشيء تحرّزاً عن وقوع التشبيه ، ولكن يقولون هو مكوّن الأشياء . فأعطى الخمرة مقالة الجهمية. ووصفهم مذهب نفي الأوصاف لله تعالى ، فكأنها لا وصف لها في الرّقّةِ . وقال : جوهر الأشياء ، أي : هي المبدية للجواهر في نفوس الشَّرْب .

وفي حاشية ط : ان هذه الخمرة بلغت من الرّقة والصفاء مبلغاً لا يمكن إدراكها بالبصر ، وهذا قبيح ، وقد أحسن في التشبيه ابن المعتز[٣٦] ، وقال:

صفت وصفت زجاجتها عليها كمعنى دقّ في ذهن لطيف[٣٧]

---

(٣٦) عبدالله بن المعتز : خليفة عباسي ، دامت خلافته يوماً وليلة ، كان شاعراً مطبوعاً ، جيد القريحة رقيق الالفاظ والمعاني ولد سنة ٢٤٩هـ ببغداد وتوفي فيها سنة ٢٩٦هـ .

(٣٧) انظر ديوان ابن المعتز : ٣٢٢ . دار صادر ، بيروت

في بعض الحواشي : أراد به قول جهم : ان كلّ شيء عرضٌ يزول إلاّ الجوهر الأصلي • وهذا قول حسن إن صح قول جهم به •

وقال الآمدي :

قد أكثر الناس تعاطي تفسير « جهمية الوُصّاف » • وأقرب ما سمعت فيه أن جهماً كان يقول : انه ليس شيء على الحقيقة إلاّ الله تعالى •إذ كل شيء يبطل ويتلاشى غيره ، والأشياء كلها أعراض ألّفها وخلقها • وأظن أن أبا تمام أراد أن الراح لرقتها عرض لا جسم ، وهذا مذهب قريب • وقوله: « قد لقّبوها جوهر الأشياء » وهو الذي لم أرهم يصحّحون له تفسيراً إلاّ على الظنّ ، لأنهم ما رأوا أحداً لقّبها بهذا اللقب • وقد سمعت من يقول : إنما أراد قدمها • فإن من أسمائها الخندريس•والخندريس : القديمة• ولعمري أنها قديمة ولكن ليست جوهراً للأشياء ، ولا هي أوّل لها • وما زلت أسمع للشيوخ يقولون : هذا البيت من تخليطه ووساوسه ، لأن الشعر إنما يستحسن إذا فُهم ، وهذه الأشياء التي يأتي بها منغلقة ليست على مذهب الأولين والمتأخرين •

قال المبارك بن أحمد :

قول الآمدي « لأنهم ما رأوا أحداً لقّبها بهذا اللقب » ما أظن أبا تمام أراد به مواضعة الناس على هذا البيت لها ولا اصطلاحهم عليه ، إنما أراد أن يقول ان أصحاب جهم بن صفوان[٣٨] لقّبوها بذلك ، كما أخبر أن

---

(٣٨) جهم بن صفوان السمرقندي ، ابو محرز من موالي بني راسب . رأس الجهمية . توفي سنة ١٢٨هـ . أخباره في ميزان الاعتدال ، ١٩٧/١ والكامل لابن الأثير حوادث سنة ١٢٨ ولسان الميزان : ١٤٢/٢ . من عقائد الجهمية: ان الجنة والنار تفنيان ، وان الايمان هو المعرفة فقط في سائر الطاعات ، وانه لا فعل لاحد على الحقيقة إلا الله ، والانسان مجبر على أفعاله.. الخ

أوصافها جهميّة أخبر انهم وصفوها بذلك • ولهذا قالوا : ان رواية « جهمية الوصّاف» أوْلى لاعادة ضمير «لقّبوها» إليهم •

وفي حاشية دواوين شعره ج : المعنى : ان الوصف الذي يستوجب هذه أن توصف به وصف الجهم بن صفوان للباري عزّ وجل لأنه لا يقدر على وصفه بحسّ ولا عيان • ووصفهم للقرآن بأن القرآن مخلوق فكذلك من أراد أن يصفها يقول : هي مخلوقة وليست مما يعتصر من الأعناب • وهو قال : هكذا يجب أن توصف إلاّ أنهم سمّوها باسم الخمر الذي تسمّى به وغيره •

وقال الآمدي في « تفسير معاني أبيات أبي تمام » :

وهذا البيت مما عهدتم يفيضون فيه وفي تفسيره ، فلا يصحّ إلاّ بالحدس والظنّ ، لأن جوهر الاشياء لا يُدرى ما أراد به إلا أن يكون ذهب: ان الخمر لِقِدَمِها أصل الأشياء ، وأوّلها على المبالغة ، لأن جوهر الشيء أصله الذي منه يبتدىء ويتركّب حتى يكون جسماً • وقوله « قد لقبوها جوهر الأشياء » قول لا يعرف ، وما علمنا أن أحداً لقّبها هذا اللقب ، فإن كان أراد بذلك معنى قولهم «خندريس» أي قديمة عتيقة فقد ذهب مذهباً ، وإن كان قد تعسّف القول وأبعد التأويل ، فإن كان أراد بها جوهر للجوهر وجنس للجنس فإن لفظه لا يدلّ على هذا •

وأمّا « جهمية الوصّاف » فانه بلغني أن جهماً يقول : انه ليس شيء على الحقيقة إلاّ الله عزّ وجل ، لأن كل شيء يبطل ويتلاشى غيره تبارك اسمه، ويقول: انه عزّ وجل منشىء الأشياء ،وان الأشياء كلها غير الله أعراض تجمّعت، فأظن أن أبا تمام أراد بها : جوهر للأعراض • والجوهر هو الذي يتركّب منه الاجسام ، وليست الاجسام عنده أجساماً على الحقيقة • فيريد : ان

الخمر أصل للأعراض ، وإذا كانت أصلاً للاعراض فهي لا ترى ولا تحس كما ترى الأعراض وتحس ، كل ذلك يؤكد رقتها وقدمها .

فقوله « جهمية الوصّاف » أي انها لا تحسّ . وقوله « جوهر الأشياء » أي : أصل الاعراض . وكان قوله « وقد لقبوها » يريد قولهم : الخندريس القديمة على ما ذكروا .

وفي حاشية الكتاب الذي نقلته في صفر سنة تسع وثمانين وخمس مئة بخطّ يحيى بن محمد بن عبدالله الارزني : الذي يؤثر من مذهب جهم فيما سمعته من جماعة المتكلمين : انه يزعم أن الافعال كلها لله عزّ وجل ، وانه لا فعل لأحد سواه ، فان كان أبو تمام ذهب الى هذا فلعله أراد : ان الخمرة قد جمعت المحاسن ، وان الافعال الحسنة كلها مضافة إليها ، وان ذلك مسلّم لها على ما يذهب اليه جهم من التسليم وإضافة الافعال كلّها الى الله عزّ وجل .

قال المبارك بن أحمد :

فسّر كل عالم هذا البيت على ما أدّاه رأيه إليه ، والصحيح : ما ذكره الآمدي من قوله : وهذا البيت مما عهدتم يفيضون فيه وفي تفسيره فلا يصح إلا بالحدس والظّنّ .

وقال أبو العلاء :

« الوصّاف » أجود في الرواية من «الأوصاف» لقوله «لقّبوها». فأعاد الضمير على المذكورين ، فهو أحسن من الرواية الأخرى . وهذا البيت مبني على ما قبله ، وهو قوله « خرقاء يلعب بالعقول حبابها » لأنه أخبر عنها بالشيء وخلافه . والجهميّة : طائفة من المتكلمين ينسبون الى رجل يقال له « جهم » . من اعتقادهم : ان الانسان لا يستطيع أن يفعل شيئاً يلزمونه

العقوبة على ما يفعل ، فتقع بذلك المناقضة . والطائي من وُصّاف الخمر ، فكأنه قد ذهب مذهب جهم ، لأنه جعل الخمر لا فعل لها . ثم يزعم أنها أسكرته وشوّقته فيختلف خبراه عنها في الحال الواحدة . وقوله « جوهر الأشياء » هذا ضرب من صناعة الشعر يسمّيه أصحاب النقد «التّورية» : وذلك انه ذكر هذه الطائفة من المتكلمين ومن شأنهم أن يتكلموا في الجوهر والعرض فأوهم السامع أنه يريد الجوهر الذي يستعمله أصحاب الكلام . وإنما يريد الجوهر الذي هو رونق الشيء وصفاؤه ، من قولك : ظهر جوهر الشيء . أي : ان الأشياء ليس لها حسن إلا بالخمر . وأصحاب المنطق يجعلون الجوهر الذي يسمّيه غيرهم «الجسم» : فالارض عندهم جوهر وكذلك الانسان والفرس . والمتكلمون المحدثون يقولون : الجوهر : الجزء الذي لا يتجزأ .

وهذا الفن من صناعة النظم مثل قول البحتري :

« بيضاء تملح في القلوب وتعذب »(٣٩)

فظاهر اللفظ يدلّ على أن «تملح» من الملوحة ، وهذا ضد «تعذب» . وإنما أراد « تملح » من الملاحة فاتفقت التورية .

بيت البحتري أعرق في التورية من بيت أبي تمام من كلام المتكلمين لا من الجوهر الذي ذكر أنه الرونق .

قال أحمد بن محمد المرزوقي :

كان جهم بن صفوان يمتنع أن يسمّي الله تعالى شيئاً . ويعتقد أن هذه اللفظة إنما تطلق على المحدثات : الجواهر والأعراض . فيقول : رقّت هذه

---

(٣٩) أنظر ديوان البحتري ط استانبول : ٢/١٨٨ . وديوان البحتري ، دار صادر ، بيروت : ٢/٣١٧ . ورواية البيت فيه :

ووراء تسدية الوشاة مليـة   بالحسن تملح في القلوب وتعذب

الخمر حتى كادت تخرج من أن تكون جوهراً أو عرضاً أو أن تسمّى شيئاً ، إلاّ انها لفخامة شأنها لقّبت جوهر الأشياء وأوّل الأشياء • ويجوز أن تكون لعتقها وقِدَمها سميت أصل الأشياء •[40]

وقال المرزوقي : وذكر هذا المعنى في قوله « جهمية الاوصاف » وأنشد البيت ، وذكر كلام الصولي الى قوله « أي أصلاً للأشياء » انتهى كلامه •

قال الشيخ : (يعني المرزوقي) : لم يعجبني إلا معرفته بالمذاهب ، والذي نسبه الى جهم في الجحد وقلّة التحصيل ليس بمذهب جهم • والحقّ في هذا هو أن من مذهب جهم بن صفوان أن يمتنع من أن يسمّي الله تعالى شيئاً ، ويعتقد أن هذه اللفظة وضعت للمحدثات : الاجسام والاعراض • ويقول : الله منشىء الأشياء وليس بشيء ولا يعلم حقيقة الشيء في اللغة هو كل ما جاز أن يعلم ويُخبر عنه ، فيقول أبو تمام : هذه الخمر لرقّتها لا يسمونها شيئاً ، ولكنهم لعتقها وقِدَمها جعلوها أصل الأشياء وجوهرها • وهذا هو الذي لا يجوز غيره • وقد بسطناه بأتمّ من هذا في تفسير المشكلات[41] • آخر كلامه

١٦ـ وكأنَّ بَهْجَتَها وبَهْجَةَ كأْسِها

نارٌ ونُورٌ قُيِّدا بِوِعَاء

في الطرّة : شبّه الخمر بالنار والزجاجة بالنور ، وقد اجتمعا للبحتري :

---

(٤٠) أصل الاشياء « وأول الاشياء » زيادة في الكلام وردت في كتاب « المشكل من أبيات أبي تمام المفردة » للمرزوقي ، والكتاب تحت الطبع .

(٤١) لم أجد في مخطوطة كتاب « المشكلات » للمرزوقي غير ما ذكره ابن المستوفي من كلام للمرزوقي •

يخفي الزجاجة لونها فكأنها   في الكف قائمة بغير إناءِ[42]

ولأبي نواس :

فكأنها خمرٌ ولا قدح   وكأنه قدح ولا خمر[43]

ويروى « وزهرة كأسها »

شبّه الخمر بالنار ،والزجاج بالنور ، وإنما قال « قيّدا بوعاء » لأن النـار والنور لا يقومان بأنفسهما وكأنهما جميعاً جُمعا في إنـاء يمسكهما ، وهذا معنى جيد وهو مسبوق إليه ، هذا كلامه[44] .

١٧ـ أوْ دُرَّةٌ بَيْضَـاءُ بِكْرٌ أُطْبِقَتْ
حَبـلاً على ياقُـوتَةٍ حَمْـرَاءَ

شبّه الكأس بدرّة بكر لم تثقب ، والخمر فيها بياقوتة حمـراء فكأنها حَمْلٌ في جوفها وهي حُبْلَى بها .[45]

ويروى « أُطْبِقَتْ » فنصب « حبـلاً » مـع « أُطْبِقَتْ » على المصدر ، ومع «أَطْبَقَتْ» على المفعول . أي : وضعت الحبل على ياقـوتة حمراء ، قاله أبو زكريا (التبريزي)

---

(٤٢) أنظر ديوان البحتري : ٣٨٢/٢ ، دار صادر ، بيروت . وهذا البيت من قصيدة يمدح بها أبا سعيد مطلعها :
زعم الغراب منبىء الأنبـاء   أن الأحبة آذنوا بتنـاء .

(٤٣) لم أجد هذا البيت في دواوين أبي نواس التي بين يدي ، وقد وجـدته في يتيمة الدهر للثعالبي ، ٢٦٣/٣ منسوباً للصاحب بن عباد . وأنظر هامش ديوان بشار بن برد : ١٩٤/٣ منسوباً للصاحب بن عباد . وأنظر كتـاب « قول على قول » للكرمي : ١٦٩/٩ منسوباً للصاحب بن عباد .

(٤٤) قال الصولي في شرحه : ١٨٤/١ :
« شبه الخمر بالنار ، والزجاجة بالنور وقد اجتمعا »

(٤٥) هذا الكلام للصولي . ورد في شرحه في : ١٨٥/١ . وقد نقله ابن المستوفي بلفظه الى كتابه ولم يشر الى قائله بشيء ولعل ذلك حدث من باب السهو .

وقال أبو العلاء :

والفائدة من هـذا البيت انه جعلها عـذراء وادّعى لها الحبل[٤٦] •
ويروى : « أطبقت حملاً »[٤٧]

١٨ـ ومَسَـافةٍ كمسَافَةِ الهَجْرِ ارْتَقَى
في صَدْرِهـا في الحُبِّ والبُرَحَاءِ[٤٨]

قال الصولي :

أحسن في تشبيهه الفلاة ومسافتها بمسافة البحر • يقول : المهجـور بعيد وان قرب حبيبه ، شبّه بُعْدَ طريقـه بِبُعْد مهجور لاقى باقي الحب والبرحاء ، فهو أشدّ عليه وأطول •

وفي الطرّة : أي : ورُبّ مسافة هي في البُعْد كمسافة الهجر الذي لاسبيل الى الوصول فيه لبعده منه وتصميم المهاجرة عليه قطعها •

قال المبارك بن أحمد :

وأجود من ذلك كلّه : أن هذه المسافة في طولها كطول الهجـر الذي صعد في صدر عاشق باق حبه وبرحاؤه ، فمدّة الهجر طويلة •

ووجدت بعد ذلك في كتاب الآمدي في «تفسير معاني شعر أبي تمام» :

---

(٤٦) ذكر ابو زكريا في كتابه : ٣٣/١ كلاماً لأبي العلاء يسبق الكلام الذي ذكره له ابن المستوفي ، « قال أبو العلاء : يقال درة بكر ودرة عذراء ، أي لـم يوصل اليها ولم تخرج من صدفتها، شبهت بالبكر العذراء . وقال قوم إنما قيل لها عذراء لأن الصدفة إذا فضت عنها وجد فيها ماء قليل فشبه ذلك بالدم الذي يكون عند افتضاض العذراء . والفائدة في ... الخ »

(٤٧) وهي رواية الصـولي

(٤٨) رواية الصولي « في صدر باقي الهجر والبرحاء » ورواية التبريزي : « في صدر باقي الحب والبرحاء » .

يحتمل أن يكون أراد كمسافة أتم الهجـر ، أو الهمّ بالهجر ارتقى في صدر من حبّه باق ، أي : دائم • وارتقى الهمّ في الصدر كأنه يتصعد فيه ويستطيل المهجور مدّته ، لأن باقي الحب دائمه • فشبّه طول المسافة بطول مُدّة الهجر على مَن حبّه دائم باق ، ولو انصرف عنه الحب سقط الهجر ، وقصرت مُدّته وتلاشى •(٤٩)

لا حاجة الى قوله « ولو انصرف عنه الحب انفصل »(٥٠)

١٩ــ بِيدٍ لِنَسْلِ العِيدِ في امْلِيدَها
ما ارْتِيدَ من هِيد ومِنْ عُدَواءِ(٥١)

ويروى « لسير العيد في امليسها » و « املودها »

« العيد » اسم فحل • وقيل قبيلة من مهرة بن حيدان ينسب إليها الإبل ، والأول أكثر • و « ما ارتد » : ما طلب ، وهذا نحو قولهم :ماشئت وإن تشأ ، لكن هكذا يستعمل ، بل في موضع غير هذا الموضع • و «هيد»: زجر" للابل • و « العدواء » : البُعْد ، والعدواء : المكان الذي لا يطمئنّ من قعد عليه ، و«الامليد» و«الاملود» : الأملس • ويروى « ومن عُرْواء »

---

(٤٩) قال التبريزي في كتابه : ١/٣٣
«المسافة» الارض البعيدة ، ويقال انها مأخوذة من سوف الدليل التراب، وهذا اشتقاق صحيح ، لانه يفعل ذلك فيستدل به على الارضين إذ كان قد ميز ترابها من قبل لطول ما سلك في المفاوز ، وقد يحسن ان تكون «المسافة» من السواف ، وهو «الهلاك» . وقوله « كمسافة الهجر » أي انه تطول مدته وإن كانت قصيرة ، وبرحاء الشوق والوجد : معظمه . كأن هذه المسافة لبعدها لا يرجى بلوغ آخرها .

(٥٠) الكلام الذي ذكره ابن المستوفي للآمدي لا توجد فيه لفظة «انفصل» .

(٥١) رواية الصولي « في املودها ما شئت من عيد ومن علواء » ورواية التبريزي « في املودها ما ارتيد من عيد ومن عدواء »

بالراء ، وهي الرعدة ، ومتى أنعمَ ناظر" النظر في هذا البيت وجده رديء التركيب •

وقال المعري :

ويروى « من عيد ومن عدواء » • قال : ويحتمل أن يكون من عيد الأيام ، أي : ان هذه المفازة تؤدي بهذه الإبل وركبانها الى خير يفرحون به ، ويحسن فيه حالهم • ويجوز : أن يراد بالعيد ههنا ما يعتادها من الانضاء ، وهم الركبان ، لأنهم يسمّون ما يعتاد الانسان عيداً •

قال المبارك بن أحمد :

وحَمْله على الاشتقاق الثاني أوْلى لصحّة المعنى ، وفساد المعنى بالاول معه • و «العدواء» ، قال الأصمعي : العدواء : على وزن الغلواء : المكان الذي لا يطمئنّ من قعد عليه ، وهذا مع رواية «هيد» أولى • وقوله : « ما ارتيد » وما شئت ونحوه ، يقال فيا لأمور السّارّة لا الشاقّة ، نحو قوله تعالى : « وفيها ما تشتهيه الأنفس »[٥٢] • وإن جاء قوله هذا على وجه المجاز •

٢٠ـ مَزّقْتُ ثَوْبَ عَكُوبِها بِرُكُوبِها
والنارُ تَنْبُعُ من حَصَى المَعْزاءَ

ويروى « تلفح »

قال الصولي :

المَعْزَاء : الأرض الخشنة • والعكوب : الغبار • يعني توقد الشمس على الحصى الصغار •

(٥٢) من سورة الزخرف الآية ٧١

وروى أبو العلاء « عُكوبها » بضم العين • وقال : العُكوب يروى بضم العين وفتحها • فإذا ضمّت فكأنه في الأصل مصدر عكب • وإذا فتحت العين فكأنه وصف سمّي به الغبار • عكب فهو عكوب مثل : ضرب فهو ضروب • والاشبه بمذهب الطائي ضمّ العين في عكوب ليكون مشاكلاً لضمّة الراء في ركوب • وقوله « والنار تنبع من حَصَى المعزاء » نحو من قول ذي الرّمة :

يَرْحَنَ بنا والمروُ حامٍ كأنما يَطَأنَ بنا منه على عَجَل جمرا[٥٣]

٢١ـ والى ابن حَسَّانَ اعتَدَتْ بي هِمَّةٌ

وقَفَتْ عليه خُلَّتِي وإخَائِي[٥٤]

وفي النسخة العجمية ط « اخوتي وصفائي » • ويروى «اعتلت»

٢٢ـ لمّا رأيْتُكَ قد غَذوْت مَودّتِي

بالبِشْرِ واسْتَحْسَنْتَ وجْه ثَنائِي

قال الصولي :

جعل البشر غذاء للمودّة ، لأنه يربّيها ، وبالبشر يزيد فيها ، وأحسن •

٢٣ أنبَطْتُ في قَلْبِي لِوَأْيِكَ مَشْرعاً

ظَلَّتْ تَحُومُ عليهِ طَيْرُ رَجائِي

---

(٥٣) انظر ديوان ذي الرمة : ١٧٣ . وروايته فيه « وتهجيرنا والمرو حام.. »
وهذا البيت من قصيدة مطلعها :
لقد جشأت نفسي عشية مشرف ويوم لوى حزوى فقلت لها صبرا

(٥٤) رواية الصولي «اغتدت»

ويروى « انبطت من قلبي »

قال الصولي :

الوأي : الوعد . وانبط الرجل : استخرج الماء بحفره . يقول : لما رأيتك فعلت بي ما ذكرته استخرجت في قلبي لوعدك مشرعاً تحوم عليه طير رجائي لِتَرِده كما تحوم الطير على الماء . هذا معنى كلامه مختصراً .

وفي حاشية ديوان من دواوين شعره : بالرفع أجود . يريد : في « انبطت » وبعده . يعني لا يتعلق بما قبله ابتداء . وذكر رجاءه ولا يريد أن همّته عظمت لأحل رجائه . هذا كلامه ، ولا معنى له.[55]

٢٤ـ فَثَوَيْتُ جَاراً لِلْحَضِيضِ وهِمَّتِي
مَقْرُونة بِكَواكِبَ الجَوْزَاءِ[56]

قال الصولي :

أنا في الحضيض لسوء حالي ولوعْدِه ما قد علت همّتي .

وفي الحاشية ط : أنا على الأرض ، وهمّتي في علوّها كأنها معلقة في السماء .

---

(٥٥) قال التبريزي في كتابه : ١/٣٥ :
يقال ، انبط الحافر الماء : إذا استخرجه ، وقال بعض الناس إنما سمي النبيط نبيطاً لانهم يستنبطون ، أي : يستخرجون الماء بالعمل في الارض، وقد يجوز أن يسمى الحرث إنباطاً واستنباطاً لانه يستخرج ما عند الأرض . و «الرأي» : الوعد ، وقيل هو ضمان العدة . و «المشرع» : الموضع الذي يشرع فيه للورود ، والشروع : أول الشرب ، شرع في الماء إذا ابتدأ في الجرع .
يقول : لما رأيتك قد غذوت مودتي ببشرك ، واستحسنت شعري وثنائي عليك ، استخرجت في قلبي لعدتك وضمانك مشرعاً من الرجاء ظلت تحوم عليه طيره تريد أن ترده .

(٥٦) رواية الصولي والتبريزي « قد طوقت» مكان «مقرونة»

وفي بعض الحواشي ت : يقول : أنا مستجيره ولن يخفر جاره وهو في غاية العز والنباهة ونهاية المَنَعة ، وهمّتي قد بلغت النجم علوّاً وإن كنت في الأرض .

قال المبارك بن أحمد :

قوله « أنا مستجيره الى قوله .. ونهاية المنعة » كلام رديء ، لأنه جعله جاراً للحضيض ، وهذا ذمّ .وتفسير صاحب الطاء عليه المعنى الصحيح.

وفي حاشية : جعل همّته لتعلقها بهذا الممدوح عالية ، وجعل كواكب الجوزاء مثلاً لغاية ارتفاعها .[٥٧]

٢٥ـ إيهِ فَدَتْكَ مَغَارِسِي ومَنَابِتِي
إطْرَحْ غِنَاءَكَ في بُحُورِ عَنَائي[٥٨]

قال الصولي :

ويروى « اقذف غناءك في بحور عنائي » . والذي قرأته على أبي مالك « إطرح غناك في بحور عنائي » جيد ، ولذلك وجه قوي . « إيهِ » أي : زد وهات.[٥٩] هذا كلامه .

---

(٥٧) قال التبريزي في شرحه : ١/٣٦
الحضيض : منقطع الجبل في أسفله [ثم ذكر التبريزي شرحاً لغيره ولم ينسبه ، ثم ذكر شرح الصولي ثم قال] . وكأن البيت الذي بعده يدل على هذا ، وهو قوله « إيه فدتك مغارس ... »

(٥٨) رواية الصولي «نحور» بالنون مكان «بحور»

(٥٩) فيما يأتي نذكر بقية كلام الصولي ، قال : « وقد عيب على ذي الرمة قوله :
وقفنا فقلنا إيه عن أم سالم وما بال تكليم الديار البلاقع
أي زدنا من الحديث عنها وهات . فقيل : كان يجب أن يقول « إيهٍ » منونة . وقال من يحتج له : اراد إيهِ فأقام الاعراب مقام التنوين . وويهاً : اذا زجرته . وإيهاً : كفّ عنا . وواهاً له : إذا تعجب منه ، وإيه : حدثنا وزدنا .

وفي طرّة النسخة العجمية : والغناء : الكفاية . والغنى : الإقامة . والغناء : الأغنية .

وفي حاشية : روي « اضرح[٦٠] غناءك في بحور عنائي » ، أي : إطرح وجدك في بحور عدمي حتى يغلبه فأستريح من الحاجة والعدم .

وفي شرح أبي زكريا (التبريزي) يقول : زدني على حسن تقريبك وإكرامك بالغناء والاستغناء عن سواك . وجَعَل لعنائه وتعبه بحوراً ، تعظيماً لها وتأكيداً لإلزام حرمتها .

٢٦ـ يَسِّرْ لِقَوْلِكَ مَهْرَ فِعْلِكَ إنّهُ
يَنْوِي افْتِضاضَ صَنِيعةٍ عَذْراءِ

قال الصولي :

يقول : أتبع القول بالفعل كما تُتْبع الخطبة بالمهر . ان قولك ينوي أن تبتدي عندي صنيعة عذراء لم يصنعها أحد قبلك إليّ . وهذا مثل استعاره .

لا معنى لقوله « كما تتبع الخطبة المهر » . و «الهاء» في قولك « إنه » ضمير القول . أي سهّل لقولك وهو وعدك مهر فعلك وهو عطاؤك،لتفتضّ صنيعة عذراء لم يصنعها أحد قبلك لكثرتها ، وعجزهم عنها . فخصّه على كثرة عطائه له .

قال أبو بكر (الصولي) :

وحدثني مالك الكندي[٦١] : ان هذه القصيدة كان عملها في يحيى بن ثابت ، وكان من أهل الكلام والشعر ، وكان في القصيدة مما أسقطه .

---

(٦١) الصواب : أبو مالك الكندي .

٢٧ـ وإذا تشاجَرَتِ الخُطُوبُ قَرَيْتُها
جَذَلاً يَفُلُّ مَضَارِبَ الأعْدَاءِ (٦٢)

ويروى « فريتها » من فرى الأديم أي قطعه على جهة الاصلاح . و « أفريته » إذا قطعته على جهة الإفساد . و « تشاجرت » أي لقى بعضها بعضاً . والصحيح : أشجر القوم ، وتشاجروا ، أي : تنازعوا ، والمشاجرة: المنازعة . « قريتها » من قرى الضيف(٦٣).

قال الصولي :

لم نجد هذا البيت في شعره . قال : وكان فيها :

٢٨ـ يَا غَايَةَ الأُدَبَاءَ والظُّرَفَاءِ بَلْ
يا سَيِّدَ الشُّعَرَاءِ والخُطَبَاءِ (٦٤)

---

(٦٢) رواية الصولي «فريتها» بالفاء .

(٦٣) قال التبريزي في شرحه ، ٣٨/١ :
« تشاجرت الخطوب » أي : لقي بعضها بعضاً وتشابكت . ومن ذلك تشاجرت الرماح : إذا دخل بعضها في بعض عند الطعان . ومنه اشتقاق الشجر ، لاشتباك الاغصان ، ثم كثر ذلك حتى قيل : شجره بالرمح ، اذا طعنه به . و« قريتها جذلا » من قرى الضيف ، وهذا على منهاج قولهم : قريت الهم الرحيل ، أي : لما ضافني الهم جعلت الرحلة له قرى ، ومن روى «فريتها» : جعلها من الفري وهو القطع .

(٦٤) قال التبريزي في شرحه : ٣٨/١ ،
أخذ «الأديب» من الأدب ، وهو العجب ، وقيل الادب الداهية ، فكأنه صار يعجب منه أو صار يتقى شره ، كما يقال : رجل داهية : إذا وصف بالعقل والمكر . ويجوز أن يكون اشتقاقه من الأدب وهو الدعاء الى الطعام، كأنه امر أجمع عليه وعلى استحسانه .
و« الظرفاء » : جمع ظريف ، وهو المبالغ في الاشياء ، ويسمون الفصيح اللسان ظريفاً . وحكى النحويون : قوم ظروف : في جمع ظريف ، وهو من شواذ الجمع ، وقيل : بل هو اسم له ، وقلما جاء فعيل مجموعاً

←

وفيها :

٢٩ـ وإلى مُحَمَّدٍ ابتعثتُ قَصائِدي
ودَفَعْتُ للمُسْتَنْشِدِينَ لِوائي

قالوا : هذا يقع بعد قوله : « يَسَّر لقولك مهر فعلك »
وفيها :

٣٠ـ يَحْيَى بن ثابِتٍ الّذي سَنَّ النَّدَى
وحَوَى المَكارِمَ مِن حَياً وحَياءِ

قال الصولي :
حياء الوجه وحياء الجود .

قال : ثم ترك هذا كله واستقرّت القصيدة في محمد بن حسّان
قال : وكذلك قرأتها عليه :

ساويتَهم أدباً وجودُك شاهدٌ بل حالِفٌ أن لَسْتُما بِسواءَ

لم يَبْقَ ذو غدرٍ لِرَيْبِ مُلِمَّةٍ إلا وقد ألجمتَهُ بِوَفاءِ

عُرِفَت بكَ الآداب مُجملة كما عَرَفَتْ قُرَيشُ الله بالبطحاءَ

بخلائقٍ أسكنتها خُلدَ الوَرَى فَجَهِدتَ منها جُهْدَ كُلَّ بَلاءِ

على فعول ، وقد حكي في عسيب النخلة عسوب ، وأتيّ السيل أتي .
وروى السكري بيت أبي ذؤيب :
وإنّ غلاماً نيل في عهد كاهل لظرف كنصل المشرفي صريحُ
والرواية المشهورة « لطرف » بالطاء . وان صحت الرواية التي ذكر فقولهم ظروف في الجمع انما هو جمع ظرف ، كماتقول : جمل قرم وجمال قروم ، والنحويون لم يذكروا ظروفاً على انه يقال : رجل ظرف فلذلك شدّوه .

وقال يرثي خالد بن يزيد الشيباني :

١- نَعَاءِ إلى كُلِّ حَيٍّ نَعَاءِ
فَتَى العَرَبِ احْتَلَّ رَبْعَ الفَنَاءِ

قال الصولي :

« نَعَاء فتى العَرَب » : يقول : أنعي فتى العرب الى كلّ حيٍّ ، ونَعاءِ فلاناً ، أي : أنعي فلاناً .

وفي الحاشية ، قال الأصمعي : كانت العرب إذا مات منهم ميت وله قدرٌ ركب رجل فرساً وجعل يسير في الناس ، ويقول : « نعاء فلاناً » . وهي كلمة في معنى الأمر . كنزال وحذارِ ، ونحوهما . وهي مبنيّة على الكسر[1]

---

(١) جاء في كتاب التبريزي ٤/٥ :
قال أبو العلاء : « فتى العرب اختط ربع الفناء » . « نعاء » كلمة في معنى الامر ، وهي مبنية على الكسر . نعاء فلاناً : أي نعوه فقد هلك .
قال الكميت :

نعاء جذاماً غير موت ولا قتل ... ولكن فراقاً للدعائم والأصل

وأصل «النعي» : رفع الصوت بالشيء ، يقال ، نعى فلاناً على فلان فعلا قبيحاً : إذا اظهره عليه ، ومن ذلك نعي الميت ونعيه ، وأكثر ما يقولون : جاء نعي الميت . قال النابغة :

فعما قليل ثم جاء نعيه ... فبات ندي القوم وهو ينوح

قال أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي :

إذا قال القائل : « نعاء » جاز أن يكون أمَرَ نفسه أو غيره ، وأن يكون الامر لغيره أوقع ، لأنك إذا قلت : حذار الاسد ، فإنما تريد أن تحذر غيرك منه . ولا يمتنع أن يُحمل على أمر النفس ، وجاء في التنزيل[٢]: « وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكم »[٣]

وقال : والعامّة يثبتون الياء في بيت الطائي ، كأنهم يعتقدون الاضافة، وذلك رديء جداً في القياس ، لأن قولك « حَذَارِ » وما جرى مجراها لا تضاف إلا أن تخرج من بابها ، لأنها واقعة موقع الأمر إذْ كان المفعول يقع بعدها[٤] . فلا معنى للاضافة فيها[٥] ، وانما عمل بعض الناس على أن يقولها بالياء لأن همزتها قابلت همزة «إلى» (فاستقبلتها الهمزة المكسورة

---

(٢) من سورة العنكبوت الآية ١٢

(٣) قال التبريزي في كتابه : ٦/٤ : بعد الآية القرآنية .

ونحو منه قول الشاعر :

لا أعرفن ربرباً حوراً مدامعها كأنهن نعاج حول دوار

الهمزة في « نعاء » منقلبة عن ياء لأنه من نعيت . قال الشاعر ،

إذا جاوزتما سعفات حجر وأودية اليمامة فانعياني

(٤) قال أبو زكريا في كتابه ٦/٤ مضيفاً :

قال الفرزدق :

نعاء ابن ليلى للسماحة والندى وأضياف ليل مقفعلى الأنامل

[الاقفعلال : تشنج الاصابع من برد أو داء .]

و « ابن ليلى » منصوب ب « نعاء » وكذلك الهاء في قول الراجز :

« مناعها من إبل مناعها »

ومعنى « نعاء » و « مناع » و « حذار » : انع واحذر وامنع .

(٥) وقال أبو زكريا التبريزي في كتابه مضيفاً ومعلقاً :

« ولو كتب كاتب «إضرب» وكتب غيره مثلها فأردت أن تخبر عن ذلك لأبطلت المعنى الاول فقلت « إضربك » خير من « إضربه » فكذلك نعاء وحذار اذا أضيفتا نقلتا من بابهما الى باب آخر .

فثقلتا على اللسان)[٦] ، فَفَرَّ الناطق الى الياء وغَرَّه اللفظُ بـ « نعَاءِ » الثانية لأن فيها ياء الوصل ، فجعل الأولى مثلَها في اللفظ ، وإذا رويت على ما يقول هؤلاء فلا سبيل لها الى العمل ، ولا يخلو على روايتهم من أحد وجهين : إما أن تكون مكتفية بقوله « الى كل حيّ » فيكون العامل في « إلى » فعلاً مضمراً ، كما يقول الرجل : قلبي إليك ، ويسكت . ثم يبتدىء بـ « نَعَاء » الثانية فينصِبُ بها « فَتَى العَرَب » ويكون « نعاء » قد لحقتها ياء الوصل[٧] . وإمّا أن تكون « نَعَاءِ » الثانية على مذهبهم مثل الأولى ، ويكون قوله « فَتَى العَرَب » ابتداءً وخبره « اختطّ ربع الفناء » وتكون نعاء الثانية خبراً للمبدوء بها في أول البيت . ويحتمل على هذا الوجه أن يُنصب « فتى العرب » بفعل مضمر ، كأنه قال : أنعى فتى العرب . ويكون قوله « اختط ربع الفناء » في موضع نصب على الحال إذْ كان جملة ، ولا يمنعه من ذلك إنّ أول الجملة فِعْلُ ماضٍ لأن الجملة لا يُراعى فيها الفعل بل تكون مثل الآية : « أوْجاؤكم حَصِرَت صُدُورهم »[٨] . ويجوز أن تكون الجملة التي أوّلها « اختطّ ربع الفناء » خبر ابتداء محذوف ، كأنه قال : هو اختطّ ربع الفناء ، ويقال : اختطّ الرجل الارض : إذا عَلّم عليها علامة لِيُعْلم انه قد احتازها لنفسه[٩] .

---

(٦) هذه الزيادة وردت في شرح التبريزي ، وقد ذكرناها في المتن لاهميتها في بيان المعنى .

(٧) وقال التبريزي في كتابه مضيفاً ،
كما لحقت «حذار» في قول الراجز :
حذار من ارماحنا حذار او تتركوا من دونكم ديار

(٨) الآية ٩٠ من سورة النساء .
وقال التبريزي في كتابه : ٧/٤ : بعد ان ذكر الآية الكريمة :
« فقوله «حصرت صدورهم» في موضع الحال » .

(٩) قال التبريزي في شرحه معقباً : ٦/٤ :
« والربع » : المنزل ، ومما روي «احتل» فهو (افتعل) من حل بالمكان

وقال الآمدي :

كأنه يقول لنفسه : إنعَ الى كلّ حيّ . إنع : وهي لفظة عربية مستعملة ولكنها غير حلوة إذا أبتدىء بها ، وقد ابتدأ بها الكميت فقال :

« نَعَاءِ جُذاماً غيرَ موتٍ ولا قتل »[10]

أي : إنع جذاماً ، وكثيراً ما يبتدي بها أبو تمام .

٢ـ أُصِبْنَا جَمِيعاً بِسَهْمَ النِّضَالِ
فَهَلاّ أُصِبْنا بِسَهْمِ الغِلاءِ

قال الصولي :

« سهم النضال » هو السهم السّدِيد المقوّم الذي يُناضل به . و « سهم الغِلاء » والمغالاة : سهم لا يعتدّ به في النضال ، وإنما جُعل للمغالاة . وهو أنْ يرمي الرجل مع الرجل أيّهم أبعد ذهاب سهم . يقول : أُصبنا بأعلى ساداتنا ، فهلّا أصبنا بمن هو دونه .

وقال أبو العلاء :

والمعنى : إنّا أُصبنا من هذا الرجل بالخطر الجليل الذي كنا نعدّه لدفع الأعداء ، لأن السهم الذي يرمى به العدوّ أعظم قدراً من الذي لا غرض في رميه إلاّ أن يعلم مقدار ذهابه في الارض .

وقال قبله : تناضل الرجلان ، وناضل أحدهما الآخر : إذا رماه . والطائي : ذهب في هذا البيت الى أن سهم النضال هو الذي يرْمي به العدوّ الرامي .[11]

---

(١٠) مر ذكر هذا البيت كاملا في صفحة سابقة .

(١١) ذكر التبريزي كلام ابي العلاء هذا في كتابه ولكن لم ينسبه إليه ، وقد زاد على ذلك ، وربما تكون الزيادة له ، أي للتبريزي ، فقال ، ٤/٨ :

←

٣ــ ألا أيُّها المَوْتُ فَجَّعْتَنَا بِماءِ الحَيَاةِ وماءِ الحَيَاءِ

قال الصولي :

« بماء الحياة » : بمن كان الناس يقيمون حياتهم به • و « ماء الحياء » : يريد انه يعطي بلا سؤال فيصون ماء وجوههم عن الطلب لسبقه بالعطية •

ورواه قوم « بماء الحياء » يريد : ماء المطر•وقد مدّ مقصوراً، وهذا جائز لولا مدّ المقصور ، وقد ذهب إليه قـوم ، وما أنشده إلا كمـا رويت أو"لا"•وبعض من لا يدري ينشد هذه القصيدة موقوفة ، وليس ذلك بشيء •

قوله[12] : لا أنشده إلا كما رويت لا فرق بينه وبين انشاده ، وقـد

« وقد يستعمل النضـال في ترامي الرجـلين على معنى الحـرب ، قال أبو حية النميري :

الا ربّ يوم لو رمتني رميتها ولكن عهدي بالنضال قديم

يريد : انها رمته بطرف كأنها جرحته . وقد يستعمل «النضال» في معنى ترامى القوم لينظروا أيهم أجود على معنى المحاربة . ومنه الحـديث: انه مر بفتيان يتناضلون فقال : « ارموا يا بني اسماعيل فان أباكـم كان رامياً » ، فهذا يدل على انهم لم يكونوا في الحرب . وقـد تستعمل «المناضلة» في معنى المفاخرة ، كما قال الشاعر :

قد ناضلوك فسلوا من كنائنهم مجداً تليداً ونبلا غير أنكاس

« وسهم الغلاء » هو من قولهم : غاليت الرجل : إذا رمى ورميت لتنظـر أيكما أبعد موقع سهم في الارض ، يقال ، غلا الرجل بسهمه غلـوة : إذا رمى الى غرض لينظر ما قدر بعد الرمية ، ويكون ذلك في السـهم والحجر . قال الشمّاخ :

أرقت له والصبح في الشرق ساطع كما سطع المريخ شمّره الغالي

ويروى « سمره » و« شمره » ، وقال الافوه :

كل قـوداء كمرداة الغـلا وطمر سـابح فيه اقورار

أراد مصدر «غاليت» فقصر .

(١٢) يبدو ان هذا الكلام لابن المستوفي وهو تعليق له على كلام الصولي. وان كان من عادة ابن المستوفي ــ صاحب الكتاب ــ انه يبدأ كلامـه حين يريد أن يعلق بقوله : « قال المبارك بن أحمد » ولكنه هنا لم يفعل .

مدّ المقصور إلاّ أن يريد أنه نبّه عليه انه لم يُرد إلاّ « ماء الحياء » الذي هو ضد القحّة .

٤ـ فماذا حَضَرْتَ به حاضِراً وماذا خَبَأتَ لأهْلِ الخِبَاءِ

قال الصولي :

يخاطب الموت ، يقول : ما صنعت بأهل البدو والحَضَر .

٥ـ نَعَاءِ نَعَاءَ شَقِيقَ النَّدَى

إليه نَعْياً قَليلَ الجَدَاءِ

قال الصولي :

الهاء في « إليه » للندى . يقول : إنْعَ الى النّدى أخاه ، وهو نعي قلّما يجدي ، ولكن على كل حال أشر بذلك ليعلم .

وقال « قليل الجَداء » أي قليل الغناء ، فأمّا الجَدا مقصور فهو في معنى العطاء والمطر العام .

قال المبارك بن أحمد :

أخذه من أشجع بن عمرو[١٣] إذ يقول :

أنْعَى فتى الجود الى الجُودِ ما مثل مَن أنْعَى بموجود[١٤]

---

(١٣) اشجع السّلمي : هو أشجع بن عمرو السلمي ، أبو الوليد ، من بني سلَيم ، من قيس غيلان ، شاعر فحل . كان معاصراً لبشار ، ولد باليمامة ونشأ بالبصرة ، وانتقل الى الرّقة واستقر ببغداد ، مدح البرامكة ، وانقطع الى جعفر وقربه الرشيد ، فأثرى وحسنت حاله ، ورثى الرشيد . توفي سنة ١٩٥هـ . اخباره في الأغاني : ٧/ ٣٠ـ٤٤ ، وتهذيب ابن عساكر ٣/ ٥٩ـ٦٣ وتاريخ بغداد ٧/ ٤٥ وخزانة الأدب للبغدادي ١/ ١٤٣ والشعر والشعراء : ٢٧٣ .

(١٤) انظر الشعر والشعراء ٢/ ٨٦٠ والبيان والتبيين : ٣/ ١٢٣ (تحقيق هارون) حيث نسبت الأبيات الى أبي الشمقمق . والأوراق ، ١٣١ وحماسة المرزوقي : ٩٣٩ .

ولكن قصّر عنه تقصيراً ظاهراً •

وقال المعري :

« شقيق النّدى » : لأنه شُقّ نسبه منه فهو أخوه • و (فعيل) هنا: بمعنى (مفاعل) ، كأنه : شقيق ومُشاق ، وجليس ومجالس[١٥] •

وقوله : شق منه فهو أخوه أحسن من أن يكون مشاقاً له •

٦ــ وكانَا جَمِيعاً شَرِيكَيْ عِنانٍ
رَضِيعَيْ لِبَانٍ خَلِيلَيْ صَفَاءِ

يقال : شاركه شِرْكَةَ عِنان ، إذا شاركه في شيء دون شيء[١٦] ، كأنّه عَنّ لهما شيء فاشترياه مشتركين [فيه] • وقيل : شركة عِنان أخذ من عِنان الدّابّة لأن العنانين متساويان • وعلى هذا يحمل قول أبي تمام • فأمّا على الأول فليس بجيد •

---

(١٥) قال التبريزي في كتابه مضيفاً الى ما ذكره المعري :
« وقعيد ومقاعد » ، و « قليل الجداء » أي الغناء ، قال الشاعر :
لقلّ جداء على مالك اذا الحرب حشو باجذالها

(١٦) هذا الكلام للتبريزي ذكره ابن المستوفي ولم ينسبه الى قائله . وقال التبريزي في كتابه : ٤/ ١٠ : و«العنان» : هاهنا كأنه في معنى المعانة ، كأن كل واحد منهما عن له صاحبه ، أي عرض ، كأنه مصدر عان يعان عناناً ، مثل ضار يضار ضراراً . فأما شركة المفاوضة فهي شركة في جميع الاشياء . قال الشاعر ، (وذكر بيت النابغة الجعدي المذكور في المتن). ثم قال :
يريد ان منهم نساء ولدن في قريش ، وقال بعض الناس : انما يراد بـ « شركة العنان » انهم مثلهم في الشرف وان كان اصله في المال . فأما شركة المفاوضة ففي التجارة . واذا افتخر الشاعر فقال : شاركناهم شرك العنان ، فليس يريد المشاركة في نوع من الشرف ، ولكن في جميع ما يذكر من السؤدد . وهو راجع الى معنى عنّ أي عرض .

وقوله « رضيعَي لِبان » إنما يكون للآدميين ، فاذا جاء لغيرهما جاز .[17]

وقال المعري :

قال قوم « شركة العِنان » أُخِذ من عِنان الدّابّة ، وهذا يحسن في معنى الافتخار ، كأنه إذا قال :شاركناهم شرك العنان أراد : انا وإياهم فرسان نشترك في أعِنّةِ الخيل[18] . أراد قول النابغة الجعدي[19] :

وشاركنا قريشاً في عُلاها وفي أبنائها شِرْكَ العِنانِ[20]

ويروى « في فرسانها » و « في أحسابها » .

---

(17) قال الصولي في شرحه ٤/٢١٧ :
« شريكي عنان » يعني انه اخ الجود والندى من جميع جهاته . و« شريكي عنان » يقال ذلك لمن شارك في شيء دون شيء . وشركة المفاوضة : في كل شيء » .

(18) جاء في كتاب التبريزي : ٤/١١ ، تكملة لقول أبي العلاء :
« والشريكان » و « الرضيعان » و « الخليلان » في معنى المراضعين والمخالين . وقوله : « رضيعي لبان » يستعمل في الانس ، وكأن «اللبان» مصدر لابنه يلابنه لبانا : إذا رضع من لبن امه . وربما خرج الى غير الإنس في التوسع والمجاز كما قال الفرزدق

وأنت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما أخَيَّيْن كانا أرضعا بلبان

لما جعل الذئب امرءاً جاز أن يخبر عنه بما يخبر به عن الانس .و«الصفاء» من المودة ، ممدود . و«الصفا» من الارض مقصور .

(19) النابغة الجعدي : هو قيس بن عبدالله بن عُدس بن ربيعة الجعدي العامري ، ابو ليلى . صحابي ، وشاعر مفلق ، من المعمرين . اشتهر في الجاهلية ، وسمي «النابغة» لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ، ثم نبغ فقاله . توفي نحو سنة ٥٠هـ . أخباره في الموشح : ٦٤ وسمط اللآلي : ٢٤٧ والشعر والشعراء : ١/٢٠٧ واللباب ، ١/٢٣٠ .

(20) أنظر اللسان مادة «عنن » وروايته فيه « في نقاها وفي أحسابها شرك العنان » .

وإنما أراد : نساويها في الشركة كما تساوى عنانا الدابة . وأخذ « رضيعَي لِبان » من قول الأعشى[٢١] وذكر ناراً :

تشبّ لِمَقرورَيْن يَصطليانِها
وباتَ على النّارِ النّدى والمُحلّق[٢٢]

رضيعَيْ لِبانٍ ثدْيَ أمٍّ تَقاسَما
بأسْحَمَ داجٍ عَوْضُ لا نَتَفرَّقُ

٧ـ على خالِدِ بنِ يَزيدَ بن مَزْ
يَدِ فامْرُ دَمْعاً نَجيعاً بِماءِ[٢٣]

فأمْر : فاحْلب

قال المعري :

أراد : أمْرِ نجيعاً بدلاً من الماء[٢٤] ، وهذا كقول الشاعر :

فليتَ لنا مِن ماءِ زَمْزَمَ شَرْبةً

---

(٢١) الأعشى : ميمون بن قيس بن جندل .. الوائلي ، أبو بصير المعروف بأعشى قيس . ويقال أعشى بكر بن وائل ، والأعشى الكبير ، من شعراء الطبقة الاولى في الجاهلية ، وأحد أصحاب المعلقات ، كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس ، غزير الشعر . وكان يغنّي بشعره فسمي « صناجة العرب » عاش عمراً طويلا وأدرك الاسلام ولم يسلم ، أخباره في : معاهد التنصيص : ١٩٦/١ وخزانة البغدادي ١٠/٨٤، والأغاني : ١٠٨/٩ والشعر والشعراء : ٧٩ .

(٢٢) أنظر ديوان الأعشى الكبير بشرح وتعليق د.م. محمد حسين ص٢٢٥ ، الطبعة النموذجية /مصر

(٢٣) رواية التبريزي « امر دموعاً بخيعا بماء »

(٢٤) ذكر التبريزي في شرحه كلاماً لأبي العلاء لم يذكره ابن المستوفي،هذا نصه: « أمر نجيعاً بدلا من الماء ، كما تقول للرجل إذا طلبت منه ديناراً فلم يعطك : اعطني درهماً بدينار ، أي : بدلا عنه ، وهذا كقول الشاعر ، « فليت لنا من ماء زمزم ... البيت » . أي بدلا من ماء زمزم

مُبَرَّدَةٌ باتت على طَهَيَانِ[٢٥]

أي : بدلاً من ماء زمزم .

قال المبارك بن أحمد :

ولو أراد : امرِ دمعاً دمخ بماء ، أي ممزوجة بمـاء لم يكن به بأس، يجعل الدمع دماً كما قال أيضاً :

أنت في حِلٍّ فزدني سَقماً   افن صبري واجعل الدمع دما .

وقال مهيار[٢٦] :

فداء وافين تمشي الوافيات بهم   دمعٌ دمٌ وحشىً في إثرِهم قِطَعٌ[٢٧]

وروى أبو العلاء « فامرِ عيناً نجيعاً بماء » وروى « فابْكِ دموعـاً

---

(٢٥) جاء في اللسان مادة «طهي» : « قال أبو عبيد البكري «طهيان» بفتح أوله وثانيه وبعده ياء أخت الواو : اسم ماء ، و«طهيان» جبل ، وأنشد :
فليت لنا من ماء حمنان شربة   مبردة باتت على طهيـان
وشرحه فقال : بدلا من ماء زمزم .

(٢٦) مهيار الديلمي : هو مهيـار بن مرزويه ، أبو الحسن ، أو أبو الحسـين الديلمي ، شاعر كبير ، في معانيه ابتكار وفي أسلوبه قوة ، فارسي الأصل من اهل بغداد ، وفيها توفي سنة ٤٢٨هـ ، ولد في الديلم جنوب جيلان على بحر قزوين . كان مجوسياً ثم أسلم على يد الشريف الرضي. أخباره في ، تاريخ بغداد : ٢٧٦/١٣ والمنتظم : ٩٤/٨ وابن خلكان ١٤٩/٢ وابن الأثير : ١٥٧/٩ .

(٢٧) أنظر ديوان مهيار الديلمي : ١٨٢/١ نشر مطبعـة دار الكتب المصرية ١٩٥٢ . وهذا البيت من قصيدة في وصف منـاقب أمير المؤمنن علـي بن ابي طالب كرم الله وجهه ، مطلعها :
هل بعد مفترق الاضعان مجتمع   ام هل زمان بهم قد فات مرتجع ؟

نجيعاً بماء » ويروى « امر دموعاً .. » ، ومعنى الثاني : فاحلب العين دماً ممزوجاً بماء[٢٨] .

٨ــ ولا تَرَيَنَّ البُكَا سُبَّةً وألصِقْ جَوىً بلَهيبٍ رَوَاءِ

قالوا في قوله : « ولا ترينّ البكا سُبّة ، لأنه كان حقه وفرضه .
وقال الصولي :

يقول : إقرنه بلهيب لتروي غلّتك من الوجد ، وليس من شأن اللهيب أن يروي ، يقول : فهذا هو العجب . ورواه قوم « بنحيب رواء » والأول أجود .

وقال المعري :
أي : هذا اللهيب يشفيك بعد حين ، أي : يرويك من الجزع ، ويكون المعنى : ان البكاء يشفي كما قال ذو الرّمة :

لعلّ انحدارَ الدّمْعِ يُعْقِبُ راحةً

من الوَجْدِ أو يشفي نَجِيَّ البَلابِلِ

---

(٢٨) قال التبريزي في شرحه : ٤/١١ :
« فامر دمعاً نجيعاً » يقال : مريت اللبن وغيره : إذا استخرجته من الضرع . ومريت الناقة ، إذا مسحت ضرعها ، وكذلك : مرت الريح السحاب ، ومرى الفارس الفرس : إذا حرك رجله ، يستدر جريه ، قال ساعدة بن جوية :
يمرونهن إذا ما آنسوا فزعاً تحت السنور بالاعقاب والجذم
«الجذم» جمع جذمة : وهو السوط . و «النجيع» الدم ، وقيل : هو دم الجوف خاصة ، قال الشاعر :
وتخضب لحية كذبت وخانت باحمر من نجيع الجوف آني
«الآني» : الحار . وليس يريد انه يمرى نجيعاً ممزوجاً بماء ، ولكن الغرض .

ويحتمل في مذهب الطائي أن يكون معنى الـرواء انه يروي الخدّ أو الأرض بالدمع ، ولم تَجْرِ عادةُ اللهيب أن يأتي بالرِّيّ ، فهـذا غير المعنى الاول . وهذا آخر كلامه .

والذي عليه مذهب أبي تمام انه يُبعـد الاستعارة ، فجعل اللهيـب رواء ، أي كثيراً مرويّاً ، كما ان الدمع يعقب راحة فكذلك اللهيب يروي أي يخفّف إذا أظهره ذو الغلّة وقرنه بالجوى ، وهو داء القلب ليخفف البـاطن بالظاهر .[29]

٩ـ فَقَدْ كَثَّرَ الـرُّزْءُ قَدْرَ الدُّمُـو
عِ وقَدْ عَظَّمَ الخَطْبُ شَأنَ البُكَاءِ

ويروى «كبّر» ، قال الصولي : وكلاهما جيد .

أراد : ان هذا المصاب زاد قدر الدمـوع المعهود لشدّته ، وكـذا النصف الثاني ، وكل منهما داخل في الآخر

وفي حاشية : لأن البكاء يليق به .

ويروى « فقد صغر » أي : مهما بكى فدموعه صغيرة في جنب هذا الرزء لعظمه .

١٠ـ فبَاطِنُه مَلْجَأٌ لِلأسَى وظَاهِرِه مَيْسِمٌ لِلوَفاءِ

---

(٢٩) قال التبريزي في شرحه : ١٢/٤،
« اصل «الجوى» ما خلا من الحزن والحب والمرض الى باطن الجسـم ، لأن الجو باطن الشيء . و«رواء» من قولهم : ماء رواء ، أي كثير مُرْوٍ » .

قال الصولي :

الأسى : الحزن ، وهو ملجأ الحزن[٣٠] الى الدمع ليستريح به إذا بطن ما يجد ،وإذا ظهرت دموعه فتلك علامة لوفائه .

قال المبارك بن أحمد :

أخذه أبو العباس بن الرومي[٣١] فعكسه وقال :

عينيّ شُحّا ولا تَسُحّا ۞ جَلّ مصابي عن العزاءِ[٣٢]

تركُكُما الداءَ مُستكِنّاً ۞ أصدقُ في صِحّة الوفاء[٣٣]

قال المبارك بن أحمد :

جعل أبو تمام للدمع باطناً وظاهراً ، فأراد بقوله: « فباطنه ملجأ للأسى » أن الحزن يلجأ الى باطن الدمع يعتصم به ليجد به راحة فيقلّ الأسى . وأراد بقوله :« وظاهره ميسم للوفاء » : ان بكاءه علامة لوفائه له ، وعلى أن الراحة موجودة في باطن الدمع وظاهره ، وإن دلّ ظاهره على الوفاء[٣٤]

١١ـ مَضَى المَلِكُ الوَائِليُّ الذي

حَلَبْنا به العَيْشَ وُسْعَ الإنَاءِ

---

(٣٠) رواية الصولي في كتابه : ٢٢٠/٣ : «الحزين»

(٣١) ابن الرومي : هو علي بن العباس بن جريج الرومي . شاعر كبير من طبقة بشار وأبي تمام والمتنبي ، رومي الأصل ولد ببغداد سنة ٢٢١هـ ونشأ فيها ومات مسموماً سنة ٢٨٣هـ ، أخباره في وفيات الأعيان : ٣٥٠/١ والتنصيص : ١٠٨/١ وتاريخ بغداد،٢٢/١٢ ومعجم المرزباني ٢٨٩و٤٤٨

(٣٢) رواية الديوان « عن البكاء » بدلا « عن العزاء »

(٣٣) انظر ديوان ابن الرومي . تحقيق د. حسين نصار : ٧٩/١ . دار الكتب المصرية ١٩٧٣ ، وهذان البيتان هما مطلع لأبيات قالها في رثاء امرأته .

(٣٤) قال التبريزي في شرحه : ١٣/٤ :

«ميسم» ، أي علامة . أي : أنا إذا بكينا واظهرنا الجزع علم أنا وافون.

أراد : أن عيشه به كان تامّ اللّذة فحلب به وسع الإناء ، أي مقدار ما يسع .

وقال الصولي :

أي كان عيشنا به رغداً تامّ الطيب ، كما يملأ الحالب إناءه من اللبن .[٣٥]

١٢ـ فأوْدَى النَّدَى ناضِرَ العُودِ وال
فُتُوَّة مَغْمُوسَةً في الفَتَاء

قال الصولي :

يقول : مات وهو فتىً لم يشخ ، وفيه فتوّة كأنه غمس فيها .

وقال المبارك بن أحمد :

الفَتَاء : حداثة السن كذا وقع . « مغموسةٌ » بالرفع ، والصواب « مغموسةً » بالنصب على الحال ، وعليه المعنى . ووجدته في نسخة « مغموسةً » بالنصب فيما بعد . والرفع جائز[٣٦]

١٣ـ فأضْحَتْ عليه العُلى خُشَّعاً
وبيتُ السَّمَاحَةَ مُلْقَى الكِفَاءِ

« خُشَّعاً » : أي ضعيفة ذليلة . و « الكفاء » : شُقَّة أو ثنتان تخاط أحدهما بالأخرى ثم يحمل بهما مؤخّر الخباء .

---

(٣٥) قال الصولي في شرحه : ٣/٢٢١
«الوائلي» نسبة الى جده : وائل بن عمرو بن وائل .

(٣٦) قال التبريزي في شرحه : ٤/١٤ :
«الفتاء» : حداثة السن ، قال الفزاري :

إذا عاش الفتى مائتين عاماً فقد ذهب اللذاذة والفتاء

أراد : أن بيت السماحة بعده تقوّض[٣٧]

١٤ـ وقَدْ كان مِمّا يُضِيءُ السَّرِيرَ
والبَهْوَ يَمْلَؤُهُ بالبَهَاءِ

قال الصولي :

كأن الكلام مما نوره يُضيء السرير • ويروى « ممن يضيء السرير » •

قال أبو العلاء :

أي : مما يفعل أن يُضيء السرير (و«ما» هاهنا)[٣٨] مِثلُها في قول التغلبي[٣٩] :

وإنّا لَمِمّا نَضْرِبُ الكبش ضَرْبَةً
على رأسه تُلقِي اللسانَ من الفَمِ

١٥ـ سَلْ المَلْكَ عن خالدٍ والمُلوكَ
بِقَمْعِ العِدَى وبِنَفْيِ العَدَاء

العَدَاء : الظُّلم • يروى « ألا فَسَلْ الملك عن خالد » ، قالوا: وهو أجود • وقالوا : الباء في قوله « بقمع العِدَى » مثلها في قوله تعالى[٤٠]

---

(٣٧) قال التبريزي في شرحه : ١٤/٤ :
«خشع» ، جمع خاشعة ، أي ذليلة قد ظهر عليها الضعف ، و«الكفاء» شقة تكون في مؤخر بيت البدوي ، يقال : أكفأت البيت فهو مكفأ ، إذا جعلت له كفاء .

(٣٨) الكلام المحصور بين القوسين هو لأبي العلاء ذكره التبريزي في كتابه .

(٣٩) هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب ، من بني تغلب ، أبو الاسود . شاعر جاهلي من الطبقة الاولى من الفتاك الشجعان ، عزيز النفس ساد قومه وهو فتى وعمر طويلا وهو الذي قتل عمرو بن هند . جال جزيرة العرب والشام والعراق ونجد ، توفي سنة ٤٠هـ ، اخباره في تاريخ الذهبي : ٢٨٧/٥ وتهذيب التهذيب : ٩٢/٨ .

(٤٠) الآية ٥٩ من سورة الفرقان

« فسئل به خبيراً »[٤١]

١٦ــ ألَمْ يَأنْ اقْتِلَهُمْ لِلأسْودِ
صَبْراً وأوهَبَهُمْ لِلظِّبَاءِ

قال أبو العلاء :

أراد بالأُسُود : الابطال[٤٢] • وقوله « صَبْراً » أي : يصابرهم في الحرب حتّى يقتلهم ، وليس هو من قولهم : قُتِلَ فلانٌ صبراً • إذا قُدِّم فَضُرِبَتْ عُنقه في غير الحرب[٤٣] •

« والصبر » هاهنا : الحبس • ويروى «ضرباً» •

---

(٤١) قال التبريزي في شرحه : ١٥/٤ :
العداء : الظلم ، ويسمى الجفاء عداءً ، ويقال : بركت الناقة على عداءٍ ، أي : على موضع متجافٍ . قال الشاعر :
بكت إبلي وحق لها البكاء وطال بها المحابس والعداء
(انشد هذا البيت أبو عمرو بن العلاء وروايته «بكت عيني» و « أحرقها المحابس » . أنظر اللسان مادة (عدا) » يقال ، إن «العداء» هاهنا الظلم، لأنه أراد نحرها ، وهم وإن كانوا يرون نحر الإبل كرماً فانهم يعلمون أنه ظلم . قال ابن مقبل :
عاذ الأذلة في دارٍ كان بها خرس الشقاشق ظلامون للجزر
وأما قول زهير :
فصرم حبلها إذ صرّمته وعادك أن تلاقيها العداءُ
فيقال إنه أراد ب « العداء » البعد .

(٤٢) ذكر التبريزي في كتابه كلاماً نسبه الى أبي العلاء جاء بعد قوله : اراد بالاسود ، الابطال . هذا نصه :
« ومن الرجال الذين يشبهون بالاسود ، كما قال النابغة :
نبئت ان أبا قابوس أوعدني ولا قرار على زارٍ من الاسد
اي ان أبا قابوس مثل الاسد ، ووعيده مثل زاره .

(٤٣) قال التبريزي في كتابه مضيفاً ومعلقاً : ١٦/٤ :
كما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قتل النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط صبراً ، كانه صبّرهما على القتل ، أي حبسهما عليه .

قال المبارك بن أحمد :

لو قال قائل انه من الصبر بمعنى الحبس لـم يرد ، أي : يأسـرهم فيقتلهم ، ولا يعترض على هذا القول • يقول الفرزدق :

ولا نقتل الأسْرَى ولكن نفكّهم اذا أثْقَلَ الاعناقَ حَمْلُ المغارمِ(٤٤)

فانه قال معتـذراً عن نبوّ سيفه لما كلّف أن يقتـل الرومـي وقصته مشـهورة •

وقال أبو العلاء وهو من مختصر كلامه :

و « الظباء » أراد : القِيَان ونحـوها ، وأدخل اللام في الأسـود والظباء • لأن أفعل التفضيل يناسب أفعـل التعجب ، فلم يعمل إلا بحـرف الخفض • فإن حذفت اللام نصب بفعل مضمر نحو قولك : « فلان أوْهَبُ الناس المـال »(٤٥) وهو قليل ، ويروى « ألم يك أقمعهم » •

١٧ـ ألَمْ يَجْلِبِ الخَيْـلَ من بَابلٍ
شَـوازِبَ مِثْلَ قِداحِ السَّرَاءِ

« شوازب » : ضوامر • و « السّراء » : شجر صلب يعمل منه القسيّ ، وتشبّه الخيل والإبل في ضمورها بالقـداح • ويروى « السِّراء » بكسـر

---

(٤٤) أنظر ديوان الفرزدق : ٣١٩/٢ ، دار صادر ـ بيروت . وهذه القصيـدة يهجو بها جريراً ويعرض البَيث ، مطلعها :

ود جـرير اللؤم لو كان عانيـاً ولم يدن من زار الاسود الضراغم

(٤٥) قال التبريزي في كتابه معقباً :

ومنه قول الشـاعر :

فلم أر مثل الحي حياً مصبحاً ولا مثلنـا لما التقينا فوارسـا
اكـر واحمي للحقيقـة منهم واضرب منا في اللقـاء القوانا

السين ، جمع سروة ، وهي شجرة ، وجمعها سرو وسراء ، وفي نسخة « من بابك » وليس بشيء .(٤٦)

١٨ـ فَمَدَّ على الثَّغْرِ إعصارَها
بِرَأْيٍ حُسَامٍ ونَفْسٍ فَضَاءِ

« إعصارها » : ريحها ، يعني الخيل ، وأراد به عجاجها في الحرب . وقوله « نفس فضاء » أي : همّة واسعة ، وقيل : نفس ليست بضيّقة القلب ، مأخوذ من الارض الفضاء .

وقال المعري :

وما نعلم أن أحداً قبل الطائي قال : نفس فضاء . وكان هذا الفنّ من الكلام غرضه ودأبه .

ويروى « أعضادَها » وليس بجيد . وقوله « برأي حسام » تشبيه بغير آلته . ويروى « على الارض ».(٤٧)

١٩ـ فَلَمَّا تَرَاءَتْ عَفَارِيتُهُ
سَنَا كَوْكَبٍ جَاهِلِيِّ السَّنَاءِ

---

(٤٦) جاء في شرح التبريزي : ١٦/٤
«شوازب» : ضوامر . و«الشواسب» بالسين : أشد ضمراً من الشوازب، ثم «الشواسف» أشد منهما . و«السّراء» شجر تعمل منه القسي والقداح وتشبه الناقة الضامرة والاتان من الوحش بقوس السّراء ، قال زهير :
ثلاث كأقواس السّراء ومسحل قد اخضر من لسّ الغمير جحافله

(٤٧) ذكر التبريزي في كتابه كلاماً لأبي العلاء لم يذكره ابن المستوفي في كتابه هنا ، وهذا نصه :
« الاعصار » غبار ترفعه ريح شديدة ، ومن امثالهم : « ان كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً » وجمع الاعصار أعاصير ، قال الشاعر :
كأنهم قصب جفت أسافله مجوف نفخت فيه الأعاصيرُ

قال الصولي :

« الهاء » في « عفارينه » للثغر • و « الكواكب » يريد الممدوح ، و « السنا » الفخر • يقول : فخره متّصل من زمان الجاهلية الى وقته هذا • بهذا كلامه •

و « السّنا » مقصور : ضوء البرق في الاصل • و « السناء » ممدود: الرفعة • وقالوا : أراد بالكوكب سنائه • أي هو قديم الشرف وليس بمحدَث في الاسلام »[48]

٢٠ـ وقَدْ سَدَّ مَنْدُوحَةَ القاصِعَاءَ

مِنهمْ وأمْسَكَ بالنافِقَاءِ

قال الصولي :

هذان اسمان[49] من أسماء حجرة اليربوع ، إذ أخذ عليه واحد خرج من الآخر • يقول : قد أخذ من الكفّار جميع جهاتهم • و « المندوحة » : السّعَة في المذهب •

ويروى «عنهم» و «فيهم»

---

(٤٨) قال التبريزي في شرحه : ١٧/٤ :

« عفاريت » : جمع عفريت ،وهو الخبيث المنكر ، وأصله ان يستعمل في الجن ثم نقل الى الانسان ، والتاء فيه زائدة كأنه ماخوذ من الرجل العفر ، وهو القوي الشديد ، وربما عبروا عن «العفر» بالشجاع ، يريدون : انه يعفر قرنه ، اي يلقيه في العفر وهو التراب . يقال : عفريت وعفرية وعفارية ، قال ذو الرمة ،

كأنه كوكب في إثر عفرية مسوم في سواد الليل منتصب

وقال جرير :

قرنت الظالمين بمرمريس يذل بها العفارية المريدُ

(٤٩) يقصد بالاسمين : القاصعاء والنافقاء .

وقال المرزوقي :

قال الخليل « القاصعاء » فم جحر اليربوع ، وهو الاول الذي يدخل فيه ، قال : والنافقاء : موضع يرققه من جحره ، فاذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانشقّ وخرج . و«المندوحة» : السَّعَة . والمعنى: انه أخذ الطريق على أعدائه والجأهم فيها الى المضيق ، ووقف على مكائدهم وأنزلهم عن درج ذهابهم ، وصرفهم عن الرأي ومنهل العزم.(٥٠)

٢١ــ طَوَى أمْرَهُمْ عَنْوَةً في يَدَيْهِ
طيَّ السِّجلِّ وطَيَّ الرِّداءِ

قال الصولي :

يقول : فلما رأوه فعل مثل هذا ، وحكى فعله ، فقال : طوى أمرهم عنوة ، وقد جاء به بعد هذا البيت :

قال أبو العلاء :

« طوى » متّصل بـ « لمّا تراءت » ، لأن « لمّا » تفتقر الى فعلين ، هذا كلامه .

وعلى القول الأول يكون جواب « لمّا » قوله : « اقرّوا لعمري بحكم السيوف » ، وقال «عنوة» إن شئت كان من الظهور ، أي طوى أمرهم

---

(٥٠) قال التبريزي في شرحه : ١٨/٤ :
«المندوحة» : المتسع ، يقال : لك في هذا مندوحة ومنتدح ، وجمع مندوحة منادح ومناديح ، ومناديح أقيس . والوجه الآخر جيد ، و«القاصعاء» و«النافقاء» من حجر اليربوع ، يقال : قصع ونفق ، إذا اتخذ القاصعاء والنافقاء ، قال الشاعر :

إني لأصطاد اليرابيع كلها … شفاريها والتدمري المقصعا

و«الشفاري» : الكثير الشعر ، و«التدمري» الصغير . ويقال : تنفقه الرجل : إذا أخرجه من نافقائه ، قال الشاعر :

إذا الشيطان قصّع في قفاها … تنفقناه بالحبل التؤام

طيّاً ظاهراً ، وإن شئت كان من « عَنَوْا » له ، أي : ذلّوا . وقالوا : طواه طيّ السجل وطيّ الرداء . المراد : أنه أحكم عليه طيّه وكان ذلك سهلاً عليه .

٢٢ـ أَقَرُّوا ـ لَعَمْرِي ـ بِحُكْمِ السُّيُوفِ
وكانَتْ أحَقَّ بِفَضْلِ القَضَاءِ

٢٣ـ وما بالولايَةِ إقْرارُهُمْ
ولكن أقَرُّوا لَه بالوَلاءِ

قال الصولي :

يقول : ليس لأنه وليهم فأقرّوا ، ولكن صاروا مواليه لِما رأوا من حزمه وشرفه .

وقال غيره : لأنهم موال كلّهم .
ووجدته يروى « جميعاً » .
وقال أبو يحيى الطوسي :

« لعمري » : هاهنا حرف ضعيف . ولو قال « هناك » كان أبْيَن له وأشبه به .

٢٤ـ أُصِبْنَا بِكَنْزِ الغِنَى والإمَامُ
أمْسَى مُصَاباً بِكَنْزِ الغَنَاءِ

« الإمام » هاهنا الخليفة ، و « الغناء » : الكفاية ، أي الذي يغنى عنه في الأمور .

٢٥ـ وما إنْ أُصِيبَ بِرَاعِي الرَّعِيَّةِ
لا بَلْ أُصِيبَ بِرَاعِي الرِّعَاءِ

قال الصولي :

أصيب الأمير بمن كان يرعى له ولاة الامور الذين يرعون الرعيّة ، و « رِعاء » جمع رَعيّ • وهو الذي يُحسِن أن يرعَى ، مثل : مَلِيء ومِلاء وبطيّ وبِطاء •

قال المبارك بن أحمد :

ردّ الصولي ضمير «أصيب» على الأمير ، وهو مردود على الإمام كما تقدّم •

٢٦ــ يَقُولُ النّطَاسِيُّ إذ غُيِّبَتْ
عَن الدّاءِ حِيلَتُه والدَّوَاءِ

٢٧ــ نُبُوُّ المَقِيلِ بهِ والمَبِيتِ
أقْضَعَهُ واختِلافُ الهَوَاءِ

قال الصولي :

من طول غزوه وجهاده ، وشدّة تعبه مات •

وفي الطرّة : يقول : « النطاسي » وهو الطبيب : ان ولاه من غير موافقة المقيل والمبيت ، واختلاف الهواء • واقعصه : قتله مكانه•(٥١)

---

(٥١) قال التبريزي في شرح البيت « يقول النطاسي إذ غيبت ... » ٤/٢٠ :
يقال : رجل نطس ونطيس ، قال الشاعر :
إذا قاسها الآسي النطاسي أرعشت ... أنامل آسيها وجاشت هزومها

(البيت للبعيث كما ورد في اللسان مادة «نطس») وروايته فيه ،
إذا قاسها الآسي النطاسي أدبرت ... غثيثتها وازداد وهياً هزومها

وقال التبريزي في شرح البيت « نبو المقبل به والمبيت ... » ٤/٢٠ :
« نبو » من نبا الجنب عن الفراش وليس هو مما يهمز إلاّ أن يتأول له تأويل بعيد . و«المقيل» : الموضع الذي يقيل فيه الانسان ، أي ينام في وقت الهاجرة ، وسمي ما شرب في الوقت قيلا ، وكان أصل «القيل»

٢٨ـ وقَدْ كانَ لَوْ رَدَّ غَرْبُ الحِمَامِ
شَدِيدَ تَوَقٍّ طَوِيلَ احتِمَاءِ

قال الصولي :

« شديد توقّ » ، يريد : النار والعار • ويروى « كثير توقّ طويل احتماء » ، يريد من الذنوب والمقابح •

قال المبارك بن أحمد :

أراد أن « غَرْب الحمام » هو حدّه لا يرد ، ولو ردّ لردّه خالد فانه كان شديد التّوَقّي طويل الاحتماء •

٢٩ـ مُعَرَّسُهُ في ظِلالِ السُّيُوفِ
ومَشْرَبُه من نَجِيعِ الدِّمَاءِ

« مُعَرَّسُهُ » أي : موضع نزوله آخر الليل في ظلال السيوف ، ومشربه نجيع الدماء ، و«النجيع» : الدم ، وقيل دم الجوف • فعلى الاول : أضاف لاختلاف اللفظين ، وعلى الثاني : لبيان الجنس ، ومثله ومنه أخذ قول بشار :(٥٢)

الاقامة في الموضع ثم خص به شيء دون شيء ، ألا ترى الى قول الراجز :

ضرباً يزيل الهام عن مقيله
وينهل الخليل عن خليله

و « مقبل الهامة » : هو الموضع الذي يكون فيه ما عاش الانسان ولا يخص بذلك وقت دون وقت . و « الاقعاص » : القتل الوحيّ : يقال : طعنه فاقعصه ، أي قتله مكانه . و « الهواء » : المكان الخالي ، والناس يعبرون به عن النسيم والريح والحر والبرد ، وإنما يعنى به الأشياء التي تحدث في الهواء ، أي ما بين السماء والارض ، وذلك شائع في كثير من الكلام . يسمى الشيء باسم ما ضمنه وقرب منه .

(٥٢) بشار بن برد العقيلي بالولاء ، أبو معاذ ، من الشعراء المولدين ومن ابرزهم ، كان ضريراً نشأ بالبصرة وقدم بغداد وكانت ولادته سنة ٩٥هـ،

←

فتى لا يبيت على دمنة ‏ ‏ ‏ ‏ ولا يشرب الماء إلا بدم[٥٣]

أراد بذلك : ممارسته للحروب ، كأنه لا يزال شربه من دمائها .

قال المعري :

قوله من « نجيع الدماء » يحتمل وجهين : أحدهما : أن يُدَّعى له انَّ قَتْلَ أعدائه يُغنيه عن شُرْب الماء لأنه يشفي صدره به كما قال الثعلبي[٥٤]

شربنا من دماء بني سُلَيْمٍ ‏ ‏ ‏ ‏ بأطراف القنا حتّى رَوينا

والوجه الآخر : وهو أجود ، أن يكون «النجيع» هاهنا من قولك ماء ناجع ونجيع ، إذا كان يَصْلُحُ عليه بَدَنُ الشارب ، ويُحسن هذا الوجه لأن القصيدة قد مَرّ في أولها «النجيع» في معنى الدم فتكون هذه الكلمة مخالفة لتلك .

قال المبارك بن أحمد :

هذا تعليل بعيد ، لأن «النجيع» في أوّلها،وهنا ليس فيما فيه القافية.

أصله من طخارستان : أدرك الدولتين الأموية والعباسية ، اتهم بالزندقة فمات ضرباً بالسياط سنة ١٦٧هـ . أخباره في : وفيات الأعيان : ٨٨/١ ومعاهد التنصيص : ٢٨٩/١ وتاريخ بغداد : ١١٢/٧ والشعر والشعراء ٢٩١ ، والخزانة : ٥٤١/١

(٥٣) هذا البيت من قصيدة مدح بها بشار الأمير عمر بن العلاء مطلعها ،
ونبئت قوماً بهم جِنّةٌ ‏ ‏ ‏ ‏ يقولون من ذا وكنت العلم
وروايته في الديوان « على ثأره » مكان « على دمنة » والدمنة، الحقد.
أنظر ديوان بشار بن برد نشر وشرح محمد الطاهر بن عاشور ١٦١/٤ م لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٦٦ ، والعقد الفريد : ١١٩/١ وروايته فيه « على دمنه »

(٥٤) التغلبي : هو عمرو بن كلثوم الشاعر الجاهلي المعروف ، أبو الاسود من بني تغلب من الطبقة الاولى ، وقد مر ذكره في تعريف به سابق .
ولعل هذا البيت مما أسقطه النساخ أو حرفوه من معلقته المشهورة التي ينتهي بنفس القافية وفيها :
بأنا نورد الرايات بيضاً ‏ ‏ ‏ ‏ ونصدرهن حمراً قد روينا

فيجعل هذا مخالفاً له لأجل الايطاء[55] • والمعنى : ما ذهب إليه ويدل عليه قوله :

وهل كان مذ كان حتى مضى　　　حميداً له غير هذا الغذاء

٣٠ـ ذُرَى المِنْبَرِ الصَّعْبِ مِن فُرْشِهِ
ونارُ الوَغَا نَارُهُ لِلصِلاءِ

« نار الصِلاء » : التي يصطلي بها المقرور ، وأراد : أن نار الحرب هي التي يصطلي بها لدفع الضر ، لا النار المشهورة •

وقال أبو العلاء :

المعنى : أن نار الحرب عنده مقرّبة مؤثرة لا كلفة فيها ، وإنما هي تنفعه ، كما ان النار ينتفع بها المقرور •

قال المبارك بن أحمد :

لا يحسن من مثله هذه العبارة سيّما قوله « لا كلفة فيها » ، والمعنى ما ذكرته•[56]

---

(٥٥) أنظر البيت رقم (٧) من هذه القصيدة •

(٥٦) قال التبريزي في شرحه : ٢٢/٤ ،
أصل « الوغا » : الصوت ، وسمّيت الحرب به من أجل الصوت ، قال الراجز :

إضمامة من جِلّتها الثلاثين
لها وغاً مثل وغا الثمانين

يريد بـ « الاضمامة » : جماعة الابل •
ثم قال التبريزي بعد أن ذكر شرح أبي العلاء فيما يتعلّق بـ « نار الصلاة » قال :
« وإذا فتحت الصاد من « الصّلاء » قَصِرَ ، كما قال الفرزدق :

وقاتلَ كلبُ الحيّ عن نار اهله
ليربِضَ فيها والصّلا مُتكنفُ

٣١ـ وما مِنْ لَبُوسٍ سِوَى السَّابغاتِ
تَرَقْرَقُ مِثْلَ مُتُونِ الإضاءِ

أصل اللَّبُوس : اللِّباس ، وجعل ذلك في الدِّرع[٥٧]. و«السابغات» : الدروع التي تسبغ على الجسد ، أي تطول . وقال : ترقرق كما يترقرق الماء؛ لأن الدرع يشبّه بالغدير . و«الإضاء» : جمع إضاهٍ ، وهو الغدير، واستعار المتن للغدير ، وهو من الانسان آخر الظهر[٥٨] ، وهـذه الاستعارة قديمة ، قال عبد قيس بن خفاف البرجمي:[٥٩]

كمتن الغَدير زَفَتْهُ الدبور يَجُرُّ المُدَجَّجُ منها فضولا[٦٠]

---

(٥٧) اختصر ابن المستوفي كلام التبريزي هـذا ، ولم ينسبه اليه ، وفيه اضافات ننقلها من شرحه لما فيها من فائدة . وهي أولا فيما يتعلق بـ «اللبوس» ،
قال التبريزي : « وفي الكتاب الكريم : « صنعة لبوسٍ لكم » ، يعني : ما يتخذ من الزرد ، وقد يجوز أن يُسمى كل ما يُلبس لبُوساً ، قال :
إلبَس لكل عِيشَةَ لبُوسها إمّا نعيمها وإما بؤسها

وثانياً : فيما يتعلق بـ « الاضاه » ، قال :
يقال للغدير «أضاه» في وزن « قناة » ، والجمع ، أضاً مثل قناً . ويقولون : آضاء فيمدون ويجعلونه مثل : أكمة وآكام . وحكى سيبويه في واحد الأضاه : إضاء . وقول العرب ما تقدم ، ويقولون في صفة الدّرع : عليه درع إضاه ، أي : مثل الإضاه . وذلك على حذف التشبيه ، قال النابغة :
« فهنّ إضاء صافياتُ المناهل »
(٥٨) قال الصولي في شرحه : ٣/٢٣٠ ،
« الاضاه » : الغدير ، والجمع اضاء ، مثل : أجمه وآجام ، ويقصر فيقال : إضاه وأضاً ، مثل حصاة وحصى ، يريد الدموع كالماء .
(٥٩) هو عبد قيس بن خفاف ، أبو جبيل البرجمي ، تميمي جاهلي ، من شعراء المفضليات ، اخباره في شرح المفضليات للتبريزي والسمط ٩٣٧ .
(٦٠) أنظر المفضليات للمفضل الضبّي ص٧٥٦ بشرح الانباري .

٣٢ـ وَهَلْ كانَ مُذْ كانَ حتّى مَضَى
لهُ مَطْعَمٌ غير هـذا الغِـذاءِ[٦١]

ويروى « عَنِّي فَقَضَى » • يقول : لم يكن حميداً قط إلا وهـذا فعلـه •

قال المبارك بن أحمد :

كذا وجدت هذا التفسـير في شرح الصولي ، ولو تقدم من قـول أبي تمام أن غذاءه هذه الأشياء المتقدّمـة لكان الردّ عليه بقوله : وهـل كان مذ كان حميداً إلاّ له هذا الغذاء ، فأمّا وهو منصوب فلا معنى لهذا الشراح • والمعنى : انه مُذ وُجد ما كان له غـذاء غير هـذا الغذاء حتّى توفي حميداً ، وهو الذي تقدّم ذكره إلا أنه جعل ما ليس بِغِذاء له غِذاء وهو « ذرى المنبر » • و « نار الوغـا » و «اللبوس» على حكم ما هـو عادته في الاستعارة • فلهذا ردّ عليها فقال :

وهل كان مذ كان حتى مضى حميداً له غير هذا الغذاء •

ويروى « فهل كان » وللتفسير الأول وجه ، ولو جاءت الرواية برفـع « حميد » •

٣٣ـ أَذُهْـلَ بنَ شـيبانَ ذُهْلَ الفَخَـارِ
وذُهْـلَ النَّوالِ وذُهْلَ العَـلاءِ

أراد بذهل بن شيبان : قبيلة خالد ، وهما ذُهْلان : الأكبر : ذهـل بن ثعلبة بن عكابة ، والأصغر : ذهل بن شيبان بن عكابة • وكلاهمـا من

---

(٦١) رواية الصولي والتبريزي لهذا البيت :
فهل كان مذ كان حتى مضى حميداً له غير هذا الغذاء

ربيعة . فأضاف ذهلاً الى ما أضافه إليه لاشتهاره به ، ويروى « الفِخار » بكسر الفاء وفتحها ، والكسر مصدر «فاخرت» وهو الأكثر .

قال أبو العلاء : وقد روي الوجهان .

واشتقاق ذهل : يجوز أن يكون من ذَهَلَ عن الشيء ، ويجوز أن يكون من قولهم : مَضَى ذُهْلٌ من الليل ، أي ساعة .(٦٢)

٣٤ـ مَضَى خالِدُ بنُ يَزِيدَ بن مَزْ
يَدَ قَمَرُ اللَّيلِ شَمْسُ الضَّحَاءِ

ويروى « يزيد بن مزيد بدر الظلام شمس الضحاء » والرواية الأولى أجود لمنع صرف ما لا ينصرف في «مزيد» . و «الضحاء» ، ممدود : ارتفاع النهار الأعلى . وأتى أبو تمام في هذه القصيدة في مواضع من أعاريضها « فَعِل » و « فعولُ » و « فعولن » ، محذوفاً ومقبوضاً وتاماً ، وكل هذا جائز . ومجيء عروض البيت الأول من المتقارب إذا زوحفت مقبوضة أحسن من مجيئها محذوفة لبعد النسبة .(٦٣)

---

(٦٢) قال التبريزي في شرحه : ٤/٢٤ :
أراد أن ذُهل بن شيبان لهم مفاخر ونوال وعلاء ، وأضافهم الى هذه الأشياء كما يقال ، حاتم الجود ، لأنه معروف به ، وزيد الفوارس، لانه يمارسها ويكثر لقاؤه إياها .
وقال أيضاً : « وشيبان » (فَعْلان) من الشيب ، ويجوز أن يكون الرجل سمي شيبان باسم شهر ، لانهم يقولون لشهري البرد : شيبان وملحان .

(٦٣) قال التبريزي في شرحه : ٤/٢٤ :
يقال : «الضحى» لاول النهار ، ثم «الضحاء» بعد ذلك ، ويقال ان الضحاء وقت الغداء ، وسمي غداء الإبل ضحاء ، ومنه قول الجعدي :

اعجلها اقدُحي الضحاء ضحى   وهي تناصي ذوائب السلم

٣٥ـ وخلّى مَسَاعِيَهُ بَيْنَكُمْ
فإيَّايَ فيها وسَعْيَ البِطَاءِ

« المساعي » جمع مسعاة ، وهي المكرمة التي تنال بالسَّعْي[٦٤] .
وأراد : ان خالداً ترك بينكم مساعيه فاحذروا أن تسعوا بطاءً الى المكارم، بل سارعوا إليها كما كان يسارع . وقال : « فإياي » وجعل الخطاب لنفسه ، وهو يريد غيره ، وإنما حسن ذلك لأن المتكلم يعلم المخاطب انه مهتمّ بأمره مَعْنِيّ به ، كما قال الحجاج : إيّايَ وهذه الزرافات. وإنما أراد : إياكُمْ أيّها المخاطبون وما أنهاكم عنه ، هذا معنى كلام أبي العلاء .

وقال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وقد استعمل مولى له يُدعى « هُنَيّاً » على الحِمى ، فقال : يا هُنَيُّ أضمم جَنَاحَكَ عن المسلمين، واتّق دعوةَ المظلوم ، فانها مجابة ، وادْخِلِ ربّ الصُّرَيمَةِ وربّ الغُنَيْمَة ، وإيّاي ونَعَمَ ابن عفّان ونَعَم ابن عوْف ، فانهما إن تَهْلِكْ ماشيتهما يرجعا الى زرع ونخل .[٦٥]

ويقال : ضحى الرجل ، اذا غدى إبله ، قال الشاعر :
ما زلت مذ أشهر السفار أرقبهم مثل انتظار المضحي راعي الغنم
وقالوا في المثل : ضح رويداً ، إذا امروا الرجل بالرفق والأناة ، ويزعمون أنه من ضحاء الإبل وينشد لزيد الخيل :
ولو أن نصراً أصلحت ذات بينها لضحت رويداً عن مظالمها عَمْرُو

(٦٤) قال التبريزي في شرحه مضيفاً : ٢٥/٤ :
واصل ذلك أن القائم بأمور القوم إذا نزل بهم خطب سعى فيه أي سار ومشى إن كان من حرب أو حَمْلُ دية أو نحو ذلك ، قال زهير :
سعى ساعياً غيظ بن مُرّة بعدما تبزل ما بين العشيرة بالدم
في اصلاح ما بين عبس وذبيان وأخذ ديّات القتلى .

(٦٥) أنظر صحيح البخاري : ٨٧/٤ من مطبوعات محمد علي صُبَيح . وسنده، « حدثنا اسماعيل قال حدثني مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه : ... »

وفي حاشية : أي فإيّاي أن أعارض في ذكرها بسعي إبطاء منكم ، وهو على معنى الأول .

٣٦ـ رِدُوا المَوْتَ مُرّاً ورُودَ الرِّجالِ
وبَكّوا عليه بُكَاءَ النِّساءِ

٣٧ـ غَليلِي على خالدٍ خالدٌ
وضَيْفُ هُمُومِي طَويلُ الثَّواءِ (٦٦)

٣٨ـ فلَمْ يُخْزِني الصَّبْرُ عنه ولا
تَقَنَّعْتُ عاراً بِلُؤمِ العَزاءِ

أراد : لم يفضحني الصبر عنه لأنّي لم أصبر . وهذا وما بعده من باب سلب الشيء بإيجابه ، أي لم يكن لي صبر عنه فيخزني . وقال : الصّبر عن مثله خزي ، والعزاء عنه لؤم ، فلم أصبر فأخزى ، ولم أتقنّع بلؤم العزاء حذر العار . وقالوا : أراد : صبرت صبر الكرام على جلالة هذه الرزيّة .

٣٩ـ تَذَكّرْتُ خُضْرَةَ ذاكَ الزَّمانِ
لَدَيْهِ وفُسْحَةَ ذاكَ الفِناءِ (٦٧)

٤٠ـ وزُوّارُهُ للعطايا حُضُورٌ
كأنَّ حُضُورَهُمُ للعَطاءِ

(٦٦) قال التبريزي في شرحه : ٣٦/٤
يستعمل «الغليل» في العطش والشوق والحزن والحقد . و«الثواء»: الإقامة .

(٦٧) رواية الصولي والتبريزي « ولديه وعمران » بدل « لديه وفسحة » ، ووجدت في أعلى البيت في المخطوطة ما ياتي : « الذي رويته وعمران صح » .

أي كان حضورهم حضور قوم جاءوا يقبضون ما فرض لهم من أرزاقهم. و « العطاء » : جمع عطيّة وهي الشيء المُعْطَى ، والعطاء : اسم وهما واحد ، إلا أنّهم كانوا يقولون أوّلاً : حضر الجند للعطاء ، أي لأخذ أرزاقهم التي يُستخدمون عليها . وأراد : انهم يحضرون لأخذ ما ليس لهم بواجب كأنهم أجناد حضروا لأخذ واجبهم .[٦٨]

وقال أبو العلاء :

المعاني تَحدثُ في الاسماء لأغراضٍ تقع لم تكن قديمة ، وأصل « العطايا » و « العطاء واحد » . وإنما يختلفان في أنّ هذا جمع عطيّة ، وهذا لفظه لفظ الآحاد . وكانوا في صدر الاسلام يقولون : حَضَرَ الجند للعطاء ، إذا حَضَروا لأخذ أرزاقهم الواجبة لهم في كل سنة . فكأن الشاعر جعل هؤلاء الزوّار لأخذهم عطايا ليست لهم واجبة كاجتماع الاجناد لأخذهم ما هو مفترض لهم واجب ، فإن قيل : ان المُراد أنهم اجتمعوا لِيُعْطَوْا ، فيكون الآخذون كأنهم اجتمعوا ليكونوا المعطين فالغرض صحيحٌ ولكن اللفظ غيرُ دالّ عليه إذْ كان بيان الخبر غير معلوم ، ولم تجرِ عادة المعطين بأن يجتمعوا ، بل عادتهم أن يكون المعطي واحداً وهو الرئيس المعتمد ، والمُعْطَوْنَ كثيراً .

وفي هذا الاعتراض نظر .

قال المرزوقي :

---

(٦٨) قال الصولي في شرحه ٣/٢٣٤ :
يقول : كان زواره الذين حضروا لعطاياه قوم أهل الديوان ، مرتزقة قد حضروا لأخذ اعطياتهم ، شبّههم بهؤلاء لكثرتهم .

أخذه من قول زهير :(٦٩)

تراه إذا ما جئته مُتَهلّلاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله(٧٠)

يقول : إذا حَضَرَ المجتدي فناء هـذا المرثى تراه في استبشـاره به وكثرة ادلال السائل عنده كأنه المُعْطَى والمُحْسَن إليه لا المُحْسِن •

٤١ـ وإذ عِلْمُ مَجْلِسِهِ مَوْرِدٌ
زُلالٌ لِتِلْكَ العُقُولِ الظِّمَاءِ

٤٢ـ تَحُولُ السَّكِينَةُ دُونَ الأذَى
بِهِ والمُرُوَّةُ دُونَ المِرَاءِ(٧١)

٤٣ـ وإذ هُوَ مُطْلِقُ كَبْلِ المَصِيفِ
وإذْ هوَ مِفْتَاحُ قَيْدِ الشِّتَاءِ

بهذا كلامه •

---

(٦٩) زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني من شعراء المعلقات ، وحكيم شعراء الجاهلية ، وتسمى قصائده «الحوليات» لأنه ينظمها في شهر وينقحها ويهذبها في سنة ، توفي سنة ١٣ قبل الهجرة ، أخباره في مظان كثيرة ، منها الأغاني ، ٢٨٨/١٠ ومعاهد التنصيص : ٣٢٧/١ وجمهرة الانسان : ٢٥و٢٧ ، والشعر والشعراء ٤٤ وخزانة الأدب : ٣٧٥/١ .

(٧٠) انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٧٧/١ ، وأنظر ديوانه صنعة أبي العباس ثعلب ص١١٣ بتحقيق د. فخرالدين قباده

(٧١) قال التبريزي في شرحه : ٢٧/٤ :
« المُرُوَّة » أصلها الهمز ، وقد حكيت المَرَاة ، تقول في فلان مُرُوءة ومَرَاة ، كما تقول فيه انسانية ، واشتقاقها من قولك : هذا امرؤ ، وقد علم ان كل آدمي فيه انسانية وكل امرىء فيه مروءة ...
« والمِرَاء » من قولهم : ماريت الرجل ، وأصل « المري » استخراج شيء من شيء ، وقولهم : مارى الرجل صاحبه يراد انه يستخرج ما عنده من خلاف ، ومن قال إنّ «المري» : الجحد فالى هذا يرجع .

قال أبو العلاء :

« كبْلُ المصيف » أي : قَيْدُه ، مستعار ، وكذلك قوله « قفل الشتاء » وهي روايته ، إنما يريد : ان الصيف يتصرّف الناس فيه ، فكأنّ هذا المرثي يُطلقهم من الكُبُول لِيَسْعَوْا في المعايش وفيما يريدون ، ويفتح قفل الشتاء لأنه عَسِرٌ ضَيِّق فيكشفه عنهم بالعَطاء والإحسان .

ويكون هذا من نحو قول الأعشى :

المهينين مالهم في زمان السَّـ ... وْءِ حتّى إذا أفاق أفاقوا[72]

وقالوا : أراد : ان هذا المنقذ كان روحاً في الصيف فلا يتأذّى بحرّه، ودفْأً في الشتاء فلا يتأذّى بِبَرْدِه .

قال المبارك بن أحمد :

كأن هذا من قول خلف الاحمر :[73]

مُشمسٌ في القُرّ حتّى إذا ما ... أذكت الشعرى فبرد وظلّ[74]

---

(72) هذا البيت من قصيدة قالها بنجران يتشوّق الى قومه مفتخراً بهم مطلعها :

يوم قفّت حمولهم فتولّوا ... قطّعوا معهد الخليط فشاقوا

أنظر ديوان الأعشى : ٢١٣ بتحقيق د.م. محمد حسين .

(73) خلف الاحمر ، هو خلف بن حيان ، أبو محرز ، المعروف بالاحمر، راوية، عالم بالأدب، شاعر من أهل البصرة ، كان أبواه موليين من فرغانة ، أعتقهما بلال بن أبي موسى الأشعري ، كان معلم الاصمعي ، ومعلم أهل البصرة ، وكان يضع الشعر وينسبه الى العرب ، توفي سنة ١٢٥هـ . من مؤلفاته : ديوان شعر ، وكتاب جبال العرب ومقدمة في النحو . أخباره في الارشاد : ١٧٩/٤ ، ومراتب النحويين ٤٦ ، وسمط اللآلي: ٤١٢، وبغية الوعاة : ٢٤٢ والشعر والشعراء : ٣٠٨ .

(74) انظر شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٨٣٠/٢ . وروايته فيه «شامس» و «ذكت» وهذا البيت من قصيدة لخلف الاحمر مطلعها :

إن بالشّعب الذي دون سلْعٍ ... لقتيلا دمُهُ ما يُطلّ

ولو أعاد الضمير في قوله « واذ هو » الى مجلسه لجاز .

وقال الصولي :

يقول : يعطي في الصيف والشتاء ، ويغزو فيهما حين لا يغزو أحد ، حتى يغنم الناس .

٤٤ـ لَقَدْ كان حَظِّي غيرَ الخَسيسِ
مِنْ راحَتَيْهِ وغيرَ اللَّفاءِ

« اللَّفاء » : الحقير من كلّ شيء[٧٥] ، وأخذ من أبي زبيد الطائي:[٧٦]

وما أنا بالضَّعيفِ فتظلموني
ولا حَظّي اللَّفاءُ ولا الخسيس[٧٧] ،

٤٥ـ وكنتُ أراهُ بِعَيْنِ الرَّئيس
وكان يَرَاني بِعَيْنِ الإخاءِ

٤٦ـ أَلَهْفِي على خالدٍ لَهْفَةً
تكونُ أمامي وأُخْرَى وَرَائي

---

(٧٥) قال الصولي في شرحه : ٢٣٦/٣ ،
« اللّفاء » القليل ، وهو دون الحق . ومن امثالهم : « رضيت من الوفاء باللّفاء » .

(٧٦) أبو زبيد الطائي : هو المنذر بن حرملة الطاءي القحطاني ، أبو زبيد ، شاعر نديم معمر من نصارى طيء عاش زمناً في الجاهلية ، وكان يزور الملوك ، ومنهم ملوك العجم ، أدرك الاسلام ولم يسلم ، استعمله عمر على صدقات قومه . قال البغدادي : ولم يستعمل نصرانياً غيره ، وكان نديم الوليد بن عقبة عندما كان والياً على الكوفة في عهد عثمان ، توفي سنة ٦٢هـ . أخباره في الشعر والشعراء : ١٠١ والارشاد : ٦٠٧/٤ وتهذيب ابن عساكر ، ١٠٨/٤ وطبقات بن سلام : ١٣٢

(٧٧) انظر اللسان مادة (لفا) .

قوله : تكون أمامي ، أي : في حياتي دائمة مني عليه • وقوله : وأخرى ورائي : أي : باقية بعد وفاتي تُذكر •

٤٧ـ أَلَهْفِي إذا ما رَدَى لِلرَّدَى
أَلَهْفِي إذا ما احتَبَى لِلحِباءِ

قال أبو العلاء :

روي « ارتدى »[٧٨] • قوله « ارتدى » (افتعل) ، من الرداء ، وهو السيف في هذا الموضع[٧٩] وأطال ، ثم قال : ألهفي على هذا الهالك في موضع الحرب لردى الأعداء ، أي هلاكهم • و « الاحتباء » : أن يجلس الرجل ويجعلَ إزاره خلْف ظهره ،ويشدّ طرفيه أمام ركبتيه[٨٠]•و«الحباء»:

(٧٨) يبدو أن رواية المعري « إذا ما ارتدى » مكان « إذا ما ردى » .

(٧٩) قال التبريزي في شرحه معقباً ومضيفاً الى قول أبي العلاء ، وربما يكون القول لأبي العلاء لكن ابن المستوفي اكتفى بنقل القسم الذي ذكره في كتابه أما القسم الذي لم يذكره فهذا نصه :

« وفي كلام لبعضهم : العرب أفضل الناس ، العمائم تيجانها ، والسيوف أرديتها ، والحُبَى حيطانها . وقد تردد في الشعر القديم ذكر الرداء في معنى السيف ، قال الشاعر :

ينازعني ردائي عبدُ شمسٍ رويدك يا أخا سعد بن بكرِ
لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطرِ

وقال آخر :

وداهيةٍ جرّها جارم جعلت رداءك فيها خمارا

(٨٠) ذكر التبريزي في شرحه بعد هذا الكلام كلاماً هذا نصه : ٤/٣٠

« وربما قيل احتبى بيديه إذا جعلهما في موضع عقد الحبوة ، وكانوا يصفون القوم بالحلم إذا عقدوا الحبى ، ويقال : حل القوم حباهم ، إذا قاموا من المجلس لأمر يقع ، قال الشاعر :

وإذا الخنا نقض الحبى في مجلس ورأيت أهل البطش قاموا فاقعدِ

وقال بعضهم للاحنف وقد رآه يقاتل في بعض الأيام ، أين الحلم يا أبا بحر ؟ فقال : عند الحبى ! أي : للحلم موطن وللجهل سواه .

العطيّة . ومعنى « ردى للرّدى » أي : أسرع . والرديان : من العَدْو والمشْي الشديد[٨١] .

٤٨ــ ألَحْدُ حَوَى حَيَّةَ المُلْحِدِينَ
وَلَدْنٌ ثَرَىً حالَ دُونَ الثَّرَاءِ ؟![٨٢]

كذا رويته بالرفع فيهما ، قالوا : يتعجّب ولا يستفهم . وقوله « حيّة الملحدين » أي : الجاحدين للحق ، المائلين عنه ، أي : يهلكهم كما تهلك الحيّة مِن لسعته ، وهم يشبّهون الرئيس بِحَيَّةِ الجبل ، وحيّة الوادي لشجاعته ، هذا معنى كلام أبي العلاء[٨٣]

ويروى « جنّة الملحدين » بالجيم ، أراد : حوى عنه هو جنّة لمن ألْحَدَه ، أي اتخذ له لحداً . و « لَدْن » أي رطب . بهذا أكثر كلام الصولي .[٨٤]

---

(٨١) وقال الصولي في شرحه : ٢٣٣٧/٣ :
« ردى » جمز الى القرن في الحرب ، وهو الرديان .

(٨٢) رواية الصولي «جنّة» مكان «حيّة»

(٨٣) قال التبريزي في شرحه معقباً : ٣١/٤ :
« قال الشاعر :
إذا رأيت بوادٍ حيّة ذكراً   فاذهب فدعني أمارس حيّة الوادي
وقال جرير ،
فما تزدري من حيّة جبليّةٍ   سكات إذا ما عضّ ليس بأدردا
وقال أبو زكريا التبريزي في بداية شرحه لهذا البيت : ٣٠/٤ :
« يقال : « لحد القبر » ولحده للذي يحفر في جانبه ، وإنما قيل له ذلك لأنه يمال عن الوسط ، ويقال : لحد وألحد ، ويقال للقبر : ملحد وملحود ، قال الشاعر :
يا ويح أصحاب النبيّ ورهطه   بعد المغيّبِ في سواء الملحَدِ
ويقال لمن خالف في الدين وجحد : ملحد ، لأنه يميل عن الحقّ ، وقال ذو الرمة يصف حمير الوحش وغؤور عيونها ،
إذا استوجست آذانها استأنست لها   أُناسيّ ملحودٍ لها في الحواجبِ

و « الثرى » : التراب الندي ، و « الثراء » : المال والغنى •

وقال أبو الفتح عثمان بن جنّي :

فيمن رواه « حيّة الملحدين » أي : قاتل الملحدين ، ورواه «ألَحْداً» و « لدن ثرىً » بالنصب فيهما جميعاً •

٤٩ــ جَزَتْ مَلِكاً فيه رَيّا الجَنُوبِ

وعَارِفَةُ المُزْنِ خَيْرَ الجَزَاءِ[٨٥]

« رَيّا الجنوب » رائحتها الطيّبة ، و « المُزْن » : السحابة ، ولا يريد بها البيضاء ، لأنها تخلف غالباً ، أي لا زالت رَيّا الجنوب خالصة إليه •[٨٦]

ويروى « عارفة المزن » أي : معروفها • ويروى « أَلَحْداً » بالنصب على النداء •[٨٧] ويروى معه : « جَزَتْ ملكاً فيك » •

---

(٨٤) قال الصولي في شرحه : ٣/٢٣٨ :
تعجب لا استفهام . يقول : يحوي اللحد من هو جثة لمن ألحده ، أي: اتخذ له لحداً . يقول : هو جنتنا ونحن ألحدنا له لحداً . و«لدن ثرى» أي : رطب ثرى ، وهو التراب ، حال دون الثراء : وهو الغنى .

(٨٥) رواية الصولي «فيك» مكان «فيه» . ورواية الصولي والتبريزي«ورائحة» مكان «وعارفة» وذكر ابن المستوفي رواية «رائحة» بين سطورها .

(٨٦) قال التبريزي في شرحه ، ٤/٣١ :
« ريا الجنوب » أي : رائحته الطيبة . وقيل : ان الجنوب سميت بذلك لأنها تأتي من نحو جنب الكعبة وذلك من قِبَلة الشام ، لأن الشمال ضدها ، وهي تأتي من خلف المُصلّى في هذه البلاد ، « ورائحة المزن » ما راح منها ، و«المزن» جمع مزنة وهي السحابة،وقال قوم : هي السحابة البيضاء خاصة .

(٨٧) لقد ذكر ابن جني هذه الرواية كما مر .

٥٠ـ فَكَمْ غَيَّبَ التُّرْبُ من سُؤْدَدٍ

وغَالَ البِلَى من جَمِيلِ البَلاءِ !

وروى الصولي « من جميع البلاء » . و « غال » أي : أهلك . و « البلاء » يكون في الفعل الحسن والقبيح و (في) الاختبار ، قاله أبو العلاء(٨٨)

٥١ـ أبا جَعْفَرٍ لِيَعِرْكَ الزَّمانُ

عِزَّاً ويُكْسِبْكَ طُولَ البَقَاءِ(٨٩)

ويروى « ليعدك » ، وروى الصولي « عزاء » ممدوداً ، ويكسبك : يخاطب أبا جعفر محمد بن خالد الشيباني .

٥٢ـ فَمَا مُزْنُكَ المُرْتَجَى بالجَهَام

ولا رِيحُنَا مِنْكَ بالجِرْبِيَاءِ

« الجَهَام » : السحاب الذي اهراق ماءه . و « الجربياء » : النكباء التي تجري بين الشمال والديور ، وهي ريح تقشع السحاب .

وقال الصولي :

[الجربياء] : هي الشمال الباردة التي يكون معها الجدب(٩٠)

---

(٨٨) قال التبريزي في شرحه : ٤/٣٢ :
« والبِلَى » من بلى الجسم إذا تصرّفت وافترقت أجزاؤه .

(٨٩) رواية الصولي «عزاء» مكان «عِزّاً»

(٩٠) قال التبريزي في شرحه : ٤/٣٢ :
«الجربياء» ، الريح الشمال ، وإذا هبت في الشتاء وصفت بالبرد وليست بالمحمودة عندهم ، وإنما الحمد للجنوب والصّبا ، وإنما يكون الشمال في الشدة والحاجة الى الطعام والقِرا .

٥٣ــ ولا رجَعَتْ فيكَ تِلْكَ الظّنُونُ
حَيَارَى ولا انسَدَّ شِعْبُ الرَّجاءِ[٩١]

٥٤ــ وقَدْ نَكِسَ الثّغْرُ فابْعَثْ له
صُدُورَ القَنَا في ابتغاءِ الشّفَاءِ[٩٢]

٥٥ــ فَقَدْ فَاتَ جَدُّكَ جَدَّ المُلُوكِ
وعُمْرُ أبِيكَ حَدِيثُ الضّيَاءِ[٩٣]

* * *

ويروى « فقد مات » وهو أجود ، و « نجم أبيك » .

قال المعري : [على رواية «فقد مات جَدُّكَ جَدَّ الملوك»] .

ويحتمل وجهين : أحدهما : أن يُريد بـ « جدّ الملوك » : الحظّ ، أي : وكانوا يعانون بسيفه ونيابته عنهم وينالون بذلك الحظوظ ، وهذا الوجه أجود .

والآخر يحتمل أمرين : أحدهما : أن يكون «الملوك» مراداً بهم مَن وَلَدَ من الرجال . والثاني : أن يكون «الملوك» مَعنياً بهم الملوك من بني آدم ، أي : كان لهم كالأبّ يَرُبُّهُمْ ويُقيم دُولَهم ، لأن الجَدَّ يسمّى أباً ، وهو أبٌ في الحقيقة .

---

(٩١) جاء في حاشية المخطوطة : «الشِّعب» بالكسر : الطريق في الجبل ، وقال التبريزي في شرحه : « اصل «الشعب» : الطريق في الجبل ، وهو هنا مستعار .

(٩٢) جاء في شرح التبريزي : ٤/٣٣
« استعاره من نَكِسَ المريضُ »

(٩٣) رواية الصولي « جدُّ الملوك » مكان « جدَّ الملوك » ورواية الصولي «نجم ابيك» مكان « عمر ابيك » .

لا أعلم ما أراد بقوله « من بني آدم » •

وفي نسخة : يجوز أن يكون أمور أبيك ومعاليه حديثة العهد •

ويروى « فقد مات بعد أبيك الملوك » وهو أجود • وفي النسخة العجمية : أراد : ان الملوك ماتوا بعد أبيك ، ولم يبق لهم ذكر ، وتقدمهم أبوك بالموت ، وذُكره باق •

وروي بنصب « جدّ » الثاني ورفعه • أمّا النصب فمفعول «فات» • وأمّا الرفع فعلى البدل من « جدّك » • والواو في قوله « ونجم أبيك » واو الحال •

٥٦ـ ولمْ ترْضِ قَبْضَتُهُ لِلحُسَامِ
ولا حَمْلَ عَاتِقِهِ لِلِّوَاءِ[٩٤]

ويروى « ولم تَرْضَ قبضَتَهُ للحُسَام » • ويروى « ولم تَزِر قبضتُه للحُسام » • أي : مات أصغر منك ، ولم ترض اليوم قبضته للحُسام ولا حمله للّواء لأنك أكبر منه قَدْراً وسِنّاً ، وسادَ هو على صغره بهمّته، فأنت أولى أن تسود على كبرك بهمّتك • أي : أنت مثله في الجلالة والعزّ، فلم تفقدهما بعده لأنك مقتدٍ به ، لأنك خَلَفه •

وقال أبو بكر الصولي :

يقول : قد مات جدّك وأبوك حَدَثٌ لا تستقل بحمل السيف قبضته ، ولا عاتقه يحمل اللواء • فما زال حتى سادَ ، وكذا كنْ أنت•[٩٥]

---

(٩٤) رواية الصولي « يَرْضَ » ورواية التبريزي « للرداء » مكان « للواء » .

(٩٥) قال أبو بكر الصولي في شرحه :

وهذا كقول حصين بن حذيفة ، يوصي ابنه :

وَلوّا عُيينة من بعدي أموركم ... واستوثقوا انه بعدي لكم حامي
ولى حذيفة إذ ولى وغادرني ... يوم المعاناة سما بين أيتام
حتى أخذت لِوا قومي فقمت به ... ثم انثنيت الى الجهمي بالشام

قال أبو زكريا [التبريزي] :

والبيت الذي بعده يوضحه :

٥٧ــ فما زالَ يَفْرَعُ تِلْكَ العُلَى
مع النَّجْمِ مُرْتَدِيًا بالعَمَاءِ

« يفرع » ، أي : يصعد . و « العماء » : السحاب الرقيق[96]

٥٨ــ وَيَصْعَدُ حتَّى لَظَنَّ الجَهُولُ
أنَّ لَهُ مَنْزِلاً في السَّمَاءِ[97]

٥٩ــ وقَدْ جاءنا ان تِلْكَ الحُرُوبَ
إذا حُدِيَتْ فالتَوَتْ بالحُدَاءِ[98]

حُدِيَتْ : سيقت بالحُداء ، بالصوت والدعاء ، أي : كانت لا تجيب. وقيل التوت بالحداء لأنها صعبة .

٦٠ــ وعَادَدَها جَرَبٌ لمْ يَزَلْ
يُعَاوِدُ اشعَافَهَا بالهِنَاءِ[99]

في حاشية : أي انك إن عدت الى الثغر والى الأمور التي فسدت هناك مع أصحابك إنصلحت . هذا إذا روي « لم تزل تعاود » بتاءين . و« اشعافها » أعاليها جمع شَعَف . وشُعُف : جمع شَعْفة ، وهي أعلى الجبل .

---

(٩٦) نقل ابن المستوفي هذا الكلام من شرح التبريزي .
(٩٧) قال التبريزي في شرحه ، ٤/٣٤ :
ويروى « حاجة في السماء »
(٩٨) رواية نسخة من نسخ شرح الصولي « إذا حذيت ... بالحذاء » بالذال.
(٩٩) رواية الصولي في نسخة من نسخ شرحه « لم تزل تعاود » و « اشعافها » بالشين .

و « عاودها » راجعها ، أراد بها الحرب • ويروى « تعاود اشعرها بالهناء » •
و «الأشعر» ما أحاط بالحافر • ويروى « لم يزل يعاود اشعلها بالهنـاء » •
يقال : أشعل إبله بالقطران : إذا طلاها به •

وروى أبو العلاء : « إسعافها » بكسر الهمزة والسين المهملة ، مصدر من اسعفتُ فلاناً بحاجته : قضيتها له • وإذا روي « أسعافها » بفتح الهمزة ، فهو جمع سَعْفَة ، والسَّعَفُ : داء يصيب البعير في رأسه فيتمَعَّطُ منـه وَبَرُه • فان كان السَّعَفُ يُهْنَأ كما يُهْنَأُ الجَرَبُ فالمعنى على ذلك • وإلاّ فهو مستعار • و«الهناء» ما يداوى به الجرب من القطران وغيره •

وقال غير أبي العلاء : « الهناء » القطران نفسه •

قال الجوهـري : « السعف » : داء يأخـذ أفواه الإبـل بالجرب ، يتمَعّط منه خرطومها وشعر عينيها •(١٠٠)

٦١ـ مَتَحَتْ بِسِجلٍ لَهَا كالسِّجال
وَدَلْـوٍ إذا أفْرِغَتْ كالدِّلاءِ(١٠١)

قال الصولي :

أي : أعطيت من(١٠٢) البأس والصبر والجود سَجلاً واحداً ، وهي الدّلو ، ودلوكَ الواحدُ مثل دِلاء كثيرة لغيرك •

---

(١٠٠) قال الصولي في شرحه : ٢٤٢/٣ :
« أشعافها » : أعاليها ، قال امرؤ القيس
أتقتلني وقد شعفت فؤادها　　كما شعف المهنوءة الرجل الطالي
أي بلغت منها كما يبلغ القطران من هذه الإبل الجربى .
(١٠١) رواية التبريزي « ويمتح سجلالها كالسجال .. ودلواً .. »
(١٠٢) رواية الصولي في كتابه والتبريزي «في»

قال المبارك بن أحمد :

لا معنى لذكر الجود مع ذكـر الحرب ، وإنما أراد قولهم : الحـرب سجال ، فيوم لك ويوم عليك ، وإذا كان سجله الواحد كسجال كثيرة ،وكان دلوه الواحد كدلاء كثيرة لم يقم له أحد فيكون سَجل الأيام له ، لا عليه .

والسَجل : الدّلْو يذكّر إذا كان فيه ماء قلّ أو كثر ، ولا يقال لها وهي فارغة سَـجل ولا دلاء . ولا فـرق في المعنى بين نصفي البيت الأول والثاني ، وقالوا : سجل الحرب أعطاها حقّها .

ويروى « مُتِحت ومَتَحَتْ » ويروى «وتمتح سجلا .. ودلواً..» بناء على « لم تزل تعاود » . و« الماتح » : المستقى .[103]

٦٢ـ وَمِثْلُ قُوَى حَبْلِ تِلْكَ الذّراعِ
كان لِـزازاً لِـذَاكَ الرّشـاءِ

ويروى « لذاك الـذراع » يذكّر ويؤنث أكثر . وحبل الـذراع : عصبهـا .

وقال أبو العلاء :

حبل الذراع : أعظم عروقه ، وهو كـلام قديم ليس مما اسـتعاره الطائي ، ويجوز أن يعني بحبل الذراع : ما امتدّ منها ، و« اللّزاز » يكون

---

(103) قال التبريزي في شرحه : ٣٥/٤ :
« الدلو » : الملأى ماءً أو قريبة من الملء ، و«السَجْل» مذكر ، والغالب على الدلو التأنيث . وربما ذكر ، قال عدي بن زيد :

هو كالدلو بكفّ المستقي خذلتْ منه العراقي فانجذمْ

في الآدميين . تقول : « هو لزز خِصْمٍ » : إذا لزّ به .(١٠٤)

قال الصولي :

يقول : مثلك يقوم بمثل هذا .

وفي الحاشية : أي مثل يدك تستقبل بذاك الرشاء ، أي بتلك الحروب .

٦٣ـ فلا تُخْزِ أيّامَه الصّالحاتِ
وما قَدْ بَنَى من جَميلِ البِنَاءِ(١٠٥)

٦٤ـ فَقَدْ عَلِمَ اللهُ أنْ لمْ تُحِبّ
شيئاً كَحُبِّكَ غيرَ الثّناءِ(١٠٦)

أي قد علم الله أن أباك لم يحبّ شيئاً كحبّه إياك إلاّ الثّناء ، فانه كان يحبّه كحبّك ، فلا تخز أيامه الصالحات لهذه المحبّة التي كانت منه لك ، وشيّد ما قد بناه .

ويروى « فلا تُخز أيامه الصالحات » على ما لم يسمّ فاعله ، ويروى:

فقد علم الله أن لن تحب ... شيئاً كحبك غير الثناء

وروى الصولي « كنز الثناء » والأوّل أولى .

---

(١٠٤) ذكر التبريزي في كتابه كلاماً نسبه الى أبي العلاء ، هذا نصه، ٣٥/٤ :
قوله « تلك الذراع » فأنث ، و«الذراع» مؤنثة في معظم كلامهم ، وذكر الفرّاء : ان تذكير الذراع لغة عكليّة ، واستشهد على ان التذكير جائز ، بقولهم في اسم البلد « أذرعات » ، لأن أذرعات جمع أذرعة ، وأذرعة جمع ذراع في حال التذكير ، مثل : حمار وأحمرة ، ولو جمع مؤنثاً لقيل : أذرع ، فوجب أن يقال في الجمع «أذرعات» بضم الراء .

(١٠٥) رواية التبريزي «جليل» مكان «جميل»

(١٠٦) رواية الصولي والتبريزي « كنز الثناء » مكان « غير الثناء » . ورواية التبريزي « أن لن »

وليس في شعر أبي تمام قصيدة أردأ من هذه ، وأغمض من معانيها، وأقبح من مقاصد فيها ، وأثبت بها جمعاء لاحتياج كل بيت منها الى تفسير ولله الحمد .

وزاد أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري في هذه القصيدة قوله :

٦٥ــ فما أنْتَ مِنْ رَجْعِ رَبْعٍ قَوَى
سألتَ لِريّا وربعٍ خلاءِ

قال المعري :

يقول لهذا الممدوح المعزّى : ما أنت ممن يُسأل محل الربع ، أي المنزل و « رَجْعُ الرَّبْعِ » ما يراجع من الكلام ، و « القوى » من أقوى المنزل : إذا أقفر وخلا . و«ما» في قوله « ما أنت » نفي ، مثلها في الحديث « وما أنا من ددٍ ولا ددٌ مني » .

يقول للممدوح : ما أنت ممن يسائل الربوع ويراجعها ، بل أنت أجلّ من ذلك ، وقوله : « سألت » على تقدير « هاء » محذوفة ترجع الى الربع .

وقد يجوز أن يكون سمع للمخاطب شعراً يذكر فيه ربع « ريّا » ،ولا يمتنع أن تكون «ما» في قوله « ما أنت » على معنى الاستفهام والانكار ، كما تقول للرجل إذا رأيته يفعل شيئاً لم تجر عادته بفعله : « ما أنت من هذا ؟ » أي : أيّ شيء أنت منه . وما يقع في هذا الموقع على الآدميين في الحديث : أبو زرع وما أبو زرع ؟ أي : أيّ شيء هو . وكذلك قوله : أبو مالك وما أبو مالك ؟. وإنما وقعت «ما» على شيء يعقل في هذا الموضع،لأن وقوعها على الصفة التي تصلح أن تكون خبراً . ألا ترى الى قوله : ما أبو مالك؟ قال : أبو مالك خير من ذلك ، فدلّ على أن (ما) واقعة على قوله « خير من ذلك » .

٦٦ــ يُعَاقِبُهُ مُغْدِقٌ مطبِقٌ
مَلِيءٌ العَزَالَى بوَبْلٍ رَوَاءِ

قال المعري :

«الغدق» : من قولهم : مطر غدق ، أي : كثير • و«مطبق» : من أطبقت السماء بالغيم • و«العزالى» جمع عزلاء : وهي فم المزداة ، يكون في جنبها • يخرج منه الماء وأصله في المزادة • وتلك من الاستعارات القديمة ، وليست مما أحدثه الطائي • و«الوبل» من المطر : الشديد الوقع • و «رواء» أي : مُرو •

وقوله :

٦٧ــ وتَصْنَعُ فيه كَوَشْيِ البُرُودِ
ذُيُولُ الشمالِ مع السافياءِ

قال المعري :

يقال : وشَتَا لريح الربع والرمل ، إذا أحدثت فيه آثاراً مختلفة • و « ذيول الشمال » ماء خيرها • ويجوز أن يعني بها ما تحمل من التراب والغبار • و « السافياء » : الريح التي تسفي التراب والرمل •

وقوله :

لقد جلّ رُزءاً مُصاب المصابِ (١٠٧)

قال : «المصاب» الأول : مصدر ، و«المصاب» الثاني : الرجل الذي أصابته المَنيّة •وإذا بلغ المصدر أربعة أو جازها كان المصدر فيه والظرف مساويين لاسم المفعول •

* * *

(١٠٧) هكذا ورد هنا «الشطر» في المخطوطة . ولا أعلم ما إذا كان هذا هو شطر لبيت تابع الى هذه القصيدة ذكره ابن المستوفي . ولم اجد في الاصول التي بين يدي ما تشير الى هذا الشطر بشيء .

وقال يُعَزِّي محمد بن سعيد بأبيه[1] :

١ــ أمُحَمَّدَ بنَ سَعِيد ان جَوَى الأسَى
فيها رُوَاءُ الحُرِّ يَــوْمَ ظِمَائِه[2]

قال الصولي :

يقول : يجب أن تصبر • و « الأسَى » جمع أسوة ، وهو أن يحسن عزاؤه بأن تقول : قد نال هذا فلاناً وفلاناً فأنا أتأسَّى بهما • يقول : فهذا يروي الحُرّ يوم ظمائه ، أي يوم مصيبته •

وقيل إذا ظمىء الى الميت ، وقيل : ادّخر الأسى ، أي : للقيامة ، ويكون يوم ظمائه يريد به : في يوم القيامة •

وفي النسخة العجمية : أي مَن قاسى حرارة الصبر ففيه رواء يوم يَظْمأ ، ويحتاج أن ينتفع بذلك الصبر يوم القيامة ويُؤجر عليه •

---

(١) رواية المخطوطة « بابنه» وهي تخالف الروايات الأخرى فقد روى الصولي والتبريزي « بأبيه » ولذلك ذكرنا الصواب في المتن .
(٢) رواية التبريزي « ادّخر الأسى » مكان « ان جوى الاسى »

ويروى ، وهو الصحيح « أمحمد بن سعيد ادّخر الأسى فيها » .
ويروى « ان جَوىً أُسىً فيه رواء الحُرّ » . ويروى « ان جَوَى أسىً فيها » ولم يذكروا في هاتين الروايتين تفسيراً .

قال المعري :

قوله «رواء الحُرّ» ، أراد به : رِيَّهُ ، وإنما أقام الرواء مقام الرِيّ، لأنه يُرْوَى به . ومَن روى « دواء » بالدال فقد صحف ، لأن مذهب الطائي في الصناعة طريق معروف ولم يكن يعدل عن الرواء في هذا البيت . ومَدّ « الظّماء » وهو مهموز مقصور . يقول : ظماء مثل خطاء . وقد فعل ذلك في غير هذا الموضع ، والقياس يطلق ذلك وما هو أشدّ منه .

٢ـ أنتَ الذي لا تَعْذَلُ الدُّنيا إذا
ما النّائِباتُ صَفَحْنَ عن حَوْبَائِهِ (٣)

٣ـ لوْ كانَ يُغْنِي حَازِمٌ عَنْ وَاعِظٍ
كُنْتَ الغَنِيَّ بِحَزْمِهِ وذكَائِهِ (٤)

٤ـ لَسْتَ الفَتَى إنْ لم تُعَرِّ مَدَامِعاً
من مَائِها والوَجْدُ بَعْدُ بِمَائِهِ

قال الصولي :

ان لم تترك دمعك فلا تبكي ووجدك وافر بعد فلست بفتى .

---

(٣) جاء في حاشية المخطوطة : ويروى « لا تعزل الدنيا » . و « الحوباء » : النفس .

(٤) رواية الصولي والتبريزي : « يَغْنَى » . وجاء في حاشية المخطوطة : ويروى « يَغْنَى وهو الصح » .

وقالوا : أي لا تبكي حتّى تكون عُرّيت المدامع من الماء • وفيه معنى آخر لم يذكروه ولا بأس به • قال الجوهري : «المدامع» : المآقي ، وهي أطراف العين • يقول : إن لم تخلها من مائها ـ وهو لدمع ـ بالبكاء فتفنيه ووجدك باق بمائه لم تسترح منه بالدمع الذي ذكروا أن فيه راحة الوجد ، وتخفيف مائه ، أي : إن لم تبك حتّى ينفد دمعك الذي ادعى فيه ما ادعى ووجدك على حاله لم تسترح منه ، ولم تخفّفه بالدمع الذي عُريت منه المدامع فلست بفتى •

ويروى « والوجه بعد بمائه » • وقالوا : لأن البكاء يذهب الحياء •

٥ـ وإذا رَأيْتَ أسَى امْرئٍ أو صَبْرَه
يَوْماً فَقَدْ عايَنْتَ صُورَةَ رائِهِ

قال أبو العلاء :

هذا شيء يستعمله الطائي وغيره ، فأمّا مذهب سيبويه في ذلك فإذا حُمِل عليه كان كالعيب لأنه لا يجعل همزة « حوبائه » وما كان مثلها إذا خَفّف ياءً خالصة ، ولكن يكون بين بين • وياء «رايه» ياء خالصة ، ولا يجوز قلبها (الى همزة) في هذا الموضع فيقع الاختلاف في الرّويّ • فأمّا غير سيبويه فلا يبعد في مذهبه أن يجعل همزة «حوبائه» ومثلها إذا خَفّف ياءً ، وهو مذهب ضعيف ، ونحوٌ من ذلك ما جاء في شعر أبي النجم[٥] لأنه قال :

---

(٥) أبو النجم الراجز ، هو الفضل بن قدامة العجلي ، أبو النجم ، من أكابر الرجاز ومن أحسن الناس إنشاداً للشعر ، نبغ في العصر الأموي ، وكان يحضر مجالس عبدالملك بن مروان وولده هشام ، كان ينزل سواد الكوفة ، وهو أبلغ من العجاج في النعت ، قاله عمرو بن العلاء ، أخباره في معاهد التنهيص : ١/١٨ والأغاني : ١٠/١٥٠ وسمط اللآلي : ٣٢٨ والخزانة : ٤٩/٢ و٤٠٦ والشعر والشعراء ٢٣٢

هَلْ تَعْرِفُ الرَّبْعَ عَفَتْ جِواؤهُ

وقال فيها :

وعَزَّ شَأْوَ المُغْرِبِينَ شاؤهْ

فواو « شأوُه » لا يجوز أن تهمز ، وهمزة « جِواؤه » لا يجوز أن تجعل واواً خالصة .

قال المبارك بن أحمد :

إذا جعل همزة « حوبائه » ياءً خالصة ولا تكون بين بين جازت أن تقع روياً مع ياء «رايه» لأنه ياء خالصة في الأصل . وقوله « لا يجوز قلبها في هذا الموضع » بعيد عن القول الصحيح ، لأنه لا يجوز قلبها أبداً ، إذ ليست بهمزة. والهمزة إذا كانت بين بين كانت في حكم المخفّفة . وإذا كانت كذلك لم يجز مع ياء «رايه» الخالصة فيختلف الرَّوِيّان . وما نسبه الى غير سيبويه وضعَّفَه فهو الذي حكاه عن سيبويه إلا أنه يذكر فيه أن يكون بين بين .

وقوله : فواو « شأوه » لا يجوز أن تهمز صحيح . ولقائل أن يقول : أهمزها كما همزت واو « ادؤر » و « اسؤق » فلا يرد . وأغفل رحمه الله القول في همزة «رائه» وهي في هذا الموضع لا تكون إلاّ مبدّلة ، لأن المخفّفة في حكم المحقّقة بدليل « رؤيا ونؤى » إذا خفّفا ، قاله أبو الفتح ابن جني .

٦ــ إنّي أرى تِرْبَ المُرُوءَةِ باكِياً

فأكاد أبْكِي مُعْظِماً لِبُكائِهِ

في صبره أو جزعه ، كذا وجدته ، ويجوز أن يريد : انه يُعظّم بكاءه لأن من هو ترب المروءة لا يبكي إلا لأمر عظيم[٦].

٧ـ حَقٌّ على أهْلِ المُرُوءَةِ والحِجَى
وقَضَاءُ طَبٌّ عَالِمٍ بِقَضَائِهِ[٧]

« قضاءُ طبّ » معطوف على « حق » . وروى العبدي « وقضاء طِبٍّ » بالكسر ، وقوله « عالم بقضائه » : هو الله عزّ وجل.[٨]

٨ـ ألاّ يُعَزَّى جَازِعٌ بِحَمِيمِهِ
حتّى يُعَزَّى أَوَّلاً بِعَزائِهِ[٩]

* * *

---

(٦) قال التبريزي في شرحه : ٣٩/٤ :
« ترب المودة » : أكثر ما يستعمل في «الترب» في النساء : يقال : فلانة ترب فلانة إذا كانت لِدة لها ، وحكى بعض أهل اللغة ، انه يقال : ترب في المذكر وتربة في المؤنث . والذي يتردد في الشعر القديم : عون اتراب، ولا يكاد يستعمل ذلك في المذكر .

(٧) رواية التبريزي « أهل التيقظ والحجى »

(٨) قال الصولي في شرحه : ٢٤٩/٣ ،
كذا رواه أبو مالك ، وغيره يرويه «لا يفعلون الامر دون قضائه » فعلى هذه الرواية « الهاء » في « قضائه » للحق ، والأول أجود .

(٩) جاء في حاشية المخطوطة قرب البيت : « اي لصبره الذي فقده بعده » .

وقال في هَوَىً له زعمَ أنَّه سَــلا عنه بغيره :

١ـ بَيَّتتُّ قَلْبِي مِنْ هَوَاكَ على الطَّوَى
ورَحَلْتُ عــن بَلَــدِ الصَّبابَةِ والجَوَى[1]

قوله على الطوى ، أي : على الخلــو . وهو معنى رديء ، واســتعارة قبيحــة .

٢ـ لوْ لمْ يُجْزِنِي الهَجْرُ مِنْكَ بِلُطْفِــهِ
واللهِ لاسْــتَأْمَنْتُ فيكَ الــى النَــوَى

قوله « لاستأمنت » أي : طلبت الأمان ، ويروى « الثوى » بالثاء المثناة، وهو الهلاك . ويروى « لاستأنست فيك الى النوى » .

٣ـ لم تَرْعَ لي حُرَقــاً بِقَلْبي قَدْ مَضَتْ
لو لمْ يَذُدْها الدَّمْــعُ عنه لاشْــتَوَى

قوله « عنه » يعني عن القلب لانشوى ، وهذا هو المعنى المتــداول مثر قول ذي الرّمة :

(١) رواية التبريزي « من بلد » .

لعلّ انسكاب الدمع يحدث راحةً
من الوجد أو يشفي نَجِيّ البلابل[2]

وقال : « اشتوى » وافعال المطاوعة تجيء غالباً على (انفعل) بالنون ، يقال : شويت اللحم فانشوى ، قاله الجوهري • ولا تقل اشتوى •

قال أبو زكريا التبريزي :

وهذا إجماع أهل اللغة ، وذكر سيبويه : شويت اللحم فاشتوى •

٤ــ هَيْهَاتَ كُنْتُ من الحَداثَةِ والصِّبا
في غَفْلَةٍ ان الهَوَى يُنْسِي الهَوَى

ويروى « هيهات أنت » • أخذه البحتري وزاد فقال :

هَوَى عَفَّى على آثاره بهوى
كَمُطْفِيءٍ من لهيبِ النار بالنارِ[3]

---

(2) أنظر ديوان ذي الرمة ص٤٩٢ بتحقيق كارل هنري هيس . وروايته فيه « لعل انحدار الدمع » وهذا البيت من قصيدة مطلعها :
خليلي عوجا من صدور الرواحل بجمهور حزوى فابكيا في المنازل

(3) أنظر ديوان البحتري ، ١٣٦/١ ، مطبعة صادر بيروت ، وهذا البيت من قصيدة يمدح بها المستعين بالله ، ورواية البيت في الديوان : « وعزى اعفى على أوصابه بهوى » مطلعها :
إذا الغمام حداه البارق الساري وانهل في ديمة وطفاء مدرار

قال أبو تمام يعرّض ببعض بني حُميد وقد اسمعه وأرْبَى عليه بعد مقتل محمد بن حميد ، ولم يصرّح بهجائه لمدحه إياهم ، ولأنه طائي منهم :

١ــ إذا جَارَيْتَ في خُلُقٍ دَنِيئاً
فأنْتَ ومَنْ تُجارِيهِ سَوَاءُ*

ويروى «جازيت» و«تجازيه» بالزاي فيهما ، والأول أجود .

٤ــ لَقَدْ جَرَّبْتُ هذا الدَّهْرَ حتَّى
أفادَتْنِي التَّجارِبُ والفَناءُ[1]

أراد بـ « الفَنَاء » الكِبْر . من قولهم : شيخ فانٍ ، أي كبير ، ويروى « العناء » بالعين المهملة .

---

* ورد بعد هذا البيت في القصيدة البيتان الآتيان . لم يذكرهما ابن المستوفي

٢ــ رأيت الحر يجتنب المخازي ويحميه عن الغدر الوفاء

٣ــ وما من شدة إلاّ سيأتي لها من بعد شدتها رخاء

رواية الصولي « إلاّ ويأتي »

(١) رواية الصولي والتبريزي «والعناء» مكان و«والغناء»

٩ـ لئيمُ الفِعْلِ مِن قَوْمٍ كِرامٍ
لَهُ مِن بينهمْ أبداً عُواءُ(٢)**

في الحاشية : أي : صياح ، كأنه يصيح ليعلم انه ليس منهم .

قال المبارك بن أحمد :

كأنه من قول العامّة في الشيء الظاهر من بين الأشياء . هذا كأنه يصيح من بينها صياحاً . فجعله أبو تمام عواء .وهو في هذا الموضع قريب.

* * *

** ورد بعد هذا الأبيات في القصيدة أبيات لم يذكرها ابن المستوفي وهي :

٥ـ إذا ما رأس أهل البيت ولّى   بدا لهم من الناس الجفاء
٦ـ يعيش المرء ما استحيى بخير   ويبقى العود ما بقي اللحاء
٧ـ فلا والله ما في العيش خير   ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
٨ـ إذا لم تخش عاقبة الليالي   ولم تستحى فافعل ما تشاء

رواية الصولي « فاصنع » مكان « فافعل »

(٢) رواية الصولي « لثيم القوم »

وقال يهجو عتبة بن أبي عاصم :

٤ــ عَجَباً لِصَيّـاد الهِجَاءِ بِعِرْضِهِ
وحِرِامّـهِ أبـداً على الإعَـراءِ[1] *

في الحاشية : أي تظهر عورة أمّه ، أي أعجب لمن يجرّ الهجـاء الى نفسه ، فكأنه يصيد الهجـاء •

وفي نسخة « وحِرُامّه » بالرفع • و « الاعراء » : جمع العاري •

قال المبارك بن أحمد :

« الاعراء » : لا يصـح في جمع العـاري ، ويجوز أن يكون جمـع « عَرَى » مقصوراً ، وهو السـاحة والفناء • أي : أعجب لمن يتعرّض الى الهجـاء وحرامّه لا يزال ظاهراً في الافنية والساحات •

٦ــ أنّى يفـوت مَخَـالِبي في بَلْدَةٍ
أرْضِي بِهـا مَبْسُـوطَةٌ وسَمَائِي؟**

أي : كيف ينجو من هجـائي وأنا قادر عليه •

* * *

(١) رواية التبريزي « وحر أمه » بالرفع •

* نذكر فيما يأتي الأبيات الثلاثة الاولى من القصيدة التي أهملها ابن المستوفي :

١ــ أعتيب يا ابن الفعلـة اللخنـاء ... أأمنت من بذخي ومن غلـوائي؟
٢ــ فبحرمة الغرمول في استك إنه ... قسـم له حـق على البغـاء
٣ــ دعـواك في كلب أعـم فضيحة ... وأخص أم دعواك في الشعـراء

وذكر فيما يأتي البيت الخامس من هذه القصيدة :

٥ــ ما شعره كفأ لشـعري فليمت ... غيظـاً ولا الخلقي من أكفـائي

** نذكر فيما يأتي البيتين السابع والثامن من هذه القصيدة ، وبهما تمامها :

٧ــ وكهـول كهـلان وحيّـا حمير ... كالسيل قـدامي معـاً وورائي
٨ــ فالاك أعمـامي الذين تعمّمـوا ... بالمكرمـات وهـذه آبـائي

وقال يهجـوه :

١ـ نُبِّئْتُ عُقْبَةَ شاعِرَ الغَوْغاءِ
قَدْ ضَجَّ مِنْ عَوْدِي ومِنْ إبْدائِي

أي : من هجوي الذي عدت فيه ثانياً ، وابدأت أوّلاً . و«الغوغاء»: السَّفَلَة .

٢ـ لمّا غَضِبْتُ على القَرِيضِ هَجَوْتُه
وجَعَلْتُ خِلْقَتَهُ هِجاءَ هِجائي

أراد : اني لمّا هجوته كنت غضبان على الشعر ، فعاقبته بهجائي له ، وهجوت هجائي بقبح خلقته ، قاله المبارك بن أحمد . وعكسه أبو تمام فقال:

ولم أمدحك تفخيماً لشعري ولكني مدحت بك المديحا

٣ـ ما كان جَهْلُكَ تاركاً لكَ غيثَهُ
حتّى تكونَ دَجاجَةَ الرَّقّاءِ *

ويروى « غِيَّهُ » ويروى « بحثه » . وفي نسخة «تاركاً لك غيَّهُ» بالنصب ، وله وجه .

---

* ورد بعد هذا البيت بيت لم يذكره ابن المستوفي ، هذا نصه ،

٤ـ حلمي عن الحلماء غير مكدر والحتف من سفهي على السفهاء
رواية الصولي « غير مكذب »

قال أبو العلاء :

أراد : ان الذي يَرْقِي يكون معه فرّوج أو نحوه فَيُلْدِغُه حَيّةً • ويقول للعامّة : انّي أُرقيه فلا يضرّه السّمّ • يريد أن يخدع بذلك ، وإن هلك فأنه غير مبال • والمعنى : ان غيرك يُعَرّضك للشّرّ •

قال المبارك بن أحمد :

ما ذكره من دجاجة الرّقاء صحيح ، ولكن قوله : « والمعنى : انغيرك يعرضك للشّرّ » غير صحيح ، ولعلّه «عتبك» أو «عفوك» وصحّفه الكاتب • والمعنى : ان الذي يرقى بنصب دجاجة الحيّة عند الرقية فتلسعها الحيّة فتموت ، أي : سأقتلك •

وقال الصولي :

المثل : تركته فرّوج الرّقاء ، ذلك انه مُعَذّب معه أبداً ، يُجَرّب عليه لسْعَ الحيّة ويطعمه الدواء حتى ينفّق دواءه بذلك • بهذا كلامه •

أي : فأنا أهجوك مرّة وأتركك مرّة • فأنت مُعَذّب معي مثل دجاجة الراقي •

٥ـ أضْعِفْ لِمَنْ أَمْسى وأصْبَحَ أمْرُهُ
تَبَعاً لأمْرِ الدّوْدَةِ الشّعْرَاءِ[1]*

---

(١) رواية التبريزي : « بمن » مكان « لمن »

* وردت بعد هذا البيت في القصيدة الأبيات الآتية وبها تكتمل القصيدة :

٦ـ إني لأعجب من أناس صوروا صور الرجال لهم فروج نساء
٧ـ الله يعلم أنها لمصيبة نزلت ولا سيما على الشعراء
٨ـ ما الشمس أعجب حين تطلع للورى غربية من شاعر بغاء
٩ـ إن كنت لست بمنته عن بذلها فأنا أحق بها من الغرباء

الشَّعْراء : الكثيرة الشعر .

قال الصولي :

رماه بالبغاء ، لأنه يطيع داء في جوفه . بهذا كلامه .

وقيل: أراد بالدودة . [كلمة غير واضحة ربما تكون بمعنى «البليّة»] وجعلها كالدودة التي على رأسها شَعَر .

قال المبارك بن أحمد :

وهذا كقوله أيضاً :

امراته نفذتْ عليه أمورهَا حتى ظننّا انه إمراتها

* * *

وقال يهجو عبدالله الكاتب ، ويعرّض بالمباركي :

وفي نسخة الصولي : يهجو عبدالله الكاتب المعروف بالمباركي ، وكان يحبّه ، والأول أصحّ لما سيأتي فيما بعد.[1]

١ـ قُلْ لِعَبْدُونَ أيْنَ ذاكَ الحَيَاءُ
إنّ داءَ المُجُونِ داءٌ عَيَاءُ ؟!

٢ـ طَالَما كُنْتَ قَبْلُ عِنْدِي مَنِيعاً
ومَصُوناً كما يُصَانُ الرِّداءُ

أي زال عنك الحياءُ الذي كان يصونك .

وجاء في الطرّة من النسخة العجمية : المجون : ألاّ يُبالي الانسان بما يصنع ، وقد مجن يمجن مجوناً ومجانة ، فهو ماجن ، قاله الجوهري وغيره .

٣ـ ثُمَّ كَشَّحْتَنِي على غيرِ جُرْمٍ
فأنا والمُبَارَكِيُّ سَوَاءُ*

* * *

(١) ذكر ابن المستوفي رواية نسخة من نسخ شرح الصولي ، ورواية النسخ الأخرى لا تختلف عما ذكره ابن المستوفي أول مرة من التعريف بالقصيدة حين قال : « انه يهجو عبدالله الكاتب وكان يحبه ويعرّض بالمباركي » .

* نذكر فيما يأتي البيتين اللذين لم يذكرهما ابن المستوفي ، وبهما تنتهي المقطوعة .

٤ـ قال لي الناصحون وهو مقال — ذم من كان خاملا إطراء

٥ـ صدقوا ، في الهجاء رفعة أقوا — م طغام فليس عندي هجاء

وقال يخاطب علي بن الجهم ليستنجز له وعداً من عثمان بن ادريس ابن بدر الشامي

١ـ بأيِّ نُجُومِ وَجْهِكَ يُسْتَضَاءُ
أبا حَسَنٍ وشِيمَتُكَ الإباءُ

قال الصولي :
إذا كانت شيمتك الإباء فبأيّ نجوم وجهك يُستضاء .

أتى الصولي بلفظ البيت لكن غير موزون ، ولكن لا ذكر للجود فيه ، وروى غير الصولي : « بأي نجوم جودك » : يشبّه بِشره بالنجوم . وجعل من شيمته الإباء ، وهو المنع . أي : لا ندري بأيّ نجوم وجهك نستضيء ومن خُلُقك المنع . أي : لا ينفعنا ذلك .

٢ـ أتَتْرُكُ حَاجَتي غَرَضَ التَّوَانِي
وأنْتَ الدَّلْوُ فيها والرِّشَاءُ*

---

* وردت بعد هذا البيت في القصيدة الأبيات الآتية التي لم يذكرها ابن المستوفي في كتابه :

٣ـ تألف آل إدريس بن بدر — فتسبيب العطاء هو العطاء
٤ـ وخذهم بالرقى إن المهارى — يهيجها على السير الحداء
٥ـ فإما جاز مني الشعر فيهم — وإما جاز منك الكيمياء
٦ـ وقل للمرء عثمان مقالا — يضيق بلفظه البلد الفضاء

ويروى « عرض » بالعين المهملة ، ويروى « عُرض » بالعين المهملة المضمومة . و« العَرَض » بفتح العين المهملة والراء : ما يعرض للانسان من قصد . و « عُرْض » بالراء المضمومة والساكنة : الجانب والناحية . ويروى « أنت الغَرْب »[1] ، وهو أحسن لفظاً وإن كان المعنى واحد .

ومنها : وعن عثمان بن ادريس :

٧ــ أَلَمْ يَهْزُزْكَ قَولُ فَتىً يُصَلِّي
لِمَا يُثْنِي عَلَيْكَ بِه الثَّنَاءُ؟!**

رفع « الثناء » بفاعل ، يُصلّي الثناء لثنائه عليك .

قال المبارك بن أحمد :

يُصلّي هنا من المصلّي ، وهو الفرس الذي يتلو السابق ، والمعنى: إني أثني عليك فأسبق بالثناء ، ويتلو ثنائي عليك ثناء الناس ، فثنائي سابق وثناؤهم مُصَلٍّ.[2]

* * *

---

(١) الغرب بوزن الضرب : الدلو العظيمة

(٢) قال الصولي في شرحه : ٤٨٦/٣ :
يقول ، يصلى الثناء لثنائه عليك .

** وردت بعد هذا البيت في الديوان الأبيات الآتية ، وبها تتم القصيدة :

٨ــ فتفعل ما يشاء المجد فيها ... فإن المجد يفل ما يشاء(١)
٩ــ وانت المرء تعشقه المعالي ... ويحكم في مواهبه الرجاء
١٠ــ فإنك لا تسر بيوم حمد ... شهرت به ومالك لا يساء
١١ــ وإنّ المدح في الأقوام ما لم ... يشيّع بالجزاء هو الهجاء

وقال التبريزي في شرحه : ٤٤١/٤
اخذه ابن الرومي فقال :
إذا ما المدح سار بلا ثواب ... من الممدوح كان هو الهجاء

---

(١) رواية الصولي « فيفعل »

وقال يصف المطر :

١ـ أمَا ترَى ما أصْدَقَ الأنْوَاءَ
قدْ أفْنَتِ الحَجْرَةَ والّلأْوَاءَ ؟[1]

قال الصولي :

الحَجْرة : السّنة الشديدة . و«اللأواء» و«اللولاء» : الشدّة والجدب ، وهي من المقلوب .

٢ فلَوْ عَصَرْتَ الصَّحْصَحَانَ ماءً
مِنْ لَيْلَةٍ بِتْنَا بها لَيْلاءَ[2]

ماء سائل . ويروى « فلو عصرت الصخر صار ماء » ويروى « من ليلة من وبلها » و « يا ويلها » .

٣ـ إنْ هِيَ عَادَتْ لَيْلَةٌ عِدَاءَا
أصْبَحَتِ الأرضُ إذاً سَقاءَ

قال الصولي :

« عادت » يعني : والت . « عداء » : ولاءٌ . يقول : إن جاءت ليلة بعقب هذه الليلة بمثل هذا الويل أصبحت الأرض سماءً .

* * *

(١) رواية التبريزي « ألا ترى »
(٢) الصحصح وزان جعفر : المكان المستوي ، أي ما استوى من الأرض وكان أجرد . ورواية هذا البيت عند الصولي والتبريزي :
« فلو عصرت الصخر صار ماءً »

نذكر هنا القصائد والأبيات التي لم يذكرها ابن المستوفي . وقد ذكرها الصولي ولتبريزي :

* * *

قال أبو تمام يتغزّل :

١ـ نَفْسِي فِداءُ محمّدٍ ووِقاؤُهُ
وكَذَبْتُ ما في العالَمينَ فِداؤُهُ

٢ـ أزَعَمْتَ أنّ الظَّبْيَ يَحكي طَرْفَهُ
والقَدُّ غُصْنٌ جالَ فيهِ ماؤه ؟

٣ـ أسْكُتْ فأينَ ضِياؤهُ وبَهاؤهُ
وكَمالُهُ وذكاؤُهُ وحيَاؤُهُ ؟

٤ـ لا تُغْنِ أسماءُ المَلاحَةِ والحِجا
فِيمَن سِواه فأنّها أسْماؤُهُ

٥ـ عَرِيَ المُحِبُّ مِنَ الضَّنا فَقَمِيصُهُ
طُولُ التّأوّه والسَّقامُ رِداؤُهُ

٦ـ لو قيلَ سَلْ تُعْطَ المُنَى كان المُنَى
أنْ لَوْ رأى مَوْلاهُ كَيْفَ بُكاؤه

٧ـ أحبابَه لِمَ تَفْعَلُونَ بِقَلْبِه
ما ليس يفعَلُه بِهِ أعداؤُهُ ؟

٨ـ مَطَرٌ مِنَ العَبَراتِ خَدّي أرْضُه
حتّى الصَّباحَ ومُقْلَتايَ سَماؤُهُ

* * *

وقال أبو تمام يستبطِيءُ إسحاق بن ابراهيم ، واختارها أبو أحمد:(١)

١ـ أيَا زِيْنَةَ الدُّنيا وجَامعَ شَمْلِها
ومَنْ عَدْلُــهُ فيها تَمــامُ بَهائِهــا

٢ـ ويا شَمْسَ أرْضِيها التي تَمَّ نُورُهــا
فَبَاهتْ بهِ الأرضَونَ شمسَ بَهائِها

٣ـ عَطَــاؤُكَ لا يَفْنَى ويَستغرِقُ المُنَى
ويُبْقِي وجُوهَ الرّاغِبِينَ بِمَائِها

٤ـ تَرَامَتْنِي الأبصــارُ مِنْ كُلِّ جانِبٍ
كأنّي مُرِيــبٌ بينهــا لارتمائهــا

٥ـ ولِي عِــدَةٌ قد راثَ عَنِّي نَجاحُهــا
ومَجْدُكَ أدْنَى رائدٍ في اقتضائِها

٦ـ شَكَوْتُ وما الشَّكْوَى لنَفْســي عادةٌ
ولكنْ تفيضُ النَّفْسُ عند امتلائِها

٧ـ وما لي شَــفِيعٌ غــيرَ نَفْسِــكَ إنَّني
ثُكِلْتُ من الدُّنيا على حُسْنِ وائهــا

---

(١) ذكر هذه القصيدة أبو زكريا التبريزي في شرحه . ولم يذكرها الصولي .

قال التبريزي :

هو من مَقْلُوب الوأْي الذي هو الوَعْد ، جعلـه مِن وَأَى .
ووأَى ووَاءٍ مثلُ : رَأى وراءٍ ونأى وناءٍ .

(جاء في اللسان : الوأي: الوعد . وفي حديث عبدالرحمن بن عوف :
كان لي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وَأْي" . أي وعد) .

* * *

عَنى الأئمّة العلماء بشرح شعره فأثبتّ من ذلك بما وقع إليّ من كتبهم، مختصراً بعضه ، وحاكياً أكثره بنصـــه • فمنها كتاب أبي الفتــح عثمان بن جني[1] الكبير ، وكتابه في أبياته الصغير ، وما ردّه عليه فيه الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي[2] • وكتاب عبدالله بن زكريا المطرّز[3] وكتاب أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي[4] وما ذكره عن أبي العلاء أحمــد

(١) هو عثمان بن جنّي الموصلي ، ابو الفتح ، من أئمة الأدب والنحــو ، ولــه شعر ، ولد بالموصل وتوفي ببغداد سنة ٣٩٢هـ عن نحو ٦٥ عاماً ، كان أبوه مملوكاً رومياً ، وكان المتنبي يقول : ابن جني أعرف بشعري مني ، لــه تصانيف عديدة ، أخباره في الارشاد : ١٥/٥ ، وابن خلكان : ٢١٣/١ ، ونزهة الألباب : ٤٠٦ ، ويتيمة الدهر : ٧٧/١ .

(٢) الشريف المرتضى : هو علي بن الحسين بن موســى بن محمد بن ابراهيم، أبو القاسم ، من أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب ، نقيب الطالبيين ، واحد الأئمة في علم الكلام والأدب والشعر ، يقول بالاعتزال، مولده في بغداد سنة ٣٥٥هـ ووفاته بها سنة ٤٣٦هـ ، له تصانيف كثيرة . أخبــاره في روضات الجنـــات : ٣٨٣ والارشاد : ١٧٣/٥ ويتيمـة الدهـر : ٥٣ وابن خلكان ، ٣٣٦/١ .

(٣) هو عبدالواحد بن محمد بن يحيى بن أيوب ، أبو القاسم المعروف بالمطرّز، شاعر بغدادي ، كثير الشعر في المديح والهجاء والغزل ، قرأ عليه الخطيب التبريزي ، ولد سنة ٣٥٥ وتوفي سنة ٤٣٩هـ . اخباره في تاريخ بغـداد : ١٦/١١

(٤) مر ذكره والتعريف به .

ابن عبدالله بن سليمان المعري . وكتاب أبي الحسن علي بن أحمد الوحدي[٥] وكتاب « فتق الكمائم » لأبي محمد طاهر بن الحسين بن يحيى البصري . وكتاب أبي علي محمد بن فورّجة البروجردي[٦] ، وكتاب أبي الخير زيد بن رفاعة الهاشمي[٧] ، وكتاب أبي اليُمْن زيد بن الحسن الكندي[٨] ، وكتاب

---

(٥) هو علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متّويه ، أبو الحسن الواحدي ، مفسّر ، عالم بالأدب ، أصله من ساوة بين الرّي وهمدان ، وهو من أولاد التجار ، مولده في نيسابور ووفاته فيها سنة ٤٦٨هـ ، له تصانيف عديدة ، أخباره في النجوم الزاهرة : ١٠٤/٥ والوفيات : ٣٣٣/١ ، وإنباه الرواه ٢٢٣/٢

(٦) ابن فورّجه : هو محمد بن حمد بن محمد بن عبدالله بن محمود بن فورجة البروجردي ، عالم بالأدب ، له شعر ، ولد في نهاوند سنة ٣٨٠هـ وأقام بالرّي . من كتبه التجني على ابن جني والفتح على أبي الفتح ، توفي سنة ٤٥٥هـ ، أخباره في بغية الوعاة : ٣٩ ، ٤٣٣ ، فوات الوفيات : ١٩٨/٢ ، الارشاد : ٤/٧ ، الوافي بالوفيات ، ٢٤/٣ ، كشف الظنون : ١٢٣٣ .

(٧) هو زيد بن عبدالله بن مسعود بن رفاعة ، أبو الخير الهاشمي ، أحد مؤلفي رسائل اخوان الصفا ، كان في الرّي ، وأقام بالبصرة زمناً طويلا ، اثنى عليه أبو حيان التوحيدي ، اعتقد رأي الفلاسفة ، توفي سنة ٤٠٠هـ ،كان معاصراً للصاحب بن عباد . أخباره في الامتاع والمؤانسة : ٣/٢ ، وميزان الاعتدال : ٣٦٤/١ ولسان الميزان : ٥٠٦/٢ والمنتظم : ١٢٧/٩ .

(٨) أبو اليمن الكندي : هو زيد بن الحسن بن زيد بن سعيد الحميري ، أبو اليمن ، تاج الدين الكندي ، أديب ، من الكتاب الشعراء العلماء . ولد ببغداد سنة ٥٢٠هـ ونشأ فيها وسافر الى حلب وسكن دمشق ، وقصده الناس يقرأون عليه ، وكان مختصاً بفرخ شاه ابن اخي صلاح الدين وبولده ، له مصنفات عديدة منها شرح ديوان المتنبي ، توفي في دمشق سنة ٦١٣ ، أخباره في مرآة الزمان ، ٥٧٥/٨ وابن خلكان : ١٩٦/١ والارشاد : ٢٢٢/٤ والجواهر المضيئة : ٢٤٦/١

أبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري[٩] . وسوى ما وجدته على حواشي ديوانه ، وفي مواضع مفردة ، على أني أسأل الناظر في هذا الكتاب أن يستر ما فيه من عيب ، أو عثر عليه ، وأن يضيف ما فاتني من بيان وشرح اليه .

وبالله أستعين ، وعليه أتوكّل ، وهو حسبي واليه أنيب .

* * *

---

(٩) العكبري : هو عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري البغدادي ، أبو البقاء ، محب الدين ، عالم بالأدب واللغة والفرائض والحساب ، أصله من عكبرا بليدة على دجلة ، ولد ببغداد سنة ٥٣٨ وتوفي فيها سنة ٦١٦هـ ، أصيب في صباه بالجدري فعمي ، كثير التآليف وقد شرح ديوان المتنبي ، أخباره في نكت الهميان :١٧٨ ، والوفيات:١/٢٦٦، وبغية الوعاة: ٢٨١ .

قافية الهمـزة والألف

قال أبو الطّيّب أحمد بن الحسين:[1]

١ـ عَذْلُ العَوَاذِلِ حَوْلَ قَلْبِي التَّائِهِ
وهَوَى الأحِبَّةِ مِنْهُ فِي سَوْدائِهِ

قال أبو الفتح :

العذل : أمَرّ العتاب وأمضّه ، وجمع عاذل : عُذّل وعُذّال ، وجمع عاذلة : عواذل ، وسوداء القلب : الحبّة السوداء فيه ،

قال الأصمعي : سوداء القلب : علقة سوداء في جوفه إذا انشقّ بَدَتْ كأنها قطعة كبد ، وجعل (الهاء) في « التائه » وان كانت أصلاً وصلاً في ذلك

---

(١) جاء في شرح الواحدي : ٥٠٦ :
« وأمره سيف الدولة باجازة ابيات لأبي ذرّ سهيل بن محمد الكاتب على هذا الوزن والروي ، وهي هذه :

يا لائمي كف الملام عن الذي ... أضناه طول سقامه وشقائه
إن كنت ناصحه فداو سقامه ... وأعنه ملتمساً لأمر شفائه
حتى يقال بأنك الخلّ الذي ... يرجى لشدة دهره ورخائه
أو لا فدعه ، فما به يكفيه من ... طول الملام، فلست من نصحائه
نفسي الفداء لمن عصيت عواذلي ... في حبه لم أخش من رقبائه
الشمس تطلع من أسرة وجهه ... والبدر يطلع من خلال قبائه

جائز مشروع في القوافي[٢]

يقول : فَهَوَى الأحِبّة في داخل قلبه ، وعذل العواذل من خارجه ، فليس يرعوي اليه ولا يعبأ به لِعِظَم قَدْر الهوى في قلبه .

وقد أكثر الناس في معنى النصف الأخير من هذا البيت . قال العباس بن الاحنف[٣] :

لو شق عن قلبي ترى وسطه ذكرك والتوحيد في سطر[٤]

---

(٢) جاء في الشرح المنسوب الى العكبري ، ١/١ :

قد عيب على ابي الطيب قوله «النائه» والقصيدة مهموزة كلها ، واعتذر له قوم بأنه لم يرد التصريع ، لأن الهاء في القافية أصلية ، وقد جعل قوم ممن رتبوا الديوان على الحروف ، هذه في حروف الهاء ، لجهلهم بالقوافي ، وإنما أبو الفتح والخطيب جعلاها في أول حرف الهمزة فاقتدينا بفعلهما .

والقوافي خمس ، يجمعها « سبكرف » . كل قافية ، وهي : متكاوس ومتدارك ومتراكب ومتواتر ومترادف .

فالمتكاوس : أربع حركات بين ساكنين ، كقوله :

+ قد جبر الدين الإله فجبر +

والمتراكب : ثلاث حركات بين ساكنين ، كقول المتنبي :

+ بم التعلل لا أهل ولا وطن +

والمتدارك : حركتان بين ساكنين ، كما في هذه القصيدة .

والمتواتر : حركة واحدة بين ساكنين ، كقوله ،

+ صلة الهجر لي وهجر الوصال +

والمترادف اجتماع ساكنين ، كقوله :

لا تحسن الشعرة حتى ترى منشورة الضفرين يوم القتال

(٣) العباس بن الأحنف بن الاسود الحنفي اليمامي ، أبو الفضل ، شاعر غزل ، رقيق ، قال فيه البحتري : أغزل الناس . أصله من اليمامة وأهله بالبصرة وبها مات أبوه . ونشأ هو في بغداد وتوفي بها سنة ١٩٢هـ . خالف الشعراء في طريقتهم فلم يمدح ولم يهجُ ، وهو خال ابراهيم بن العباس الصولي . اخباره في وفيات الأعيان : ٢٤٥/١ ومعاهد التنصيص : ٥٤/١ والاغاني : ٣٥٢/٨ والشعر والشعراء ٣٣٥ والنجوم الزاهرة ، ١٢٧/٢ وتاريخ بغداد : ١٢٧/١٢ .

وقال آخر :

تَغَلْغَلَ حُبُّ عثمةَ في فؤادي فباديه مع الخافي يسير[٥]

وهذا البيت لعبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود[٦]

وفي كتاب أبي زكريا ، وأظنه من كتاب أبي العلاء :

يقال : عَذل وعَذَل بالتحريك ، والتحريك في هذا الموضع أحسن، لأنه أقوى في السمع والغريزة .

وقال الواحدي :

[٧]الصحيح رواية من روى « قلب التائه » على إضافة القلب الى التائه ، وعَنى بالتائه نفسه ، ومن روى « قلبي » بالياء جعل « التائه » من صفة القلب ، ولا يقال : تاه قلبه . وقوم" قالوا : ان قلبي يتيه على عذلهم ،

---

(٤) أنظر ديوان العباس بن الأحنف ت.د. عاتكة الخزرجي : ١٢٠ وروايته في الديوان :

لو شق عن قلبي قري وسطه ذكرك والتوحيد في سطر

وروايته في الموشح : ٢٩٠ وامالي الشريف : ٦٢/٢ ،

لو شق عن قلبي لرأى وسطه اسمك والتوحيد في سطر

(٥) أنظر الأغاني : ط. دار الكتب : ١٥١/٩ . ويأتي بعده البيت الآتي :

تغلغل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور

(٦) هو عبيدالله بن عبدالله بن قتيبة بن مسعود الهذلي ، أبو عبدالله ، مفتي المدينة ، وأحد الفقهاء السبعة فيها ، من أعلام التابعين ، له شعر جيد ، أورد أبو تمام قطعة منه في الحماسة ، وأبو الفرج في الأغاني ، وهو مؤدب عمر بن عبدالعزيز ، وكان ثقة عالماً فقيهاً كثير الحديث والعلم بالشعر ، وقد ذهب بصره ، مات بالمدينة سنة ٩٨هـ .

(٧) قال الواحدي في شرحه قبل هذا الكلام المذكور في المتن : ص٥٠٦ :

«التائه» : الذاهل المتحير . وسوداء القلب : الحبّة السوداء في جوفه كأنها قطعة كبد . يقول : لوم اللوّام حول قلبي ، وهوى الأحبة في داخله، فليس يبلغ اللوم الى حيث بلغه الهوى ، وفي هذا رائحة من قول الآخر:

تغلغل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور

والصحيح من روى « قلب التائه » على اضافة القلب الى التائه ..

فلا ينقاد له ، من التَّيه بمعنى : الكِبْر • وليس هذا بمستحسن ولا مختار. هذا كلامــه •

وإذا كان « التائــه » على ما ذكــره أبو الفتح حَسُنَ أن يوصف به القلب[8] •

٢ــ يَشْــكُو المَــلامُ الى اللّوائِمِ حَــرَّهُ
ويَصُدُّ حَيْنَ يَلُحْنَ عن بُرَحَــائِهِ

قال أبو الفتح :

الملام : اللــوم • ويصدّ : يرجع • والبرحاء : الشّدّة والمشــقة • يقول : فاللوم يشكو الى اللوائم ما يلاقي من حرارة هذا القلب ، فهو يرجع عن التعرّض له اشفاقاً على نفسه أن تحرقه حرارته • ضربه مثلاً ، لأن اللوم

---

(٨) وجاء في الشرح المنسوب الى العكبري ، ١/٢ :
يقول : حبّ الأحبة في سويداء قلبي لا يفارقني ، وعذل العواذل خارجه، فاللوم لا يصل إليه ، وفيه نظر الى قول عبيدالله بن عبدالله بن عتبــة .
[ثم ذكر البيت : تغلغل حيث لم يبلغ شراب ...]
وقال أبو المرشد سليمان بنعلي المعري في كتابه « تفسير أبيات المعــاني من شــعر أبي الطيب المتنبي » ص١٧ :
قال الشيخ أبو العلاء ، عَذْل وعَذَل ، والتحريك في هذا الموضع أحسن، لأنه اقوى في السمع والغريزة . ويقال : عذلت فلاناً فاعتـــذل ، أي : لام نفسه ، « معتذلات سهيل » أيام شديدات الحر تجيء قبل طلوعه أو بعده ، وبعض الناس يرويها «معتدلات» بالدال . اي انهن استوين في شدة الحر ، وأما بالكف عنه . وقوله : «التائه» جاء بالهاء الأصلية مع تاء الاضمار في القوافي ، وربما فعلت الشعراء ذلك وهو قليل . ومنه قول الانصاري:

أبلــغ أبا عمــرو احيـ ... ـحة والخطوب لها تشابه
أني أنــا الليــث الذي ... تخشى مخالبــه ونابـــه

وسوداء القلب وسويداؤه وسواده ، واحد : وهي علقة دم أسود تكون فيه.

على الحقيقة لا تصحّ منه الشكوى ، ولا الصدّ ، وأكثر كلام العرب إذا تفطنت له هكذا ، ألا ترى الى قول كثير :[٩]

ذهـوب بأعنـاق المئـين عطـاؤه
غلـوب على الأمـر الذي هـو فاعلـه

فهذا كقوله أيضاً :

غَمرُ الـرّداء إذا تَبَسّمَ ضاحكـاً
غَلِقَتْ لِضِحْكَتِهِ رقابُ المال[١٠]

وقوله « غمر الرّداء » إنما يريد سعة عطائه ، وإن كان ضيق الملاءة •

وأطال في الاستشهاد بمثل ذلك • ولو جعل موضع الاستشهاد « رقاب المال » كان أوْلى ، لأن « غمر الرداء » إنما هو من غير هذا الباب •

قال الجوهري : رجل غمر الخلـق وغمر الرداء ، إذا كان سـخيّاً بين الغمورة من قوم غمار وغمور • وأنشد بيت كثير هذا •

وقال زيد بن رفاعة :

أي : يشـكو العذل تعذر وصوله إليّ • و « حرّة » ، أي : حـرّ المـلام ، استعارة ، ويحتمل حرّ القلب ، وكذلك « الهاء » في « برحـائه » للقلب •[١١]

---

(٩) كثيّر عزّة : هو كثير بن عبدالرحمن بن الاسود بن عامر الخزاعـي ، أبو صخر ، شاعر متيم مشهور ، من أهل المدينة ، أكثر اقامته بمصر ، اختص بعبدالملك وبني مروان وهم يعظمونه ويكرمونه . كان قصيراً دميماً ، وكان عفيفاً في حبه لعزّة بنت جميل بن وقاص الضمرية ، توفي سنة ١٠٥ هـ . أخباره في الأغاني : ٢٥/٨ ، والوفيات : ٤٣٣/١ وشذرات الذهب: ١٣١/١ وعيون الاخبار :١٤٤/٢ وخزانة البغدادي:٣٨١/٢ والشعروالشعراء:١٩٨

(١٠) انظر للسان مادة (خمر) . وأنظر ديوان كثير .ت. هنري بيريه ص٩٠ ، وهذا البيت من قصيدة يمدح بها عبدالعزيز بن مروان .

(١١) قال الواحدي في شرحه : ٥٠٧ ،

يقول ، اللوم يشكو حرارة قلب العاشـق الى من يلومه ، فيقول : لا



٣ـ وبِمُهْجَتي يا عَاذِلي المَلِكُ الّذي
أسْخَطْتُ كُلَّ النّاسِ في إرْضَائِهِ(١٢)

قال أبو الفتح :

المهجة : خالص النفس ، وقوله « يا عاذلي » بعد ذكره «العواذل» والعاذل : جمع عاذلة ، والعاذل واحد مذكّر ، وإنما جاز ذلك لأنه أراد يا مَنْ يعذلني ، و « مَنْ » تقع لإبهامها للمذكر والمؤنث والواحد والاثنين والجمع . فكأنه قال : يا مَنْ يعذلني ، أو كأنه خاطب واحدةً من العواذل فقال : يا عاذلي ، أراد يا انساناً عاذلي . والانسان يقع على الرجل والمرأة، وكنّى بالحبيب هنا عن سيف الدولة .

توجهني اليه فاني أخاف حرارة قلبه ، وإذا لمته أعرض الملام عما في قلبه من برحاء الهوى وشدة الحرارة ،يعني أن قلبه لا يقبل اللوم واللوم لايطيق أن يرد قلبه لما فيه من الحرارة . وكل هذا مجاز وتوسع .

وقال أبو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده المرسي الاندلسي في كتابه « شرح مشكل أبيات المتنبي » ص٢٥٤ :

أي : ان الملامة لا تتعدى سمعي ولا تصل الى فؤادي لان حره يمنعها من ذلك فهي تتفادى منه ، ويعتذر الى اللوام في قصوره عن الوصول إليه بما يتوقعه من ناريته ، والكلام شعري لا حقيقة ، لان الملام عرض والعرض غير حاس فيشكو ، وإنما تشكو الجواهر ما يلحقها من العرض وشبه أبوالفتح هذا في الاستعارة بقول كثير « ذهوب بأعناق ... البيت » و « يصمد حين يلمن عن برحائه » : مثل ما تقدم ، والبرحاء ، الشدة .

وقال الشيخ أبو العلاء رحمه الله نقلا عن كتاب « تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي » لأبي المرشد سليمان بن علي المعريص١٧ :

« المعنى : ان الملام يشكو اللوائم اللائي يلمن هذا المحب لأنه إذا وقع في سمعه صار الى قلبه ، فوجد حررة شديدة ،وهو من دعوى الشعر المستحيلة » .

(١٢) رواية أبي الفتح في كتابه «الفسر» « اسخطت اعذل منك في إرضائه » مكان « كل الناس » .

ومعناه : أنا أفدي بنفسي من لم أسمع فيه عذل من هو أعذل منك ، فكيف أصغي الى قولك ، أي : لم أدَعْ سيف الدولة وأجب من يستدعيني ويجتذبني إليه من سائر الملوك . وما أحسن ما مزج التشبيب بالمديح . هذا كلامه .

إذا نصب « الملك » كان بمعنى : أفدي . وإذا رفعه كان بمعنى : الملك مُفدّى بمهجتي . والذي قرأته على شيخنا أبي الحزم مكي بن ريان رحمه الله ، بالرفع(١٣)

قال أبو الفتح بن جنّي : « قوله « يا عاذل » قوله : يا عاذلي بعد ذكره العواذل . والعواذل جمع عاذلة ،والعاذل واحد مذكر ، فانه جاز له ذلك لأنه أرداد : يا مَنْ يعذلني ، و « مَنْ » تقع لإبهامها على المذكر والمؤنث والواحد والاثنين والجمع ، فكأنه قال : يا من يعذلني ، أو كأنه خاطب واحدة من العواذل فقال : يا عاذلي ، وأراد إنساناً عاذلي ، والانسان يقع على الرجل والمرأة ، قالوا في قول الشاعر :

قامت تبكيه على قبره   مَن لي من بعدك يا عامر
تركتني في الدار ذا غربة   قد ذلّ مَن ليس له ناصر

أي : إنساناً ذا غربة ، ولها نظائر في كلامهم . هذا آخر قوله(١٤)

وأبو الفتح خرّج هذا تخريجاً صناعياً ، وهو قول مثله ، إلا أن الشاعر قال : « تركتني ذا غربة » فاحتمل له أن يقال : أراد انساناً ذا غربة . فأمّا قوله : « يا عَاذلي » ! فكيف يخرّج بقوله « يا مَن يعذلني فيقع على المذكر » وما بعده . وكذلك قوله « كأنه خاطب واحدة فقال : يا انساناً

---

(١٣) هذا الكلام لابن المستوفي
(١٤) من الملاحظ هنا أن ابن المستوفي أعاد ذكر كلام ابن جني من أجل مناقشته والتعليق عليه .

عاذلي » وعلّله بما ذكره • والذي يقرب أن يقال في ذلك : انه انصرف من الاخبار عن عذل العواذل الى مخاطبة العاذل المذكر ، وهو كثير في كلامهم • قال الله تعالى: «يوسف أعرض عن هذا واستغفري»(١٥) • وخاطبه للعاذل الذي عذله في معنى سيف الدولة أولى • إذ العواذل لم يعذلنه إلا على هوى أحبّته ، وهذا العاذل عذله على أن يترك مدحه ، أو على أن أقام عنده ولم يسافر الى غيره • فلا حاجة الى هذا التخريج •(١٦)

٤ــ إنْ كانَ قَدْ مَلَكَ القُلُوبَ فإنَّهُ
مَلَكَ الزَّمانَ بِأرْضِهِ وسَمائِهِ

قال أبو لفتح :

أي ليس هذا الحبيب كسائر الأحِبّة المعشوقين ، إنما يُحَبّ هذا لجلالة قدره وسُمُوّ أمره ، وقد ملك القلوب ، أي إذا كان قد ملك الارض والسماء فغير عجيب أن يملك القلوب ، وبالغ بذكر السماء ، وكأنه من قول الفرزدق:(١٧)

---

(١٥) الآية ٢٩ من سورة يوسف .

(١٦) قال الواحدي في شرحه : ٥٠٧

وترك النسيب وعدل الى المديح ، وعنى بالملك سيف الدولة . يقول : أفدي بنفسي من لم أسمع فيه عذل من هو اعذل منك ، أي : لم أدعه ولم آت غيره ، وأسخطت عاذلي في حبه وخدمته حتى أرضيته » .

وجاء في الشرح المنسوب الى العكبري : ٢/١ :

« المعنى : يقول ، لم أسمع فيه عذلا ، فقد عذلني من هو أشد عذلا منك فعصيته ، ولم آت غيره ، ورضيت خدمته ، واسخطت الخلق في رضاه .

(١٧) الفرزدق : همام بن غالب بن صعصعة الدارمي ، أبو فراس ، شاعر من النبلاء من أهل البصرة ، عظيم الأثر في اللغة ، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس ، من شعراء الطبقة الأولى في الاسلاميين وهو صاحب المهاجاة المعروفة بينه وبين جرير والأخطل توفي سنة ١١٠هـ في بادية البصرة ، أخباره في البيان والتبيين ، وابن خلكان : ١٩٦/٢ ومعاهد التنصيص ٤٥:١ وخزانة البغدادي : ١٠٥/١ والأغاني : ٣٢٤/٩ والشعر والشعراء ، ٤٤٣ .

أخــذنا بآفاقِ السَّــماءِ عليكُمُ
لنا قَمَراها والنجُومُ الطوالعُ[18]

ومثل هذا أيضاً قوله فيه :

فلو كان ما بي مــن حبيب مُقَنّع
عذرتُ ولكن من حبيب مُعَمَّمِ[19]

فجعله حبيباً على الوجه الذي ذكرت •

وقال الواحدي :

أي : إن كان مالكاً للقلوب بحبّه ، فإنّه مالك للزمان يصرفه على مراده• وبالغ بذكر الارض والسماء ، وأضاف الى الزمان ، لان الزمان يختلف ويدور بين الارض والسماء • و«الباء» في أرضه بمعنى «مع» •

وقال أبو البقاء :

وفي المعنى ثلاثة أوجه ، أحدها : ان هذا الحبيب ، وهو سيف الدولة لم تقتصر على محبّته القلوب له باعطائه وإحســانه ، بل أضاف الى ذلك ملك الزمــان بسيفه وبسطَةِ كَفّه ، وكنى بالأرض والســماء عن الاســتغراق والاستيعاب • والثاني : أنه أضاف الى رضاء القلوب بالعطاء إرضــاء أهــل الزمان بحسن التدبير ، ووضع الأشــياء مواضعها • والثالث : انه أرضَــى الخَلْق والخالق حتى أرضَى أهل السماء •[20]

---

(١٨) أنظر ديوان الفرزدق : ١/٤١٩ ، دار صادر بيروت . وهذا البيــت مــن قصيدة يمدح بها آباءه مطلعها :

منا الذي أختير الرجال سماحة ... وخيراً إذا هب الرياح الزعازع

(١٩) هذا البيت من قصيدة لمتنبي يمدح بها كافور مطلعها :

فراق ومن فارقت غير مذمم ... وأم ومن يممت خير ميمـم

(٢٠) لم أجد هذا التفسير الذي نقله ابن المستوفي من كتاب أبي البقاء في الكتاب المنسوب الى العكبري المطبوع وهذا يدل على أن كتاب التبيان الذي اعتمده

وفي هذه العبارة بُعْد عن لفظ البيت • والذي قاله أبو الفتح « أي : ليس هذا الحبيب كسائر الأحبّة المعشوقين ، إنما يُحبّ هذا لجلالة قدره وسموّ أمره ، فقد ملك القلوب » الفصل ، وهو الصحيح •

قال المطرّز :

يريد أن هذا الممدوح بخلاف سائر الأحبّة إنما يملكون قلوب المحبين ، وهذا ملك القلوب والأرض والسماء ، وذكر السماء ها هنا من اسرافاته واطرافاته •

٥ــ الشَّمْسُ من حُسَّادِهِ والنَّصرُ مِنْ
قُرَنائِهِ ، والسَّيْفُ مِنْ أسْمَائِهِ

قال أبو الفتح :

صَرّح في هذا البيت عن مراده • وقوله « السيف من أسمائه » يعني هذه اللفظة التي هي ألف لام سين ياء فاء • وليس يريد المُسَمّى بهذه اللفظة ، أعني جوهر الحديد ، لأن ذلك ليس باسم ، وإنما هو المُسَمّى • ومحال أن يكون جوهر الحديد نفسه من أسماء أحد •

قال المبارك بن أحمد :

وهذا المعنى قول المتنبي :

تَحَيَّرَ في سَيفٍ رَبِيعَةُ أصْلُهُ
وطَابعُهُ الرَّحمنُ والمجدُ صَاقِلُهْ[21]

ابن المستوفي ونقل قسماً من شروحه الى كتابه هذا إنما هو الكتاب الحقيقي للعكبري ، وان هذا المطبوع والمنسوب الى أبي البقاء العكبري إنما هو كتاب آخر لمؤلف آخر ، وهذا ما دعا الدكتور مصطفى جواد الى الشك في نسبته الى أبي البقاء كما أكد نسبته الى عفيف الدين علي بن عدلان المتوفى سنة ٦٦٦ هـ ، وقد مر بنا ذلك .

(٢١) هذان البيتان من قصيدة مدح بها سيف الدولة عند وصول رسول الروم عليه .

وَمَا لَوْنُهُ مما تُحَصِّلُ مُقْلَةٌ
ولا حَــدُّه مما تَجُسُّ الأَنامِــلُ

أي : ليس سيفاً على الحقيقة .

وقوله « والشمس من حُسّاده » : لأنه أرفع منها قدراً وأسْيَر ذكراً، فهي شمس ، ان تزول هذه الصفات عنه وتصير إليها . وهذا معنى قــول أبي البقاء ، وقيل لأنه أعظم أمراً منها في الدنيا . « والنصر من أقرانه » : لايفارقه ولا يزال مُظفَّراً . و« السيف من أسمائه » : أي : هذه اللفظــــة من بعض أسمائه ، أي : من هذه اللفظة من بعض أسمائه . ومَن يكون بهــذه الصفة كان معظّماً في النفوس.[٢٢]

٦ــ أيْنَ الثّلاثَةُ مِنْ ثَلاثِ خِصالِهِ
مِنْ حُسْــنِهِ وإبائِهِ ومَضَائِهِ[٢٣]

قال أبو الفتح :

يقول : أين حُسْن الشمس من حُسْنِهِ ، وأين النصر من إبائه ، وأين مضاء السيف من مَضَائِهِ ، أي : إذا أتى أمراً قصــر السيف عن عزيمتــه وإبائه ، وكأنه رجع في هذا البيت عمّا أعطاه في البيت الذي قبله . ولو قال:

---

(٢٢) قال الواحدي في شرحه : ٥٠٧ :

والشمس تحسده لأنه أعظم منها أثراً في الدنيا ، وأشهر منها ذكــراً ، والنصر قرين له أينما كان منصوراً ، والسيف من جملة أسمائه ، لأنه يعرف بسيف الدولة كما يعرف بعلي بن عبدالله » .

وجاء في كتاب « تفسير أبيات المعاني » لأبي المرشد سليمان المعري:١٨ :

قال الشيخ أبو العلاء : « السيف من أسمائه » يعني اللفظة دون جوهر السيف ، لأن الحديد جوهر ، ولا يكون أحد الجنسين في الآخر .

وجاء في الكتاب المنسوب الى العكبري : ١/٣ :

يقول : الشمس تحسده لأنه أعظم منها أثراً في الأرض ، وأشهر منها ذكراً والنصر قرين له أينما توجه والسيف من أسمائه، فهو ينسب بسيف الدولة»

(٢٣) رواية الواحدي والكتاب المنسوب الى العكبري «خلاله» مكان «خصاله»

« وأين » بالواو لكان أعذب ، لأن الواو تخلط الثاني بالاول ، ولا تجعل لأحدهما مزيّة على الآخر في التقدّم والتأخّر . وإذا لم يأت بالواو صار الكلام كأنه منقطع ، ألا ترى الى قول الراجز :

يا فَقْعَسا[٢٤] وأينَ منّي فَقْعَس

وقول الآخر :

إذا ما ظمئت الى ريقه جعلت المدامة عنه بديلا
وأين المدامة من ريقه ولكن أعلّل قلباً عليلا

ولو قال « أين المدامة » لم يكن له ماء ولا رونق .

وفي بعض حواشيه : أيْ أين النصر من إبائه ، لأنه أشدّ إباء للذل من النصر ، وهذا قول غريب لأن النصر لا إباء له .

قال المبارك بن أحمد :

والصحيح : انه أراد : أين حُسن الشمس من حُسْنِهِ ، وأينَ النصر من إبائه ، أي : إمتناعه ، لأنه إذا أبى شيئاً كان أوْفى من النصر ، وأين مَضاء السيف من مضائه لأن السيف ربّما نبا أو كَلّ ، وهو لا ينبو ولا يَكِلّ . وغلّب التذكير على التأنيث بقوله : « أين الثلاثة ؟ » . وغلّب التأنيث على التذكير بقوله : « مِن ثلاث خصاله » . « الثلاثة » الثانية كلّها مذكّر ، لكنه أضافها الى الخصال ، فحذف التاء وجعل « الحسن » خصلة ليسمى بها مجازاً .

وقال أبو البقاء :

وقالوا : وكان الأحسن أن يقول « وأين » بالواو ، ليختلط بهذا البيت

---

(٢٤) جاء في اللسان ، «فقعس» حي من بني اسد ابوهم فقعس بن طريف بن عمرو بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن اسد . قال الأزهري : ولا ادري ما اصله في العربيد ، مادة/فقعس » .

بما قبله ،ويتعيّن صرفه إليه ، وإذا حذف الواو كان كالمستقلّ بنفسه ، وله نظائر في الشعر بالوار وحذف الواو . وحذف الواو هاهنا يسير لا يضعف المعنى به لأنه مذكور عقيب الأشياء الثلاثة . وفي «الثلاثة» الالف واللام ، وهما للمعهود السابق ، فنزل ذلك منزلة الواو ، وأعاد «من» مع البدل »[٢٥]

والذي قاله أبو الفتح أولى وأكثر في الشعر . والبيتان اللاميان للعباس بن الأحنف بن الاسود .

٧ـ مَضَتِ الدُّهُورُ وما أتَيْنَ بِمِثْلِهِ
ولَقَدْ أتَى فَعَجَزْنَ عن نُظَرائِهِ[٢٦]

واستزاده سيف الدولة فقال :

٨ـ القَلْبُ أعْلَمُ يا عَذُولُ بِدائِهِ
وأحَقُّ مِنْكَ بِجَفْنِهِ وبِمائِهِ

قال أبو الفتح :

فهو يصرف الدمع حيث يريد لأنه مالكه ، و«الهاء» في «مائه» تعود على الجفن ، ويجوز أن تعود على القلب ، وفيه بُعْد .

---

(٢٥) لم أجد في الكتاب المنسوب الى العكبري ما ذكره ابن المستوفي من شرح لأبي البقاء العكبري ، لكن الكتاب المنسوب للعكبري ذكر كلام الواحدي بنصه كما سيرد في السطور التالية ،وهو في الأصل من كلام ابن جني :
وقال الواحدي في شرحه : ٥٠٧ :
يقول أين حسن الشمس من حسنه وأين النصر من إبائه ، أي : انه أشد إباءً للذل من النصر ، وصاحب النصر يأبى الذل ، وأين مضاء السيف من مضائه ، أي : انه أمضى من السيف » .

(٢٦) جاء في الشرح المنسوب الى العكبري ، ١/٣ :
يقول : ما مضى من الزمان ما كان فيه مثله ، فلما جاء في عصره عجز الزمان عن أن يأتي له بنظير .

قال أبو البقاء :

و«الهاء» في «دائه» للقلب ، وفي جفنه و«مائه» أيضاً . ويجوز أن تكون الهاء فيهما لصاحب القلب ، وأن تكون «الهاء» في «جفنه» لصاحب القلب ، وفي «مائه» للجفن .

قال المبارك بن أحمد :

أراد : أعلم منك لدلالة الثانية عليها . أي : القلب أعرف بحاله منك ، وأحقّ منك أن يفعل بجفنه ومائه ما يريد ، فيسهر جفنه ويجري دمعه ولا يمنعه من ذلك .

وقال الواحدي :

يقول للعاذل : القلبُ أعلم منك بدائه وما فيه من الهوى ، فهو يطلب شفاءه ، والقلب أحقّ منك بجفنه . وماء الجفن ، أي : ان شفاءه في البكاء وأنت تنهاه عن ذلك ، والقلب يأمر الجفن بالبكاء طالباً بذلك شفاء ما فيه من الهوى ، فهو أولى بذلك منك ، لأن القلب ملك البدن فهو يصرف الدمع حيث يريد .(٢٧)

٩ـ فَوَمَنْ أُحِبُّ لأعْصِيَنَّكَ في الهَوَى
قَسَماً به ، وبِحُسْنِهِ وبَهَائِهِ

قال أبو الفتح :

«الفاء» للعطف ، و«الواو» للقسم ، و«المعصي» العذول ، والقسم به : المحبوب ، حلف بمحبوبه وبحسنه وبهائه : انه لا يطيع عاذله في هواه .(٢٨)

---

(٢٧) نقل الكتاب المنسوب الى أبي البقاء العكبري ، والذي هو لابن عدلان

(٢٨) قال الواحدي في شرحه : ٥٠٨ :

أغلب ما ذكره الواحدي في شرحه . ولم أجد فيه ما ذكره ابن المستوفي من كلام لأبي البقاء العكبري في شرح هذا البيت ، وهذا يدلل على ان الكتاب لغير

←

١٠ـ أأحِبُّـهُ وأُحِبُّ فيه مَلامَـةً ؟
إنَّ المَلامَـةَ فيه مِنْ أعْـدائِهِ

قال الواحدي :

معنى ان الملامة فيه من أعدائه : أن اللوم في حبّه عدوٌّ له . وتلخيص الكلام : ان صاحب الملامة (فيه من أعداء اللائم)[٢٩] من أعداء الحبيب حين نهى عن حبّه ، ومَن أحبّ حبيباً عادى عدوّه .[٣٠]

قال أبو الفتح :

يتعجّب من تكليف العذول له استماع ملامـة فيمن يحبّه ، وكأنه في هذا البيت ناقضَ أبا الشيص[٣١] وردّ قوله . وقوله :

أبي البقـاء العكبري .

« الفاء » للعطف ، و« الواو » للقسـم . أقسم بالحبيب انه لا يطيـع عاذلـه فيه .

جاء في الكتاب المنسوب للعكبري : ١/٤ :

يقول : قسماً بهذا المحبوب لأطعت فيه عاذلاً ، وكيف أقسم بحسنـه ونور وجهـه ؟

(٢٩) ربما تكون العبارة المحصورة بين القوسين مختلة وفيها اضطراب ، ولـو حذفناها ووضعنا محلها عبارة « وهو اللائم » لاستقام المعنى ووضح المراد، كما سيرد ذلك في شرح الواحدي المذكور في الهامش .

(٣٠) أنقل هنا كلام الواحدي من كتابه : ٥٠٨ ليتبين الاختـلاف بينه وبين ما نقله ابن المستوفي في تقديم وزيادة بعض الالفاظ . وهذا نصه :

« يريد ان معنى الملامة : النهي عن حبه ، ولا اجمع بين حبه وبين النهي عن ذلك ، وأراد أن يناقض أبا الشيص في قوله :

أجد الملامة في هـواك لذيذة حباً لذكرك فليلمني اللوّم

ومعنى : « أن الملامة فيه من أعدائه » ان اللوم في حبه عدوّ له، وتلخيص الكلام : ان صاحب الملامة ـ وهو اللائم ـ من أعداء هذا الحبيب حين ينهـي عن حبه ومن أحب حبيباً عادى عدوه .

(٣١) أبو الشيض : هو محمد بن علي بن عبدالله بن رزين بن سليمان بن تميم الخزاعي ،شاعر مطبوع سريع الخاطر رقيق الألفاظ من أهل الكوفة ، وابو

←

أجِدُ الملامــةَ في هــواكَ لــذيذةً
حُبّاً لِذكرِكَ فَلْيَلُمْنِي اللُّوّمُ[٣٢]

وقال أبو البقاء :

« من أعدائه » في موضع رفــع ، وفيه وجهان : تقديره : واقعــة على أعدائه ، أي : لا تصدر إلا من عدوّ محبوبه ، فكيف أطيع عدوّه ؟ والثاني: تقديره : من جملة أعدائه ، وجعل الملام عدوّاً على المجاز والسعة ، كما جعل شاكياً حرّ القلب في أوّل الأبيات[٣٣]

والمعنى : لا أجمــع بين محبّته ومحبّة اللّوام فيه ، ولم يقصر في هذا المعنى عن قول أبي الشيص :

أجد الملامة في هواك لذيذةً   حبّاً لذكرك فليلمني اللوّم

الشيص لقب له ، وكنيته أبو جعفر وهو ابن عــم «دعبل» عمى في آخــر عمره ، انقطع الى أمير الرّقة « عقبة بن جعفر » وقتله خادم عقبة في الرقة سنة ١٩٦هـ . أخباره في فوات الوفيــات : ٢/٢٢٥ والبــداية والنهاية ، ١٠/٢٣٨ والشعر والشعراء ٣٤٦ وسمط اللآلي ٥٠٦ ومعاهد التنصيص: ٤/١٧٤ .

(٣٢) انظر الشعر والشعراء : ٢/٧٢٢ ، والعقد الفريد ، ٥/٣٧٤ والصنــاعتين ١٢٩ والأمالي : ١/٢١٥

وقد ذكر هذا البيت مع ابيات قالوا انها من جيد شعره ، مطلعها :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي   متأخــر عنه ولا متقــدم

(٣٣) جاء في كتاب ابن عدلان والمنسوب خطأ الى العكبري : ٤/١

يقول : لا أجمع بين حبه وبين النهي عنه ، يريد النهي عن حبه ، وقد ناقض قول أبي الشيص ، وأين الثرى من الثريا في قوله :

أجد الملامة في هواك لذيذة   البيت ... »

[والمتابع لهذا الكلام المنسوب للعكبري في الكتاب المطبوع يجد الاختلاف واضحاً بين هذا وبين الكلام الذي ذكره ابن المستوفي في المتن للعكبــري، وهــذا دليل آخر على ان الكتاب إنما هو لابن عــدلان كما يقول الدكتور مصطفى جواد] .

لأن أبا الشيص كان يغفل عن ذكر محبوبته في وقت فيذكرها باللوم ، وأبو الطيب يدّعي انه لا يغفل عن ذكر هـذا المحبوب فيتمخّض اللّوم فيه أذىً وهو في المعنى كقولهم : لستُ أنساه فأذكره • وهذا الذي ذكره أبو البقاء لا يدلّ عليه بيتا أبي الشيص وأبي الطيب ولا هما منه في شيء ، وأبو الشيص ذكر العلّة الموجبة للذّة الملامـة ، وأبو الطيب ذكر العلّة الموجبـة لبغض الملامة ، ولم يتعرّضا الى الذكر والنسيان في شيء من بيتيهما•[٣٤]

١١ـ عَجِبَ الوُشَاةُ مِنَ اللّحاةِ وقَوْلِهِمْ
دَعْ مـا نَرَاكَ ضَعُفْتَ في إخْفـائِـهِ

« الواشي » : الذي ينمّق الكلام • و «اللّاحي » : الذي يُغْلِظ في القول • أي ليس عنده إلا واش أو لاح فعجب الوشـاة من تكليف اللحـاة له ما لا يستطيعه ، لأنه أضعف عن اخفائه ، فهو على تركـه أضعف ، قالـه أبو الفتح[٣٥]

---

(٣٤) قال أبو القاسم عبدالله بن عبدالرحمن الاصفهاني وهو ممن عاصـر ابن جني وروى أخباراً عن المتنبي في كتابه « الواضح في مشكلات شـعر المتنبي » ، يرد على ابن جني في تفسير هذا البيت : ص٢٨ :
« أما معنى المتنبي فبخلاف قول أبي الشيص ، وانما يريد المتنبي ، إني أحب حبيبي ، واللوّام ينهون عنه ، فكيف نأتلف ؟. وأبو الشيص يريد بقوله : أحب اللوام لا لنهي عن هواك ، بل تكرر ذكرك في تضاعيف الكلام، وأثناء الملام .»

(٣٥) من المناسب أن ننقل هنا كلام قسم من شراح هذا البيت ليتبين لك انتقال تناول المعنى من ابن جني الى من جاء بعده :
قال الاصفهاني في كتابه الواضح : ٢٨ :
« المعنى محجوب/وإذا جاءت العبارة ولم تكشفه بقي المعنى في حجابه . وقول أبي الفتح مشاكل لقول المتنبي بلا تفسير . وانما المعنى : ان الوشاة عجبوا من اللاحين حيث كلفوه للصبر عن خلته وهو ما لا يستطيعه ، فكان عجبهم انهم طلبوا منه ما لايقدر عليه ومثله قول البحتري :

←

١٢ــ ما الخِــلُّ إلاّ مَنْ أوَدُّ بِقَلْبِهِ
وأرَى بِطَــرْفٍ لا يَرَى بِسَوَائِهِ

قال أبو الفتح :

ليس لك خليل إلاّ نفسك ، فلا تلتفت الى قول أحد : اني خليل لك ، أي : قد فسد الزمان ، وهذا كقوله أيضاً :

خَلِيلُكَ أنت لا مَن قُلْتَ خِلِّي
وإن كَثُرَ التَّجَمُّلُ والكلامُ(٣٦)

وقال الواحدي :

وذكر كلام أبي الفتح والبيت :

تكلفني عنك العذول تصبراً واعوز شيء ما يكلفنيه

وقال ابن سيده في كتابه « شرح مشكل أبيات المتنبي » : ٢٢٥ ،

« إنما عجب الوشاة من اللحاة في ذلك لأنهم كلفوه ترك ما يعجــز عــن اخفائه ، والاخفاء للحب امكن من تركه ، فاذا ضعف عن الأقل الذي هــو الاخفاء ــ وقد علم اللحــاة منه ذلك ــ فكيف يكلفونه الأكثر الــذي هــو السلوان . وقوله « ضعفت عن اخفائه » جملة في موضع المفعول الثاني ان كانت الرؤية علمية ، أو في موضع الحال ان كانت الرؤية حسية » .

وقال الواحدي في شرحه : ٥٠٨ :

« هذه اشارة الى انه ليس عنده إلا واشٍ أو لاحٍ ، فاللحاة يقولــون : دع هذا الحب الذي لا يطيق كتمــانه والوشــاة يتعجبون من هذا القول لأنه إذا لم يطق كتمانه كان أعجز عن تركه »

وقال ابن عدلان في الكتاب المنسوب خطأ الى العكبري : ١/٤ :

يقول : ما أراه إلا واشياً أو لاحياً ، فاللحاة يقولون له ، دع الحبَ الذى ضعفت عن كتمانه ، والوشــاة يتعجبون من هذا القول ، لأنهم يكلفــونه ما لا يستطيع ، لأنه إذا ضعف في إخفائه ، فهو في تركه أضعف .

(٣٦) هذا البيت من قصيدة يمدح بها المغيث بن العجلي ، مطلعها :

فؤاد ما تسليه المدام وعمر مثل ما تهب اللئام

ويجوز أن يكون المعنى : ما الخلّ إلاّ من لا فـرق بيني وبينه ، فاذا وددت فكأنّي بقلبه أودّ ، وإذا رأيت فكأنّي بطرفه أرى.[٣٧]

وقال أبو محمد طاهر بن الحسـين :

« يقول : ما الخلّ إلا مَن أودّه بمثل قلبه الوادّ لي ، وأراه بالعـين التي يراني بها فنتجازى على المحبّـة . يعني : خليلك مَن وافقك في كـل شيء ، فيودّ ما وددْتَ ويرى ما رأيت » .[٣٨]

١٣ــ إنَّ المُعِيْنَ على الصَّبَابَةِ بالأسَى
أوْلى بِرَحْمَـةِ رَبِّهـا وإخـائِهِ

(٣٧) هذا الكلام الذي ذكره ابن المستوفي إنما هو كلام أبي الفتح بلفظه كما ورد في كتابه الفسر : ١/٥٤ وقال أبو الفتح بعد عبـارة « بطرفه أرى ــ أي : إنما يستحق أن يسمى خلاًّ من كان منك بهذه المثابة .
أما كلام الواحدي الذي لم يذكره ابن المستوفي فهذا نصه :
«سوى» : إذا فتح مدّ واذا كسر قصر ، يقول : ليس لك خليل إلا نفسك . الى ان يقول ، واذا رأيت فكأني بطرفه أرى » . ويضيف الواحدي:«يعني خليلك من وافقك في كل شيء فيودّ ما وددت ويرى ما رأيت » .
[وهذه العبارة وردت ــ كما رأيت ــ في كلام أبي محمد طاهر بن الحسين وقد ذكرها له ابن المستوفي في المتن]
وقال ابن القطاع :
« معناه : ما خلّي غير نفسي » ثم قال : « وقيل معناه : ما خليلي إلا الذي يبالغ في المودّة ، فكأنه يود بقلبي ويرى بعيني » . أنظر شرح المشـكل من شعر المتنبي لابن القطاع تحقيق الدكتور محسن غياض . مجلة المـورد م ٦ عدد ٣ سنة ١٩٧٧م .

(٣٨) قال ابن سيده في كتابه « شرح مشكل أبيات المتنبي » : ص٢٥٥ :
« أي : ما الخل إلا من يكون حظي من قلبه حظه من قلبه ، ويرى بالعين التي اراه بها ، فيقع التكافؤ في الحب والجلالة ، لأن حظي من فؤاده مقصـر على حظه من فؤادي وتعظيمه لي دون تعظيمي له ، وقد يجوز أن يعنـي بذلك التناهي في التشاكل والتناسب حتى كأنه هو جملة ، وإذا كان هـو إياه بالجملة فقلبه قلب خليله وعينه عينه ».

قال أبو الفتح :

الصّبابه : رِقّة الشوق ، وقوله « على الصبابة » أي : على ذوي الصبابة ، أي صاحب الصبابة ، فكأنه قال : ان المعين على الصبّ بالأسى — وهو الحزن — أوْلى بأن يرحمه ويكون أخاه • أمّا لأنه هو الذي جنى عليه ما جنى ، وامّا لأنه هو أعرف الناس بدوائه وأطبّهم بدائه • ويجوز أن يكون قوله « على الصبابة » أي : مما أنا فيه من الصبابة • وهذا القول كأنه أكشف من الأول • ويكون المعين في هذا ، أي : لا معونة عنده لي إلا إيراده على الأسى والحزن ، فيجري مجرى قولهم : عتابك السيف ، أي : لا عتاب عندك ، لكن السيف •

وقال غير أبي الفتح : فيه وجه آخر ، وهو ان الذي يعين المحبّ على صبابته بأن يحزن له ولا يعذله فيزيد في حزنه هو الأخ الشقيق المعين • هذا معنى كلام أبي البقاء •

وقال المبارك بن أحمد :

ان الذي يعين الصبّ على صبابته بأن يحزن له أوْلى بأن يرحمه ويواخيه ولا يعذله • وكان في كلام أبي البقاء طول واضطراب •

ويروى « بالأُسى » بضم الهمزة ، أي : ان الذي يعين المحبّ على صبابته يقول فيه : لك أسوة بفلان ، وفلان أولى بأن يرحمه ويخالّه •

وقال أبو العلاء :

يقول : ان الذي يعين على الصبابة بالأسى ، أي : بالحزن أولى برحمة ربّها • أي : كان لا ينبغي أن يفعل ذلك ، كأنه جعل عذله إياه زيادة في حزنه ، ويجوز أن يعني ذلك : يا عذول كان ينبغي أن تحزي لحزني ، كما يقال للرجل إذا منح صديقه شيئاً : ان الذي يعين خليله بالماء وقضاء الحاجة هو الذي يستحق أن يسمّى خليلاً ومؤاخياً •

وفي كلام أبي العلاء نظر . وموضع « على الصبابة » نصب باسم الفاعل على المفعول ، إذا كان بمعنى : أعنت عليه ، أي : ساعدت . وعلى الحال إذا كان بمعنى : معما أنا فيه .

ونقلت من كتاب الشريف المرتضى أبي القاسم علي بن الحسين الموسوي، الذي سمّاه « المصنف في تتبع ما ذكره أبو الفتح عثمان بن جني في كتابه المفرد لمعاني شعر المتنبي » قوله :

ذكر أبو الفتح فيما استخرجه من معاني شعر المتنبي على قافية الهمزة :

ان المعين على الصبابة بالأسى　　　أولى برحمةِ ربها واخائه

ثم قال مفسّراً البيت : أي : على ما بي من الصبابة وبالأسى ، أي : لا معونة لي عنده غير أن يوسيني ويحزنني ، فهذه معونته إياي ، ومثّل على الصبابة هنا بقول الأعشى :

* * *

★ واصْفَدَنِي على الزّمانةِ قائِدا ★[39]

أي : على ما أنا عليه من الزمانه ، وليس معنى « على الصبابة » هنا كقولنا : أعَنْتُ زيداً على عمرو ، لأنه لو أعانه على الصبابة لكان معه لا عليه ،،وأنت

---

(٣٩) أنظر ديوان الأعشى ص٦٥ بتحقيق د.م محمد حسين . المطبعة النموذجية بمصر ، والبيت بكامله ،

تضيّفته يوماً فقرّب مقعدي　　　واصفدني على الزمانه قائدا

وهذا البيت من قصيدة يمدح بها هوذه بن علي الحنفي وينم الحارث بن وعلة بن مجالد الرقاشي ، مطلعها :

وما خلت ان أبتاع جهلاً بحكمةٍ　　　واصبحت بعد الجور فيهن قاصدا

قد تراه يتظلّم في هذا البيت منه إلاّ أن يكون معناه : أعانني على الصبابة بأن زادني عليها حزناً .

قال المرتضى :

هذا كلامه بعينه في كتابه هذا المفرد :

ووجدت الذي في تفسيره لجملة شعر المتنبي كلاماً في هذا البيت ، فيه أدنى زيادة على ما ذكره ههنا فخرجت ذكرها أيضاً .

قال : هناك قوله « على الصبابة » ، أي : مع ذي الصبابة ، أي :صاحب الصبابة ، فكأنه قال : ان المعين على الصبّ بالأسى وهو الحزن أوْلى بأن يرحمه ، وإلاّ ظهر في معنى هذا البيت غير ما ذكره مما لا يحتاج معه الى التكلف والتحمّل اللذين استعملهما ، ومعنى المعين على الصبابة ههنا: الزائد فيها ، والملهب لها . وهذه اللفظة تستعمل على وجهين مختلفين ، لأنهم يقولون: أعان على المرض : إذا توصّل الى إزالته وبرئه . ويقولون أيضاً : أعان على المرض : إذا قوّاه وزاد فيه . ألا ترى انهم يقولون : فلان يعين على مرضه بتخليطه في مأكله ، يريدون : الزيادة فيه . فاللفظة محتملة كما ترى . وإنما يخلص لأحد المعنيين بحسب موقعها ، فلو قال : « ان المعين على الصبابة » لم يفهم إلا أن يعين على نقصانها والسلوة عنها ، فاذا أطلق اللفظ احتمل الأمرين . وفي البيت تقييد ينفي الاحتمال ، وتحقيقه بما ذكرناه ، لأنه قال : ان المعين على الصبابة بالأسى وهو لا يكون معيناً على إزالتها ونقصها بالأسى الذي هو الحزن ، لأن ذلك يزيد فيها ويقوّيها ، فعلمَ انه أراد المعنى الآخر ، وهو الزيادة . يقال : فلان يعين على مرضه بتخليطه ، فإن قيل فَعَلى هذا يجب أن يكون قول القائل : أعنت على زيد ، محتملاً مثل قوله : أعنت على المرض . ومعلوم خلاف ذلك ، والجواب عن هذا أنّ قول القائل : أعنتُ على زيد خالص للمساعدة على مكروهه ، لأنه لم يتعارف استعمالُ هذه اللفظة في

المعونة على محبوبه في موضع من المواضع ، وليس كذلك قولهم : أعنت على المرض ، لأنه قد يستعمل على ما ذكرناه في الزيادة والنقصان معاً .

فأمّا حمل أبي الفتح لذلك على نفي المعونة على سبيل التهكم كما يقول القائل : لا خير لي عنده إلا ظلمي وشتمي ، وما أشبه ذلك ، فغير صحيح .لأن المعذول عن الظاهر إنما يجوز عند الضرورة ، وتقدّر استعمال الظاهر . وقد بينّا أن المعنى صحيح مع حمل الكلام على ظاهره ، فأي حاجة بنا الى ذكر التهكم والتوسّع .

وقوله : لو أعانه على الصبابة ، لكان معه لا عليه صحيح ، وليس في البيت أنه أعانه على الصبابة فيفهم هذا المعنى ، وإنما فيه المعين على الصبابة وهو محتمل على ما تقدم من ذلك الاحتمال بقوله : « بالأسى » ، وقوله : أراد بالصبابة ذا الصبابة تجوّز وتوسّع وخلاف للظاهر من وجه آخر .ولاقتضى حذفاً في الكلام تعلّق المعنى به ، وإذا أمكن تصحيح المعنى من غير حذف ولا زيادة تلحق بالكلام كان أولى .

وإن قيل : أشار أبو الفتح الى المعنى الذي اخترعتموه في قوله إلا أن يكون معناه أعانني على الصبابة بأن زادني عليها حزناً . قلنا : لا يفهم من هذا ما ذكرناه ، لأن أحداً لا يقول : أعانني على الصبابة بأن زادني عليها حزنا ، إلاّ تهكّماً ، أو على سبيل النفي للمعونة على الوجه الذي ذكره هو متقدماً، وأفرد هذا الفصل عنه على أنه مخالف له ، فإن كان أراد بقلبه ما ذكرناه فلم يحسن العبارة عنه ، وكان يجب أن يقول مكان قوله : أعانني على الصبابة ، أعان عليها . ولو قال ذلك لأصاب ، وكان هو الوجه الذي لا يحتاج الى سواه . فإن قيل : ألا كانت « الباء » بـ « الأسى » زائدة ، ويكون التقدير ان المعين للأسى على الصبابة ، قلت : ذلك جائز في وجوه يتصرف إليه العربية، وإن كان إلغاء شيء من الكلام ونسبه الى الزيادة لا يستعمل إلاّ عند

الضرورة الشديدة • إلاّ أنّ السؤال مع هذا باقٍ ، لأن الأسى إذا كان هو الحزن ، والصبابة محزنة أيضاً فأيّ معنى يذكر معونة الأسى على الصبابة ومعناهما واحد • والشيء لا يُعان على نفسه ، وعلى ما هو في معناه • وعلى أن قول المعين على الصبابة يقتضي أن يكون ناقصاً منها ومسلياً عنها على ما فرضه ابن جنّي • والأسى : الذي هو الحزن يزيد في الصبابة ولا ينقص منها ، فهو معين لها لا عليها • فإن قيل : ألا كان قوله « على الصبابة » حالاً من المعين، أي : أعان عليها في حال كونه على الصبابة • قلنا أيضاً : هذا تجوّز في قسمة وجوه الاعراب • ويبقى السؤال : وهو أن يقال : كيف يعين بالأسى وهو الحزن وذلك فيما لا معونة بمثله ؟ فإن قيل : ألا كان قوله « بالأسى » حاكماً للمعين ، كأنه قال : ان المعين على الصبابة وهو الأسى أوْلى بكذا وكذا • قلنا : هذا يجوزفي العربية ! والسؤال باقٍ معه ، لأن له أن يقول : لو أعانه على الصبابة لكان معه لا عليه ، وناقصاً من صبابته لأنه زائدة فيها مما كان يتظلّم منه كما ترى في الكلام ويتألّم •

قال المبارك بن أحمد :

أطال الشريف المرتضى رضي الله عنه واعترض ، ودلّ على قدرة عنده على التحقيق وقوّة تقف به من البيان على واضح الطريق • والذي أراه انه: يجوز أن يكون أراد بقوله :

ان المعين على الصبابة بالأسى   أوْلى برحمة ربها وإخائه

أن الذي أعان على صبابته ، أي : حمل عليها وزاد بالأسى ، أي : بما حزنه أولى برحمته وبإخائه ، فهو قريب من قوله :

ان الذين بخير كنت تذكرهم   هم أسلموكَ وعنهم كنت أنهاكا

لا تطلبنّ حيـاة عند غيرهـم فليس يحييك إلا مَن تَوَفّاكا[٤٠]

١٤ــ مَهْلاً فإنّ العَذْلَ مِن أسْـقَامِهِ
وتَرَفّقـاً فالسَّمْعُ من أعضـائِهِ

قال أبو الفتح :

يقول لعاذله مهلاً • أي : ارفق بربّ هذه الصبابة ، يعني نفسه ، فان العذل أحد أسقامه ، لأنه كثير الاسقام • فعذلك إياه أحدها • وترفّق به فان

(٤٠) قال الواحدي في شرحه : ٥٠٨ :
يجوز أن يكون قوله « على الصبابة » : أي : مع ما أنا فيه من الصبابـة كما قال الأعشى :

* واصفدني على الزّمانه قائدا *

أي أعطاني مع ما كنت أقاسيه من الزّمانه قائدا ، ويكون المعنى: ان الذي يعين مع ما أنا فيه بايراد الحزن عليّ باللوم أولى بأن يرحمني فيرق لـي ويؤاخيني فيحتال في طلب الخلاص لي من ورطة الهوى ، وهـذا في عـراض قول أبي ذرّ « ان كنت ناصحه فداو سقامه » . وجعل ايراده عليه الحـزن عوناً على معنى انه لا معونة عنده إلا هذا كما قالوا ، عتابك السيف وحديثك الصمم ، اي : وضعت هذا موضعه . ويجوز أن يكـون المعنى : على ذي الصبابة ، أوصاحب الصبابة ، فيكون من باب حذف المضاف .
[وقد ذكر ابن عدلان في الكتاب المنسوب الى العكبري كلام الواحـدي هـذا بلفظه]
وقال أبو القاسم عبدالله بن عبدالرحمن الاصفهاني في كتابه الواضـح : ص٢٩ : ردآ على أبي الفتح بعد أن ذكر كلامه المذكور في المتن في كتابه :
« معنى بيت المتنبي : ان الذي يصبرني على ما بي من الشوق والهـوى ولا أستطيعه ، هو أولى بأن يرق لي ويساعدني على شجوي » .
وقال ابن سيده في كتابه شرح مشكل أبيات المتنبي : ص٢٥٦ ،
« أي : معيني على الصبابة من أعان بالمواساة لا بالملام ، فانّ راحـم ذي الصبابة مواسيه بالعذر لا لائمه » .

السمع من أعضائه ، أي : لا تعنف عليه بالعذل فيذهب سمعه في جملة أعضائه الذاهبة ، فإنك إنْ لم ترفقْ ذهب سمعه فلم يسمع لك عذلاً»[٤١]

وقال أبو العلاء :

هذا مجاز واتساع ، لأن السمع ليس من الأعضاء ، ولكنه يحمل على انه أراد : موضع السمع من أعضائه ، أي : الأذن .

قال الجوهري :

السمع سمع الانسان يكون واحداً وجمعاً لقوله تعالى : « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم »[٤٢] . لأنه في الاصل مصدر قولك : سمعت الشيء سمعاً وسماعاً ، ويجمع على اسماع . فعلى هذا يجوز أن يكون من الأعضاء .[٤٣]

---

(٤١) قال الواحدي في شرحه : ٥٠٩ :
« يقول للعاذل : دع العذل فإني سقيم لا احتمله ، والعذل من جملة أسقامي لأنه يزدني سقماً ، وأرفق في عذلك فانك ترى ضعف اعضائي ، وانها لا تحتمل أذى ، والسمع من جملة اعضائي ، فلا تورد عليه ما يضعف عن استماعه .
[وذكر ابن عدلان شرح الواحدي هذا بأغلب لفظه ولم يشر الى قائله بشيء ، كما ذكر قسماً من شرح أبي الفتح ، وذلك في الكتاب المنسوب الى العكبري] .

(٤٢) الآية ٧ من سورة البقرة .

(٤٣) قال ابن سيده في كتابه ص٢٥٥ :
« ان العذل يسقمه كما يسقمه الحب فهو نوع من اسقامه ، وترفق في عذلك فإن السمع الذي يقرعه عذلك من جملة أعضائه ، فان عنفت به في العذل اختل سمعه أو ذهب ، وإنما قدر ذلك نافعاً له عند من عذله ، لأن العاذل لم يرد بعذله إفساد جوهره وانما أراد اصلاحه ، فيقول ، ان لم تترفق عاد ما حاولته من اصلاحي افساداً لي » .
والسمع : يجوز أن يكون مصدراً ، إلا انه اذا كان مصدراً فليس من

←

١٥ــ وَهَبِ المَلامَةَ في اللَّذاذَةِ كالكَرَى
مَطْرُودَةً بِسُهَادِهِ وبُكائِهِ

قال أبو الفتح :

إجعل ملامتك إياه في التذاذ لها كالكرى في لذّته ، فاطردها عنه بما عنده من السهاد والبكاء ، أي : لا تجمع عليه اللوم والسهاد والبكاء ، أي: فكما ان السهاد والبكاء قد أزالا كراه فلتزِل ملامتك إياه .(٤٤)

وفي كتاب أبي البقاء :

اجعل الملامة إن كنت تلذها وتظنها نافعة للملوم مثل النوم فانه يلتذّ به ، ومع ذلك فالمحب قد حرم النوم لشدّة شوقه وبكائه .

وفي حاشية : أي : الملامة وإن كانت نصيحة فلا يلتذّ بها العاشق كما لا يلتذّ بالنوم ولو قال « في ملامة المطرود بسهاده وبكائه » .

وفي نسخة : أي : هب انه يستلذّ الملامة كاستلذاذك النوم وهو مطرود عنك بِسُهاد العاشق وبكائه ، فكذلك دع الملام فإنه ليس بألذّ من النوم ، أي : فإن جاز أن لا تنام جاز أن لا تعذل . وقيل : لو أن الملامة مثل الكرى لأبعده عنه سهاده وبكاؤه .

أعضائه ، لأنه حينئذ حس والحس عرض ، والاعضاء جواهر ، والعرض لا يكون جزءاً للجوهر ، وإنما عنى موضع السمع من أعضائه . وقد يجوز أن يكون السمع اسماً للأذن ، سمي الحسها ، كما سميت العين بصراً في بعض المواضع ، وإنما البصر في أكثر المواضع حس » .

(٤٤) نقل ابن القطاع الصقلي كلام أبي الفتح ابن جني هذا الى شرحه بلفظه ولم ينسبه اليه ، انظر شرح المشكل من شعر المتنبي لابن القطاع الصقلي تحقيق د. محسن غياض : مجلة المورد م ٦:ع/٣: سنة ١٩٧٧

والذي أراه : انه لا يجوز أن تنسب لذاذة الملامة الى اللائم ، بل الى الملوم ، فيستقيم المعنى ، أي لو انها عند العاشق كلذّة النوم عنده لطردها كما طرد النوم بسهاده وبكائه .

قال الواحدي : وحكى كلام أبي الفتح :

هذا كلام مَن لا يفهم المعنى ، فظنّ زوال الكرى من العاشق ، وليس كما ظنّ ، ولكنه يقول للعاذل : هَبْ أنك تستلذّ الملامة كاستلذاذك النوم، وهو مطرود عنك بسهاد العاشق وبكائه ، فكذلك دع الملامة فإنه ليس بألذّ من النوم : أي : فإن جاز أن لا تنام جاز أن لا تعذُل . هذا كلامه .

هذا كلام غير مستقيم مع زوال الكرى أن يكون من العاشق ، ثم جعله مطروداً عنه بسهاد العاشق ، فعاد الى ما فرّ منه ، ولم يأتِ بالمعنى .

وبعد أن كتبته طالعت كتاب أبي اليمن الكندي ، وقد قال : هذا البيت أطال فيه ابن جنّي ، وردّ غيره عليه ، وكلا القولين غير خال من اضطراب . والذي عندي : انه يريد أن الكرى المستلذّ مطرود عنّي بالبكاء والسهاد ، فهب أنت الملامة اللذيذة عندك مطرودة عنك ككرى المطرود عني . هذا كلامه.

إذاً كان يرى العاشق مطروداً ببكائه وسهاده مع لذّته(٤٥)

(٤٥) قال ابن سيده في كتابه : ص٢٥٦ :
إن كنت تلتذ بالملامة فاجعلها كالكرى الذي قد عدمته وأنا على التذاذي به ، فكما نفاه عني سهادي وبكائي كذلك ينبغي لك أيها اللائم أن يسلبك عن ملامي الذي تلتذ به ما تراه من سهادي وبكائي ، فنعود سواء في امتناع الالتذاذ،ودعاه الى الاستئساء به في الصبر على عدم ما يلتذ به. و«مطرودة»: مفعول ثانٍ ل «هب» لأنها بمعنى (اجعل) المتعدية الى مفعولين . وإن شئت قلت : انه بدل من موضع «كالكرى» لأنه بمنزلة قولك : مثل الكرى .
وهذا القول أقوى .

١٦ــ لا تَعْذِرِ المُشْتاقَ في أشْواقِهِ
حتّى يكُونَ حَشَاكَ في أحْشائِهِ

قال أبو الفتح :

لا تعذر المشتاق حتى تجد ما يجد . وهذا كقول الآخر :

★ وانما يعرف العشاق من عشقا ★

قال أبو الفتح : الاشواق : جمع شوق ، فجمعه وإن كان مصدراً كما تقول : شغل وأشغال ، وحزن وأحزان وفكر وأفكار ، وهذا كثير جداً ، واذا جمعت المصدر فانما توقعه على النوع ، فأمّا الجنس فلا يصح جمعه لاستحالة ذلك في المعنى ، أي : فلا يعذر المشتاق(٤٦) .

١٧ــ إنّ القَتِيلَ مُضَرَّجاً بِدُمُوعِهِ
مِثْلُ القَتِيلِ مُضَرَّجاً بِدِمَائِهِ

تَضَرَّج بالدم : تلطّخ ، ونصب « مضرجاً » فيهما على الحال ، أمّا من كل واحد من ضمير القتيلين ، وامّا على تقدير : إذا كان مضرّجاً . والقتيل الأول المقارن للقتل ، ويجوز أن يراد بهما القتل على الحقيقة .

---

(٤٦) قال الواحدي في شرحه ص٥٠٩ :
يقول : لا تكون عاذراً للمشتاق حتى تجد ما يجد ، وهذا معنى قوله ، « حتى تكون حشاك في أحشائه » وهذا كقول البحتري :
إذا شئت أن تعذل الدهر عاشقاً على كمدٍ من لوعة الحب فاعشق

(٤٧) قال الواحدي في شرحه ص٥١٠
« يعني ان العشق مستعذب القرب كقرب المعشوق ، وان كان ينال من روح العاشق . والمعنى : ان العشق قاتل وهو مع ذلك محبوب مطلوب » .

وقال أبو الفتح :

ضرّجت الثوب : إذا صبغته بالحمرة خاصّة . وربما استعمله في الصفرة ، ونصب « مضرّجاً » في الموضعين على الحال . كأنه قال: ان القتيل إذا كان مضرجاً بدموعه مثل القتيل إذا كان مضرّجاً بدمائه . جعل جريان الدموع كجريان الدماء تعظيماً لها .

وكان : هنا بمعنى (وقع) ولا خبر لها ، كما تقول : هذا إذا كان بُسْراً أطيب منه رُطَباً .

١٨ـ والعِشْقُ كالمَعْشوقِ يَعْذُبُ قُرْبهِ
لِلْمُبْتلَى وَيَنالُ مِنْ حَوْبائِهِ

قال أبو الفتح :

يقول : العشق قاتل ، وهو مع ذلك محبوب مطلوب(٤٧)

قال المخزومي :

يقول : العشق محبوب كما ان المعشوق محبوب ، وكلاهما يطيب للمبتلى وكلاهما ينال من حوبائه وإن كان محبوباً.(٤٨) قال البحتري :

وما سَرَّنِي أنَّ قَلْبِي أُعِيْرَ
عَزَاءَ القُلُوبِ وسُلْوانَها(٤٩)

---

(٤٨) قال ابن سيده في شرحه لمشكلات المتنبي : ص٢٥٧ :
أي : العشق ملتذ محبوب ، كما ان المعشوق كذلك ، وكلاهما نائل من حوباء المبتلى وقاتل له . وقوله « العشق كالمعشوق » : جملة يفسرها ما بعدها من البيت ، كأنه لما قال ، « العشق كالمعشوق » قيل له : فلمه ؟ إو كيف ؟ ففسره للسائل ، فتقديره : العشق كالمعشوق في انهما يعذبان ويقتلان مع ذلك . [يلاحظ التشابه بين القسم الاول من هذا الشرح وبين قول المخزومي]
(٤٩) انظر ديوان البحتري : جـ١ ص٤٤٦ . دار صادر بيروت .

١٩ــ لَوْ قُلْتَ لِلدَّنِفِ الحَزِينِ فَدَيْتُهُ
مِمّا بِهِ لأغَرْتَهُ بِفِدَائِهِ

قوله « فديته » أي : يقول له : ليت ما بك من ضُرٍّ بي . وقوله : « لأغرته بفدائه » .

قال أبو الفتح :

« الدنف » : الشديد المرض ، ووجه إغارته إيّاه : الشحّ على محبوبه والخوف أن يحلّ أحدٌ محله منه ، فهو على ما به لا يسمح لأحد أن يفديه ممّا هو به من الضرّ والجهد .

وقوله « بفدائه » ، أي : بفدائك إيّاه . فأضاف المصدر الى المفعول ، وهذا كثير .(٥٠)

٢٠ــ وُقِيَ الأميرُ هَوَى العُيُونِ فإنَّهُ
ما لا يَزُولُ بِبَأْسِهِ وسَخَائِهِ

---

(٥٠) قال الواحدي في شرحه ص٥١٠ :
أراد بفدائك إياه ،أي : بأن تفديه فتقول له : ليتما بك من حزن الصبابة وبرح الهوى بي لأغرته ، أي : لحملته على الغيرة بهذا القول . وأضاف المصدر الى المفعول في قوله « بفدائه »

وجاء في كتاب ابن عدلان المنسوب الى العكبري :
« الدّنِف » ، الشديد المرض ، والدنَف (بالتحريك) : المرض الملازم ، ورجل دنف وامرأة دنف : يستوي فيه المؤنث والمذكر ، والتثنية والجمع، فإن كسرت النون قلت : « امرأة دنفة وثنيت وجمعت . وقد دنف المريض وإدنف : إذا اشتد مرضه ، وأدنفه المرض ، يتعدى ولا يتعدى ، فهو مدنَف ومدنِف .
[ثم ذكر المعنى الذي ذكره الواحدي وقبله ابن جني]

قال أبو الفتح :

يدعو له بالسلامة من الهوى لأنه ليس مما يدفع بالبأس والسّخاء ، أي : هو ألْطَف من ذلك.[51] وهذا قريب من قول جرير.[52]

يَصْرَعْنَ ذا اللبِّ حتّى لا حراكَ به
وَهُنَّ أضعف خَلْقِ اللهِ أركانا[53]

وقد أوضحه بقوله بعده .

وقال المخزومي :

أوضحه ، يقول : كل نائبة تنوبه يدفعها ببأسه وجوده ، فوقاه الله هوى العيون والحسان ، فانه لا يدفع بهما .[54]

٢١ـ يَسْتَأسِرُ البَطَلَ الكَمِيَّ بِنَظْرَةٍ
ويَحُولُ بين فُؤادِهِ وعَزائِهِ

---

(٥١) نقل الواحدي كلام أبي الفتح بأغلب لفظه الى شرحه ، وقد فعل ذلك صاحب الكتاب المنسوب الى العكبري .

(٥٢) جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي ، من تميم ، أشعر أهل زمانه ولد في اليمامة سنة ٢٨هـ ومات فيها سنة ١١٠هـ وعاش عمره يناضل شعراء زمنه ويساجلهم ، وكان هجاءاً مراً ، فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل ، وكان عفيفاً ، وهو من أغزل الناس شعراً ، أخباره في الاغاني : أول المجلد الثامن ، ووفيات الاعيان ١٠٢/١ والشعر والشعراء ١٧٩ ، وخزانة الأدب : ٣٦/١ .

(٥٣) انظر ديوان جرير بتحقيق د. نعمان محمد أمين طه : ١٦٣/١ ، دار المعارف بمصر .

وهذا البيت من قصيدة يهجو بها الاخطل ، مطلعها :

بان الخليط ولو طوعت ما بانا وقطعوا من حبال الوصل اقرانا

(٥٤) قال ابن سيده في كتابه ص٢٥٧ :

« أي : وقى هوى العيون ، وأما ما سواه فقد امنته عليه لأنه دافع عنه بباسه وسخائه ، وهوى العيون ما لا ينفع فيه بأس ولا سخاء ، وإنما أدعو له إن يوقى ما لا طاقة لجوده وباسه على دفعه .

أي : ان الهوى يستأسر الشجاع ويحجز بين قلبه وتأسّيه وصبره.(٥٥)

قال أبو الفتح :

ومعناه قريب من قوله عليه الصلاة والسلام : « حُبّكَ الشيءَ يُعْمي ويُصم » .(٥٦)

٢٢ـ إنّي دَعَوْتُكَ للنّوائِبِ دَعْوَةً
لم يُدْعَ سامِعُها الى اكفائِهِ

قال أبو الفتح :

ومعناه : اني دعوتك للنوائب وأنت فوقها وعال عليها ، وأبين من هذا انه أراد : انه دعاه لدفع النوائب عنه ، وهذه دعوة لم يدع سامعها وهو سيف الدولة الى اكفائه ، لأن النوائب وإن عظمت دونه وهو فوقها ، فليست من اكفائه لشجاعته وحروبه(٥٧) ، وهذا ضد قول أبي تمام :

---

(٥٥) قال الواحدي في شرحه ص٥١٠ :
يريد ان الهوى يأسر الرجل الشجاع حتى لا يقدر على الصبر والتجلد ، وإن كان بطلا شجاعاً وهذا قريب من قول جرير : « يصرعن ذا اللب ... البيت » .

(٥٦) نذكر فيما يأتي ما لم يذكره ابن المستوفي من كلام ابي الفتح في كتابه الفسر : ١/٥٩ :
« يستأسر » ، أي يأسر ، و« البطل » : الذي يبطل عنده دماء الاقران لشجاعته ، و« الكمي » : الشجاع الذي استقرت مواضع خلله ، اما بسلامته أو بشجاعته لتفانيه وحذقه . وكمى شهادته يكميها : إذا سترها ، وسمي كمياً لاستتار خلله ، كما قيل « بهمه » : لاستبهام امره على تربه ، فلا يدري من أين يأتيه . ومعنى البيتين من قوله عليه السلام :« حبّكَ الشيء يعمي ويصمّ » .

(٥٧) قال الواحدي في شرحه ص٥١٠ :
دعوتك لدفع النوائب عني دعوة سامعها لا كفؤ له فيدعى الى قتاله او مباهاته ، يعني سيف الدولة .

لا تدعــون نــوح بن عمــرو دعــوة
للخطب إلا أن يكون جليــلا[٥٨]

وأخذه البحتري :

يا أبا جعفر وما أنت بالمَدْعوّ إلا بكلّ أمرٍ كُبارِ[٥٩]

وهو معنى كثير .

٢٣ـ فأَتَيْتَ مِنْ فَوْقِ الزَّمــانِ وتَحْتِـهِ
مُتَصَلْصِــلاً وأمَامِــهِ ووَرائِـهِ

« متصلصلاً » : له صَلْصَلَة وحفيف لشدّة السرعة ، واستعار هذه الجهات للزمان مجازاً ، أي : انك حطتَ به من جميع جهــاته فمنعته أن يصل إليّ ، وحجبته عنّي . وهذا من قوله عزّ وجل : « فأتى الله بنيانهــم من القواعــد »[٦٠]

وقال ابن عدلان في الكتاب المنسوب للعكبري : ١/٧ ،
يقول : اني دعوتك لدفع الشدائد عني ، وأنت لم تدع الى كفء لك ، لانك لا نظير لك يدعوك الى قتاله ومباهاته ، وأنت فوق كل أحد » .
وقال ابن سيده في كتابه ص٢٥٧ :
أي : دعوتك لخطب ليس كفؤاً لك ، لأن كل خطب دونــك لا يَعزّك ولا ولا يغلبك . وإن شئت قلت: كل نائبة وان عظمت فهي دون أن يدعــى مثلك اليها ، ولو كنت لا تدعى من النوائب إلا الى ما أنت له كفؤ ما وجدنا ما يكون كفؤاً لك فندعوك اليه ، لكن لا بد أن ندعوك لما ناب وإن جلّ عنه خطرك وعلا قدرك .

(٥٨) انظر ديوان أبي تمام بشرح الصولي : ج٢/٢٩٦ . وهذا البيت من قصيدة يمدح بها نوح بن عمرو بن حوى السكسكي من كنده مطلعها :
يوم الفراق لقد خلقت طويلا لم تُبقِ لي جلَداً ولا معقولا

(٥٩) انظر ديوان البحتري ، المجلد ٢/٥٦ دار صادر . وهذا البيت من قصيدة يمدح بها إبا جعفر بن حميد ، ويستوهبه غلاماً . مطلعها :
ابكاء في الدار بعد الدّار وسُلوّاً بزينب عن نوار؟

(٦٠) الآية ٢٦ من سورة النحل .

وقال أبو الفتح :

وقوله من فوق الزمان وتحته وأمامه ووراءه ، استعارة لا حقيقة ، يريد إسراعه وجدّه في نصرته .[61]

٢٤ـ مَنْ للسُّيُوفِ بأنْ تكُونَ سَمِيَّهُ
في أصْلِهِ وفِرِنْدِهِ ووَفَائِهِ[62]

قال أبو الفتح :

« التاء » في « تكون » للسيوف ، أي : مَن للسيوف بأن تكون سيف الدولة لأنها سميّها ؟ وقريب من هذا قوله فيه أيضاً :

تظنّ سيوف الهند أصلك أصلها وانك منها ساء ما يتوهّم[63]

وعنى بـ « الفرند » هنا مكارمه ومحاسنه ومساعيه ، واستعار له الفرند لما كان يقع عليه سيف الدولة . وقالوا : « مَن » خبر عن السيوف ،

---

(٦١) قال الواحدي في شرحه ص.٥١ ،
متصلصلاً : له صلصلة وحفيف لسرعته ، والمعنى : احطت به دوني فمنعتني نوائبه ومنعته من الوصول إليّ ، كالشيء الذي يحاط به من جميع جوانبه صار ممنوعاً . والمعنى : حميتني من الزمان .
وقال ابن عدلان في الكتاب المنسوب للعكبري :
يقول : منعتني من نوائب الزمان بإحاطتك عليه من جوانبه ، كالشيء الذي يحاط عليه من جميع أركانه ، فصار ممنوعاً ، والمعنى : انك منعتني من الزمان ، وحميتني منه ، وفيه نظر الى قول الحكمي [أبو نواس] :
تغطيت من دهري بظلّ جناحه فعيني ترى دهري وليس يراني

(٦٢) رواية الواحدي ونسخ الديوان الأخرى ومنها المنسوب الى العكبري «سميّه» وانفرد ابن المستوفي برواية « سميها » ومعه أبو الفتح في كتابه «الفسر» .
(٦٣) هذا البيت من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ، وروايته في بعض النسخ « اتحسب بيض الهند اصلك أصلها » ومطلعها ،
انا منك بين فضائل ومكارم ومن ارتياحك في غمام دائم

أي : كيف لها ، أو مَن يكفَـلُ لها أن يكون سيف الدولـة ، أي : مثله فيما يذكـر .

وقال الواحدي :

قوله : تكون خبر عن السيوف وليست بمخاطبة . يقول : مَن يكفل للسيوف بأن تكون سَمِيَّ سيف الدولة ، أي مثلـه فيما ذكر . ـ ثم ذكر الفضل بينه وبين سيوف الحديد ـ . فقال : يكون من صلـة إن وَهَـى بعضها ، وبعضُ الصِّلَةِ لا يصحّ أن يكون اسماً ، فيكون جزاء كأن الأول مأخوذ من هذا ، وهو أيضاً غير صحيح .(٦٤)

٢٥ـ طُبِعَ الحَـدِيدُ فكانَ مِنْ أجْنَاسِـهِ
وعَلِيٌّ المَطْبُـوعُ مِنْ آبـائِـهِ

---

(٦٤) الجزء الأخير من الشرح وهو « فقال : يكون من صله » ، لم اجده في شرح الواحدي . ولعل هذا تعليق للمبارك بن أحمد .
قال ابن سيده في كتابه ص٢٥٧ :
أي : بأن تكون مثل سميّها . « في أصله » : إما أن يريد في نوعه الذي هو الانسانية ، وإما في قبيله . و «فرنده» : أي : في صورته ، لأن صورة الانسان أحسن من صورة السيف ، ورونقـه أفضل من رونقـه ، وأما « وفاؤه » فلا وفاء للسيوف ولا غدر إلا على المجاز ، لأن ذلك من خـواص الانسـان .
وجاء في شرح ابن عدلان المنسوب الى العكبري : ١/٨
يقول ، من يكفل للسيوف بأن تكون مثل سيف الدولة سميّها ،واستعار اسم الفرند لما كان يقع عليه اسم السيف ، ثم ذكـر الفضـل بينه وبين السيوف المضروبة من الحديد . واستعار «الفرند» لمكارمه ومحاسنه، لأنه أفضل السيوف ، وهو يفعل ما لا تفعله السيوف ، والسيف لولا الضارب لما كان إلا حديداً، وانك مشرق وقمر الناس فكيف لا تتمنى السـيوف أن يكون لها مثلك سمياً ؟ وهذا كقوله : « تظن سيوف الهند ... البيت ».

قال أبو الفتح :

ان الحديد ينزع الى أجناسه من الحديد ، إنْ كان جيّداً وإن كان رديئاً ، وعليّ ينزع الى آبائه في شرفهم وكرمهم .(٦٥)

* * *

(٦٥) نقل الواحدي الى شرحه شرح أبي الفتح بلفظه ، ولم ينسبه اليه .
وقال ابن عدلان في الكتاب المنسوب للعكبري : ٩/١ : بعد أن ذكر ما ذكره أبو الفتح والواحدي : هذا الممدوح «علي» يرجع الى أصله وشرفه وشرف آبائه ، لأنه شريف وابن شريف فهو معرّق في الشرف ... فالحديد مطبوع من أجناس الحديد كالفولاذ وغيره ، وهذا الممدوح انما هو من جنس واحد ، جنس طيب شريف ، فهو لا نسبة بينه وبين السيوف إلا في الاسميّة ، لا في الفعل ولا في الخلق ولا في المضاء .
وقال : وقد ذكرنا هذه القطعة في اول كتابنا ، وإن كان جماعة قداختلفوا فيها ممن لا يعرف القوافي ، ولا له بها نسبة ولا دراية ، ومنهم من جعلها في حرف الياء ، ولم يكن بينها وبين الياء نسبة ، لأن الياء التي فيها إنما هي همزة ، ولا يجوز أن تنقط ، وانما هي صورة همزة . ورأيت في نسختين أو ثلاث من ذكرها في حرف الهاء . وانما اقتدينا بالامامين الفاضلين صاحبي الشعر والقوافي والعروض ، العالمين بالآداب وكلام الإعراب ، اللذين يقتدى بقولهما في الآفاق ، وهما عمدة أهل الشام والحجاز والعراق: أبي الفتح ابن جني والامام أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي فإنهما جعلاها في اول حرف الهمزة ، فاقتدينا بفعلهما ، واعتمدنا على قولهما .

وقال لمحمد بن إسحق التنوخي ، وقد هجي على لسانه[1]

١ـ أتُنْكِـرُ يا ابْنَ إسحاقٍ إخائي
وتَحْسِبُ ماءَ غَيْرِي مِنْ إنائي[2]

٢ـ أأنْطِقُ فيك هُجْراً بَعْدَ عِلْمِي
بأنَّكَ خَيْرُ مَنْ تَحْتَ السَّماءِ[3]

---

(١) جاء في كتاب ابن عدلان وهو الشرح المنسوب للعكبري : ٩/١ ،
« وقال يمدح الحسين بن اسحق التنوخي ، وكان قوم قد هجوه ونحلوا الهجاء أبا الطيب ، فكتب اليه يعاتبه ، فكتب أبو الطيب اليه » .
وقال الواحدي في كتابه : « وبلغ محمد بن اسحق أن أبا الطيب هجاه ، وإنما هي على لسانه فعاتبه محمد بن اسحق » ، فقال :

(٢) قال الواحدي في شرح البيت : « أتنكر يا ابن اسحق إخائي... » ص١٢٧
يقول : مستفهماً متعجباً : أتنكر مؤاخاتي إياك وتظن أن ما هجيت به من قبلي ، وضرب المثل بالماء والإناء .
وقال ابن عدلان في الكتاب المنسوب الى العكبري : ٩/١
« أتظن ما هجيت به من قول ؟ ولم تميز قول غيري من قولي ؟ وأتنكر ما بيننا من المودة والاخوة ؟ واستعار الماء والإناء .

(٣) قال أبو الفتح في كتابه الفسر ٦٢/١ في شرح البيت « أأنطق فيك... »
« الهجر » ، الفحش في القول ، يقال : هجر المريض في منطقه : إذا هذى ، وأهجر الرجل : إذا جاء بالخنا في منطقه ، قال الله تعالى : « سامراً تهجرون » : أي تهذون ، ومن قرأ « يهجرون » ، أراد : يقولون الهجر

٣ـ وأكْـرَهُ من ذُبَابِ السَّيْفِ طَعْمـاً
وأمْضَى في الأُمُـورِ مِنَ القَضاءِ (٤)

قال أبو الفتح :

ضَربه مثلاً له : أي : أتظُنّ ما هُجيت به من قبلي يدفع عن نفسه ما ظنّ به ، وان يختلط كلامه عنده بكلام غيره . (٥)

فصحاء العرب : « قول الجهول كالغثاء في السيل ، وناطق الهجر كحاطب الليل » .

وقال أبو العلاء نقلا عن كتاب أبي المرشد المعري : « شرح أبيات المعاني ... » ص١٩ ،

« الهجر : ما لا ينبغي من القول ، يقال : أهجر الرجل : إذا جاء بالهجر. قال الشماخ :

كماجدة الاعراق قال ابن ضرّةٍ عليها كلاماً جار فيه وهجّرا

[ديوان الشماخ : ١٣٥ وفيه « مجمدة الاعراق ... واهجرا » .

وهجر الرجل بمعنى هذى ، ومنه قوله تعالى « سامراً تهجرون » اي : تهذون . وقيل : من الهجر الذي هو القطيعة ، أي ، تهجرون سامراً ، لا تحضرونه .

وقال الواحدي في شرحه ص١٢٧ :

يقول : « لا أنطق فيك بالهجر ، وهو القبيح من القول ، بعد علمي أنك خير الناس » .

وجاء في الكتاب المنسوب الى العكبري : ٩/١ :

« وكيف أقول فيك قبيحاً ، وأنت عندي خير من تحت السماء ؟ وهذه مبالغة ، يريد : خير الناس في زمانه » .

(٤) قال أبو الفتح في كتابه الفسر : ٦٢/١ ،

« ذباب السيف » : طرفه ، واستعار له الطعم .

وقال الواحدي في شرحه : ١٢٧

« واكره طعماً على العدو من طرف السيف وانفذ فيما تريد من الأمور من القضاء . وهذا من مبالغة الشعراء ، يقصدون بمثل هذا المبالغة لا التحقيق » .

(٥) ورد كلام ابي الفتح هذا في كتابه الفسر بعد البيت « أتنكر يا ابن اسحق إخائي » اي البيت الاول .

٤ــ وما أرْمَتْ على العِشْرِينَ سِنِّي
فَكَيْفَ مَلِلْتُ من طُولِ البَقَاءِ[٦]

« أرمت » أي : زادت • يقول : كيف أتعرّض بك وأهجوك ، ويفعل ذلك تهلكة ، وأنا في عنفوان شبابي ما مللت البقاء • وما ذكره قبل يوجب له خوفـه منه[٧]

٥ــ وما اسْتَغْرَقْتُ وَصْفَكَ في مَدِيحي
فأنقُصَ مِنْهُ شَيئاً بالهجـاءِ

قال ابن جنّي :

أي : أنا باستتمام مديحك أوْلى مِنّي بالأخذ في هجـائك ، فكيف تظنّ بي ما ظننت[٨]

---

(٦) رواية الكتاب المنسوب الى العكبري « اربت » مكان « ارمت »

(٧) قال الواحدي في شرحه : ١٢٧ :
« أي ، ما زادت سنو عمري على العشـرين ، فكيف آمل طول البقـاء بالتعرض لهجائك » .
وقال ابن عدلان في الكتاب المنسوب الى العكبري : ١/١٠ :
المعنى : كيف أهجوك وأنا أعلم بأسك وقدرتك على الأعـداء ؟ وكيف أتعرض لهجائك وأنا شاب ما زاد سني على العشرين ، فكيف مللت طول البقاء ؟ وهذا من أعجب العجاب : إنّي أتعرض لهجائك حتى أعرّض نفسي للهلاك ! وهذا من أحسن المعاني .

(٨) قال الواحدي في شرحه : ١٢٧ :
يقول : لم أستوف أوصاف مدحك ، وأنا باستتمامها أولى مني بالاخـذ في هجـائك .
جاء في الكتاب المنسوب الى العكبري : ١/١٠ :
« يريد ، اني ما استوفيت أوصافك في المديح فكيف انقصها بالهجـاء ، بل أنا أولى باتمامها من الاخذ في الهجاء » .

٦— وَهَبْنِي قُلْتُ هذا الصُّبْحُ لَيْلٌ
أيَعْمَى العَالِمُونَ عَنِ الضِّيَاءِ ؟

٧— تُطِيعُ الحَاسِدِينَ وأنْتَ مَرْءٌ
جُعِلْتُ فِدَاءَهُ وهُمُ فِدَائي

أراد : « أتطيع » فحذف ألف الاستفهام ، وحذف همزة « امرء » رهي لا تحذف إلاّ مع الالف واللام غالباً • وقال : جُعلت فداءه على حدّ الدعاء ، وأوقعه وصفاً (لمرء) حملاً على المعنى ، أي : وأنت مَرْءٌ مستحق لأن أسأل الله عز وجل أن أكون فداه ، ويكون الحاسدون فدائي • وهذه عِلّة واهية في انكار أبي الطيب على محمد طاعة الحاسدين له • وعطف « وهم » على « التاء » في «جعلت» من غير توكيد لطول الكلام •

قال أبو الفتح :

قوله : « جعلت فداءه » محمول على المعنى دون اللفظ ، وذاك انه في موضع وصف « مرءٍ » ، وحقّ الوصف إذا كان جملة أن يكون خبراً يحتمل الصدق والكذب ، نحو قولك : مررت برجل أبوه منطلق • و(أبوه منطلق) خبر • وقوله : « جعلت فداءه » : دعاء لا خبر له ، لأنه ليس بخبر ، أنه قد جعل فداءه ، وانما يسأل أن يجعل فداءه • والدعاء : لا يحتمل صدقاً أو كذباً ، ولكنه محمول على المعنى ، كأنه قال : أنت مرء مستحِقّ لأن أسأل الله أن يجعلني فداءه[٩] •

(٩) قال الواحدي في شرحه : ص١٢٧و١٢٨ :
قوله « جعلت فداءه » في موضع الدعاء ، وجعله وصفاً للنكرة ، والوصف إذا كان جملة يجب ان يكون خبراً يحتمل الصدق والكذب من بين سائر أقسام الكلام ، فلا يجوز الوصف به ، ولكنه حمله على المعنى،

←

٨ــ وَهَاجِي نَفْسَـهُ مَنْ لمْ يُمَيِّزْ
كَلامِـي من كَلامِهِـمْ الهُـرَاء

« الهراء » : الساقط الكثير الكلام ، نسبه الى عدم التمييز .

قال أبو الفتح :

تركك تمييز كلامي من كلامهم هجاء منك لنفسك[١٠] . وهذا نحـو من قوله :

★ وتحسـب مـاء غيري من إنائي ★

٩ــ وإنَّ مِنَ العَجَائِبِ أنْ تَـرَانِي
فَتَعْـدِلَ بي أقَلَّ مِنَ الهَبَـاءِ

كأنه قال : وأنت امرء مستحق لأن أقول له هذا ، كما قال الراجز :

ما زلت أسعى معهم واختبط حتى إذا جاء الظلام المختلط

جاءوا بضيحٍ هل رأيت الذيب قط

فجعل الاستفهام وصفاً ، كأنه أراد : جاءوا بضيح يقول من رآه : هـل رأيت الذيب قط ، ومعنى البيت انه ينكر عليه طاعته لحسّاده بعـد أنه يدعو الله بأن يجعله فداءه ، ويجعل الحساد فداء المتنبي .

(١٠) لقد ذكر الواحدي معنى ما ذكره أبو الفتح ، ولم يخرج الكتاب المنسـوب الى العكبري عما ذكراه ، ولكنه أضاف : الهراء ، بضم الهاء : هو الكلام الخطأ ، قال ابن السكيت : هرأ الكلام : إذا كثر منه في خطأ ، ومنطـق هراء ، قال ذو الرمة :

لها بشر مثل الحرير ومنطق رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر

واصله : الكلام الفاسـد الذي لا خير فيه .

قال أبو الفتح :

الهباء : الغبار[11]

وقال الواحدي :

يقول : من العجب أن تراني وتعرفني ثم لم تسوّي بيني وبين خسيس أقلّ من أجزاء الهباء في الهواء ، يعني : غيره من الشعراء[12]

١٠ـ وَتُنْكِرَ مَوْتَهُمْ وأنا سُهَيْلٌ
طَلَعْتُ بِمَوْتِ أَوْلادِ الزِّنَاءِ

قال المخزومي :

الرعاة تعتقد أن أكثر موت البهائم يكون عند طلوع سهيل ، فعدّ أضداده من جهلهم بهائم . وجعل نفسه سهيلاً ، يقع بطلوعه موتهم . يقول :

---

(١١) قال أبو الفتح في كتابه الفسر ص٦٦ ، وهو ما لم يذكره ابن المستوفي في كتابه :
الهباء ، الغبار ، وجمعه أهباء على (افعال) ، كجواد وأجواد . قال الله عز وجل : « فكانت هباءً منبثاً » : أي منتشراً ، والهبوة : الغبرة ، قال ذو الرمة :

يجلى بها الليل عنّا في ملمعةٍ مثل الأديم لها من هبوة نيم

و«النيم» : الفروة . ويقال : « ترب هاب » ، أي : ذو هبوة . وأهبى الفرس وغيره التراب إهباءً ، إذا أثار الغبرة .

(١٢) جاء في الكتاب المنسوب الى العكبري : ١/١١
« الهباء » شيء يلوح مثل الذّر في شعاع الشمس ، قال ابو الجوائز الواسطي :

براني الهوى بري المدى وأذابني صدودك حتى صرت انحل من أمس
فلست أرى حتى اراك وإنما يبين هباء الذر من الق الشمس

طلوعي ضرر على أولاد الزّنا ، يريد : من انتسب الى الفضل وليس منه ، كما انتسب أولاد الزّنا الى آباء ليسوا منهم .

قال المبارك بن أحمد :

ويجوز أن يكون رماهم بأنّهم أولاد زنا ، ينسبهم بذلك .[١٣]

* * *

---

(١٣) جاء في الكتاب المنسوب الى العكبري : ١٢/١ :

أثبت الألف في « انا » للوصل ، أجراه مجرى الوقف ، والكوفيون يرون هنا ، وقرأ نافع باثباتها عند الهمزة كقوله عز وجل : « أنا أحيي وأميت » .

والزناء : يمد ويقصر . قال الفرزدق :

أبا حاضرٍ من يزن يعرف زناؤه ومن يشرب الخرطوم يصبح مسكرا

وحرف الجر متعلق ب «طلعت» .

وقال ابن سيده في كتابه ص١٧٦ :

أكثر الموت الواقع في البهائم انما هو عند الرعاء ـ بطلوع سهيل ، فعد أضداده من جهلهم بهائم يميتهم سهيل ، قال ،

وكان أضر فيهم من سهيل إذا أوفى وأشأم من قدار

وقال المنجمون : طلوع سهيل طلوع ضرٍ وويل .

فيقول هو : طلوعي ضرر على أولاد الزنا ، ولم يعن بذلك انهم لزنية في أنسابهم ،إنما أراد انهم يعتزون الى الفضل وليسوا منه كما ينتسب بنو الزناء الى غير آبائهم . وسهيل : اسم جاء على بناء التصغير كالثريا والغميضاء .

وقال أبو العلاء المعري نقلا عن كتاب أبي المرشد المعري ص٢٠ :

إثبات الألف في « أنا » عند بعض الناس ضرورة ، لان هذه الالف لا تثبت إلا في الوقف ، وكان محمد بن يزيد (المبرد) يتشدد في ذلك ولا يجيزه ، وقد جاء في مواضع كثيرة ، من ذلك قول الأعشى :

فكيف انا وانتحالي القواف ي بعد المشيب كفى ذاك عارا

[ديوان الاعشى ص٥٣ : وفيه « فما انا أم ما انتحالي القوا » .]

وقول حميد بن بحدل :

انا زين العشيرة فاعرفوني حميداً قد تذريت السناما

و«الزنا» تمد وتقصر . وجاء في كتاب الله عز وجل مقصوراً ، « ولا تقربوا الزنا » وكانه إذا مد مصدر زاني يزاني ، قال الشاعر :

ابا حاضرٍ من يزن يعرف زناؤه ومن يشرب الخرطوم يصبح مسكرا

وقال يمدح أبا عليّ هارون بن عبدالعزيز الادراجي:[1]

١ـ أمِنَ ازْدِيارَكِ في الدُّجَى الرُّقَبَاءُ
إذ حيثُ كُنْتِ من الظّلامِ ضِيَاءُ

قال المبارك ن أحمد :

هذا البيت على تعقيده هو معنى قول عليّ بن جبلة[2]

زائرٌ دلّ عليه حُسْـنه كيف يخفي الليل بدراً طلعا ؟[3]

---

(١) جاء في الكتاب المنسوب الى العكبري : ١/١٢ :

(٢) العَكَوّك : هو علي بن جبلة بن مسلم بن عبدالرحمن الأبنادي ، من أهـل خراسان ، أبو الحسن المعروف بالعكوّك (السمين الغليظ) . شاعر عراقي مجيد كان أعمى وأسود أبرص ، من أحسن الناس انشاداً ، ولـد بقرب بغداد سنة ١٦٠هـ ، وأكثر شعره في مدح أبي دلف ، وقتله المأمون سـنة ٢١٣هـ ، كان الاصمعي يحسده وهو الذي لقبه بالعكوّك . أخباره في الشعر والشعراء : ٣٦٠ ونكت الهميان : ٢٠٩ ، ووفيات الأعيان : ١/٣٤٨، وسمط اللآلى : ٣٣٠ ، وتاريخ بغداد : ١/٣٥٩ .

(٣) هذا البيت من قصيدة نظمها العكوك متغزلاً مطلعها :

بأبي من زارني متكتّماً حذراً من كل واشٍ جزعا

أنظر شعر علي بن جبله . تحقيق . د. أحمد نصيف الجنـابي ص١٤٧ ، مطبعة الآداب . النجف ١٩٧١ .

وقال أبو الفتح :

الدُّجى : الظلمة ، وأحدها دجية ، وليست من لفظ دَجَا يدْجُو[٤] ولكنها في معناه . أي : فلا يقدر أحد على زيارتك ولا تقدرين على زيارة أحد[٥] ، لأن ضوءَ وجهك ينمّ عليك . وهذا كثير في أشعارهم ، أستغني عن ذكر نظائره لشهرته ، وكذلك كلما أترك إيراد أشباهه في هذا الكتاب فإنما ذلك لوضوحه ومعرفة المبتدئين[٦] فضلاً عن غيرهم به .

قال المبارك بن أحمد :

« ازديارك » (افتعال) : من ازدار ، قلبت تاؤه دالا للزاي ، وحذف المفعول هنا وتقديره : أن تزداري أحداً . والمصدر مضاف الى الفاعل ، وهو أوْلى من أن يضاف الى المفعول ، بل قوله يجوز كقوله :

★ قلق المليحة وهي مِسْك هتكها ★

وما بعده من البيت .

وفي حاشية : « ضياء » رفع بالابتداء ، خبره «حيث» . والابتداء بالنكرة لا يستنكر إذا أفاد معنى . فإن قال فقد أضمر هاهنا ابتداء يصلح أن يكون الضّياء خبراً عنه ، فلا يستبعد و«كان» تامّة ، لا خبر عنها .

قال الواحدي :

يقول : أمِنَ رقباؤك أن تزوريني ليلاً إذ حيث أنت ضياء بدلاً من الظلام ، يعني في الليل . « فأنت » ابتداء ، و«ضياء» خبره ، وهما جملة

---

(٤) الدّجى : الظلمة . ودجا الليل من سما ، إنما هو البس كل شيء ، وليس هو الظلمة ، ومنه قولهم : دجا الاسلام ، اي : قوِيَ والبس كل شيءٍ .
(٥) وردت لفظةِ «ليلاً» في الفسر ص١٦٨ بعد لفظة «أحد»
(٦) وردت لفظة «به» في الفسر ص١٦٨ بعد لفظة «المبتدئين»

أضيف «حيث» إليها ، و«من» هنا بدل ، لأن الضيّاء لا يكون من جنس الظلام • ويروى « إذ حيث كنت » وعلى هذا «ضياء» ابتداء وخبره محذوف على تقدير : حيث كنتِ من الظلام ضياء" هناك • و«كان» لا تحتاج الى خبر لأنه في معنى : حصلت ووقعت • و«إذ» ظرف لـ «أمِنَ» • يقول : أمنوا ذاك حيث كنتِ بهذه الصفة • ولم يفسّر أحد من اعراب هذا البيت ما فسّرته • وكان هذا بكراً الى هذا الوقت • والمعنى : انها لكونها نوراً وضياءً لا تخرج ليلاً ، لأن الرقباء يشعرون بخروجها حيث يرون الظلام ضياءً ، وهذا من قول علي بن جبلة :

بأبي مَن زارني مُكْتَتِماً خائفاً من كلّ حِسّ فزعا[٧]

طارِقاً نَمَّ عليه نُورُهُ كيفَ يخفي الليلُ بدراً طلعا

ثم قال أيضاً :

رصَدَ الخَلْوَةَ حتّى أمكنَت ورعى الرّاقِبَ حتى هَجَعا[٨]

كابَدَ الأهوال في زورته ثمّ ما سَلَّمَ حتّى ودّعا

قال الواحدي : ثم أكدّ هذا المعنى فزاد فيه وأطال فقال :

قَلَقُ المَليحَةِ وهي مِسْكٌ هَتْكُها
وَمَسِيرُها في الليل وهي ذُكاءُ

وقال ابن فُورَّجة :

« قلقها » يعني حركتها في مشيها • و«هتكها» : مصدر هتك (فلانَ

---

(٧) رواية الواحدي في كتابه لهذا البيت « حذراً من كل واشٍ »
(٨) رواية الواحدي في كتابه لهذا البيت ص١٩٣ : « ورعى السامر » مكان « ورعى الراقب » .

الستر هتكاً)[٩] ، وهو مصدر فعلٍ متعدٍّ ، ولو أتى بمصدر لازم كان أقرب الى الفهم ، كأنه لو قال : (انهتاكها) كان أجود من حيث الصنعة ، وأقرب الى المفهوم ، إلا أنه تبع الوزن . وقوله «مسيرها» : مبتدأ معطوف على «قلق»، وخبره محذوف لعلم المخاطب به ، وكأنه يقول : ومسيرها بالليل هتك لها أيضاً إذ كانت ذكاء . ومثل هذا كثير في أشعار القدماء من الشعراء والمحدثين، ألا ترى قوله : « وهي مسك » زيادة على كثير ممن تقدّمه ، إذ كان لم يجعل هتكها من قِبَل الطّيب الذي استعملته ، بل جعل نفسها مسكاً ، وكأنه ألمّ بقول امرىء القيس :

ألمْ تَرَيانِي كلّما جئت طارقاً

وجدتُ بها طيباً وإن لم تَطَيَّبِ[١٠]

ويقول الآخر :

درّة حيث ما أديرت أضاءَتْ

ومَشَمٌ من حيث ما شُمَّ فاحا[١١]

---

(٩) الكلام المحصور بين القوسين زيادة في الشرح وردت في كتاب ابن فورجة « الفتح على فتح أبي الفتح » تحقيق ، د. محسن غياض

(١٠) هذا البيت من قصيدة مطلعها :

خليليّ مرّا بي على أم جندب   نقض لبانات الفؤاد المعذب

أنظر ديوان امرىء القيس ص٤١ بتحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم . دار المعارف بمصر .

(١١) رواية الواحدي وابن عدلان « درة كيفما اديرت » .

ومن هذا المعنى قول بشـار :

وتَوَقَّ الطّيب لَيْلَتَنا إنّه واشٍ إذا سَطَعا[١٢]

قال الواحدي : هذا كلامه .[١٣] وقال :[١٤]

يريد بالقلق : حركتها وخروجها . والواو في « وهي مسك » و « وهي ذكاء » للحـال . و« ذكاء » اسم للشمس معرفة .[١٥]

---

(١٢) ورد مع هذا البيت البيت الآتي :

سيدي لا تأتِ في قمرٍ لحـديث وارقب الدّرعـا
وتـوق الطيب ليلتنـا انـه واشـٍ إذا سـطعا

أنظر ديوان بشار بن برد : ١٠٦/٤ شرح ونشر محمد الطاهر بن عاشـور ، والمختار ص٩٧ وأسرار البلاغة : ٢٥٣

(١٣) وقال ابن فورجة في كتابه : بعد أن ذكر أبيات أبي مطاع ابن ناصرالدولة ، وقد ذكرها بعده الواحدي ثم ابن عدلان في الكتاب المنسوب الى العكبري : قال :

وقوله « ومسيرها في الليل وهي ذكاء » يشبه قوله أيضاً ،

رات وجه من أهوى بليل عواذلي فقلن نرى شمساً وما طلع الفجر

(البيت للمتنبي)

والأصل في ذلك قول القائل :

عجب لمسـراها وانى تخلصت إليّ وباب السجن دوني مغلق
عجبت لمسراها وسرب سـرت به تكاد له الارض البسيطة تشرق

(البيتان لجعفر بن علبة الحارثي . انظر حماسة أبي تمام ص٢٠)

إنما تعجب من كتمان الليل مع ضوئها وحسنها ، ولولا ذلك لم يكـن لتعجبه وجه .

(١٤) اي الواحدي .

(١٥) ذكر ابن المستوفي جزءاً من كلام الواحدي ، وفيما ياتي ننقل ما تبقى من النص الوارد في كتاب الواحدي : ١٩٢ :

« ... وذكاء : اسم للشمس معرفة ، لا تنصرف ، وهو مثل : خضارة وأسـامة وهنيدة وشعوب ، ومن هذا المعنى قول البحتري ،

قال أبو البقاء العكبري :

« إذْ » : ظرف زمان ماض ، والعامل فيه « إمِنَ » أو « ازديارك » وهو مضاف الى «حيث» • وضمة «حيث» بناء ، وفيها وجهان : أحدهما : هي ظرف مكان خبر عن « ضياء » ، أي : إذ ضياء بالمكان الذي تحلينه • و « من الظلام » حال من «حيث» ، والثاني : « حيث » مبتدأ و « ضياء » خبره • والتقدير : ذو ضياء أومض ، ويكون المصدر بمعنى اسم الفاعل ، أو يجعل المكان ضياء على المبالغة ، والمعنى : ان من يقصد مراعاتك ليعلموا زيارتك قد استراحوا من تتبعك ، لأنك لو زرت غيرك لأضاء مكانك فلم تخفي ، فأنت تمتنعين لا بسبب الرقباء[16] •

قال المبارك بن أحمد :

« مِن » هاهنا للجنس أوْلى من تكون بدلاً ، لأن المعنى : حيث وجدن ، أو حيث أنت من الظلام ، لا بدلاً من الظلام • وإنما دعاه الى البدل

وحاولن كتمان الترحل بالدّجى ... فنم بهن المسك حتى تضوعا

وقوله أيضاً :

وكان العبير بها واشياً ... وجرس الحليّ عليها رقيبا

وقول آخر :

فأخفوا على تلك المطايا مسيرهم ... فنمّ عليهم في الظلام التبسم

وزاد أبو المطاع بن ناصر الدولة على الجميع في قوله :

ثلاثة منعتني من زيارتها ... وقد دجا الليل خوف الكاشح الحنق

ضوء الجبين ووسواس الحلي وما ... يفوح من عرق كالعنبر العبق

هب الجبين بفضل الكم تستره ... والحلي تنزعه ما الشأن في العرق

[رواية الكتاب المنسوب الى العكبري « ثلاثة منعتها من زيارتنا »]

(16) جاء في الكتاب المنسوب للعكبري : 1/12 :

المعنى : يريد ان القباء قد إمنوا أن تزوريني ليلا لأنك بدل من الضياء في الليل ، لان نورك يزيل الظلمة كما يزيلها نور الصبح ، وهو مأخوذ من قول ابي نواس :

ترى حيثما كانت من البيت مشرقاً ... وما لم تكن فيه من البيت مغربا

أن « ضياء » عامل في « من الظلام » ، وإنما العامل فيه فيمن روى : حيث كنت كنت ، ومن روى : حيث أنت • علقه بما في « حيث » من معنى الظرفية الموجب لعمل فعل مقدّر فيها • وعلى هذا القول يكون « ضياء » مرفوعاً بالعامل المقدّر في « حيث » فاعلاً ومن البدلية معناها مقدّر بالعوض ، أو المكان نحو قوله :

فليت لنا من ماء زمزم شربة   مُبَرَّدة باتت على طَهَيانِ [١٧]

وقال طرفة[١٨] يهجو عمرو بن هند :

فليت لنا مكان الملك عمرو   رَغوثاً حول قبتنا تخور[١٩]

وفي بعض الحواشي : «الضياء» رفع بالابتداء • و «من الظلام» خبره •
وفي حاشية : الأولى أن يقال : قلق المليحة وهي مسك وسيرها في الليل وهي ذكاء هتكها •

قال المبارك بن أحمد :
كأنه حمله على قول : نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والأمر مختلف •

---

(١٧) طهيان : جبل . أي : بدلا من ماء زمزم .
(١٨) طرفة بن العبد بن سفيان ، أجود شعراء الجاهلية طويلة . صاحب المعلقة المشهورة : « لخولة أطلال ببرقة ثهمد » كان في حسب من قومه جريئاً على هجائهم من غير فحش ، توفي أبوه وهو صغير ، ولد في بادية البحرين في نحو ٨٦ قبل الهجرة وتوفي في ٦٠ قبل الهجرة ، قتل وهو ابن عشرين وقيل ابن ست وعشرين ، أخباره في الشعر والشعراء : ١٢٠ وخزانة الأدب للبغدادي : ١/٤١٤ ومعاهد التنصيص : ١/٣٦٤ ، وجمهرة أشعار العرب ٣٢ .
(١٩) انظر الشعر والشعراء : ١/١٢٠ وروايته فيه «تدور» مكان «تخور»

٢ـ قَلَقُ المَلِيحَةِ وهي مِسْكٌ هَتْكُهَا
وَمَسِيرُهَا في اللّيْلِ وهي ذُكَاءُ

« ذكاء » اسم الشمس غير مصروف ، وحذف خبر مسيرها اجتزاء بخبر « قلق المليحة » ومعنى البيت ، وكذا معنى الذي قبله . هذا كلامه . وهو قريب من المعنى الاول وزاد بقوله : « قلق المليحة وهي مسك هتكها ».

٣ـ أسَفِي عَلى أسَفِي الذي دَلّهْتَنِي
عَن عِلْمِهِ فَبِهِ عَليّ خَفَاءُ

المعنى : انّي أتأسّف على حزني الذي أذهب عقلي بهواك عن علم فخفى عليّ من الأسف والحزن والتدليه ذهاب العقل من الهوى . والصحيح ان « الهاء » في « فيه » للأسف الثاني ، لأنه إذا قدّر فنسب الى التدليه على خفائهم لم يستقم ، ويكون قد أعاد الضمير الى غير مذكور ، وهو قليل. كما قال حملاً على المعنى : [عبارة غير واضحة][20] . و« أسفي » رفع بالابتداء خبره « على أسفي » .[21]

وقال أبو البقاء :

هو في موضع نصب ، أي أتأسف أسفي ، والأول أجود . و«الهاء» في « علمه » للأسف ، و«الهاء» في «فيه» للتدليه ، أي : سبب التحيّر خفيَ عليّ حُزني ، قاله أبو البقاء .

---

(٢٠) العبارة غير واضحة وردت على الشكل الآتي [إذا نهى السفيه ... أي الى السفيه] وقد بحثت عن هذا المثل في مجمع الامثال للميداني والمستقصى للزمخشري واللسان فلم أجده .

(٢١) قال الواحدي في شرحه :
يقول : إنما أتأسف على انك شغلتني عن معرفة الأسف حتى خفى عليّ ما الاسف ، لأنك أذهبت عقلي ، وإنما تعرف الاشيياء بالعقل ، والمدلّه: الذي ذهب عقله ، والمعنى : إني أحزن لذهاب عقلي لما لقيت في هواك من الشدة والجهد .

وقالوا : أراد : ان حبّك حيّرني وأزال عقلي فخفى عليّ اني أتحسّر على فقدك . فأسفي الآن على زوال عقلي لا عليك . والمعنى ما ذكرته .

وقال أبو الفتح :

يقول : أنا أحزن لذهاب عقلي حتى انني قد خفى عليّ حزني ، وإنما ذلك لما لقيت فيك من الجهد .

وقال أبو البقاء :

المعنى : اني أحزن على جهلي بحزني على فقد صدّك ، لأنه لم يبقَ لي عقل أحزن به .(٢٢)

٤ـ وشَكِيَّتِي فَقْدُ السَّقَامِ لأنَّهُ
قَدْ كانَ لَمّا كان لي أعْضَاءُ

قال أبو الفتح :

وهذا يؤكد معنى الأول ، يقول : انّما كنت أحسّ السقام بأعضائي، فلما فنيت وبلغت الضرّ والمشقة شكوت فقد السقام ، لأن السقيم على كل حال موجود ، والفاني معدوم ، والعدم أعظم من السقم ، هذا يقتضيه ظاهر

---

(٢٢) وقال ابن سيده في كتابه : ١٠١ :
ليس يأسف في الحقيقة على الاسف ، وإنما يأسف على تمييزه الذي كان يعقل به أسفه ، فحقيقة الكلام : أسفي على عقلي الذي كنت أحصّله به أسفي « فبه عليّ خفاء » أي ، انك دلهتني حتى ما أشعر بأسف .
وقد كان ينبغي له أيضاً أن يذهب عليه ـ لو كان مدلهاً ـ أسفه على هذا الاسف الى ما لا نهاية له ، ولكن هذا مقطع شعري فلا يتقصين بالمنطق فيفسد ، وما أحسن هذا المثل العامي الذي هو قولهم : «الاستقصاء فرقه» ، ولا تستخفن بذكري هذا المثل فقد ذكره أبو نصر الفارابي في باب من «البرهان» .

اللفظ ، ومحصول البيت انه يطلب أعضاءه لأن السقْم والسَّقام (بمنزلة)[٢٣] والسَّقَمْ مصدر مثلهما •

وقال غيره :

أي : ان حبّك أفناني حتّى فقدت أعضائي ففقدت السقم مع فقدها، فأنا أشكو فَقْدَ السَّقم ، لا فَقْدَ الأعضاء •

وقال الواحدي :

الشكيّة كالشكاية • يقول : إنما أشكو عدم السقم ، لأن السقم إنما كان لمّا كانت لي أعضاء يحلّها السقم ، فأحسّه بأعضائي ، وإذا ذهبت الأعضاء بالجهد الذي أصابني في هواك ، لم يبق محل يحلّه السقم • وقد بيّن هذا المعنى أبو الفتح البُستي[٢٤] في قوله :

ولو أبْقَى فراقُكَ لي فؤاداً وجفناً كنت أجزعُ من سُهادِي

ولكن لا رُقادَ بغيرِ جَفْنٍ كما لا وَجْدَ إلاّ بالفؤادِ

هذا كلامه • وفي بيتي أبي الفتح نظر[٢٥]

---

(٢٣) وردت لفظة « بمنزله » في هذا الموضع في كتاب الفسر ص٧٠

(٢٤) أبو الفتح البستي : علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبدالعزيز البستي ، أبو الفتح ، شاعر عصره وكاتبه . ولد في بست قرب سجستان واليها نسبته ، وكان من كتاب الدولة السامانية في خراسان . مات غريباً في بلدة اوزجند سنة ٤٠٠هـ ، له ديوان شعر . هو صاحب القصيدة المشهورة التي مطلعها « زيادة المرء في دنياه نقصان » . اخباره في وفيات الأعيان : ٣٥٦/١ ومفتاح السعادة : ٢٢٩/١ والبداية والنهاية : ٢٧٨/١١ ويتيمة الدهر ، ٢٠٤/٤

(٢٥) قال ابن سيده في كتابه : ١٠١ :

وهذا البيت أيضاً يشبه الأول [أسفي على أسفي ...] : لما لم يشكُ نقد السقام لانه مكروه ، والمكروه لا يستوحش أحد من فقده ، ولكن شكا

←

٥ــ مَثَلَتْ عَيْنُكِ في حَشَايَ جِرَاحَةً
فَتَشَابَهَا كِلْتَاهُمَا نَجْلاءُ

قال أبو الفتح :

لمّا نظرتُ إليك ، جرحتِ قلبي جراحة اشبهت لسعتها عينك ،وقوله: « كلتاهما نجلاء » في موضع نصب على الحال ، كأنه قال : « فتشابها نجلاوين » . وإن شئت لم يكن للجملة موضع من الاعراب ، كقوله تعالى : « وسيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم »[٢٦] ، فرابعهم كلبهم جملة لا موضع لها من الاعراب[٢٧] . وقوله « فتشابها » ولم يقل « فتشابهتا » حمله على المعنى، كأنه قال : فتشابه المذكوران أو الشيئان . وذهب بالعين الى العضو ، وبالجراحة الى الجرح ، كما قال زياد الاعجم:[٢٨]

فقد أعضائه ، لان السقام عرض ، والعرض لا يكون إلا في الجواهر ، فاذا عدم أعضاءه فقد عدم السقام ، وإنما شكا ـ في كلٍّ ـ الأكبر واستسهل الاصغر .

(٢٦) الآية ٢٢ من سورة الكهف .

(٢٧) جاء في كتاب الفسر بعد قوله « .... من الاعراب » ما يأتي :
« وجمع الجراحة جراح ، وأما الجروح فجمع جَرْح وجُرْح ، فالجرح الاسم والجَرْح المصدر ، وقوله « فتشابها ...الخ » .

(٢٨) زياد بن سليمان أو سليم الأعجم ، أبو أسامة العبدي ، مولى بني عبد قيس من شعراء الدولة الاموية ، جزل الشعر فصيح الالفاظ ، كانت في لسانه عجمة فلقب بالاعجم ، ولد ونشأ في أصفهان ، وانتقل الى خراسان، فسكنها وطال عمره ، ومات فيها سنة ١٠٠هـ ، عاصر المهلب بن أبي صفرة، ومدحه ورثاه ، وكان هجاءاً وكان الفرزدق يتحاشاه . أخباره في الاغاني: ٩٨/١٤ وارشاد الاريب ٢٢١/٤ والشعر والشعراء : ١٦٥ وخزانة الأدب: ١٩٣/٤ .

إنّ السَّماحةَ والمُروءةَ ضُمِّنا
قَبْراً بِمَرْوَ على الطَّريقِ الوَاضحِ[٢٩]

قيل : انه ذهب بالسماحة الى السخاء ، والمروءة الى الكرم ، وهذا شيء فاشٍ في كلامهم .

قال المبارك بن أحمد :

وظاهر المعنى : انك جرحت قلبي جراحة واسعة جعلتها مثالاً لسعة عينك .

وقال أبو علي محمد بن أحمد بن فورّجة :

وأنشد : « مثلت عينك في حشاي جراحة ... البيت » :

هذا البيت ظاهر المعنى ، إلاّ اني شاهدت كثيراً من الفضلاء يغلطون في معنى قوله « مثلت عينك في حشاي جراحة » ويظنّون أن معناه : خَيّلْتِها إليّ وصورتِها عندي جراحة ، ويقولون : هذا كما تقول : غصّة في صدري وشجاً في حلقي . وان لم يكن لذلك حقيقة ، يراد به : هو يحلّ محلّ الغصّة في الصدر ، والشجا من الحلق . وكذلك هذه العين تحلّ محلّ الجراحة في حشاي . وهو كقوله في شعره أيضاً :

مُمَثّلَةٌ حتّى كأن لم تُفارِقي
وحتّى كأن اليأس مِن وَصْلِكِ الوَعْدُ[٣٠]

---

(٢٩) أنظر الاغاني : ٥/٣٨١ ومعجم الادباء ١١/١٧٠ وهذا البيت من قصيدة يرثي بها المغيرة بن المهلب مطلعها ،
قل للقوافل والغزى إذا غزوا والباكرين وللمجدّ الرائح
(٣٠) هذا البيت من قصيدة يمدح بها المتنبي الحسين بن علي الهمداني مطلعها :
لقد حازني وجد بمن حازه بعد فيا ليتني بعد ويا ليته وجد

كانت من الكحلاء سُؤلي وإنما

أجَلِي تمثّل في فؤادي سولا[٣١]

أي : تخيّل ، وهذا خطأ فاحش ، إذ كان آخر هذا البيت ينقض هذا القول بقوله « فتشابها »[٣٢] ، وتشابها : فعل اثنين .

ومعنى البيت : مثلت : أي : أحدثت لعينك مثالاً في حشاي ، أي: جرحت جراحة واسعة من عينك ، وهذا كما تقول : مثلت للغلام خطّاً حسناً، أي : جعلت له مثالاً للحروف يكتب مثلها . ولعمري أن اشتقاق البابين جميعاً من المِثال والمثل ، ولكن إختلف المعنيان من حيث اختلاف الموضع ، فيقول: ان عينك والجراحة التي أحدثتها في قلبي تشابها في النجل ، وهو سعة العين وسعة الطعنة نظر بيّن لمن تحقّقه .[٣٣]

٦ـ نَفَذَتْ عليَّ السَّابِرِيَّ وربَّما

تَنْدَقُّ فيهِ الصَّعْدَةُ السَّمْرَاءُ

« السابريّ » : ضرب من الثياب رقيق ، و « الصَّعدة » : القناة نبتت فلا تحتاج الى تثقيف . وقيل السابري : منسوب الى سابور . وقالوا : لا يصلح السابري إلاّ بسابور ، والعصب لا يصلح إلاّ باليمن .

---

(٣١) هذا البيت من قصيدة قالها المتنبي في مدح بدر بن عمار مطلعها : وروايته في كتاب ابن فورجة « من الحسناء »

في الخد ان عزم الخليط رحيلا مطر تزيد به الخدود محولا

(٣٢) جاء في كتاب ابن فورجة « الفتح على فتح أبي الفتح » بعد قوله « فتشابها إذ هي عين واحدة . . . »

(٣٣) جاء في حاشية المخطوطة ما يأتي :

« في وقله : تشابها في الفعل ، وهو سعة العين وسعة الطعنة »

قال أبو الفتح :

والمعنى : ان عينك نفذت ثوبي فتمثلت في حشــاي ، فإن قيل : كيف تندقّ الصعدة في الثوب الرقيق ، قيل : معناه : انه اذا طعن القناة اندقّت القناة دون أن تعمل فيه ، فكأن ثوبه درع عليه ، كما كان جسمه من تحته ، يؤكد هذا قوله في موضع آخر :

طِــوالُ الردينيــات يقصِفُها دَمِي

وبيضُ السُّرَيجيّاتِ يقطعهــا لحمي[٣٤]

وكأنه نظر الى بيت قيس بن الخطيم :[٣٥]

تَرى قصَــد المرّان تهوى كأنّها

تَدرّعُ خِرصــانٍ بأيدي الشواطِبِ[٣٦]

وقال وقريب منه قول أبي تمام :

---

(٣٤) هذا البيت من قصيدة يمدح المتنبي بها الحسين بن اسحق التنوخي مطلعها:

ملامي النوى في ظلمها غاية الظلم   لعل بها مثل الذي بي من السقم

(٣٥) قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي ، أبو يزيد . شــاعر الأوس ، وأحــد صناديدها في الجاهلية ، اشتهر بتتبعه قاتلي أبيه وجده حتى قتلهما ، أدرك الاسلام وقتل قبل أن يدخل فيه ، شعره جيد . أخباره في الأغاني: ٢/١٥٤ وخزانة الأدب : ٣/١٦٨ ومعاهد التنصيص : ١/٩١ .

(٣٦) أنظر ديوان قيس بن الخطيم . ت.د. ناصرالدين الاسد ص٨٧ . دار صادر بيروت ، وهذا البيت من قصيدة مطلعها :

اتعرف رسماً كاطراد المذاهب   لعمرة وحشاً غير موقف راكب

وأنظر اللسان مــادة « شطب » تقول : شطبت المرأة الجريد شــطباً . والشواطب من النساء اللواتي يشققن الخوص ويقشرن العسب يتخذن منه الحصر .

أناس اذا ما استلحم الروع صدّعوا
صدورَ العوالي في صدور الكتائب[٣٧]

إلا أن المتنبي جعل نفسه مؤثرة في السلاح ، ولم يجعل للسلاح أثراً فيها يفخر بذلك ، ألا ترى أن بعد هذا البيت قوله :

★ أنا صخرةُ الوادي إذا ما زوحمت ★

ويجوز أن يكون عنَى بالسابري : الدرع ، كما قال دريد بن الصمّة[٣٨]

فقُلْتُ لهم ظُنُّوا بألْفَيْ مُدَجَّجٍ
سراتهم بالسابريّ المُسَرَّدِ[٣٩]

---

(٣٧) رواية البيت في نسخ شعر أبي تمام ، ومنها شرح الصولي على ديوان أبي تمام : ١/٢٨٢ .
إذا الخيل جابت قسطل الحرب صدعوا   صدور العوالي في صدورالكتائب
وهذا البيت من قصيدة يمدح فيها أبا دلف القاسم بن عيسى العجلي . مطلعها :
على مثلها من أربع وملاعب   أذيلت مصونات الدموع السواكب

(٣٨) دريد بن الصمة الجشمي البكري من هوازن ، شجاع من الابطال ، الشعراء المعمرين في الجاهلية ، كان سيد قومه وفارسهم وقائدهم ، غزا نحو مئة غزوة ولم يهزم ، عاش حتى سقط حاجباه عن عينيه ، أدرك الاسلام ولم يسلم ، قتل يوم حنين سنة ٨ هـ . أخباره في الاغاني : ١٠/٣ وخزانة الادب : ٤/٤٤٦ والروض الانق : ٢٨٧ وشرح الشواهد ، ٣١٧ .

(٣٩) أنظر الاغاني للاصفهاني ، ١٠/٨ ، وروايته فيه « في الفارس » مكان « بالسابري » وهذا البيت من قصيدة طويلة يرثي دريد أخاه عبدالله مطلعها:
ارث جديد الحبل من أم معبد   بعاقبة واخلفت كل موعد

يعني الدروع ، فيكون على هذا : نفذت نظرتك الدرع الى قلبي ، فيقرب حينئذٍ من قوله أيضاً :

وقى الأمير هوى العيون فانه   ما لا يزول ببأسه وسخائه(٤٠)

ويجري آخر البيت مجرى قوله :

تَرِدُ عنه قنا الفُرْسانِ سابقة   صَوْبُ الأسِنَّة في أثنائها دِيَمُ(٤١)

تخطّ فيها العوالي ليس تنفذها   كأن كلَّ سِنانٍ فوقها قلَمُ

ولكلا القولين مذهب

قال أبو البقاء :

« السابريّ » : الدرع الرقيقة ، والثوب الرقيق ، واشتقاقه من « السبر » : وهو التقدير • لأن حلقها قدّرت ، أي : ضيّقت وأحكمت• فإن قيل : كيف تندقّ القناة في الدرع الرقيق والثوب الرقيق ؟ قيل : قد ذكرنا ان الدرع الرقيق سمّيت سابريّة لإحكامها وضيق حلقها • ومثلها قد تنكسر فيه القناة •

قال المبارك بن أحمد :

أخذ أبو البقاء « السابري » من « السبر » وهو التقدير من قولهم: سَبَرْتُ الجرح ، أسبره : إذا نظرت ما غوره ! وهذا مأخذ قريب • فامّا أن يجعل من هذا الموضع في معنى التضييق الذي في قوله : وقدّر في السّبر ، فبعيد ، والذي قاله أبو الفتح من الوجه الثاني لا يحتاج الى هذا التعسّف •

---

(٤٠) قد مر ذكر هذا البيت في أول قصائد حرف الالف .

(٤١) هذان البيتان من قصيدة للمتنبي يمدح بها سيف الدولة مطلعها :

عقبى اليمن على عقبى الوغى ندم   ماذا يزيدك في اقدامك القسم

وقال ابن فورّجة :

« السابري » : يحتمل معنيين • أحدهما : انه يعني الثوب الرقيق، وكلّ رقيق عندهم سابري ، ثم ذكر ما لا حاجة إليه وأنشد :

تجافي عن المأثور بيني وبينها وتـُدنِي علينا السابريّ المضلّعا[٤٢]

يعني ثوباً رقيقاً :

والثاني : انه يعني : الدرع ، وانما سميت بذلك أيضاً لما فيها من خروق ، وقد يكون السابري أيضاً : الذي يسبر الجرح في قول الأعشى :

★ تردّ على السابريّ السبارا ★[٤٣]

و « السبار » : الفتيلة التي يُسبر بها الجرح ، فاذا عنى به الثوب الرقيق فانما يريد : نفذت عينك السابري الى قلبي ، ويكون قوله : « تندق فيه الصعدة السمراء » حينئذٍ يريد به : انّ قميصي شديد على الرمح نفوذه لهيبتي في القلوب ، لأن الشجاع مُوَقّى • ويكون كقوله أيضاً : « طويل الردينيات ••• وأنشد البيت » وإذا عنى الدرع فلا يحتاج الى ذا التأويل ، وانما يريد : ان عينك وصلت الى قلبي فجرحته ، ولم تخرق الدرع أو القميص ، كما قال هو أيضاً :

---

(٤٢) هذا البيت لامرىءالقيس، أنظر بذلك المعاني الكبير لابن قتيبة : ١٠٧٠٦/٢ وأنظر « من أدب العصور » لهاشم عطية : ٤ . وهو من قصيدة :
فأصبحت ودعت الصبا غير انني أراقب خلات من العيش أربعا

(٤٣) لم أجد هذا البيت في ديوان الأعشى بتحقيق د. محمد حسين ، وقد ورد هذا الشطر في اللسان مادة « سبر » . وجاء فيه : قال يصف جرحه « تردّ السبّار على السابر » . التهذيب : والسبار فتيلة تجعل في الجرح، وانشد : « ترد على السابري السبارا » .

راميات بأسهم ريشها الهُدْ ... بُ تشقّ القلوبَ قبل الجلود[٤٤]

وإنما معنى هذين البيتين من قول جميل بن معمر :[٤٥]

وما صائبٌ من نابلٍ قذَفَتْ به
يدٌ وممَرُّ العُقْدَتينِ وثيق[٤٦]

على نبعةٍ زوراءَ أيْما خطامُها
فمَتْنٌ وأيْما عودُها فعتيقُ

بأوشكَ قتلاً منك يومَ رميتني
نوافذَ لم تظهر لهن خروق[٤٧]

والذي أتى بأغرب من هذا في هذا الباب قول القائل :

رمتني بطَرْفٍ لو كميّاً رمت به
لَبُلَّ نجيعاً نحره وبنائقه[٤٨]

---

(٤٤) هذا البيت من قصيدة مما قالة في صباه ، ومطلعها ،
كم قتيل كما قتلت شهيد ... ببياض الطلى وورد الخدود

(٤٥) جميل بثينة وهو جميل بن عبدالله بن معمر العذري القضاعي ، أبو عمرو ، شاعر من عشاق العرب افتتن ببثينة من فتيات قومه ، فتناقل الناس أخبارهما ، شعره يذوب رقة ، أكثر شعره في النسيب والغزل والفخر ، وأقله في المديح ، مات في مصر سنة ٨٢هـ . أخباره في ابن خلكان، ١/١١٥ والاغاني : ٨/٩٠ وخزانة الادب : ١/١٩١ والشعر والشعراء : ١٦٦
(٤٦) أنظر الأغاني : ٨/١٢٣ والكامل للمبرد : ٤٢ طبع اوربا
(٤٧) رواية ابن فورجة في كتابه لهذا البيت : « لم تعلم » مكان « لم تظهر » .
(٤٨) هذا البيت لابن الدمينة . والبنيقة : طوق الثوب التي يضم النحر وما حوله وهو الجربان . أنظر اللسان مادة «بنق» وأنظر حماسة ابي تمام: ١/٧٦

فإنه وإن لم يذكر خرق جلده فقد عرّض بأن مثل رميها ما يَبُل الكميّ نجيعاً غير اني لم أُدْمَ ، لأنه لم يجرح بدني ، وانما وصل الى قلبي قبل جسمي .(٤٩)

٧ــ أنا صَخْرَةُ الوَادِي إذا ما زُوحِمَتْ
وإذا نَطَقْتُ فإنَّنِي الجَوْزَاءُ

قال أبو الفتح :

جعل نفسه صخرة الوادي ، لأن الصخرة إذا كانت في الماء كان أصلب لها وأثبت من أن تكون على سفح أو على مَرْمَلَةٍ . يقول : أنا في الشدّة كهذه الصخرة ، وفي علوّ المنطق كالجوزاء .أي : قد جمعت الامرين. وهذا قريب من قول الشاعر :

الى دوحة فرعُها في السماء ومعرسها سُرّة الابطح

وفي حاشية النسخة الشيرازية : قال الشيخ وفسّره : قال : يريد : إذا لبست المنطقة ، وربما يرويه « اذا انتطقت » .

قال المباركَ بن أحمد :

والأول أكثر وأجود ، وقد شبّه نفسه بالجوزاء لعُلوَ محلّه على كل ناطق ، وخصّ الجوزاء لأنها تشبه صورة الانسان ، وقيل : خصّ الجوزاء لأنها بيت عطارد ، وهو نجم المنطق والذكاء .

وقال ابن فورّجة :

---

(٤٩) لا يوجد ما يضاف الى ما ذكر في هذا الشرح ، ولم تخرج أقوال الواحدي والكتاب المنسوب للعكبري عما ذكر في هذا الشرح .

صخرة الوادي : هي أتان الضَّحْل(٥٠) ، وهي صخور تكـون في الوادي قَدْ بَلَّ الماء أسفلها فازدادت رسوخاً في الارض ، والضّحل : المـاء القليل يترقرق على وجه الارض .

قال الأستاذ أبو علي :

إنما يعني : اني إذا زوحمت لم يقدر على إزالتي عن موضعي ، كمـا ان هذه الصخرة لا تُزال عن موضعها . يريد : لا أزال عن شرفي وفضـلي عند المسـاماة والمفاخرة ، واذا حوربت لـم أهزم . وقوله : « فاذا نطقـت فانني الجوزاء » : فان المنجمـين يزعمون أن الجـوزاء من البروج تختصّ بالكُتّاب ، فهو وصاحبه من عطارد ويدلاّن على المنطق والبراعة فيقول: أنا الجوزاء ، أي : أنا الذي مِنّي تستفاد البراعة ، ومنّي يُقتبس الفضل، كما ان الجوزاء يعطي من يولد به البراعة والمنطق .(٥١)

والى هذا أشـار بقوله :

ومنّي اسـتفادَ الناسُ كُلَّ غريبةٍ
فجازوا بترك الـذّمِّ إن لم يكن حَمْدُ(٥٢)

---

(٥٠) أتان الضّحل : الصخرة العظيمة ، تكون في الماء ، وقيل هي الصخرة التي بين أسفل طي البئر ، فهي تلي الماء ، والاتان : الصخرة الضخمة الململمة، فاذا كانت في الماء الضحضاح قيل : أتان الضحل . وتشبه بها الناقـة لصلابتها . أنظر اللسان مادة « أتن »

(٥١) لا تخرج أقوال الواحـدي في شرحه وكذلك الاقوال التي جاءت في الكتـاب المنسوب للعكبري عما قدمه ابن المستوفي من شروح .

(٥٢) هذا البيت من قصيدة قالها المتنبي في مدح الحسين بن علي الهمـداني ، مطلعهـا :

لقد حازني وجد بمن حازه بعـد — فيا ليتني بعد ويا ليته وجد

٨- وإذا خَفِيت على الغَبيِّ فَعَاذِرٌ
أن لا تَرَاني مُقْلَةٌ عَمْيَاءُ

الغبي : الجاهل القليل الفطنة . وقوله « فعاذر » ، أي : فأنا عاذر ، والمعنى : ان الغبيّ بمنزلة الأعمى ، فكيف يمكن للعميان أن يتخيّلوا الاشخاص .(٥٣)

٩- شِيَمُ اللَّيالِي أنْ تُشَكِّكَ ناقَتِي
صَدْرِي بها أفْضَى أَمِ البَيْدَاءُ

قال المبارك بن أحمد :

« الشيمة » : الخُلُق ، وكلّهم فسّره بالعادة ، وهو قريب . أي خُلُق الليالي الذي طبعت عليه أن تجعل ناقتي شاكّة : أصدري بالليالي أم بمقاساة الليالي وصروفها أفْضَى ، أي : أوسع أم البيداء ؟ وهي الفلاة الواسعة : أجريت مجرى الاسماء ، ولم يأت لها مذكّر . و« ناقتي » منصوب ، انه مفعول به ، ولو رفع بأنه فاعل جاز . والأول أوْلى .

قال ابن جنّي :

---

(٥٣) قال الواحدي في شرحه ، ١٩٣ :
يقول : إذا خفي مكاني على الجاهل فلم يعرف قدري ، ولم يقر بفضلي ، فأنا عاذر له ، لان الجاهل كالأعمى ، والمقلة العمياء إن لم ترني كانت في عذر عماها كذلك الجاهل .
وجاء في الكتاب المنسوب للعكبري : ١/١٥
المعنى : يريد : انه إذا خفي مكانه على الغبي ، وهو الجاهل الذي لايعرف شيئاً ، ولم يعرف قدري ، ولم يقر بفضلي ، فأنا أعذره لأن الجاهل كالأعمى ، والمقلة العمياء إن لم تر فهي في عذر لعماها ، وكذلك الجاهل الذي يجهلني ويجهل قدري ، وهذا مأخوذ من قول الشاعر :
وقد بهرت فما أخفى على أحد   إلا على أكمه لا يعرف القمرا
وقال أبو الفتح في كتابه الفسر : ٧٧ ،
« يقال : غبى يغبى غباوة ، فهو غبي » .

« أفضى » : ها هنا اسم . كما ان « أوسع » ها هنا لو كان اسماً ونباه للمبالغة ، وإن كان ماضيه : أفضى يُفضي متجاوز الثلاثة ، وقال: يقول من عادات الليالي أن توقع لناقتي الشكّ والشبهة ، أصدري أوسع أم البيداء ؟ لما ترى من سعة قلبي وبُعد مطلبي . وأراد همزة الاستفهام فحذفها ضرورة وتخفيفاً .

قال أبو زكريا التبريزي :

قوله (أفضى) يحتمل أن يكون اسماً وفعلاً ، فاذا كان اسماً فهو على معنى التفضيل ، كأنه قال : أصدري أشد سعة أم البيداء ؟ وإذا كان فعلاً فهو من أفْضَى يفضي ، كأنه قال : أصدري يفضي بهذه الناقة ، أي : يصيّرها في الفضاء أم البيداء ؟

وقال أبو البقاء :

إذا جعل أفْضَى فعلاً فالمعنى : هل غيّرت ناقتي بسعة صدري أم بالبيداء ؟

قال المبارك بن أحمد :
« الهاء » في « بها » تعود على الناقة .
وقال الكندي :

و « أفضى » فعل . أي صدري أداها الى الهزال أم البيداء . بهذا كلامه .

ويكون على هذا قد حذف « الى الهزال »
وقال الكندي : ويجوز أن يكون اسماً ، أي : صدره أوسع بي إذا طابت نفسه بإهلاكي أم البيداء ؟
قال الواحدي :

قال ابن جني : من عادات الليالي أن توقع لناقتي الشكّ ، أصدري أوسع أم البيداء ؟ لما ترى من سعة قلبي وبُعْد مطلبي . وهذا إنما يصح لو لم يكن في البيت « بها » وإذا رددت الكناية في « بها » الى الليالي بَطَل ما قال ، لأن المعنى : صدري بالليالي وبما تورده عليّ من مشقّة الاسـفار وقطع المفاوز أوسع أم البيداء ؟ وناقتي تشاهد ما أُقاسي من السفر ، وصبري عليه فيقع لها الشّك في أن صدري أوسع أم البيداء ؟. وعلى هذا «أفضى» (افعل) ، كمـا تقول : أوسـع ، وتشبيه الصـدر في السعة بالمفازة عـادة الشـعراء .[٥٤]

وقال قوم : الكناية تعود الى « الناقة » ، ومعنى « أفضى بها » : أي : أدّاها الى الهزال صدري أم البيداء ؟ فمرّة تقول : لولا سعة صدره من حيث الهمّة وبُعْد المَطْلَب لمَا أتعبني في السفر . ومرّة تقول : البيداء هي التي تذهب لحمي وتؤديني الى الهزال . وعلى هذا « أفضى » فعل . ويجوز أن تكون اسماً . وان عادت الكناية الى الناقة ، والمعنى : ان ناقتي قويّة نجيبة يُضنّ بمثلها ، ولا تهزل في السفر . وهي ترى إتعابي إياها وإسادي[٥٥] عليها في الاسفار ، فتقول : صدره أوسع بي حيث طابت نفسه بإهلاكي . والقول هو الاول في معنى البيت ، وهو ردّ الكناية الى الليالي وأراد : أصدري ،

---

(٥٤) استشهد الواحدي في كتابه بعد كلامه هذا بأبيات من شعر أبي تمـام والبحتري :

قال : كما قال أبو تمام :

ورحب صدر لو أن الارض واسعة   كوسعه لم يضقِ عن اهله بلد

وقال البحتري :

مفازة صدر لو تطـرق لم يكن   ليسلكه فرداً سـليك المقانب

وقال أيضاً :

كريـم إذا ضاق الزمـان فإنه   يضل الفضاء الرحب في صدره الرحب

(٥٥) أساد السير ، ادابه ، وأكثر ما يستعمل ذلك في مشي الليل ، وسوف يرد

فحذف ألف الاستفهام لدلالة « أم » عليه ، ولم يشرح أحد هـذا البيت كما شـرحته .

منع الواحدي في أوّل كلامه أن تردّ الكناية الى الليالي ، ثم أجـازه في آخره .[٥٦]

١٠ـ فَتَبِيتُ تُسْئِدُ مُسْئِداً في نَيِّها
إسآدَها في المَهْمَهِ الإنْضَاءُ

« الإسئاد » : الإغذاء في السير ، وأكثر ما يستعمل في سير الليل .
قال أبو الفتح :

وشرح الإسئاد وقال : ومعنى البيت : فتبيت تسرع هذه الناقـة في السير كما يسرع تعبها بقطع هذه الارض في شحمها . أي : يهزلهـا الإنضاء لشدّة السير ويسرع في شحمها كما تسرع هي في قطع هذه الارض . أي : كلّما قطعت الارضَ قطعت الارضُ شحمها على احتذاء ومثال هذا كهذا.[٥٧]

---

(٥٦) جاء في كتاب « تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب » لأبي المرشـد شرحه في شرح البيت التالي .
سليمان المعري ص٢٥ : « قال الشيخ أبو العلاء رحمه الله : يقول : ناقتـي هذه تشكلها الليالي ، فلا تدري أصدري أفضى أم البيداء التي هي سـائرة فيها ، وأراد ألف الاستفهام فحذفها ، وذلك كثير موجود وقد حملوا على ذلك قول الأخطل :

كذبتك عينك أم رأيت بواسـط   غلس الظلام من الرباب خيالا

كانه يقول : أكذبتك عينك ؟ وقوله «أفضى» ، يحتمـل أن يكون اسـماً وفعلا . فإذا كان اسماً فهو على معنى التفضيل ، كانه قال : أصدري اشد سعة أم البيداء ؟ وإذا كان فعلا فهو من «أفضى» الى الشيء يفضي . كانه قال، صدري يفضي بهذه الناقة . اي يصيرها في الفضاء أم البيداء .

قال الشـيخ أيده الله :

وهذه جملته من المتنبي وقت القراءة عليه ، وهو صواب صحيح .

قال أبو الفتح :

ونصب « مسئداً » على الحال منها.و«الإنضاء» مرفوع بـ «مسئداً» . والعائد عليها من هذه الحال « الهاء » في « نَيِّها » . و « إسآدها » منصوب على المصدر ، والناصب له « مسئداً » . وتقديره ومعناه : فتبيت هذه الناقة تسئد مسئداً الإنضاء في نَيِّها إسآداً مثل اسآدها هي في المَهْمَه . ونظير هذا : « هند تصلي مصلياً عمرو في دارها صلاتها في المسجد » ، أي : تبيت تصلّي على هذه الحال . ومسئداً فعل للإنضاء : أجري حالاً على الناقة لما تعلّق به من ضميرها الذي في « نيّها » كما تقول : مررت بهند واقفاً عندها عمرو .[58]

---

(٥٧) أعيد هنا كتابة صياغة الشرح على وفق ما ورد في كتاب «الفسر» : ص٨٠
« ومعنى البيت : فتبيت هذه الناقة تسرع السير كما يسرع تعبها بقطع هذه الأرض البعيدة السير في شحمها ، أي : يهزلها الانضاء لشدة السير، كما تسرع هي في قطع هذه الارض ، أي كلما قطعت الارض قطعت الارض شحمها على احتذاء مثال هذا كهذا . حصلته على المتنبي وقت القراءة ، وهو صواب صحيح .

(٥٨) قال أبو القاسم عبدالله بن عبدالرحمن الاصفهاني في كتابه « الواضح في مشكلات شعر المتنبي » ص٣٠
« تفسير هذا البيت قول أبي تمام الطائي ومنه أخذ المتنبي ، إلا انه عقد الالفاظ وعوّصها وأظلم المعنى ، وبيت أبي تمام :

رعته الفيافي بعد ما كان حقبة رعاها وماء الروض ينهل ساكبه

وأبو تمام اخذ هذا المعنى من بيت العرب أنشده أبو سعيد السيرافي عن أبي بكر محمد بن دريد في كتاب «الأبيات» للأشنانداني وهو :

وذات ماءين قد غيضت ماءهما بحيث تستمسك الأرماق بالحجر
ردت عواري غيطان الفلا ونجت بمثل إبالة من يابس العشر

وقال ابن سيده في كتابه « شرح مشكل أبيات المتنبي » : ١٠١ :

وقال ابن فورّجة .

وذكر معنى ما ذكره أبو الفتح : وهذا البيت مأخوذ من قول أبي تمام، يقول يعني بعيراً .

رعته الفيافي بعدما كان حقبة رعاها وماء الروض يَنْهَلّ ساكبه(٥٩)

فإن كان أراد : رعاها رعي العشب فليس المعنى ذاك ، وإن كان أراد به استعارة في القطع فأقبح بهذه الاستعارة . ان يقول : رعت ناقتي هذه الفلاة تريد قطعها .

وقال الواحدي :

وأقام الإنضاء مقام الهزال للقافية . والانضاء فعل أبي الطيب بها لأنه ينضيها ، وكان الأولى أن يجعل مكان الإنضاء مصدر فعل لازم ، فيكون أقرب الى الفهم .

« الإسئاد » سرعة السير ، وقيل : سير الليل . و« النيّ » ، الشحم. وتقدير البيت : فتبيت تسئد مسئد الإنضاء في نيّها : أي : يسرى فيه مسرعاً فيأخذ منه ، كما تسئد هي في هذه المهمة الذي تقطعه .

يقول : يأخذ السير من جسمها كأخذها هي في المهمه ، فقد أفناها السير كما أفنت هي المهمه ، فلم يبق من جسمها شيء كما لم يبق من المهمه . ف « مسئداً » في اللفظ حال من الضمير الذي في « تسئد » وهو في الحقيقة للانضاء . و« الانضاء » فاعل بقوله : « مسئداً »

وتحقيق الحال في ذلك ان يقول : فتبيت تسئد والانضاء مسئد في نيّها، والعائد الى الضمير الذي في « تسئد » من هذه الحال اللفظية ما في « نيّها » و « اسئادها » من الضمير . وتقدير لفظ البيت على ما صورته لك يؤديك الى حقيقة إعرابه ، ولكني ذهبت الى التبيين .

(٥٩) هذا البيت من قصيدة قالها أبو تمام في مدح أبي العباس عبدالله بن طاهر ، مطلعها :

أمن عوادي يوسف وصواحبه فعزماً فقدماً ادرك الثأر طالبه

وهذا معنى كلام ابن فورّجة وأكثر لفظه .

وقال عبدالواحد بن زكريا :

فتبيت « التاء » ضمير الناقة ، و« تسئد » في موضع حال .

والصحيح ان «تسئد» خبر «بات» لا حال .[60]

١١ـ أَنْسَاعُهَا مَمْغُوطَةٌ وخِفَافُهَا
مَنْكُوحَةٌ وطَرِيقُهَا عَذْرَاءُ

« الانساع » : جمع نسع . وهو السير المضفور ، و « ممغوطة » ، ممدودة ، وأراد بذلك ضمرها وهزالها . فأنساعها تمتد حتّى تلحق أن تحيط بوسطها . فكنى بذلك عن الضمر . و « خفافها » جمع خفّ . «منكوحة»: قد أدْمتها صلابة الارض والحصى . شبّهها بنكاح المرأة . و « العذراء » : البكر ، أي : طريقها لم يسلك قبلي ، يصف شدّة ما يكلّفها .

قال أبو زكريا :

والعذراء : التي جرت العادة أن تنكح ، وهي ها هنا ناكحة التي أدْمت الخفاف .

قال المبارك بن أحمد :

إنما تنكح خفافها غلظ الارض والحصى . فالناكح غير الطريق .
والطريق عذراء لأنها لم تسلك .

ويروى « ممعوطة » بعين مهملة . أي : ذاهبة الشعر . كأنه من كثرة شدّها وحلّها .

---

(٦٠) جاء في حاشية المخطوطة ما يأتي ،
« وقوله «التاء» ضمير الناقة فيه نظر . » .

وقال الواحدي :

« المغط » المـدّ ، وذلك كنايـة عن عظم بطن الناقـة حين امتدّت أنسـاعها وحالت .

والأول أجود من قول الواحدي ، لأنه وصفها أوّلاً في البيت الذي قبله بالإنضـاء .

١٢ـ يَتَلَوَّنُ الخِرِّيتُ مِنْ خَوْفِ التَّوَى
فيها كما تَتَلَوَّنُ الحِـرْبَاءُ

« الخِرِّيت » : الدليل . و « التوى » : الهـلاك . و « الحِرباء » دُوَيْبَةٌ تستقبل الشمس فتدور معها حيث دارت ، وهو ذكر أُمّ حُبَيْنٍ، أكبر من العضاة شـيئاً .

قال أبو الفتح :

معنى البيت : ان الدليل يتلفّت يمنةً وشأمة[61] ، ليستدلّ في هـذه المفازة خوف الهلاك .

قال المبارك بن أحمد :

هذا مأخوذ من قولهم : هذا يتلوّن ألواناً ، أي : لا يدوم على خلق. فكأنه لا يدوم على حال في [لفظة غير واضحة ...] . ويجوز أن يكـون أصله من الانتقال من لون الى لون كأنه يصفرّ مرّة ويسْوَدّ أخرى مـن خوف الهـلاك .[62]

---

(٦١) الشأمة : جهة اليسار . يقال : نظر يمنة وشأمة مثلما ورد في النص .
(٦٢) وقال الواحدي في شرحه : ١٩٥ :
الخريت : الدليل ، سمي خريتاً لاهتدائه في الطرق الخفية كخرت الإبرة، كأنه يعرف كل ثقب في الصحراء . يقول : الدليل الحاذق يتغير لونه من

١٣ــ بَيْنِي وبَيْنَ أبي عَليٍّ مِثْلُهُ
شُمُّ الجِبَالِ ومِثْلَهُنَّ رَجَاءُ

« مِثلُهُ » رفع بالابتداء • و « شمّ الجبال » بدل منه ، أوْ عطفه بيان ، وما قبله خبر عنه • ويجوز أن يكون « شم الجبال » خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : ما مثله ؟ فقال : مثلُه شم الجبال •

ويروى « صم الجبال » • و « مثلَهنّ » منصوب على الحال لأنه صفة رجاء ، النكرة مقدمة عليه ، وفي نسخة : مثلهن بالرفع أيضاً •

قال أبو الفتح :

ومعنى البيت : بيني وبين هذا الممدوح جبال مرتفعة مثله في العِظم • وقال : فهو في ظاهر اللفظ تعظيم للجبال ، ووصف لها بالوقور والرسُوّ ، وهو في المعنى تعظيم للممدوح ، لأنه شبّهه بالجبال • يريد حِلمه ورزانته • أي بيننا هذه الجبال ورجاء منّي له مثل هذه تعظيماً لرجائه وتأكيداً له •

وفي نسخةٍ « مثلَه » ونصبه أيضاً على الحال ، وليس بشيء •(٦٣)

خوف الهلاك كما يتلون الحرباء وهي دابة تستقبل الشمس وتدور معها حيث دارت ، تتلون في الأيام ألواناً كما قال ذو الرمة ،

غدا أكهب الأعلى وراح كأنه من الضح واستقباله الشمس أخضر

والمعنى من قول هدبة :

يظل بها الهادي يقلّب طرفه من الهول يدعو ويله وهو لاهف

وقال الطرماح :

إذا اجتابها الخريت قالت لنفسه أتاك برجلي حائن بعد حائن

(٦٣) قال الواحدي في شرحه : ١٩٥ :

يقول : بيني وبينه جبال مرتفعة ، مثله في العلو والوقار ، ورجاء عظيم مثل هذه الجبال . فنصب «مثلهن» لأن نعت النكرة المرفوعة اذا قدم عليها

١٤ــ وعِقَابُ لُبنانٍ وكيف بِقَطْعِها
وهُوَ الشِّتاءُ وصَيْفُهُنَّ شِتاءُ

« عقاب » جمع عقبة . و « لبنان » : جبل بالشام . يقول : كيف أقطعها في الشتاء ؟ وصيفها شتاء . يصف شدّة البرد ، وصعوبة الطريق .(٦٤) ويجوز أن تكون « الباء » زائدة ، أي : كيف قطعها ؟ ويجوز أن يعلقها بمحذوف ، أي : كيف الظنّ بقطعها ؟ « وهو الشتاء » في موضع نصب على الحال ، أي : شاتياً .(٦٥)

١٥ــ لَبَسَ الثُّلوجُ بها عليَّ مَسَالِكِي
فكأنّها بِبَيَاضِها سَوْدَاءُ

لَبَسَ عليه الأمر : إذا عمّاه ، أي : أخفى الثلج وعمّى مسالكي ، فلم أهتدِ الطريق لكثرة ثلوجها ، كأنها لشدّة بياضها سوداء ، فلا يهتدى بها ، والأسود لا يهتدى فيه ، هذا معنى كلام أبي الفتح .

نصب على الحال منها ، كما تقول فيها ، قائماً رجل ، كما قال ذو الرمة ، وهو من أبيات هذا الكتاب :

وتحت العوالي والقنا مستظلة ظباء أعارتها العيون الجآذر

وقال أبو القاسم علي بن جعفر ابن القطاع الصقلي في كتابه « شرح المشكل من شعر أبي الطيب » تحقيق الدكتور محسن غياض : مجلة المورد : م٦/ ع٣/ص٢٤٤ سنة ١٩٧٧ :

يجوز في «مثله» الرفع والنصب . فالرفع على الابتداء . و«شم» بدل منه . والنصب على أن يجعل « شم الجبال » مبتدأ و«مثله» صفة متقدمة، فتنصب على الحال لتقدمها .

والنصب في قوله «ومثلهن» على الحال لأنه نعت ل «رجاء» . ولو رفعه وجعل «رجاء» بدلا منه لنقص المعنى . ولم يتم الفائدة ، لأنه لا يكون بينه وبين أبي علي « شم الجبال » و « رجاء » .

(٦٤) هذا الكلام لأبي الفتح في كتابه «الفسر» ولم يشر ابن المستوفي الى قائله بشيء .

ويروى « كبس » • وفي النسخة التي قرأتهـا : « لبس الضريب عليَّ فيها مسلكي » والأول أجود وأشهر ، و « بها » يعود الى العقاب • ويجـوز أن يعود على «مسالكي» وقد تقدّم • والأول أجود لتعلقه بالفعل وقربه منه ولبعده عن مسالكي ، وضعف عملها فيه(٦٦)

١٦ــ وكَذا الكَـريمُ إذا أقامَ بِبَلْدَةٍ
سَـالَ النُّضـارُ بها وقامَ المـاءُ

قال الكندي :

أي : انتقضت العادة في البياض كما ان هذا الكريم لمّا أقام بالبلدة نقض العادة فسال المال من جوده وخجل الماء استحياءً فجمد •

وقال أبو الفتح :

والمعنى : ان الكريم إذا أقام ببلدة أعطى المال وفرّقه في وجوه الكرم، فكأنه ماء سـائل (وقام الماء) : أي : جمد لمّا رأى من كرمه وسخائه ، فوقف متحيّراً فلم يَسِل • ويشهد لصحة هذا البيت وله بعده :

---

(٦٥) جاء في الكتاب المنسوب الى العكبري : ١٨/١ :
لبنان : جبل معروف من جبال الشام ، يريد : كيف الظن بقطعها والوقت شـتاء . والصيف بها مثل الشتاء . وإذا كانت في الصيف صعبة، فكيف في الشـتاء ؟
وكيف : استفهام في معنى الانكاري .

(٦٦) يقول الواحدي في شرحه ، ١٩٥ :
لبس الشيء ولبّسه : إذا عماه ، ومنه قوله تعالى : « ولَلَبسنا عليهـم ما يلبسون » . ويقول : أخفى الثلوج هذه العقاب طرفي عليّ فلم أهتـد فيها لكثرتها وبياضها ، والاسود لا يهتدى فيه ، يقول فكأنها اسودت لما لم يهتد فيها لبياضها .
نقل صاحب الكتاب المنسوب الى العكبري كلام الواحدي هنا الى كتابه ولم يشر اليه بشيء . وأضاف قائلا في نهاية شرح الواحدي :
« وهذا من أحسن الكلام » . يعني بذلك الشعر .

جمد القطار ولو رأته كما ترى بهتت فلم تَتَبَجَّس الأنواءُ

وفي حاشية : قال المتنبي : جرى الجامد جوداً ، وجمد الجاري حيرة .

وقال الواحدي :

ومعنى هذا البيت متّصل بالذي قبلـه ، لأنه يقول : بياض الثلج يُعَمّي فقام مقام السواد ، والبياض إذا عَمِل عَمَل السواد فقد نقض العادة ، كذلك الكرم إذا أقام ببلدة ينقض العادة ، فيجعل الذهب سائلاً ويجمد الماء . وإنما قال هذا لأنه أتاه في الشتاء عند جمود الماء ، ولم يعرف أحد ممن فسّر هذا البيت معنى قولـه : « وكذا الكريم » والتشبيه فيه واتصالـه بما قبله .

وفي نسخة : يريد كثرة عطاياه حتى يسيل الذهب ويخجل المطر من زيادتها عليه حتّى يصير سيلانه كأنه قام بالاضافة .(٦٧)

---

(٦٧) جاء في كتاب ابن عدلان المنسوب الى العكبري : ١٩/١
النضار : الذهب ، والنضير أيضاً . قال الأعشى :
إذا جردت يوماً حسبت خميصة عليها وجريال النضير الدّلامصا
ويجمع على أنضر . قال الكميت ،
ترى السابح الخنذيذ منها كأنه جرى بين ليتيه الى الخد أنضر
وقيل : النضار : الخالص من كل شيء ، قالت الخرنق بنت هفان :
الخالطين نحيتهم بنضارهم وذوي الغنى منهم بذي الفقر
وقدح نضار : يتخذ من أثل يكون بالغور ، وبنو النضير : حي من يهود خيبر ، من ولد هارون عليه السلام .
يقول : ان الكريم إذا أقام ببلدة أعطى المال ، فمن كثرة إعطائه كأنه ماء سائل ، فلما رأى الماء كرمه وقف متحيراً جامداً ، وهذا معنى حسن .
[الملاحظ هنا ان هذا معنى قول أبي الفتح باغلب لفظه ، ولم يشر اليه بشيء] .
ويقول ابن سيده في كتابه « شرح مشكل أبيات المتنبي » : ١٠٢ ،
اي : انه يبث الذهب ويصرفه في كل وجه ، فكانه بكثرته يسيل ويماع

١٧ــ جَمَدَ القِطارُ ولَوْ رَأتْهُ كما تَرَى
بُهِتَتْ فَلَمْ تَتَبَجَّسِ الأنْواءُ

« القِطار » : جمع قطر ، وهو المطر • ويكون القطر جمع قطرة • و « بهتت » : تحيّرت • وقوله : « فلم تتبجّس » أي : لم تتفتّح ولم تتشقق • و « الأنواء » : جمع نَوْء ، و « النوء » : سقوط نجم في المغرب ، وطلوع آخر يقابله في المشرق • قاله أبو الفتح •

وأراد : النجوم يستسقى بها ، و « الأنواء » : يجوز أن يكون فاعل كل واحد من رأته وبهتت وتتبجّس • وأن يكون فاعل « رأته » أوْلى • وهو رأي الكوفيين ، لأنه لو أعمل الاقرب وهو «تتبجّس» صار في الكلام اضمار قبل الذكر في موضعين ، وهو جائز للعلم به ، وهذا مختصر كلام أبي العلاء •

حتى يخجل الماء من كثرته ، فيقف حائراً ، يقال : قام الماء اذا جمد فلم يسل ، ومنه قوله تعالى : « إلاّ ما دمت عليه قائماً » . أي : ثابتاً ، غير منصرف ،ألا ترى قوله بعد هذا « جمد القطار » .

وإن شئت قلت : يخجل القطر من سيلان الذهب فيعود سيلانه باضافته الى سيلان الذهب جموداً ، إلا انه يجمد عن السيلان .

وقال ابن فورجة في كتابه « التجني على ابن جني » تحقيق د. محسن غياض ص٢١٧ :

أراد بالكريم ، الممدوح نفسه ، لا كل كريم اذا كان شارعاً في ذكره ، وهذا كما قال الشاعر :

أبى القلب إلا أم عمرو وذكرها (عجوزاً ومن يحبب عجوزاً يفند)

(البيت لأبي الأسود الدؤلي . ديوانه ١٤٥)

وكقول نصيب :

(بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب) وقل إن تملّينا فما ملك القلب

(شعر نصيب بن رباح : ٦٠)

قال أبو الفتح :

يقول : جمد المطر لمّا رآه متحيِّراً من كرمه ، فلو ان الأنواء رأته كما رآه القطـار لبهتت فلم تتفتّح بالمـاء استعظاماً لِما يأتيه • فهذا البيت كأنه تفسير البيت الذي قبله •هذا كلامه •

قالوا : والضمير في « رأى » للماء في قوله « وقام الماء » • ويجـوز أن يكون للقطار لأنه على لفظ الواحد ، وقد تقدّم •

وقال الواحدي :

يقول : لو رأته الأنواء كما رأى القطار تحيّرت في جوده •(٦٨)

وفي نسخة : « كما أرى » • قال الواحدي : ويروى « كما أرى » والصحيح : « كما ترى » لأن القطار مؤنثة •

وقال ابن فورّجة في هذا البيت :

هذه دعوى لكل كريم ، أوْ عنى بهذا الممدوح وحده ، وادّعـى له المحال كما يدعي المبالغ في المدح ما لا يكون للممدوح ، وذلك انه مدحـه في الشتاء فادّعى : ان جمود الماء إنما هو لتحيّره ، والالف واللام فيه دليل على انه يعني هذا الممدوح نفسه لا كريماً سـواه ، أو كان في ذكره وشارعاً في حديثه • فهذا كما يقول الشاعر :

★ أبَى القلب إلاّ أمّ عمرو وحبها ★(٦٩)

---

(٦٨) قال الواحدي في شرحه: ١٩٦ ، وقد نقل ابن المستوفي جزءاً منه الى كتابه: القطار : جمع قطر ، والأنواء : منازل القمـر ، والعرب تنسب اليها الامطار . يقولون : سقينا بنوء كذا . ويريد بجمود القطار : الثلوج،جعلها كالمطر الجامد ، لما لم يسل ، يقول : لو رأته الأنواء كما ترى القطـار تحيرت في جوده ولم تتفتح بالثلج استعظاما لما يأتيه وخجلا من جوده .

(٦٩) هذا لأبي الاسود الدؤلي . ديوانه ، ٥٣ ، وفيه « وذكرها » وعجزه :
❋ عجوزاً ومن يحبب عجوزاً يفند ❋ وقد مر في هامش سابق

يعني قلب نفسه ، إذ كان في ذكره ، ولو قيل : عَنى كل قلب كان غير جائز، ألا ترى انه ليس كل قلب يُحبّ أمّ عمرو ، واستشهد بأمثلة كثيرة ، فكذا لمّا كان المتنبي مدح هذا الرجل فقال : وكذا الكريم ، عُلم انه يريده لا غيره ، فإن قلنا ان (ذلك) دعوى ادّعاها لكل كريم ، لم يكن للمعنى جيداً ، ولم يكن أيضاً خارجاً عن مذاهبهم في الشعر . هذا كلامه .

ولو أعاد ذكر الممدوح أو ضميره بعد قوله «وكذا» كان أجود ، ولم يحتج الى هذا التأويل .

١٨ـ وَلِكُلِّ عَيْنٍ قُرَّةٌ في قُرْبِهِ
حَتَّى كأنَّ مَغِيبَهُ الأَقْذَاءُ[٧٠]

قال أبو الفتح :

وشرح الفاظه ، وهذا قريب من الذي قبله .[٧١]

---

(٧٠) ورد هذا البيت في نسخ شرح الواحدي والمنسوب الى العكبري بعد البيت « في خطه من كل قلب » .

(٧١) قال ابو الفتح في شرح هذا البيت في كتابه الفسر : ٨٨/١
« القرّة » : برد العين ، وقولهم ، « قرت عينه » أي : بردت ، وهو ضد سخنت ، وذاك ان دمع الفرح بارد ، ودمع الحزن حار . و « الإقذاء » جمع قذى ، وهو ما يقع في العين والشراب ونحوهما من عود ونحوه ، فأما « الإقذاء » : بكسر الهمزة ، فمصدر « أقذيت » عينه ، إذا طرحت فيها القذى ، وهذا البيت قريب من الذي قبله .
وقال الواحدي في كتابه : ١٩٦
يقول : كل عين تقرّ بقربه ورؤيته وتتأذى بالغيبة عنه ، حتى كأنها تقذى إذا غاب الممدوح ولم تره فكأن غيبته قذى العيون . والأقذاء جمع القذى . والإقذاء : مصدر . أقذيت عينه : أي طرحت فيه القذى
وجاء في الكتاب المنسوب للعكبري : ٢٠/١ ،
المغيب والغيبة : بمعنى واحد . وقرّت عينه : أي : بردت ، لأن دمع الفرح بارد ، وهو ضد سخنت ، لأن دمع الحزن حار ، والاقذاء : جمع قذى ، وهو ما يقع في العين وفي الشراب
ثم ذكر ما ذكره الواحدي في تفسيره باغلب لفظه .

١٩ـ في خَطِّهِ من كُلِّ قَلْبٍ شَهْوَةٌ
حَتّى كأنَّ مِدادَهُ الأهْواءُ

قال أبو الفتح :

« الأهواء » : جمع هوى مقصود ، يقول : كأنه يستمدّ من أهواء الناس ، لأن كل أحد يرى خطّه فيشغف بحبّه .

قال الواحدي :

ويجوز أن يكون هذا كناية عن وصفه بالجود ، يقول : لا يوقّع إلاّ بالنوال ، فإن الناس يميلون الى خطّه ، ويجوز أن يكون كناية عن طاعة الناس له ، أي ان كتبه تقوم مقام الكتائب ، لأن الناس يميلون إليه وينقادون له طبعاً . والأوّل الوجه .(٧٢)

قال المبارك بن أحمد :

هذا الوجه الثالث بعيد جداً من معنى البيت .

٢٠ـ مَنْ يَهْتَدِي في الفِعْلِ ما لا يَهْتَدي
في القَوْلِ حَتّى يَفْعَلَ الشُّعَراءُ

قال أبو الفتح :

« مَن » هنا بمعنى « الذي » ، وليست استفهاماً ، فكأنه قال : هو الذي يهتدي في الفعل الى ما تهتدي إليه الشعراء في القول حتى يفعل ، فاذا فعل اهتدت إليه فذكرته ، يقول : ان فعله فوق فعل الشعراء ، إنما يذكرون ما يفعل ، لأنه يعرّفهم إياه لفعله له . ولو لم يفعل لم يهتدوا له .

---

(٧٢) نقل ابن عدلان في الكتاب المنسوب للعكبري كلام الواحدي بأغلب لفظه ، ولم يشر اليه بشيء .

وفي نسخة : و « مَن » يحتمل أن يكون بمعنى «الذي» ، أي : هو الذي يهتدي • ويصلح أن يكون استفهاماً بمعنى التقرير • و « الشعراء » فاعل «يهتدي» • وعدّي «يهتدي» وإن كان لازماً بالمعنى ، لأن الاهتداء الى الشيء ، أوّله معرفة به ، كأنه قال : مَن يعرف في الفعل ما لا يهتدي • هذا معنى كلام الواحدي •[73]

ويجوز أن يكون حذف حرف الجر وأوصل الفعل •[74]

٢١ـ في كُلِّ يَوْمٍ لِلْقَوافِي جَوْلَةٌ
في قَلْبِـهِ ولأُذْنِـهِ إصْغَـاءُ

---

(٧٣) نورد هنا كلام الواحدي في كتابه : ص١٩٦ لما فيه من فائدة :
« مَن » بمعنى «الذي» وليست استفهاماً ، يقول ، هو الذي يهتدي فيما يفعل من المكارم والمساعي الجسيمة الى ما لا يهتدي اليه الشعراء في القول حتى يفعل هو ، أي : إنما يقتدون فيما يقولون من المدائح بأفعاله، فاذا فعل هو تعلموا من فعله القول فحكوا ما فعله ، وكان من حقه أن يقول لما لا يهتدى أو الى ما لا يهتدى ، لأنه يقال : اهتديت اليه وله ، ولا يقال : اهتديته ، ولكنه عدّاه بالمعنى ، لأن الاهتداء الى الشيء معرفة له ، كأنه قال : من يعرف في الفعل ما لا يهتدى .
وقال ابن سيدة في شرحه : ١٠٣ :
أي : هو من يهتدي الى الفعل الى ما لا يهتدي اليه الشعراء في القول حتى يفعل . يقول ، ذهنه في الفعل أنفذ من اذهان الشعراء في القول ، فاذا اغربوا في مدحه لم يك ذلك الإغراب في غوص أذهانهم على المعاني ، إنما نظروا الى فعله الذي غاص عليه هو بذهنه ، فاهتدوا الى القول بما رأوه من فعله ، ولولا ذلك لم يهتدوا . فاذا (افنا) تعلموا وصفه من فعله .

(٧٤) جاء في كتاب تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب لأبي المرشد سليمان بن علي المعري : ص٢٨ :
قال الشيخ (أبو العلاء) : « فعل الشعراء » هو قوله يهتدي ، والمعنى : ان هذا الممدوح يهتدي في الفعل ما لا يهتدي اليه الشعراء ، وهم موصوفون بالفطنة ، وادعاء الأشياء المتعذرة ، فهذا الممدوح يفعل الاشياء التي لايهتدي الشعراء اليها حتى يفعلها فتعرفها حينئذ .

« القوافي » ، يريد هنا : القصائد . و «جولة» : ذهاب ومجيء . أي: يعمل في قلبه وتصغي أُذنه إليها ، يريد : انه مُدح في كل يوم ، ويؤثّر المدح في قلبه . وهذا كلام أبي الفتح وزيادة في معناه .

وقال الواحدي :

يُمدح كل يوم ، فيعي ذلك قلبه ، ويميل إليه ، بأذنه حباً للشعر وإعطاء الشعراء وهو قوله :

٢٢ــ وإغـارَةٌ فيما احتـواهُ كأنّمـا
في كـلِّ بيتٍ فَيْلَقٌ شَـهْبَاءُ

«الفيلق» : الكتيبة الداهية المنكرة ، و « الشهباء » الصّافية الحديد.
يقول : وفي كل يوم أيضاً للقوافي إغارة على ماله ، فكأن في كل بيت فيها فيلقاً شهباء تغير عليه . هذا كلامه .

يريد : ان القوافي تغير على ماله فتنهبه ، كأن في كلّ بيت جيشاً .

٢٣ــ مَن يَظْلِمُ اللُّؤَمـاءَ في تَكْلِيفِهِمْ
أن يُصْبِحُوا وهُمُ له أكْفَـاءُ

« اللئيم » : الدّنِيء الاصل ، الشحيح النفس .

قال أبو الفتح :

اللؤماء : جمع لئيم ، يقول : تكليفه اللؤماء أن يُصبحوا مثله في الكرم ظُلْمٌ منه لهم ، لأنهم لا يقدرون على ذلك .

والرواية الفاشية « يَظلم » بالياء ، و « يذيمهم » باليـاء أيضاً . وفي رواية : « مَن نظلم .. ونذيمهم » بنونين فيهما . و « يُظلم » بالياء المضمومة. و«اللؤماء» : مفعولُ ما لم يسمّ فاعله ، والمعنى فيها كلّها واحد . قالوا قوله : « في تكليفهم » مصدر أُضيف الى المفعول ، وهو في الحقيقة فاعل.

قال المبارك بن أحمد :

قوله من روى « من نظلم » بالنون أجود من قول مَن رَوى «يظلم» لأن نسبة ظلم اللؤماء إليه في تكليفهم ما لا يقدرون عليه ، قبيحة ، إذ تكليف ما لا يطاق لا يحسن ، وكيف يجوز أن يكلف الممدوح اللئام أن يُصبحوا مثله ؟ وربما عجز عن ذلك الكرام غيره ، فيكون قريباً من الذمّ ، بل يكون ذماً .

وهذا الفصل كتبته ــ علم الله ــ قبل أن أنظر في كتاب الواحدي ، ووجدته قال : « وليس في هذا مدح ، ولو قال : «الكرماء» لكان مدحاً ، فأمّا إذا كان أفضل من اللئام فلا يقدرون أن يكونوا أكفاءه فهذا لا يليق بمذهبه في إثارة المبالغة .

ورواه الخوارزمي : « مَن نظلم » بالنون ، وقال : إذا كلّفنا اللئام أن يصيروا أكفاء فقد ظلمناهم بتكليفهم ما لا يطيقون .(٧٥)

٢٤ــ ونَذِيمُهُمْ وبِهِمْ عَرَفْنا فَضْلَهُ
وبِضِدِّها تَتَبَيَّنُ الأشياءُ

الذيم ، والذّام : العيب .

في نسخة يقول : هو يذمّ اللئام على البخل ، وكان ينبغي له أن يمدحهم ، لأنهم لو كانوا مثله لم يتبيّن لنا فضله لقصورهم عنه ، كما يتبيّن حسن الشيء إذا قرن بضدِه .

---

(٧٥) جاء في الكتاب المنسوب الى العكبري التعليق الآتي : ١/٢١ :
« والذي قاله الواحدي نقد حسن ، واعتذار الخوارزمي أحسن » .
وقال أبو العلاء في كتاب أبي المرشد سليمان بن علي المعري ، ص٢٨ :
« مَن » في البيت استفهام ، والمراد : أن أحداً من الناس لا يظلم اللؤماء بأن يكلفهم أن يفعلوا كفعل هذا الممدوح ، كما يقال للشيء اذا بعد : مَن يقدر على هنا ؟ أي لا يقدر عليه أحد .

قال أبو الفتح :

يقول : لمّا رأيناه ورأيناهم عرفنا فضله ، وهذا كقول المنبجي:[٧٦]

ضِدّان لمّا استجمعا حسناً والضِّدُّ يُظهر حسنه الضِّدُّ

وهذا بيت مدخول ، لأنه ليس كل ضدّين إذا استجمعا حسنا • ألا ترى إذا قرن بالقبيح بأنَ حُسْنُ الحَسَن ، وقبح القبيح[٧٧] جميعاً•وبيت المتنبي سليم ، لأن الأشياء بأضدادها يصحّ أمرها •[٧٨] • وتستقرّ لمتأملها حسنة كانت أو قبيحة •

وقال الواحدي :

يقول : نعيب اللئام ، وفضله إنما يعرف بهم ، لأن الأشياء إنما تتبيّن بأضدادها • فلو كان الناس كلهم كراماً مثله لم يعرف فضله •

قال ابن جني : وذكر كلامه جميعه•[٧٩] وقال : وقد أكثر الشعراء في هذا المعنى ، قال أبو تمام :

---

(٧٦) المنبجي : هو لقب «دوقله» شاعر القصيدة اليتيمة المعروفة ب «الدعدية» . وربما يكون يحيى بن نزار بن سعيد المنبجي ، أبو الفضل ، شاعر من أهل منبج من أعمال حلب ولد بها سنة ٤٨٦ وانتقل الى دمشق ثم رحل الى بغداد ومات فيها سنة ٥٥٤هـ .

وهناك من يقول : هذا البيت لشاعر آخر قيل انه علي بن جبلة العكوك من قصيدة تسمى الدرة اليتيمة مطلعها :

هل بالطلول لسائل رد أم هل لها بتكلم عهد

(٧٧) عبارة كتاب الفسر لابن جني : « ولم يحسنا جميعاً » .

(٧٨) عبارة ابن جني كما وردت في كتابه الفسر : « يصح امرها لما عليها ، حسنة ظهرت أم قبيحة » .

(٧٩) نذكر هنا كلام الواحدي في كتابه ص١٩٧ ، وهو الذي لم يذكره ابن المستوفي :

←

وليس يعرف طيب الوصل صاحبه حتّى يُصابَ بنأي أوْ بهجران

وذكر جملة أبيات في هذا المعنى : وأبو الطيّب صرّح بالمعنى وبيّن أن مجاورة المضادة هي التي بيّنت حسن الشيء وقبحه • ثم أخفاه في موضع آخر ، فقال :

ولولا أيادي الدهر في الجمع بيننا غفلنا فلم نشعر له بذنوب

٢٥ــ مَنْ نَفْعُهُ في أن يُهَاجَ وضَرُّهُ
في تَرْكِهِ ، لو يَفْطُنُ الأعْدَاءُ[٨٠]

قال أبو الفتح :

يقول : إذا هيج انتفع بذلك شوقاً الى الكفاح ومقارعة الأعداء ، وإذا ترك عن ذلك ولم يجد سبيلاً اليه استضرّ به ، وهذا كقوله أيضاً :

ذراني والفلاةَ بلا دليلٍ ووجهي والهجيرَ بلا لِثام[٨١]

« وقال ابن جني ، وهذا كقول المنبجي » :
فالوجه مثل الصبح مبيض والشعر مثل الليل مسود
ضدان لما استجمعا حسناً والضد يظهر حسنه الضد
ثم ذكر الواحدي كلام أبي الفتح الى قول أبي تمام : « وليس يعرف طيب الوصل ... البيت » ، ثم قال :
وقال أيضاً :
الحادثات وإن أصابك بؤسها فهو الذي أنباك كيف نعيمها؟
وقال أيضاً :
سمجت ونبهنا على استسماجها ما حولها من نضرة وجمال
وحسن دراري الكواكب أن ترى طوالع من داج من الليل غيهب
وقد ملّح بشار قوله :
وكنّ جواري الحي ما دمت فيهم قباحاً فلما غبت صرن ملاحاً
وأبو الطيب صرح بالمعنى ... الخ » .

(٨٠) رواية ابن جني في كتابه ، ورواية ابن عدلان « تفطن »

(٨١) هذان البيتان من قصيدة يذكر فيها حمّى كانت تغشاه في مصر . مطلعها :
ملومكما يجل عن الملام ووقع فعاله فوق الكلام

فإني استريح بذا وهذا وأتعب بالاناخة والمقام

ويجوز أن يكون المعنى : انه إذا هيج استباح حريم أعدائه ، وأخذ أموالهم ، فانتفع به واذا تُرِك من ذلك قلّت ذات يده فاستضرّ به.[82] ويؤكد هذا قوله :

ولا مَلَكَاً سِوَى مُلْكِ الأعادي
ولا وَرِثا سِوَى مَنْ يقتلان[83]

وهذا كقول أخت طريف[84]

فتىً لا يحبُّ الزّاد إلاّ من التّقى
ولا المالَ إلاّ من قنَا وسيُوفِ

يقول : لو فطن أعداؤه بهذا لتاركوه فوصلوا بهذا الى أذيّته ، ألا تراه قال بعد هذا البيت :

فالسِّلْمُ يَكْسِرُ مِن جَنَاحَيْ مالِهِ
بنوالِهِ ما تَجْبُرُ الهَيْجَاءُ

قال عبدالواحد بن زكريا :

يريد : ان هذا لا يبتدىء أحداً لمناداة إلاّ أن يُهاج ، فإذا هيج انتفع بذلك لأنّه يغلب أعداءه ، فلو لم يهج لما حصل له ذلك[85] .

---

(٨٢) نقل الواحدي كلام أبي الفتح هذا الى كتابه ، ولم يشر بشيء الى قائله .

(٨٣) هذا البيت من قصيدة يمدح بها عضد الدولة وولديه أبا الفوارس وأبا دلف .. مطلعها :

مغاني الشعب طيباً في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان

(٨٤) رواية كتاب الفسر : « أخت الوليد بن طريف » .
واسمها « الفارعة » . وقد قالت في رثاء أخيها الوليد :

←

٢٦ــ فالسِّلْمُ يَكْسِرُ مِنْ جَنَاحَيْ مالِهِ
بِنَوالِهِ ما تَجْبُرُ الهَيْجَاءُ

قال أبو الفتح :

يقول : إذا غزا أعداءه فأخذ أموالهم ، ثمّ عاد فاستقرّت به الدار أتاه العُفاة فسألوه فأعطاهم في السلم ما أخذه في الحرب ، وهذا كقول أبي تمام:

إذا ما أغاروا فاحتووا مال معشر
أغارت عليهم فاحتوته الصنائع[(٨٦)]

هذا آخر كلامه .

وجعل لمالِه جَنَاحين استعارة

أيا شجر الخابور ما لك مورقاً كأنك لم تجزع على ابن طريف

والوليد بن طريف بن الصلت التغلبي الشيباني ، ثائر من الابطال ، على رأس الشراة في زمنه ، خرج بالجزيرة الفراتية في زمن الرشيد . وقتل سنة ١٧٩هـ .

(٨٥) وقال ابن سيدة في كتابه ص١٠٣ :

انما جعل نفعه في ان يهاج ، لأنه اذا هيج أوقع بالاعداء ، فأغار وغنم وأثرى واتسعت كفه بالجود ، وتلك بغيته من الثروة . و «ضره من تركه»: أي : اذا سولم سالم . وهو في ذلك يجود بما عنده حتى ينفده ، فلا يجد ما يجود به ، فهذا وجه ضره في تركه . وإن شئت قلت : البأس وحب الحرب في طبيعته ، فاذا هيج مكّن بما في طبعه ، والانسان ينفعه تحريكه الى ما في سجيته ، لان في ذلك كل بلوغ أمنيته . وضره في تركه : أي : انه متشه للقتال بطبيعته ، فاذا سولم اشتاق الى مشاهدة ما في طبعه ، فضر شوقه الى ذلك اذا لم يمكنه من مشاهدته كقوله هو :

فلا تبلغاه ما أقول فانه شجاع متى أذكر له الطعن يشتق

والقول الأول عندي احسن ، لقوله بعد هذا : « فالسلم يكسر من جناحي ماله ... البيت » .

(٨٦) هذا البيت من قصيدة قالها أبو تمام يفخر بقومه ويصفهم ، مطلعها :

الا صنَع البين الذي هو صانع فإن تكَ مجزاعاً فما البين جازع

انظر ديوان أبي تمام بشرح الصولي : ٦٣٤/٣ .

وقال الواحدي :

لأنه في السلم يعطي فينقص ماله ، وفي الحرب يأخذ مال أعدائه ، وهذا كقول بعضهم :

إذا اسْتَفْتَهُنَّ الملاحِمُ مَغْنَماً
دعَاهُنَّ مِن كسْبِ المكارم مَغْرَمُ

وقال أبو تمام :

إذا ما أغاروا فاحتووا مال معشر
أغارت عليهم فاحتوته الصنائع

والصحيح ما قاله أبو الفتح لأنه أخذ بالشرح مأخذ لفظ البيت ، وإن كان الواحدي قريباً منه .[87]

٢٧ـ يُعْطي فتُعْطَى مِن لُهَى يَدِهِ اللُّهَى
وتَرَى بِرُؤْيَةِ رأيِهِ الآراءَ

اللَّهْوة : العطيّة هنا . أي : إذا أعْطَى انساناً أفْضَلَ عليه حتّى يُقصد ذلك المُعطَى فيعطي قصّاده ، وإذا نظر الانسان الى حَزَامته وصحة رأيه تعلّم ذلك منه . قاله أبو الفتح .[88]

---

(87) قال ابن سيدة في كتابه : ١٠٤ :
أي : انه يجود بماله فيثلم ، ثم يغير فتجبر الهيجاء ما انثلم ، ثم يسالم فيعود الى طبعه الاول من الجود . فكلما هاضت السلم ماله جبرتها الحرب ، وبالعكس : أي كلما جبرته الحرب هاضته السلم .

(88) قال الواحدي في شرحه : ١٩٨ :
أي : يكثر إذا اعطى حتى يعطى مما أخذ منه ، ورأيه جزل قوي تتشعب منه الآراء ، فاذا نظر الانسان الى رأيه وحزمه وعقله استفاد منه الآراء . و « اللهى » : العطايا واحدتها لهوة ، وأصلها القبضة من الطعام تلقى في فم الرحى ، شبهت العطية بها .

والآراء : قياسها أن يكون بعد الراء همزة ، والنقل جائز ، نقول : بئر وأابار وأبْآر .

٢٨ــ مُتَفَرِّقُ الطعْمَيْنِ مُجْتَمِعُ القُوَى
فكأنّهُ السَّرّاءُ والضَّرّاءُ

٢٩ــ وكأنّهُ ما لا تَشَاءُ عُدَاتُهُ
مُتَمَثِّلاً لِوُفُودِهِ ما شاءُوا

قال أبو الفتح :

قوله « متفرّق الطعمين » ، يقول : فيه حلاوة لاصدقائه ، ومرارة لأعدائه ، وقوله : « مجتمع القُوى » : أي : هو مع ذلك انسان واحد . وقواه مجتمعة غير متباينة ــ وذكر أبياتاً تماثله ــ .

وكأنه مخلوق من السّراء والضراء لكثرة ما يعتادهما ويأتيهما . هذا لفظ أبي الفتح .

والصحيح : ان أبا الطيب جعله نفس السّراء والضّراء لِما يأتيه من الحلاوة الى صديقه والمرارة الى عدوّه .

قالَ أبو علي ابن فورّجة :

القُوى : أي : مجتمع العزائم والآراء ، وردّ ما قاله أبو الفتح .

وقالوا : أمّا في قوله « وكأنه ما لا تشاء عُداته » : يجوز أن يكون خبر كان ، ويجوز أن يكون بمعنى العدد ، أي : هو موافق لوفوده عند مخالفته لعداته . « متمثّلاً » منصوب على الحالَ .

قالَ أبو الفتح :

كأنه صُوِّر مما يكرهه عدوّه فيَ حالَ تمثله لوفوده ما شاءُوا .

٣٠ يا أيّها المُجْدَى عَلَيْهِ رُوحُهُ

إذْ ليس يأتيهِ لها استجداءُ

يقول : يا أيها الرجل الذي وهبت له روحه لأنه لم يأته لها استجداء . أي : طلب وسؤال ، أي : لو طلب واحد منك روحك لوهبتها له ، وإذا لم يطلبها فكأنه وهبها منك . وشتان ما هذا من قول أبي تمام :

ولو لم يكن في كفّه غير روحه لجاد بها فليتّق الله سائله[89]

وروى الواحدي هذا البيت لبكر بن النطّاح .[90]

وقال أبو الفتح :

أن لا يأتيك من يطلب منك روحك أجدى[91] منه عليك ، لأنه لو طلبها منك أعطيته إياها ،فاذا لم يطلبها منك فقد وهبها لك ، ألا ترى الى قوله:

---

(٨٩) هذا البيت من قصيدة يمدح بها أبو تمام الخليفة المعتصم مطلعها :
اجل أيها الربع الذي خف آهله لقد انجزت فيك النوى ما تحاوله
انظر ديوان أبي تمام بشرح الصولي ٢/٢٠٣ .

(٩٠) وقال الواحدي في كتابه : ص١٩٨ :
يقول : يا من روحه موهوب عليه منه اذ لم يسأل روحه ، يعني : انه لو سئل الروح لبذلها ، فاذا لم يسأل فكأنه وهب روحه عليه ، وهذا من قول بكر ابن النطاح :
ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد به فليتق الله سائله
[وهذا البيت لأبي تمام كما ذكرنا]
ثم نقل أبو الطيب المعنى من الروح الى الجسم فقال :
« لو اشتهت لحم قاريها لبادرها » . ثم غيّره بعض التغيير ، فقال :
ملت الى من يكاد بينكما إن كنتما السائلين ينقسم
ثم أخفاه فقال :
إنك من معشر اذا وهبوا من دون أعمارهم فقد بخلوا

(٩١) رواية كتاب الفسر بتحقيق د. صفاء خلوصي: ١/٩٥ : « أحد آمنه عليك »

٣١ـ إحمَـد° عُفاتَكَ لا فُجِعْتَ بحمدِهِم

فَلَتَرْكُ ما لم يأخُذُوا إعطاءُ[(٩٢)]

أي لا أعدمك الله تعالى شكرهم لك • ويجوز أن يكون قد أضاف الحمد الى المفعول ، أي : لا فجعت بأن تحمد بهم إذ قد أبقوا عليك روحك ولم يسألوكها •

ويروى « بفقدهم » ، وهو أجود لما يأتي تفسيره • يقول : أحمد قصادك إذ لم يطلبوا منك نفسك لأنهم إذا تركوها عليك وهم يقدرون على أخذها منك فقد أعطوك إيّاها •

وقال أبو الفتح :

هذا البيت يزيد في تفسير البيت الذي قبله ، وقوله : « لا فجعت بفقدهم » حَشْو في غاية الملاحة والظرف ، وهو يحتمل أمرين : أحدهما وأقربهما الى ظاهر البيت : انه دعاء له بأن لا يفقدهم لما ذكر من انتفاعه بهم • والآخر ، وهو الذي يفضي إليه المعنى : انه دعاء له بأن لا يفقدهم • يقول لا عدمتَك القصاد والطلاب ، إذ كانوا لا يقصدون إلا ذا مُلْكٍ ومروءة وثروة •

وفي نسخة : وقوله « لا فجعت بفقدهم » : دعاء له بدوام النعمة وبقاء الدولة ، لأنه لا يفقد القصّاد إلاّ إذا فقد الحال • فكأنه قال : لا زلت مقصوداً • وفيه اشارة الى حبّ المدوح للقصّاد • والذي يؤدي اليه المعنى في قوله « لا فجعت بفقدهم » : انه دعاء لهم أن لا يفقدوه ، وإن كان ظاهره دعاء له على ما ذكروه ، ثمّ عَلَّلَ بقوله : « فَلَتَرْكُ ما لم يأخذوا إعطاء »؛

---

(٩٢) رواية الواحدي والكتاب المنسوب الى العكبري : « بفقدهم » مكان « بحمدهم » .

أي تركهم لم يسألوك روحك فتعطيهم إيّاها إعطاء لك ومِنّة عليك ، وهذه مبالغة ، ومثله •[٩٣]

٣٢ـ لا تَكْثُرُ الأمواتُ كثرَةَ قِلَّةٍ
إلا إذا شَقِيَتْ بِكَ الأحْيَاءُ

قال المخزومي :

يقول : إذا حاربك الأحياء شقوا بك حتّى يكثر عدد الأموات ، وان كانت كثرة قلّة فان ما يدخل تحت الفناء كثرة قِلّة على الحقيقة • وفيه وجه آخر : ان الاموات لا تكثر إلاّ اذا مات هذا الممدوح ، وشقى الأحياء بموته ، لأنهم يموتون كلّهم بموته فحينئذٍ تكثر الاموات كثرة قلّة ، لأنه من حيث هو موت رجل واحد قليل ، من حيث يتضمّن موت الخَلْق كلّهم كثير •

---

(٩٣) يقول ابن سيدة في كتابه : ص١٠٤

يقول : أحمدهم على ان لم يستجدوك روحك ، إذ لو استجدوك إياها لحثك طبع الكرم والسخاء على هبته لهم ، فقد استوجبوا أن تحمدهم على ترك هذه الروح لك ، لانه اعطاء منهم لك ، كما ينبغي أن يحمدوك على ما أعطيتهم من مالك . فهم يقتضوك الشكر على عطائهم كما تقتضيهم أنت إياه من عطائك ، لان المعطي بطبيعته يجب أن يشكر ، فاعطِ من نفسك أيها الممدوح كما تطلب من غيرك ، بل أنت أولى ان تشكرهم ، لأن الذي تركوا لك ـ وهو الروح ـ أنفس من الذي أعطيتهم وهو المال .

وقوله : « لا فجعت بحمدهم » : انما حد الصنيعة أن تشكر لأنها اذا شكرت حييت واذا كفرت ماتت ، لأن كفرها لها ستر ، فيقول : لا ماتت صنائعك عند عفاتك بكفرها وقلة شكرها ، دعا بذلك له . وإن شئت قلت : لا فجعت بحمدهم : أي : لا فارقتك المروءة فيفضي بها فراقها الى فقد حمد عفاتك لك .

وقال ابن فورجة :

جعل كثرة الاموات في الحقيقـة قلّة ، لأنها لا تكثر إلاّ إذا قلّـت الأحيـاء ، وأيضاً فإن الاموات تدفن أو تبلى فتذروها الرياح ، أو تأكلهـا الوحوش والطـير ، فهي تقـلّ وإن كثرت • وكان هذا البيت ينظـر به الى قول القـائل :

لكلّ أناسٍ مقبر بفنائهم فهم ينقصون والقبور تزيد[٩٤]

وبهذه الطريقة سلك بقوله :

متى ما ازددتُ من بعد التناهي فقد وقع انتقاص في ازدياد[٩٥]

جعل زيارته بعد تناهيه نقصاناً زايداً ، كما جعل في هذا البيت كثرة الأموات قلّة ، فانعم النظر ، فانّه لا يخفى التناسب بين هذين البيتين عليك • ومع ذلك فانه لو تمّ له الوزن فقال : « لا تكثر الاموات إلا اذا شقيت بك الاعـداء » كان قد بلغ الغرض ، ولكن لمّا لم يتمّ الوزن حشا البيت بما تمَّمَ وزنه • وقوله : « شقيت بك الاحياء » ، ليس يريـد الشقاء بعينه ، وإنما هـو من قولهم : شقيت بفلان : إذا كان يبغضك ، كقول الطّرمّاح:[٩٦]

وانّي شـقيّ باللئام ولا ترى شقيّاً بهم إلا كريم الشمائل[٩٧]

أي اللئام يبغضونني ولا ترى واحداً يبغضونه إلاّ كريماً •

---

(٩٤) هذا البيت لعبدالله بن ثعلبة الحنفي . أنظر اللسان مادة «قبر» .

(٩٥) هذا البيت من قصيدة قالها المتنبي في مدح علي بن ابراهيم التنوخي،مطلعها
أحاد أم سداس في أحاد لليلتنا المنوطة بالتناد

(٩٦) الطرماح بن حكيم بن الحكم ، من طيء ، شاعر اسلامي فحل ، ولد ونشـأ في الشام ، وانتقل الى الكوفة ، فكان معلماً فيها ، وكان من الشـراة من الازارقة ، كان معاصراً للكميت صديقاً لها توفي سنة ١٢٥هـ . أخباره في الاغاني : ١٤٨/١٠ والبيان والتبيين ، ٢٧/١ والشعر والشعراء : ٢٢٨ وخزانة الأدب : ٤١٨/٣

وقد قال أبو الطيب أيضاً :

لولا ظباء عديّ ما شقيت بهم　　ولا بربربهم لولا جآذره[98]

يريد بقول : لولا ظباء عديّ لما ابغضتني عدي ، ولما أضمرت لي الأحقاد ، وإنما أبغضتني لمّا أعشق نساءها . والمعنى : انك إذا كرهت حيوة قوم وأبغضتهم قتلتهم فكثّرت بهم الاموات كثرة تؤدي الى قلّة . هذا كلامه .

وأتيت بما وقع إليّ من كلامهم في هذا البيت .

قال الواحدي :

قوله « كثرة قلّة » ، أي : كثرة تحصل عن قلّة وهي قلّة الاحياء ، يقول : إنما تكثر الاموات اذا قلّت الاحياء . فكثرتهم كأنها في الحقيقة قلّة .

وقوله : « شقيت بك الاحياء » ، قال ابن جني : شقيت بفقدك ، فحذف المضاف . والمعنى على ما قال : لا تصير الاموات أكثر من الاحياء إلاّ إذا متّ ، يعني : إذا مات الممدوح وصار في عسكر الموتى كثر الموتى به ، لأنه يصير الى جانبهم . وهذا فاسد لشيئين : أحدهما : انه إذا مات واحد لا يكون ذلك كثرة قلّة . والآخر : انه لا يخاطب الممدوح بمثل هذا، ولكن المعنى : انه أراد بالاموات : القتلى ، لا الذين ماتوا قبل الممدوح . ومعنى : « شقيت بك » أي : بغضبك وقتلك إياهم . يقول : لا تكثر القتلى إلاّ إذا قاتلت الاحياء وشقوا بغضبك ، فاذا غضبت عليهم وقاتلتهم قتلتهم

---

(٩٧) أنظر الاغاني دار الكتب : ١٢/٤١ ، وهذا البيت من مجموعة من الابيات قالها حين سمع رجلا يقول عنه : من هذا الخطار ؟ وكان الطرماح قد مر في مسجد بالبصرة وهو يخطر في مشيته . وأنظر ديوانه : ١٥٨ .

(٩٨) هذا البيت من قصيدة قالها المتنبي في صباه ، مطلعها :

حاشى الرقيب فخانته ضمائره　　وغيض الدمع فانهلت بوادره

كلهم ، فزدت في الاموات زيادة ظاهرة ، ونقّصت من الاحياء نقصاً ظاهراً .
ولم يفسر أحد هذا البيت كما فسرته . انتهى كلام الواحدي .

قول الواحدي « اذا مات واحد لا يكون ذلك كثرة قلّة » غير صحيح، لأن الجزء اليسير إذا زاد على الأجزاء الكثيرة كثّرها ، ذلك كثرة قلّة . كما ان الطائر إذا شرب من البحر نقّصه ، ولكن نقص قلّة .

وقوله : « أراد بالاموات : القتلى ، لا الذين قتلوا قبل الممدوح » ، لا دلالــة عليه في البيت انهم قبل أو بعد . ولا دلالة في البيت أيضاً على قوله: « فزدت في الاموات زيادة ظاهرة ونقصت من الاحيــاء نقصاً ظاهراً » ، لأن المتنبي قال : « كثرة قلّة » . وكثرةُ القلّة لا تكون زيادة ظاهرة .

قال أبو الفتح :

قوله : « كثرة قلّة » ، يقول : إنما تكثر الاموات إذا قلّ الاحياء ، فكثرتهم كأنها في الحقيقة قلّة . وقوله : « شقيت بك » ، يريد : شــقيت بفقدك ، فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه ــ ثم ذكر أمثلــة منــه ــ وقال : وإنمــا يشقى به الاحياء لمفارقتــه إياهم ، وهــذا قريب من قــول الخنســاء :(99)

---

(99) الخنساء ، هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد ، الرياحية السلمية من مضر . اشهر شواعر العرب ، عاشت أكثر عمرها في العهد الجــاهلي ، وأدركت الاسلام فاسلمت وحسن اسلامها ، وكان رســول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه شعرها ، أكثر شعرها وأجوده رثاؤها لأخويها صخــر ومعاوية ، وكانا قتلا في الجاهلية ، وقد استشهد لها أربعة بنين في حــرب القادسية سنة ١٦هـ ، وهي التي قالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهــم . أخبارهــا في الشعر والشعراء : ١٢٣ وأعلام النساء : ٣٠٥/١ وخزانــة الأدب للبغدادي : ٢٠٨/١ .

أبَعْدَ ابن عمرو من آل الشريـ ـدِ حلّتْ به الارض أثقالها(١٠٠)

يريد بـ «أثقالها» : موتاها ، و « حَلَتْ به » من الحلية ، أي زيّنت به الارض موتاها • وقيل : « حلّت به » : من الحـل ، أي : ماجت الارض بعده ، كأنما كانت الدنيا مشدودة بحياته ، فحلّت بموته •

قال أبو عمرو السُّلمي : عُدْتُ أبا علي الأوارجي في عِلّتِهِ التي مات فيها فاستنشدني : « لا تكثر الاموات » فلم أزل أنشده وهو يستعيده حتى مـات •

قال أبو العلاء :

يقول : ان الاحيـاء إذا شقيت بك كثر الاموات ، وترك الكثرة يؤدي الى القلّة ، إمّا لأن الاحياء يقلـّـون بمن يمـوت ، وإمّا لأن الميت يقـلّ في نفسـه •

قال أبو زكريا :

قوله : « شقيت بك » يريد بفقدك ، يخيل معنى البيت لأن الاحيـاء شقوا به لأنه قتلهم •(١٠١)

---

(١٠٠) هذا البيت من قصيدة ترثي اخاها صخراً مطلعها :

ألا ما لعينيك أم ما لها لقد اخضل الدمع سربالها

أنظر ديوان الخنساء ص١٢ . دار صادر بيروت/١٩٦٣

(١٠١) جاء في الكتاب المنسوب الى العكبري : ١/٢٧ . بعد ان ذكر مقتطفـات من شروح ابن جني والواحدي وأبي العلاء وأبي زكريا :

« وقال الشريف ابن الشجري الكوفي في أماليه ، يريد : كثرة تقل لهـا الأحياء . ثم قال بعد ان استعرض بعض الشروح المذكورة في المتن :

« والذي قاله أبو الفتح الصواب ، وبه فسره علي بن عيسى الربعي ، قال : ذهب الى انه نعمة على الاحياء ، ففقدهم شقاء لهم ، ومما حـذف منه لفظ الفقد قول المرقش :

←

٣٣ـ والقَلبُ لا يَنْشَقُّ عمّا تَحتَهُ
حتّى تَحُلَّ به لَكَ الشَّحْناءُ

ليس على طول الحياة ندم ومن وراء المرء ما يعلم

يريد : على فقد طول الحياة ، لا بد من تقدير هذا ، وقد أظهر هذا الاول : فالبخل المطلق مذموم ، فتفهمه فانه جيد لطيف . وقوله :

لعمرك ما الرزية فقد مال ولا شاة تموت ولا بعير

ولكن الرزية فقد شخص يموت بموته خلق كثير

وقد روى الربعي عن المتنبي أن أبا عمرو السلمي قال : عدت أبا علي هذا الممدوح بمصر في علته التي مات فيها فانشدني...الى آخر الرواية. ثم قال معلقا ، واذا كان المتنبي قد حكى هذا ، فهل يجوز إلا ما قدره أبو الفتح . انتهى كلامه .

وقال ابن القطاع الصقلي في كتابه « شرح المشكل من شعر المتنبي » « وقد قيل في هذا البيت أقوال كثيرة منها : لا تكثر الاموات في الاعداء إلا إذا شقيت بك الاحياء من الأولياء . وقيل : لا تكثر الاموات الا بك إذا مت . وقوله : « كثرة قلة » : أي شرف وسؤدد ، لا كثرة عدد ، لأنك وإن كنت قليلا في العدد فأنت كثير في القدر ، وقد أخذ عليه في هذا البيت وقيل : ناقض قوله « كثرة قلة » فجعل الكثرة قلة ، وليس كذلك: فهذا القول ليس بجيد ، لأنه في مدح حي ، ولو كان في الرثاء لجاز .

وقيل ان المعنى الذي أراد المتنبي في البيت ، « ان «الاحياء» مرفوع بالمصدر الذي هو «قلة» معناه : لا يكثر الاموات كثرة تقل لها الاحياء ، إلا اذا بليت بحربك وليس يريد ان الكثرة في الحقيقة قلة ، فيجمع بين الشيء وضده . انتهى ما ذكره ابن عدلان في الكتاب المنسوب الى العكبري. وأنظر فيما يتعلق بكلامه ابن القطاع الصقلي ، الى شرح المشكل من شعر المتنبي لابن القطاع تحقيق الدكتور محسن غياض . مجلة المورد : م٦/ع٣/ ص٢٤٩ سنة ١٩٧٧م

وقال ابن سيدة في كتابه شرح مشكل أبيات المتنبي ص١٠٥ :

« أي ان الأموات اقلاء حتى تعود فيهم فيكثرون حينئذ . وقوله : « إلا اذا شقيت بك الأحياء » حمحمة عن قوله « إلا اذا مت » أي : فاذا مت شقيت الأحياء بفقدك قلّت الأحياء وكثرت الاموات . وقال « كثرة قلة » لان الاموات وان كثرت أعداؤهم فهم قليل لعدمهم للفناء وأخذهم للفناء . وان شئت قلت:



قال أبو الفتح :

يقول : لا يتصدع[١٠٢] قلب أحد حتى يعاديك ، ويضمر العداوة ، فاذا تأمّل ما جنى من عداوته إياك انشقّ قلبه فمات ، خوفاً وجزعاً • و « الشحناء » : العداوة •

قال الواحدي : — وذكر كلام أبي الفتح جميعه —

« لم يفسر ابن جني « عمّا تحته » • والمعنى : عما فيه من الغلّ والحسد ، أي : انه وإن أضمر لك الغلّ والحسد لم ينشقّ قلبه ، فاذا أضمر لك العداوة انشقّ قلبه وبان انه عدوّ لك • و « الشحناء » من المشاحنة ، وهي المعاداة • ملأ القلب من الشحن •

« كثرة قلة » أي : كثروا بك وأنت واحد ، والواحد قليل ، فتكثرهم بك تكثّر قلّة .

وقد يتجه هذا البيت على معنى آخر ، وهو ، ان الاحياء انما ينالون الحياة بنداه ، فاذا عدم بالموت مات الأحياء الذين كانوا يتعيشون بذلك فكثرت الأموات بموت هؤلاء بعده ، وقد يجوز أن يعني بالاحياء — هنا — أعداءه ، يقول : لا تكثر الأموات إلا اذا ضاربتك أعداؤك فغلبتهم وقتلتهم ، فحينئذ تكثر الموتى بهم ، وشقاء الاعداء به قتله إياهم ، وقال : « كثرة قلة » : لأن ما يدخل تحت الفناء قلة في الحقيقة ، ودل ذلك على أن أعداءه كثير .

والقولان الأولان عندي أوجه .

وأخبرني بعض أهل بغداد : ان الممدوح بهذه القصيدة أدركته الوفاة بعد انشاد المتنبي إياها هذا الشعر بأيام قليلة ، فكان يتقلّب على فراشه ويردد هذا البيت الذي فسرنا .

وقال أبو العلاء كما جاء في كتاب أبي المرشد سليمان بن علي المعري : ص٢٩ :

معناه : ان الاموات، اذا حارب هذا الممدوح أعداءه ، كثروا ، لأنه يقتلهم، وكثرة هذه الأموات مؤدية الى القلة ، لأنها فناء .

(١٠٢) رواية ابن جني في كتابه «الفسر» المطبوع ، «لا ينشق» مكان «لايتصدع»

وهذا الذي قاله الواحدي هو معنى كلام أبي الفتح وأكثر لفظه ، إلاّ انه زاد زيادة لا حاجة إليها . والذي قاله أبو الفتح هو المعنى . وأراد : ان القلب لا يزال سالماً غير متصدّع حتّى يعاديك ، على ان قول الواحدي « المعنى : عما فيه من الحسد والغل » أراد : انهما ليسا من العداوة في شيء . أما الحسد : فهو أن يتمنّى الحاسد زوال نعمة المحسود ونقلها إليه ، ولا عداوة أوفى من ذلك . وأمّا الغل : فقال الجوهري : إذا كان ذا غش وضغن وحقد . وهذا أكثر من العداوة . فلم يأت بفرق ظاهر يعقب به أبا الفتح ، رحمهما الله تعالى .

٣٤ــ لمْ تُسَمَّ يا هارونُ إلا بَعْدَما
اقْتَرَعْتَ وَنَازَعَتِ اسْمَكَ الأَسْمَاءُ

قال أبو الفتح :

يقول : لم تُسَمَّ يا هارون بهذا الاسم إلاّ بعد ما تقارعت عليك الاسماء ، فكلٌّ أرادك أن تُسمى به فخراً بك ، وهذا كقول أبي تمام :

تغاير الشعر فيه إذ سهرتُ له … حتّى ظننت قوافيه ستقتتل[١٠٣]

وكقوله أيضاً :

مضَى طاهر الاثواب لم تبق بقعة … غداةَ ثوى إلا اشتهت أنها قبر[١٠٤]

---

(١٠٣) هذا البيت من قصيدة قالها أبو تمام في مدح المعتصم . مطلعها :
فحواك عين على نجواك يا مذل … حتّام لا يتقضى قولك الخطل
انظر ديوان أبي تمام بشرح الصولي : ١٧٨/٣

(١٠٤) هذا البيت من قصيدة قالها أبو تمام في رثاء محمد بن حميد ، مطلعها :
كذا فليجل الخطب وليفدح الامر … فليس لعين لم يغض ماؤها عذر
انظر ديوان أبي تمام بشرح الصولي : ٣٠٥/٣

وقال غيره : أي لمّا ولدت نافس بعض الاسماء بعضاً في أن تُسمّى به للشرف بك فضربت عليك القرعة ، فخرج سهم هارون فسُمّيت به من دونها .

وقال أبو العلاء :

أجود ما يُتأوّل في هذا أن يكون الاسم هاهنا بمعنى : الصيت ، كما يقال : فلان قد ظهر اسمه ، أي : قد ذهب صيته في الناس ، فذِكره لا يشاركه فيه أحد، وماله يشترك فيه الناس ، فأمّا أن يكون عَنَى باسمه الذي هو هارون فهذا يحتمله ادّعاء الشعراء ، وهو مستحيل في الحقيقة ، لأن العالم لا يخلو أن يكون فيهم جماعة يعرفون بهارون .(١٠٥)

٣٥ـ فَغَدَوْتَ واسْمُكَ فِيكَ غَيْرُ مُشارَكٍ
والناسُ فيما في يَدَيْكَ سَواءُ

قال أبو الفتح :

أي : لم يشارك اسمك فيك ، لأنه لا يكون للإنسان أكثر من اسم واحد «زيد» و«عمرو» ونحو ذلك ، والناس في مالك سواء ، أي : غنيّهم

---

(١٠٥) وقال أبو العلاء بعد ذلك : وقد ذكر هذا أبو المرشد سليمان بن علي المعري في كتابه « تفسير أبيات المعاني من شعر ابي الطيب » ص٣٠ :
« ويجوز أن يكون « الاسماء » في آخر البيت جمع «اسم» أي : حيث، ويحتمل أن تكون جمع اسم يعني به اسم الرجل الذي هو معروف ، مثل، زيد وعمرو ، وما جرى مجراه » .
وقال ابن سيدة في كتابه ص١٠٦
أي : تنافست فيك الاسماء رغبة في الشرف بذاتك ، وتكالبت فلجأت الى الاقتراع ، ففاز هذا الاسم ـ وهو هارون ـ بك . وتقديره : لم تسم هارون يا هارون ، فاكتفى من ذكر المفعول الثاني بقوله : « يا هارون » ، لأن نداءه إياه به دليل على انه اسمه ،وهذا من أحسن الحذف وأوجزه .

وفقيرهم وقريبهم وبعيدهم قد استووا كلهم في نعمك وآلائك ومِنَنِك والاخذ منك[106]

٣٦ـ لَعَمَمْتَ حتّى المُدْنُ مِنْكَ مِلاءٌ
وَلَفُتَّ حتّى ذا الثّناءُ لَفاءُ

قال أبو الفتح :

« لعممت » أي : عَمّ برّك وكرمك حتى امتلأَتْ به المدن ، وفُتّ ثناء المُثني عليك حتى ان هذا الثناء على كثرته لفاءٌ عندما تستحقّه، و « اللّفاء » : الحقير ، وقيل : هو دون الحقّ ، و «ملاء» : جمع « مليء » و « ملآن » . وصَرّعَ هذا البيت وهو في أثناء المديح ولم يخرج من صفة الى أخرى[107] ، وهو قليل ، إلا انه جائز .

---

(١٠٦) نقل الواحدي الى شرحه كلام أبي الفتح بأغلب لفظه : ١/ ٢٠٠ .
وجاء في الكتاب المنسوب الى العكبري ، ١/ ٢٨ ، بعد ان نقل شرح الواحدي :
وقال الشريف ابن الشجري : قال للعري : « أراد الصيت ، وليس بشيء ، وانما المعنى : ان اسمك انفرد بك دون غيره من الاسماء » وقول أبي العلاء : « ان في الناس جماعة يعرفون بهارون » لا يلزم أبا الطيب ، وانما يلزمه لو كان قال : « فغدوت وانت غير مشارك في اسمك » . فلم يفرق أبو العلاء بين أن يقال : اسمك غير مشارك فيه ، وبين أن يقال ، أنت غير مشارك في اسمَك . وانما أراد : ان اسمك انفرد بك دون الاسماء ، ولم يرد انك انفردت باسمك دون الناس ، واللفظان متضادان. انتهى ما ذكره الواحدي .
وقال ابن سيدة في كتابه : ص١٠٧ :
أي : لم تسم بغير هذا الاسم من الاسماء التي نازعته فيك. و « الناس فيما في يديك سواء » ، أي : وان لم يشترك فيك الاسماء فالناس مشتركون في مالك شركة تساوٍ .

(١٠٧) وردت في كتاب «الفسر» : ١/ ٩٩ : لفظة «معترضة» بعد لفظة «أخرى» ، فتكون على السياق الآتي : « من صفة الى أخرى معترضه . . . »

وقال الواحدي :

أي : عمّ برّك وشاع ذكرك حتى امتلأت بك البلاد ، فأنت تذكر بكل مكان .[108]

٣٧ــ وَلَجُدْتَ حتّى كِدْتَ تَبْخَلُ حَائِلاً
لِلْمُنْتَهَى ومِنَ السُّرُورِ بُكَاءُ[109]

قال أبو الفتح :

بالغ في هذا البيت وتناهى في جودته . يقول : بلغت من الجود أقصاه وغايته ، وأنت تطلب شيئاً آخره وراءه ، ولا شيء هناك . وكأنك كدت تحول، أي : ترجع عن آخره لما انتهيت الى البخل ، إذ ليس من شأنك أن تقف في الكرم على غاية ولا موجود في الكرم والجود بعدما انتهيت إليه .

وقوله « للمنتهى » ، أي : من أجل المنتهى . و «المنتهى» هنا مصدر ، أي : لانتهائك ، وقوله : « ومن السرور بكاء » : يؤكد معنى البيت ، أي: إذا تناهى الانسان في السرور بكى ، وكذلك إذا تناهى في الجود كاد يعود الى البخل . وقال : كدت تبخل ، فلم يطلق عليه اسم البخل تحرّزاً من ذلك .[110]

وفي حاشية : يقول : جدت حتى بلغت [المدى] فبخلت أن يشركك في اسم الجود أحد ، فحال جودك بخلاً ، كما تحوّل الفرح بكاء إذا تمادى

---

(١٠٨) جاء في شرح الواحدي : ٣/ ٢٠٠ ،
« فأنت تذكر بكل موضع،ويوجد برّك بكل مكان ، وسبقت ثناء المثنين عليك، حتى هذا الثناء خسيس حقير في استحقاقك » . و « اللفاء » : الخسيس ، الذي هو دون الحق .

(١٠٩) انفرد كتاب «الفسر» لابن جني برواية «جائلا» بالجيم ورواية بقية الاصول : الواحدي وابن عدلان وابن المستوفي «حائلا» بالحاء .

(١١٠) لم يخرج الواحدي وكذلك ابن عدلان في شرحيهما عما رسمه أبو الفتح في شرحه ، وقد نقلا عبارته بأغلب لفظه .

دمعت منه العين ، وهو قول أبي محمد طاهر بن الحسين المخزومي البصري[111] .

٣٨ــ أبَدَأتَ شيئاً منك يُعْرَفُ بَدْؤُه
وأعَدْتَ حتّى أُنْكِرَ الإبداءُ

يقول : ابتدأت من الجود بما لم يعرف ابتداؤه إلاّ منك لِعِظَم ما أتيت به ، ثمّ اتبعت ذلك من الزيادة فيه بما عَفّى على الأول ونسّاه ، لانك في كل وقت تُحدث ضرباً من الكرم ينسى له الاول ، قاله الواحدي ، وهو قول أبي الفتح[112] .

وقال أبو الفتح في كتابه الصغير :

أي نُسِي ما ابدأته من فضلك لِعِظَم ما تلوته به وأتيته من بعده .

---

(١١١) وقال ابن سيدة في كتابه : ص١٠٧ :
« إن شئت قلت : بلغ جودك الغاية ، ومعروف ان الشيء اذا انتهى انعكس ضداً ، فكذلك جودك لما انتهى فلم يك مزيد كاد ان يستحيل بخلا . وقوله : « ومن السرور بكاء » ، اعلمنا ان الشيء اذا انتهى عاد الى ضده ، كالسرور اذا أفرط كان بكاء ، وقال : « كدت تبخل » ولم يقل: « حتى بخلت » استقباحاً منه أن يوجب عليه البخل .
وإن شئت قلت : تناهيت في الجود فبخلت أن يشاركك أحد في اسمه، فحال الجود بخلا كما يحول السرور بكاء . والقول الاول عندي اوجه، إذ لو كان على هذا القول الاخير لم يكن ل «كدت» معنى ، لأنه نقصان في مدحه ، اذ بخله بأن يشارك في اسم الجود غير مذموم ، وأما في القول الاول : فالبخل المطلق مذموم ، فتفهمه جيد لطيف . وقوله : «للمنتهى» :أي ، من اجل الانتهاء .

(١١٢) ورد كلام أبي الفتح هذا أيضاً في شرح ابن عدلان المنسوب الى العكبري بلفظه .

هذا معنى البيت مختصراً ، وإن كان قول أبي الفتح بهذا الكتاب أبسط .[113]

٣٩ــ فالفَخْرُ مِن تَقْصِيرِهِ بكَ ناكِبٌ
والمَجْدُ مِن أنْ تُسْتَزَادَ بَرَاءُ

« ناكب » : عادل ، و « براء » بريء . يقول : فالفخر منتكب لتقصيره في حقك ، بل قد أعطاك عنانه ، والمجد بريء من أن تستزاد ، لأنك قد بلغت الغاية في المجد ، فلم يبق مطلوب يستزيدك المجد أن تناله . هذا معنى كلام أبي الفتح وأكثر لفظه .[114]

٤٠ــ فإذا سُئلْتَ فلا لأنّك مُحْوجٌ
وإذا كُتِمْتَ وَشَتْ بكَ الآلاءُ

يقول : إذا سئلت إنما تسأل تطرّباً وشرفاً للسائل بمسألتك ، لا لأنك محوجٌ الى السؤال . ألا ترى الى قول أبي تمام :

ما زلتُ منتظراً أعجوبة عننا حتى رأيت سؤالاً يجتبى شرفا[115]

---

(١١٣) قال ابن سيدة في كتابه ص١٠٦ :
اي : أعدت أعظم مما بدأت به حتى نسي المبدأ بالاضافة الى المعاد .
وان شئت قلت : أعاد المعروف كثيراً حتى صار كأنه لا بدء له .

(١١٤) وقال الواحدي في شرحه : ص٢٠٠ :
يقول : لم يقصر بك الفخر عن غاية ، بل أعطاك مقادته واركبك ذروته وبكفك غايته ، والمجد برىء من أن تستزاد مجداً ، لانك في الغاية منه .
و«التاء» للمخاطبة ، ومعنى «ناكب» ، عادل .
[ولم يخرج الشرح المنسوب الى العكبري عما رسمه الواحدي، والاثنان اعتمدا شرح أبي الفتح وذكراه بأغلب لفظه] .

(١١٥) هذا البيت من قصيدة قالها أبو تمام في مدح أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي ، مطلعها :
أما الرسوم فقد اذكرن ما سلفا فلا تكفّنّ عن شانيك أو يكفا
انظر ديوان أبي تمام بشرح الصولي : ٢/٥٤ .

حبه عنناً : أي اعتراضاً . ويروى : « أعجوبة زمناً » .

« فاذا كتمت » ، أي : كتم محلك وفضلك دَلّت عليه أياديك ، ونعمك المنبثّة في الناس ، وهذا نظير قول مسلم :[116]

أرادوا ليُخفوا قبره عن عدوّه فطيب تراب القبّر دلّ على القبر[117]

و« الآلاء » : النعماء ، وأحدها « إلىً » . قاله أبو الفتح بن جني .

وفي حاشية: عفاتك إنما يسألونك تشرّفاً بسؤالك ، لا لأنك تمطلهم وتحوجهم الى مسألتك ، وإنما ذكرك ظاهرة فاشية ، فلو أراد انسانأن يخفي ذكرك لما أمكنه ذلك .

قال المبارك بن أحمد :

قوله : « لا لأنك تمطلهم وتحوجهم الى مسألتك » غلط ، لأن الانسان إنما يمطل بعد الوعـد . فأمّا إذا بدى بالسؤال فلا مدخل للمطل ها هنا . و « التاء » في السرّ أو للخطاب .

وقال الواحدي :

يقول : إذا سئلت فليس لأنك أحوجت إليه ، ولكن تسأل لأنك تحبّ نغمة السائلين ، أو لانك تحتاج أن تعرف تفصيل حوائج الطالبين ، أو تشرفاً

---

(116) مسلم بن الوليد الانصاري بالولاء ، أبو الوليد ، المعروف بصريع الغواني . شاعر غزل . وهو أول من أكثر البديع ، وتبعه الشعراء ، من اهل الكوفة ، نزل بغداد فأنشد الرشيد :

وما العيش الا أن تروح مع الصبى وتغدو صريع الكأس والأعين النجل

فلقبه بصريع الغواني . تولى بريد جرجان ومات سنة ٢٠٨ . أخباره في النجوم الزاهرة ٢ : ١٨٦ وسمط اللآلى ، ٤٢٧ والمرزباني ٣٧٢ ، والشعر والشعراء : ٣٣٩ ، وتاريخ بغداد : ٩٦/١٣ .

(117) انظر الاغاني ط دار الكتب : ٣٤/١٩ .

بسؤالك . « واذا كُتمت » أي : حُجبت عن أبصار الناس دلّت عليك نعمك وصنائعك ، كما قال :

مَن كان ضَوْءُ جبينِه ونوالُه
لم يُحْجَبا لمْ يَحْتَجبْ عن ناظِرِ[118]

٤١ـ وإذا مُدِحْتَ فلا لِتَكْسِبَ رِفْعَةً
للشّاكِرِيْنَ على الإلـه ثناءُ

قال ابن جني :

ضربه مثلاً وبالغ فيه ، وقول الشاعر مغتفر . وقريب منه قوله أيضاً :

مَن كان فَوْقَ محلّ الشمس منزله
فليس يرفعُه شيءٌ ولا يَضَعُ[119]

وفي حاشية : أي : مدحنا لك لا يزيد من علوّ محلك ، وإنما نمدحك شكراً لإحسانك ، كما يثنى على الله سبحانه بنعمه وإحسانه .

قال الواحدي :

يقول : بلغت من الرفعة غاية لا تزداد بمدح المادحين علوّاً ، ولكنك تمدح ليؤخذ منك العطاء ، وليعدّ الشاعر في جملة مُدّاحك كالشكر لله تعالى يُثنى عليه ليستحقّ به أجراً ومثوبة .

---

(١١٨) هذا البيت من ثلاثة أبيات قالها المتنبي عندما حجبه بدر بن عمار: أولها :
أصبحت تأمر بالحجاب لخلوة هيهات لست على الحجاب بقادر

(١١٩) هذا البيت من قصيدة قالها المتنبي في مدح سيف الدولة عندما شيع مملوكه . وروايته : « من كان فوق محل الشمس موضعه » . ومطلع القصيدة :
لا عدم المشيّع والمشيّع ليت الرياح صنع ما تصنع

٤٢ــ وإذا مُطِـرْتَ فلا لأنَّكَ مُجْـدِبٌ
يُسْقَى الخَصِيبُ ويُمْطَرُ الدَّأماءُ(١٢٠)

قال أبو الفتح :
أي : فلستَ تُمطَر لإجدابِ محلك ، ولكن يُمطر المكان المخصب المستغني عن المطر ، وكما يُمطر البحر على كثرة مائه .

وفي بعض النسخ : « الجدب » : القحط . يقال : أجدب القوم : إذا جدبت أرضهم أو وقعوا في مكان جدب . أي : أرضك غنيّة عن الغيث بجودك وسيْب عطائك . والمطر يصيبها وهي غير محتاجة إليه ، يصيب كما يصيب البحر والمكان الخصيب .

قال المعري :
الأجود أن يقال : « وتمطر الدّأماء » ، لأن (فعلاء) لا يكون إلا للمؤنث .

وهذا الذي ذكره المعري أتى به على اللفظ ، والاول على المعنى .

وقال أبو الفتح :
« الدّأماء » : البحر ، اسم اختص به ، ومثله «خضارة» و«الرّجاف» و «الدّأماء» : البحر ، لأنه غطّى كل شيء .

٤٣ــ لمْ تَحْكِ نائِلَكَ السَّحابُ وإنما
حُمَّتْ به فَصَبيبُها الرُّحَضَاءُ

---

(١٢٠) رواية ابن جني والواحدي وابن عدلان « وتمطر الدأماء » وانفرد ابن المستوفي برواية «ويمطر»

قال أبو الفتح :

لمّا نظرت السحاب الى سَعة عطائك حُمَّت حَسَداً لك ، فكان ما ينصب من مطرها إنما هو من عَرَق حُمّاها . وهذا أبلغ من بيته أبي نواس :

ان السّحاب لتستحي اذا نظرت الى نداك فقاسته بما فيها[121]

لأن الحُمّى أبلغ من الحياء ، إلاّ أن بيت أبي نواس أعذب لفظاً .

وفي حاشية : يقول : ان السحاب لمّا مطر لم يكن مراده أن يحاكيك ، لأنه معترف بالتقصير عنك ، إنما حسدك فحُمَّ بالحسد . فمطره عَرَق الحُمّى . هذا قول المخزومي . وهو محال .

أبو العلاء : جعل السحاب حمّت : اما من حسدها إياه ، وامّا لفرقها أن يفضح جوده وجودها . و«الرخصاء» : عَرَق الحُمّى .[122]

---

(١٢١) هذا البيت من قصيدة قالها أبو نواس في مدح العباس بن الفضل بن الربيع . وروايته « الى نداه » مكان الى «نداك» . مطلع القصييدة :

الدار أطبق إخراس على ما فيها واعتاقها صمم عن صوت داعيها

أنظر ديوان أبي نواس ، ص٦٨٥ . دار صادر بيروت .

(١٢٢) يقول الواحدي في شرحه : ٢٠١

يقول : ليست تحكي السحاب بمائها عطاءك المتتابع فانه أكثر من مائها وأغزر ، ولكنها حمّت حسداً لك ، فما ينصب من مطرها انما هو عرق حماها . والصبيب : المصبوب . والرخصاء : عرق الحمى ، وقد قال أبو نواس : ان السحاب لتستحي .. البيت

وقال ابن سيدة في شرحه : ص١٠٧ ،

الرخصاء : عرق الحمى . يرخص : اي : يغسل . أي : لم يحاكك السحاب بمطره ولا نداك لأنه معترف أنك أندى منه ، وانما تأمل بذلك وايقن بالعجز عنه فحسدك فحمّ حمى حسادةٍ . فمطرها انما هو عرق حماها .

٤٤ـ لمْ تَلْقَ هذا الوَجْـهَ شمسُ نهارِها
إلاّ بِوَجْـهٍ ليسَ فيه حَيَـاءُ

أي : لعدم حيائها تطلع عليك ، وإلاّ فمع وجهك لا حاجة إليها.(١٢٣)

٤٥ـ فبِأيِّما قَـدَمٍ سَـعَيْتَ إلى العُـلا
أُدُمُ الهِلالِ لأخْمَصَيْكَ حِـذَاءُ

« الأُدُم » جمع اديم ، وهو جمع عزيز . والأَدِيم : ظاهر كل شيء . الادمة : باطن الجلد الذي يلي اللحم . والبَشَرَةُ : ظاهره . وهذا استفهام بمعنى التعجّب . وأراد بـ « أُدُم الهلال » : جلده ، يتعجّب من القدم التي سعى بها الى العُلى . ثم دعا له فقال : « أُدُم الهلال لأخمصيك حذاء » ، أي : نعل ، كأنه دعا للقدم . والمعنى : لا يزال عالياً وهذا كقوله أيضاً :

أتتركني وعين الشمس نعلي فتقطع مشيتي فيها الشراكا(١٢٤)

وكقوله أيضاً :

من كان فوق محلّ الشمس منزله فليس يرفعه شيء ولا يَضَعُ(١٢٥)

---

(١٢٣) قال الواحدي في شرحه : ص٢٠١ ،
« أي : لوقاحتها تطلع عليك ، وإلا فلا حاجة اليها معك » .
وجاء في الكتاب المنسوب الى العكبري : ٣١/١ ،
المعنى : يريد لا حاجة الى الشمس مع ضيائك ونورك ، ولكنها لوقاحتها تطلع عليك .

(١٢٤) هذا البيت من قصيدة قالها المتنبي في مدح أبي شجاع عضدالدولة، مطلعها:
فِداً لك من يقصر عن مداكا فلا ملك إذن إلا فداكا

(١٢٥) مر ذكر هذا البيت .

وقد كرر هذا المعنى في شعره كثيراً . و«الأخمص» : الهزمة التي تحت القدم . والحذاء والنعل . دعا له بمزيد العلو .(١٢٦)

٤٦ــ وَلَكَ الزَّمـانُ مِنَ الزَّمانِ وَقَايـةٌ
ولَكَ الحِمَامُ مِنَ الحِمَامِ فِدَاءُ

يدعو له . قال ابن جني :

أي : ليهلك الزمان دون هَلَكِك ، وليمت الموت دون موتك .

قال المبارك بن أحمد :

هذا دعاء لفظه لفظ الخبر . يقول : وقاك الله من الزمان بالزمان ، أي: من حوادثه ، وفداك من الحِمام بالحمام ، أي من إهلاكه .

٤٧ــ لو لم تكُنْ مِنْ ذا الوَرَى اللَّذ مِنكَ هُوْ
عَقِمَتْ بِمَولِدِ نَسْلِها حَـوَّاءُ

---

(١٢٦) قال الواحدي في شرحه : ص٢٠١ :

هذا استفهام معناه التعجب ، يتعجب من سعيه الى العلا وبلوغه منها حيث لم يبلغه أحد ، ثم دعا له بأن يكون وجه الهلال نعلاً لا خمصيه . يعني : ان قدماً بلغ سعياً هذا المبلغ استحق ان يكون الهلال نعلا لها . والأدم : جمع أديم . وأديم كل شيء ظاهره .

وقال أبو العلاء نقلا عن كتاب أبي المرشد سليمان المعزي ص٣١ ،

ذكر ان قوله « ادم الهلال » : دعاء للممدوح ، وليس في ذلك فائدة ، وانما الشاعر مخبر للممدوح ، يقول : فبأيما قدم سعيت ، أي : في أي حال طلبت المعالي فأنت رفيع القدر ، كأن ادم الهلال حذاء لا خمصك . ولم يرد والله معنى الاستفهام في أول البيت ، وانما أراد : في أي حال طلبت المعالي فأنت في غاية لا يبلغها غيرك ، وكأنه جعل سعيه للمعالي مختلفاً ، فلذلك حسن أن يقول : « فبأيما قدم سعيت » . كأنه جعل سعيه للحرب قدماً . وإعطاءه النوال قدماً أخرى ، وعفوه عن الجاني ثالثة .

قال أبو الفتح :

« الورى » : الخَلْق ، أي : لو لم تكن من هذا الورى الذي كأنه منك ، لأنك جماله وشرفه وانفس أهله لكانت حواء في حكم العقيم التي لم تلد ، ولكن بك صار لها ولد . ولولا أنت لصار ولدها كلا ولد .

وفي نسخة : يقول : هذا الخَلْق إنما ذُكِر وعُدّ في هذا الوجود لكونك منه ، وهو في الحقيقة منك ، فلولا أنت لكان وجوده وعدمه سواء ، وكانت حواء بمنزلة العقيم كأنها لم تلد ولداً .

قال أبو البقاء :

جعل الناس منه ، لان فخرهم به .

قال المبارك بن أحمد :

تركيب هذا البيت تركيب رديء لفظاً ومعنى . وفي «الذي» لغات ، منها ما في هذا البيت وهو «اللّذ» بسكون الذال وكسرها ، والكسر هنا أجود لعدم الزحاف ، ولأنّ بقاء الحركة في «اللّذ» أقوى من عدمها .

قال المخزومي البصري :

يقول : لو لم يكن من أولاد حواء لكان نسلها كلا نسل ، حتى كأنها عقيم ، وأسكن الواو في «هو» رديء أيضاً . و «هو» مبتدأ ، و «منك» خبره ، وقدّم بعض الصلة على بعض .

ويجوز أن يتعلّق «منك» بفعل محذوف ، ويكون نحو قولك :استقر منك . ويكون «هو» امّا تأكيداً لضميره أو بدلا منه ، أو فاعلا .[127]

* * *

(127) لم يخرج الواحدي في شرحه عما ذكره ابن جني في الفسر ، بل ذكر قسماً منه بأغلب لفظه .

وقال ابن سيدة في كتابه « شرح مشكل أبيات المتنبي » : ١٠٨ :

جعل الورى جزءاً منه بعد أن جعله جزءاً من الورى ، فالاول حقيقة ، والثاني مجاز . لا يكون الكل جزءاً للجزء ، وهذا خلف ، لكن جعلهم منه اشعاراً انه جمال هذا النوع ، به عرف واليه نسب ، فكأنه انما يكون منه ، كقوله ،

انّى يكون أبا البرية آدم وابوك والثقلان انت محمد

وهذا قبيح داخل في الشنع .

وقوله : « عقمت بمولد نسلها حواء » ، أي : لو لم تكن من ولدها كان نسلها كلا نسل ، حتى كانها عقيم لم تلد قط . وقوله « بمولد نسلها » ، أي : عدت عقيماً على انها قد ولدت .

وقال أبو الطيب ، وقد بنى كافور صاحب مصر داراً بأزاء الجامع الأعلى وتحوّل إليها ، يذكرها :

١ــ إنّما التَّهْنِئاتُ لِلأَكْفاءِ
وَلِمَنْ يَدَّنِي من البُعَداءِ

٢ــ وأنا مِنْكَ لا يُهْنِىءُ عُضْوٌ
بالمَسَرّاتِ سائِرَ الأعْضاءِ

في حاشية : يقول : رسم التهاني إنّما يجري بين الاكفاء وبينك وبين مَن يتقرّب إليك من بُعد . و «يدّني» (يفتعل) : من الدنو ، كذا وجدته في غير موضع ، وهو كلام الواحدي .

يجوز أن يكون قوله : « ولمن يدّني من البُعَداء » ، أي : مَن يدنو من بعد فيهنأ بالسلامة ، ولست لك بكفوء فأهنيك ، ولا قدمتَ من بعد . ثم نقض قوله : « انما التهنئات للأكفاء » بقوله : وأنا منك ، وإذا لم يكن كفوءاً له ، كيف منه أو بعضه ؟.

روى أبو البقاء :

« ولمن يُدنى » : على ما لم يسم فاعله . وقال : المعنى : للتهنئة سببان : أحدهما التساوي بين المهنِّي والمهنَّى . والثاني : قصد تقرّب البعيد ، وكلاهما مفقود بيننا .

ووجدته في عدّة نسخ « يَدني » بفتح الياء وكسر النون ، وهو سماعي .

وقال الواحدي :

أنا منك ، أي : أشاركك في أحوالك ، أُسَرُّ بسرورك . ولا تجري التهنئات بين أعضاء الانسان وأجزائه لاشتراكهما في بدن واحد . وهذا طريق المتنبي يدعي لنفسه المساهمة والكفاءة مع الممدوحين في كثير من المواضع ، وليس ذلك للشاعر . فلا أدري لِمَ احتمل ذلك منه[1] .

٣ـ مُسْتَقِلٌّ لكَ الدِّيارَ ولوْ كا
نَ نُجُوماً آجُرُّ هَذا البِنَاءِ *

---

(١) قال أبو الفتح ابن جني في كتابه الفسر : ١/١٠٩ :

يقول : أنا منك ، فكيف اهنئك ؟ هل رأيت عضواً من جملة الاعضاء هنأ سائر الأعضاء .

ويقول ابن عدلان في الكتاب المنسوب الى العكبري : ١/٣٢ ، بعد ان ذكر بعض ما ذكره الواحدي : فيقول : وهذه مادة أبي الطيب يدعي المساهمة والكفاءة لنفسه ، ويتركها مع الممدوحين في كثير من المواضع ، وليس ذلك لشاعر ، وانما كان يعمله إدلالا عليهم .

* ورد بعد هذا البيت في دواوين شعره البيتان الآتيان : لم يذكرهما ابن المستوفي في كتابه :

٤ـ ولو أنّ الذي يخر من الأمواه فيها من فضةٍ بيضاءِ
٥ـ أنت أعلى محلةً أن تهنّى بمكانٍ في الأرض او في السماءِ

جاء في كتاب الواحدي : يخرّ : من خرير الماء .

وجاء في كتاب ابن عدلان المنسوب الى العكبري ، ١/٣٣ في شرح البيت « أنت أعلى محلة ... » .

« محلة » : تمييز . و«أن» : في موضع نصب باسقاط حرف الجر ، تقديره : من ان تهنّى بمكان . متعلق بالمصدر المقدر ، والظرفان متعلقان بالاستقرار .

يقول : أنت أعلى قدراً من أن تهنى بمكان ، والبلاد كلها والناس ملك لك . و«لك» : متعلق بـ «ملك» المقدر ، أي : ولك كل ما بين السماء والارض ، وهما الغبراء والخضراء . فالغبراء : الارض ، والخضراء ، السماء ومنه الحديث : « ما أقلّت الغبراء ولا أظلت الخضراء اصدق من أبي ذر » .

روى أبو البقاء « مسْتَقَلّ » بفتح القاف . والأول أجود .

وقال أبو الفتح :

أي : أنا مستقل لك الديار[٢]

٦ـ ولَكَ النّاسُ والبلادُ وما يَسْرَحُ بين الغَبْراءِ والخَضْراءِ[٣]

٧ـ وبَساتِينُكَ الجِيادُ وما تَحْمِلُ من سَمْهَرِيّةٍ سَمْراءِ *

يقول : متنزهاتك الخيل والرماح ، وجعل الخيل تحمل القنا كما تحمل الشجرة الحمل .

---

(٢) قال أبو الفتح في كتابه الفسر : ١/١١٠ :
و«الآجر» : اسم أعجمي فيه خمس لغات : آجر وآجور وياجور وآجِر
وقال الواحدي في شرحه ، ٦٣١ :
يقول : أنا استقل لك الديار وان بنيت بالنجوم بدل الآجر . ويروى « مستقل لك الديار » . [ويبدو ان رواية الكتاب «استقل» ثم صححت فجعلت «مستقل» .

(٣) يرتبط معنى هذا البيت بالبيتين الرابع والخامس من هذه القصيدة ، وقد تناولهما بالشرح مع هذا البيت ابن عدلان في الكتاب المنسوب الى العكبري ، كما مرّ في هامش سابق .

* نذكر هنا الأبيات التي لم يذكرها ابن المستوفي في كتابه وهي التي جاءت بعد هذا البيت :

٨ـ إنما يفخر الكريم أبو المسك بما يبتنى من العلياء

قال الواحدي : أي فخره ببناء المعالي لا ببناء المدر والطين كما قال :

بنى البناة لنا مجداً ومكرمة لا كالبناء من الآجر والطين

٩ـ وبأيامه التي انسلخت عنه وما داره سوى الهيجاء

قال الواحدي : أي يفخر بأيامه التي مضت ولم يكن له فيها دار سوى الحرب والهيجاء .

١٠ـ وبما أثرت صوارمه البيض له في جماجم الاعداء

قال الواحدي : أي يفخر بتأثير سيوفه في رؤوس اعدائه .

قال أبو الفتح :

« السمهريّة » : القنا : منسوبة الى السَّمْهَرِيّ زَوج ردينة التي تنسب إليها القنا .(٤)

١١ـ حَلَّ في مَنْبِتِ الرَّياحِينِ مِنْها
مَنْبَتُ المَكْرُماتِ والآلاءِ

قال أبو الفتح :

أي : أنت منبت المكرمات والآلاء .

١٢ـ يَفْضَحُ الشمسَ كُلَّما ذَرَّت الشَّمْسُ
بِشَمْسٍ مُنِيرَةٍ سَوْدَاءِ(٥)

قال أبو الفتح :

يعني كافوراً ،، وكان يقول : انه يهزأ به في هذا البيت ، وله نظائر في شعره .

وقال الواحدي :

يريد انه في سواده مشرق ، فهو في اشراقه في سواده يفضح الشمس ، ويجوز ان يريد شهرته ، وانه أشهر من الشمس ذكراً ، أوْ يريد نقاءه من العيوب . فالإنارة تعود الى أحد هذين المعنيين . ويجوز أن يريد بالإنارة : الشهرة . لأن المنير مشهور .فقيل للمشهور : منير ، وإن لم تكن

---

(٤) ذكر أبو مرشد سليمان المعري في كتابه « معاني شعر أبي الطيب » ص٣٥: قال الشيخ (أبو العلاء المعري) : قوله ، « تحمل من سمهرية » يحتمل وجهين : أحدهما : أن يكون تحمل للجياد . والآخر : أن يكون للممدوح ، وهو أبلغ في المدح ، ومن المبالغة في البيت ان تكون القناة بمنزلة الغصن المثمر ، وتكون ثمرته ما تحمل على السنان من رؤوس الاعداء .

(٥) رواية الواحدي «تفضح» مكان «يفضح»

فيه إنارة . وكذلك المنير نقيّ من الدرن . فقيل للنقي من العيوب : منير . ويدلّ صحة هذا بقوله :

١٣ــ إنّ في ثَوْبِكَ الذي المَجْدُ فيهِ
لَضِيَاءً يُزْرِي بِكُلِّ ضِياءِ

قال أبو الفتح :

هذا البيت تفسير لقوله : « بشمس منيرة سوداء »[٦]

١٤ــ إنّما الجِلْدُ مَلْبَسٌ وابْيِضَاضُ
النَّفْسِ خَيْرٌ مِنِ ابْيِضَاضِ القَبَاءِ

يقول أبو الفتح :

يُسَهّل عليه أمر لونه ويحسّنه له . قال : قال لي : كان موته أن يذكر له انسان السواد . و « القَباء » محدود ، وجمعه « أقبية » .

قال الواحدي :

الجِلد ملبس يلبسه الانسان كالقَباء والثوب . ولأَن تكون النفس نقيّة من العيوب خيرٌ من أن يكون الملبسُ أبيض .

١٥ــ كَرَمٌ في شَجاعةٍ ، وذَكاءٌ
في بَهَاءٍ وقُدْرَةٌ في وفاءِ[٧]

---

(٦) قال الواحدي في شرحه : ٦٣٢ :
أخبر انه أراد بإنارته ضياء المجد ، وضياؤه شهرته ونقاؤه مما يعاب به ، وان ذلك أتمّ كل ضياء .

(٧) قال الواحدي في شرحه : ٦٣٣،
أي : لك كرم في شجاعة ، يريد : انه كريم شجاع ذكي الطبع بهي المنظر ، ذو قدرة على ما يريد ، واف بالعهد والوعد فيما يقول .

١٦ــ وبِمِسْكٍ يُكَنّى به لَيْسَ بالمِسْكِ ولكنّهُ أريجُ الثّناءِ [٨]

أي : يفخر بمسك يكنّى به ، وهو طيب الثناء ، لا انه يكنّى بالمسك المعروف ، والواو في قوله « وبمسك » عطف على قوله « وبما اثرت صوارمه » .

وقال أبو الفتح :

أرج وأريجه واحد . وهو طيب ريحه وتوهجه .[٩]

١٧ــ لا بِما تَبْتَنِي الحَوَاضِرُ في الرِّيفِ وما يَطَّبِي قلوبَ النِّساءِ

قال الواحدي :

أي : لا يفخر بما تبتنيه أهل الحضر في البلاد ولا بالمسك الذي يستميل قلوب النساء ، وانما يفخر ببناء العلياء ، وبالمسك الذي هو طيب الثناء .[١٠]

---

(٨) لم يعتمد ابن المستوفي تسلسل الأبيات كما ورد في كتاب أبي الفتح والواحدي والمنسوب الى العكبري ، وقد آثرنا التسلسل الذي أورده ابن المستوفي ، وأعطينا هذا التسلسل الترقيم على وفق تسلسل ذكرها فيه .

(٩) قال الواحدي في شرحه : ٦٣٢ :
أي ، يفخر بمسك يكنى به ، وذلك ان كنيته أبو المسك ، وهو كناية عن طيب الثناء عليه وليس بالمسك المعروف ، انما يكنى بأبي المسك لما يثنى عليه من الثناء الذي يطيب روائحه في الناس ، فهو يفخر بذلك .

١٠ــ وبما اثرت صوارمه البيض له في جماجم الأعداء
« يطّبى » : يستميل مطالباً ، واطباه يطبيه ، وقالوا أيضاً : «طباه» « يطبوه» «طبنوا» و«طبنوآ» . قال كثير :
اذا طرحت لم تطب الكلب ريحها   وان وضعت في مجلس القوم شمّتِ
وقال الواحدي في ذلك :
ويقال : طباه واطّباه : اذا دعاه واستماله ، ومنه قول كثير :
له نعل لا يطّبى الكلب ريحها   وإن خليت في مجلس القوم شمّتِ
يعني ، انها من جلد مدبوغ طيب الريح .

وقال أبو الفتح :

الريف : الحضر والمدن ، وطَباه : أماله .

١٨ـ نَزَلَتْ إذْ نَزَلْتَها الدارُ في أحسَنَ منها مِنَ السَّنا والسَّناءِ [١١]

أي : هذه الدار تجمّلت منك بأحسن ما تجمّلت منها من الضياء والرفعة . والسنا : الضوء . والسناء : الشرف والعُلُو .[١٢]

١٩ـ مِنْ لبِيضِ المُلُوكِ ان تُبْدِلَ اللَّوْ
نَ بِلَوْنِ الأُستاذِ والسَّحْنَاءِ [١٣]

٢٠ـ فَتَرَاهَا بَنُو الحُرُوبِ بأَعْيَا
نٍ تَرَاهُ بِها غَدَاةَ اللّقاءِ

« السحْنة والسّحْناء » : بسكون الحاء فيهما وفتحهما : الهيئة . وسكون الحاء في « السحْناء » أكثر .

---

(١١) ورد هذا البيت في كتاب الفسر وشرح الواحدي وفي الشرح المنسوب الى العكبري تحت رقم (١٣) في تسلسل أبيات القصيدة ، ولم نلتزم بذلك ، وقد آثرنا تقديمه تحت هذا الرقم على وفق التسلسل الذي جرى عليه ابن المستوفي في تقديم أبيات هذه القصيدة ، مع مراعاة تسلسل الابيات التي لم يذكرها في شرحه ، لاعتقاده بوضوحها ، وانتفاء حاجتها الى الشرح .

(١٢) قال ابن جني في كتابه «الفسر» : ١/١١٥ :
« يقول : لما نزلت الدار تجملت بك وتزينت بقربك »
وقال الواحدي في شرحه : ٦٣٢ :
« يقول : الدار نازلة منك لما نزلتها فيمن هو حسن منها رفعة وضوءاً، أي : تجملت بك الدار وتزينت بقربك » .

(١٣) قال الواحدي في كتابه في شرح البيت « من لبيض الملوك ... » : ٦٣٣:
يقول : الملوك البيض الالوان يتمنون أن يبدلوا ألوانهم بلونك ،وأن تكون هيئتهم في اللون كهيئتك . و«السحناء» : الأثر والهيئة . يقال ، رأيته وعليه سحناء السفر . يقول : من يكفل لهم بهذه الأمنية ، ثم ذكر : لِمَ تمنّوا هذا ، فقال : « فتراها بنو الحروب ... البيت » .

ويروى « تبدِل » و « تبدَل » بكسر الدال وفتحها ، والمعنى واحد • ويروى «وتراها» والهاء فيها عائدة على الملوك • و«الهاء» في «تراه» عائدة على كافور • و«الهاء» في «بها» تعود على «الاعيان» • وأعيان : جمع عين •

قال أبو الفتح :

يقول : مَن لبيض الملوك أن يتبدّل لونه حتى تراها بنو الحروب في المنظر الذي تراه فيه غَدَاة اللّقا فيرتاع أعداؤهم اذا نظرت اليهم في صورته•

وقال الواحدي :

أي : ليراهم أهلُ الحرب بالعيون التي يرونه بها ، وذلك ان الاسْوَد مهيب في الحرب ، ولا يظهر عليه أثر الخوف أيضاً •

٢١ـ يا رَجاءَ العَيْون في كُلّ أرضٍ
لم يَكُنْ غيرَ أن أرَاكَ رَجَائي

٢٢ ولَقَدْ أفْنَتِ المَفَاوِزُ خَيْلِي
قبْلَ أن نَلْتَقِي وزَادِي ومَائِي

يَصِف طول طريقه •

والابيات التي قبل هذا أولى أن يريد بها نكتة ، وتكرير ذكر سواده الذي يكرهه وفي قوله : « لم يكن غير أن أراك رجاي » استهزاء[١٤] • ومثله قوله فيه :

---

(١٤) قال ابن جني في كتابه «الفسر» : ١/١١٨ :
«المفازة» : الارض البعيدة ، سميت بذلك تفاؤلا بالفوز والنجاة . قال ابن الاعرابي وغيره ، انما سميت مفازة من قولهم : فوز الرجل ، اذا مات .

←

وما طربي اني رأيتك بدعة　　لقد كنت ارجو أن أراك فأطرب[١٥]

٢٣ــ فارْمِ بي ما أرَدْتَ مِنّي فإنّي
أسَدُ القَلْبِ آدَميُّ الــرُّواءِ *

« فارم بي » ، أي : مُرْني بما أردت فانّي وان كان منظري آدميّ-ـاً فإن قلبي قلب أسد[١٦] . ويروى : « فارم بي حيث ما أردت فاني »[١٧] .

* * *

(أي اهلكت خيلي)
عجز هذا البيت دون صدره بكثير حتى انه ليقبح انشــاده لذكره ما ذكره ، ولفظه خلق .
وقال الواحدي في كتابه : ٦٣٣ :
يذكر طول الطريق إليه ، وأن ذلك أهلك مركوبه وزاده . والمعنى : اني زرتك على بعد ما بيننا من المسافة .

(١٥) هذا البيت من قصيدة قالها المتنبي في مدح كافور ، مطلعها :
أغالب فيك الشوق والشوق أغلب　　واعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

(١٦) هذا كلام أبي الفتح بأغلب لفظه ، ولم ينسبه ابن المستوفي اليه . أنظـر كتاب الفسر : ١١٨/١ .
وقال الواحدي في شرحه : ٦٣٣ :
يقول ، استكفني ما شئت من أمر ترميني إليه ، فاني كالأسد شجاعة، وان كنت آدمي الصورة .
* ورد في ختام القصيدة هذا البيت الذي لم يذكره ابن المستوفي :
وفؤادي من الملوك وإن كا　　ن لساني يرى من الشعراء

(١٧) ورد في كتاب «الفسر» المطبوع كلام كما يبدو لغير أبي الفتح ، هذا نصه : « كيف يطلب منه الولاية وقد أراه وفاءه في أول لقائه بذكر سيف الدولة الذي أنعم عليه ورفعه بما ذكره به ، ثم أراه عقله أو نضجه في مدحــه إياه بالسواد ، وتكريره ذلك في قصائده إما حمقاً أو غشاً . وهو يرجــع الى الحمــق أيضاً » .

وقال عند منصرفه من كافور[1]

١ـ ألا كُلُّ ماشِيَةِ الخَيْزَلَى فِدا كلُّ ماشِيَةِ الهَيْدَبَا

« الخيزلى » : مشية فيها تفكّك ، من مشي النساء . و « الهيدبا » بالدال والذال وهي مشية من مشي الخيل ، فيها إسراع . ذكره الجوهري بالذال المعجمة . يقول : كل امرأة تفكك في مشيها فداء كل فرس تسرع في مشيها .[2]

وذكره أبو الفتح انها من مشي الإبل ، وفسّره وقال : يقول : كل امرأة تفكك في مشيها فداء كل ناقة تسرع في سيرها . وهذا كقول أبي تمام :

يَرَى بالكَعَابِ الرودِ طلعة ثائرٍ
وبالعِرْمِسِ الوَجْناء غُرَّةَ آيب[3]

---

(١) جاء في كتاب «الفسر» لأبي الفتح ابن جني : ١/١٢٠ :
« وقال حين منصرفه من مصر وتركه كافور ، وكنت بمصر وبها أبو الطيب ، وكنت أخبر أمره من جهة ابن خنزابة ، فوقفت من أمره على شفا الهلاك ، ودعتني نفسي لحب أهل الأدب ، الى استحثاثه على الخروج ، فخشيت على نفسي إن نمى ذلك عني ، وكان هو مستعداً للهرب ، وانما بات بأظافير الموت من قرب ، وقد جنى ذلك على نفسه ترك مدح ابن خنزابة ، وهو وزير الرجل ، وهو مع ذلك من بيت شريف الاهل وزارة ورياسة . ورجل من العلم والأدب بموضع جليل ، وهو باب الرجل ، فأتى من غير الباب ، ثم طعن على سيف الدولة ، وانشد البائية ، وأولها : « ما ينظر المملوك » وغيرهم من استماعه ، فقبح ابن خنزابة أثره ، ثم لم يزل يذكر سواد كافور ، ووراءه من يثبته على عيوبه ، فما جلى بطائل ، ولا نال دركاً ، الى أن صارت غنيمته الاياب .

(٢) هذا كلام أبي العلاء بأغلب لفظه ، ذكره ابو المرشد سليمان المعري في كتابه « شرح أبيات المعاني من شعر أبي الطيب »

(٣) هذا البيت من قصيدة قالها ابو تمام في مدح أبي دلف العجلي . أنظر ديوان أبي تمام بشرح الصولي ١/٢٧٨ ، مطلع القصيدة ،
على مثلها من اربع وملاعب أذيلت مصونات الدموع السواكب

وفي حاشـــية : فداء النجائب التي أتيت بها • فسّره بقوله : « وما بي حُسْنُ المِشَى »[٤]

٢ وكُلُّ نَجَـــاةٍ بُجَاوِيَّةٍ   خَنُوفٍ وما بيَ حُسْنُ المِشَى

« النجاة » : الناقة السريعة • و « البجاوية » : منسوبة الى قبيلة من البربر • و «الخنوف» : التي تميل بيـــدها في سيرها الى وحشـــيها ، هـــذا قول أبي الفتح •

وقال أبو الفتح :

يقول : إنما أحبّ كل ناقة هذه صفة مشيها ، ولا أُحبّ المرأة الحسنة المشي • و«المِشى» : جمع مشية ، يصف نفســـه بالجفاء والبـــدوية ، وعطف «كل» على « فدا كل » أوْلى •[٥]

---

(٤) قال الواحدي في كتابه : ٦٩٩ :
«الخيزلى» : مشية فيها استرخاء من مشية النساء ، ومنه قول الفرزدق:
قطوف الخطـــا تمشي الضحـــى مرجحنـــة
وتمشي العشـــى الخيزلى رخوة اليـــد
«والهيدبا» : مشية فيها سرعة من مشية الابل ، وأصله من قولهم: أهدب الظليم . إذا أسرع ، يقول : فدت كل امرأة تمشي الخيزلى كل ناقة تمشي الهيـدبا ، يريد : انه لا يميل الى مشية النساء ، وليس من أهل الغـــزل والعشق ، وانما هو من أهل السفر يحب مشي الجمال . كما قال أبو تمـام:
« يرى الكعاب الرود ... البيت »
« وفدى » إذا كسر جاز فيه المد والقصر ، وإذا فتح لم يجز الا القصر .

(٥) وجاء في كتاب أبي الفتح «الفسر» أيضاً ، ١٢٣/١ :
«نجاة» : سريعة ، لانها تنجو . قال جرير :
نجاة يصل المـرء تحت اظلها   بلاحقة الاظلال حام هجيرها
و« بجاويه » منسوبة الى «البجاوة» وهي قبيلة من البربر ، قال لي [أي المتنبى] يطاردون عليها في الحرب . ووصف تعطفها تثنيها . قال : يرمي الرجل منهم بالحربة فان وقعت في الرمية طار الجمل اليها ، حتى تناولهـا

وقال أبو العلاء :

يقال : ناقة نجــاة في معنى ناحية ، وهي السريعة التي تنجي صاحبها، وهذا اسم وضع للأناث دون الذكور • و«بجاوية» : منسوبة الى البجــاة ، ويقال انه اسم جيل من الناس ، وقيل : البجاة ، البلد ، ولهم نجب موصوفة• ويجب أن يكون قولهم «بجاوية» منسوبة على غير قياس ، لأنه لو حمل على لفظ البجاة لقيل بجوي[٦] •

وفي نسخة شيخنا أبي الحزم رحمه الله تعالى : « وكل نجاة » بالرفع• ولا اتحقق معنى الرفع •

٣ــ ولكِنَّهُــنَّ حِبــالُ الحَيَــاةِ
وكَيْدُ العُــدَاةِ ومَيْطُ الأَذَى

قال أبو الفتح :

« الميط » : الدّفع • يقول : بهذه النوق يُوصَل الى الحياة ، وتُكاد العُدَاة ، ويدفع الأذى ، وقوله « حبال الحياة » لفظ جيّد حسن•[٧] هــذا آخر كلامــه •

صاحبها ، وإن وقعت في الارض أسرع الجمل اليها حتى يضرب بجــرانه الارض ليأخذها صاحبها . هذا لفظ المتنبي أو قريب منه .
و«خنوف» ، يقال : خنف البعير بيده في سيره خفافاً ، إذا أمالهــا الى وحشــيه .

(٦) قال أبو العلاء بعد ذلك فيما ذكره أبو المرشد المعري في كتابه :
والخنوف ، التي خنفها الوحشي ، والاسم : الخناف . و«المشي» : جمع مشية . كما يقال الفِرى : جمع فرية .

(٧) وقال أبو الفتح في كتابه الفسر : ١٢٤/١ ، تكملة لما ذكره ابن المستوفي :
وهو معنى قول أبي تمام في قوله يصف الخيل :
بلاك فكنت أرشــية الأماني وبرد مســافة المجد البعيــد
وهذا من احسن البديع .. وقال قبل هذا « الميط » : الدفع . ومنــه

ويقال : مطنه وأمطنه . قاله ابن الأعرابي [٨]

٤ـ ضَرَبْتُ بهـا التَّيـهَ ضَرْبَ القِمـا

رِ إمّا لِهـذا وإمّا لِـذَا

قال أبو الفتح :

دفعتها في التيه : إمّا للفوز والظفر أو للهـلاك . قال : « والتّيه » : الأرض التي يُتاه فيها لبعدها . وقيل : أوقعتهـا في التيه مخاطراً بنفسـي كالمقـامر يضرب القِداح ، إمّا للغرم وإمّا للغنم . وكذلك أنا : إمّا للفـوز واما للهـلاك . والاشارة فيهما الى الفوز والهلاك .

وفي روايتي : « ضرب القداح » أيضاً .

٥ـ إذا فَزِعَـتْ قَدَّمَتْهـا الجِيـادُ

وبيضُ السُـيُوفِ وسُمْرُ القَنَـا

« القوم في هياط ومياط » فالهياط : الصياح ، والمياط : الدفع .
وقال الواحدي في شرحه : ٦٩٩ :

يقول ، النوق الخفيفة حبال الحياة بها يتوصل الى الحياة ، لأنها تخرجك من المهالك ، وبها تكاد الاعداء ، وبها يدفع الأذى ، والميط : الدفع .

(٨) هو محمد بن زياد المعروف بأبي الأعرابي ، أبو عبدالله ، راويـة ناسـب علامة باللغة ، من أهل الكوفة ، كان أحول . قال ثعلب : شاهدت مجلس ابن الأعرابي وكان يحضره مئة انسان ، كان يسأل ويقرأ عليه ، فيجيب من غير كتاب ، ولزمته بضع عشرة سنة ما رأيت بيده كتاباً قط . وقـد أملى على الناس ما يحمل على اجمال ، ولم ير أحد في علم الشعر أغزر منـه ، مات بسامراء سنة ٢٣١هـ له تصانيف كثيرة ، أخباره في وفيات الأعيان : ١/٤٩٢ وتاريخ بغداد : ٥/٢٨٢ والوافي بالوفيات : ٣/٧٩ والفهرست: ٦٩

« قدمتها » ، أي : تقدّمتها الخيل والسيوف والرماح لتحمي عنها وتمنع عنها .

قال أبو الفتح :

أي تتقدّمها وتحميها وتمنع عنها . ومعنى « قدمتها » ، أي تتقدّمها.
قال الشاعر :[٩]

★ تقدمها كل نياف عبدل ★

هذا كلامه وقد رويته مخفّفاً ومشدداً . والمعنى بهما واحد .

وقال أبو العلاء المعري :

جعل النجب تفزع ، وانما يفزع ركبانها ، و «قدّمتها» ، أي : كانت قدّامها ، والخيل تكون مجنوبة الى الإبل ، فإذا أرادوا الغارة ولقيهم عدوّ ، ركبوا الخيل فكانت هي المقدّمة ، يقول : اذا فزعوا ركبوا الخيل وسلّوا السُيُوف وأشرعوا .

٦ـ فَمَرَّتْ بِنَخْلٍ وفي رَكْبِها عن العالَمِينَ وعَنْهُ غِنَى[١٠]

---

(٩) الشاعر هنا : هو أبو النجم . وقد ذكره أبو الفتح في كتابه « الفسر » . وأبو النجم هو ، الفضل بن قدامة العجلي ، من بني بكر بن وائل ، من أكابر الرجاز ، ومن أحسن الناس إنشاداً للشعر ، كان يحضر مجالس عبدالملك بن مروان وولده هشام ، كان ينزل سواد الكوفة ، وهو أبلغ من العجاج في النعت كما قال أبو عمرو بن العلاء . أخباره في معاهد التنصيص: ١٨/١ والاغاني : ١٥٠/١٠ والشعر والشعراء : ٢٣٢ .

(١٠) رواية الكتاب المنسوب الى العكبري : «بنحل» بالحاء . وقال : وهو ماء معروف .

قال أبو الفتح :

« نخل » : مـاء معروف • و«ركبها» : مَن عليها • يعني : نفسه وغلمانه • انتهى كلامه •

يقول : غنوا عن هذا الماء وعن الناس لما عندهم من الجلد والحزم •

ويروى « غَناء » بفتح الغين • وفي نسختي « بنخل » غير منون ، وسماعي «بنخلٍ» منوّناً[11] •

٧ـ وأمْسَتْ تُخَيِّرنا بالنِّقا ب ِ وادِي المياهِ ووادي القُرَى

« النقاب » : موضع أيضاً • يتشعّب منه طريقان : الى «وادي المياه» و « وادي القُرَى » • أي : لمّا صرنا الى النقـاب عليها ، وقدرنا سلوك احدى الطريقين صارت كأنها مخيّرة لنا إحدى الطريقين ، وان كانت في الحقيقة غير مخيّرة ، ولكن هذا كلام العرب وطريقها في الاتساع •

وأمّا تسكينه « الياء » في « وادي المياه » في موضع النصب فضرورة، لأنه شبّه «المياء» في «قاضي» بألف «عصا» ، وكما ان «الالف» في الاحوال الثلاثة بصورة واحدة كذلك جعلت «ياء» القاضي في أحوالها الثلاثة بصورة واحدة لِما بين «الياء» و«الالف» من القرب والمناسبة •

وقال أبو العلاء :

وروي « تخبرنا » بالباء المفردة •

---

(١١) وقال الواحدي في كتابه : ٧٠٠ :

« نخل ، ماء معروف . يقول : مرت هذه الابل بهذا المكان وفي ركبانها يعني نفسه وأصحابه غنى عن هذا الماء ، وعن كل من في الدنيا ، لأنهم اكتفوا بما عندهم من الجلد والحزامة .

وفي حاشية نسختي : من روى « تخبّرنا » ، وروى « وادى » بلا ياء • ومن روى «تخبرنا» روى «بوادي» بالياء •

قوله : «بالنقاب» : هو من قولهم : ورد الماء نقابا : اذا لم يشعر به حتى هجم عليه ، وقد بالغ في وصفه للنجائب ، فأخبر انها تعلّم الركبان بسكان المياه ، فهي أعلم بها منهم • وقوله : « وادي المياه » و«وادي القُرى» هو بدل من قولهم «بالنقاب» بدل تبيين ، كما يقال : حدثني فلان عن الشام : حوب وجلق والاردن •

وفي نسخة : «النقاب» : الماء تحت الارض •

قال المبارك بن أحمد :

وهذا أشدّ مبالغة مما فسّره أبو العلاء ، وهو أقرب ان يكون «وادي المياه» بدلاً منه ، فان قولك : أعجبني حسن زيد وجهه ، أولى منه قولك : أعجبني وجه زيد حسنه • و « وادي المياه » في الرواية الاولى منصوب ، أسكن ياءه ضرورة كما تقدم • وفي الرواية الثانية مجرور على البدل •

وقد روي « بالنقاب بوادي المياه » ويكون بدلاً • وقد عاد العامل في المبدل منه • ويجوز أن يكون «الباء» فيهما غير بدل ، كأنه قال : تعلمنا بهذا الوضع بوادي المياه ووادي القُرى • وتكون « الباء » في « النقاب » بمعنى : الظرفية • وموضع « الياء » البقاء في قوله « بوادي المياه » نصب على المفعول • أي تعرفنا به •(١٢)

---

(١٢) قال عفيف الدين بن عدلان في الكتاب المنسوب الى العكبري : ١/٣٨ : «وادي» مفعول «تخبرنا» ، وانما أسكن الياء من الوادي ضرورة . ويجوز أن يكون بدلا من «النقاب» ، ويجوز أن يكون اسكن على الموضع فلا ضرورة . يريد : تخبرنا بوادي القرى ووادي المياه ، كما أنشد سيبويه:

معاوي إننا بشر فاسجح فلسنا بالجبال ولا الحديدا

←

ـ وقُلْنَا لَهَا أيْنَ أرْضُ العِـرَاقِ
فَقَالَتْ ونَحْنُ بِتُرْبانَ : هـا

« تربان » : موضع • و « ها » حرف اشـارة ، وأراد : ها هي ذه ، ولكنه حذف الجملة ، وترك الحرف الذي من عادته أن يكون في صدرهـا ، كما قال النابغـة :[١٣]

فنصب «الحديد» على موضع «الجبال» قبل دخول الباء . ومثله قراءة القراء الستة سوى الكسائي : « ما لكم من إله غيره » على موضع « إله » قبل دخول حرف الجر .

والمعنى : انا لما وصلنا هذا الموضع رأينا عنده طريقين ، طريقـاً الى وادي القرى وطريقاً الى وادي المياه . قدرنا السير الى أحدهما ، فجعل هذا التقدير كالتخيير من الابل ، كأن لابل خيرتهم : إن شئتم سلكتم هنا وإن شئتم هنا ، وهذا على المجاز والاتسـاع ، وقيل في التخيير تأويلان : أحدهما: ان الهوادي من الخيل والابل إذا وصلت مفـرق طريقين تلفتت اليهما لتؤذن بالحث على سلوك إحداهما،وكأن هذا تخيير.والثاني: انه على سبيل المجاز كما قال :

* يشكو إليّ جملي طول السرى *

لم يرد حقيقة الشكوى ، وإنما اراد : صار الى حال يشتكي من مثلها .

(١٣) النابغة الذبياني : هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة ، شاعر جاهلي من الطبقة الاولى من أهل الحجاز ، كانت تضرب له فيه خيمة من جلد أحمر بسوق عكاظ ، وهو أحد الأشراف في الجاهلية. كان حظياً عند النعمان بن المنذر حتى شبب بزوجته فهرب ووفـد على الغساسنة ، ثم عاد الى النعمان بعد أن رضي عنه ، توفي في نحو ١٨ قبل الهجرة ، اخباره في الاغاني : ٣/١١ ومعاهد التنصيص : ٣٣٣/١ ونهاية الأرب : ٥٩/٣ والشعر والشعراء : ٣٨ والخزانة : ٢٨٧ و٤٢٧ .

أزف الترحّلُ غير أن ركابنـــا لمّا تَزَلْ برحالها وكأن قد[14]

أي : قد زالت . فحذف الفعل والفاعل المضمر فيه ، واكتفى بـ « قد ». هــذا كلامه .

تقرّب ذلك علينا لثقتها بسرعتها .

وقال أبو زكريا :

وليس الالف في « تربان » حكـم ، لأنه منفصل من « ها » والشعر مقيّــد .

وهذا قول غير مرض لان أحداً لا يشتبه عليه ان هذا الشعر مقيّــد. فيظن ظانّ أن نون «تربان» موصولة بـ «ها»[15]

٩ـ وهَبَّتْ بِحَسْمَي هُبُــوبَ الدَّبو

رِ مُسْتَقْبِلاتٍ مَهَبَّ الصَّبَــا

« حِسْمَي » بكسر الحاء : موضع . كــذا رويته بكسر الحــاء ، ذكره الجوهري .

---

(١٤) هذا البيت من قصيدة قالها النابغة يصف فيها زوجة النعمان بن المنذر ، مطلعهــا ،

أمن آل ميّة رائح أو مغتد عجلان ذا زاد وغير مزود

أنظر ديوان النابغة الذبياني ص٣٨ شرح وتحقيق كــرم البستاني . دار صادر بيروت ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م

(١٥) قال الواحدي في كتابه : ٧٠ :

« قلنا للابل : أين أرض العراق ؟ لأنا كنا نريد تلك الناحية، فقالت : ـ ونحن بهذه البقعة المســماة بتربان وهي أرض من العراق ـ هــا هي ذي ، وهذا كله مجاز كالبيت الذي قبله .

هبّت : اشتدّ سيرها ، وخفّفَت ، وأسرعت كهبوب الدّبور ، وهي الريح التي تأتي من الغرب ، وهي شديدة في أكثر أحوالها • يريد : ان وجهها في السير من الغرب الى الشرق •

وقال الواحدي :

«هبّت» من الهباب : وهو النشاط في السير •

قال المبارك بن أحمد :

اذا كانت «هبّت» من النشاط ، كان هبوب الدبور مصدراً من غير الجنس ، وان استعاره من هبوب الريح ، لان الابل والخيل تشبّه في السرعة بالرياح •

وقال أبو العلاء :

« حِسْمَى » : موضع ، يقال ان بها ماء من بقيّة الطوفان ، وقد حدّث محدث عن أبي الطيب ، انه كان يصفها ، وقال يوماً لبعض الناس : لو رأيت حِسْمَى لرأيت أطيب بلاد الله •

وقال الجوهري : «حِسْمَى» بالكسر : أرض بالبادية ، فيها جبال شواهق مُلس الجوانب ، لا يكاد القتام يفارقها •

١٠ـ رَوَامي الكِفَافِ وكَبْدِ الوِهادِ
وجارِ البُوَيْرَةِ وَادِي الغَضَى

هذه كلها مواضع ، وقوله « روامي » ، أي : قواصد ، وموضعه نصب على الحال إلاّ انه أسكن «الياء» في موضع النصب لما ذكرت قبل ، وهي مجرورة جميعها •

وروجدت في نسخة « وجار البويرة » بالرفع ، وليس بشيء • وقال :
وأراد : ان وادي الغضا جار البويرة ، فهو بقربها ، وإذا كان «جار البويرة»
مجروراً كان وادي الغضا مجروراً صفة له أو بدلاً منه •

والذي فسّره مع الرفع هو المعنى مع جرّ الجار •

١١ـ وجـابَتْ بُسَـيْطَةَ جَوْبَ الـرِّدا

ءِ بينَ النَّعَـامِ وبينَ المَهَـا

« جوب الرداء » ، أي : قطعته وخرقته كما يقطع الرداء • و«بُسيطة»
في عدّة نسخ بضم الباء ، وهو موضع معروف ، وقرأته على شيخنا أبي الحرم
مكي بن ريّان : بفتح الباء وضمّها •[16]

---

(١٦) قال أبو الفتح ابن جني في كتابه الفسر : ١/١٣١ :
«جابت» : قطعت . و«بسيطة» ، أرض معروفة ، وأرى «بسيطة» هي
التي قال فيها الراجز :
إنك يا بسيطة التي انذرنيك في المقيل صحبتي
و« جوب الرداء » أي : قطع الرداء ، و «المها» : بقر الوحش ، ويقال :
المها أيضاً البلور ، ويقال : «بكور» بفتح الباء وضم اللام مشددة .
وقال الواحدي في كتابه ، ٧٠٠ :
يريد : قطعت الابل هذا المكان كما يقطع الرداء ، ويريد : ان بسيطة
بعيدة عن الانس لاجتماع الوحوش فيها .
وجاء في الكتاب المنسوب الى العكبري : ١/٤٠ تعقيب :
«بسيطة» ... وهي مكان معروف لا يدخلها ألف ولام ، وربما سلكها
الحجاج ، وبسيطة : موضع بين الكوفة ومكة من أرض نجد . قال الراجز :
« إنك أنت يا بسيطة التي ... البيت » .
« عقدة الجوف » ، موضع ، و « الجراوي » : منهل معروف . قاله
ابو الفتح .
وقال الواحدي في كتابه : ٧٠١ :

١٢ـ الى عُقْدَةِ الجَوْفِ حتّى شَفَتْ

بماءِ الجُرَاوِيِّ بعضَ الصَّدَى[١٧]

١٣ـ ولاحَ لَهَا صَوَرٌ والصَّبَاحَ

ولاحَ الشَّغُورُ لَهَا والضُّحَى

« صور » : اسم ماء . و « الشغور » : اسم موضع . أي : لك صور مع وقت الصباح ، « ولاح الشّغور لها مع وقت الضحى » .

قال أبو الفتح :

قال أبو عمرو الجَرَمي : « صورى » اسم ماء ، قال : فقلت لأبي الطّيب ، وقد قرأت عليه هذا البيت : ان أصحابنا يزعمون ان «صورى» اسم ماء ،فرأيت كأنه قد تشكّك ، وأرى انني سألته عن «صور» : هذا ما هو ؟ فقال : هو ماء . قال : وقال لي أعرابي : إذا وردتَ الشغُور فقد أعرقت . يريد : أتيت العراق . وقال : اريد : لاحَ الشّغُور لها مع وقت الضحى . هذا كلامه .

ويجوز نصب « الصباح » على معنى : مع الصباح . وكذلك يكون « الضُّحَى » موضعه أيضاً النصب .

---

(١٧) جاء في حاشية مخطوطة الكتاب الورقة ٨٣/ب:
« عقدة الجوف » : مكان معروف . و «الجراوي» : منهل ، وهو الذي ذكره الشاعر في قوله :

ألا لا أرى ماء الجراوي شافياً   صداي وإن روى غليل الركائب

يقول : جابت بسيطة الى عقدة الجوف حتى شفت عطشها بماء هذا المنهل .

وقال أبو العلاء :

ذكر أبو الفتح انه قال كلاماً معناه : « صور » : لا يعرف في المواضع، وانما المعروف « صورى » ، وانما أخذه أبو الفتح من الكتب الموضوعة في القصور والممدود . وإنما أراد أبو الطيب « صؤر » فالْقَى حركة الهمزة على الواو وحذفها . وذكر الفرزدق هذا الموضع في شعره ، فقال :

فما جَبَرَتْ إلاّ على عَتَبٍ بها
قوائمها إذ عُقّرَتْ يوم صَوءَرِ[18]

وفي هذا الموضع كانت المعاقرة بين غالب أبي الفرزدق وسحيم بن وُثيل الرياحي.[19] قال لبيد :

وبيت طفيل بالجُنينة ثاويا وبيت سهيل قد علمت بصَوءَرِ[20]

---

(18) هذا البيت من قصيدة قالها الفرزدق في معاقرة بني نهشل لجناب بن شريك بن همام ابن صعصعة . وروايته في الديوان « عراقيبها مذ عقرت يوم صوأر » . مطلع القصيدة :
بني نهشل ابقوا عليكم ولم تروا سوابق حام للنمار مشهتر
أنظر ديوان الفرزدق : ٣٨١/١ ، دار صادر بيروت .

(19) سحيم بن وثيل بن عمرو الرياحي ، شاعر مخضرم ، عاش في الجاهلية والاسلام ناهز عمره المئة ، كان شريفاً في قومه نابه الذكر ، له أخبار مع صعصعة والد الفرزدق . أشهر شعره أبيات مطلعها : « أنا ابن جلا وطلاع الثنايا » . أخباره في خزانة البغدادي : ١٢٦/١ والجمحي : ٥٩ و٤٨٥ و٤٨٩ ، وجمهرة الانساب ، ٢١٥

(20) هذا البيت من قصيدة مطلعها :
أعاذل قومي فاعذلي الآن أو ذري فلست وإن أقصرت عني بمقصر
أنظر ديوان لبيد بن ربيعة العامري/ت : احسان عباس ص٥١ .الكويت ١٩٦٢ وانظر لبيد بن ربيعة العامري . د. يحيى الجبوري ص٨٤ مكتبة الاندلس بغداد ١٩٧٠ ، واللسان مادة (قصر)

« صوأر » : موضع طفيل بن مالك بن جعفر ، أبو عامر ، و«الجُنينة»: موضع زعموا بالريف • وسهيل بن عامر بن مالــك • وقالوا : سُهيل أخــو عامــر بن الطفيل •[21]

قال [المبارك] بن أحمد :

الذي ذكره أبو الفتح في شرحه : « قال أبو عمرو الجرمي « صورى » اسم ماء ، قال : قلت لأبي الطيب وقد قرأت هذا البيت عليه : ان أصحابنــا يزعمون أن « صورى » اسم ماء ، فرأيته قد تشكّك ، وأرى اني سألته عن « صور » هذا ما هو ؟ فقال : هو ما تقدّم ذلك •[22]

١٤ــ وَمَسَّــى الجُمَيْعِيَّ دَئْدَاؤُهــا
وَغَــادَى الأضــارِعَ ثمَّ الدَّنا

« الدئداء » : أرفع من الخبب ، يقول : أتى وقت المســائية الجميعي ، وأتى الغــداة • «الاضارع» و«الدنا» : كلها مواضع معروفة •

---

(٢١) قال أبو العلاء مضيفاً فيما ذكره له أبو المرشد سليمان المعري في كتابــه « شرح أبيات المعاني من شعر أبي الطيب » : ص٣٣
« والمعنى : ان هذا الموضع لاح للابل مع الصباح ، ولاح الشــغور لها مع الضحى ، ويجوز في «الصباح» الرفــع على العطف ، والنصب على انه مفعول معه ، وكذلك يجوز في «الضحى» و«الشغور» . ويجوز أن يكــون اشتقاقه من قولهم : بلاد شاغرة ، اذا لم يكن لها من يحميها .

(٢٢) قال الواحدي في شرحه : ٧٠١ :
« صور » : اسم مــاء ، والصحيح انه «صوري» ذكر ذلك أبو عمــر الجرمي . و«الشغور» : من ارض العراق. تقول العرب : إذا وردتالشغور فقد أعرقت. يريد : ان هذا الماء ظهر لنا مع وقت الصباح وظهر لها هذا المكان مع وقت الضحى .
وجاء في الكتاب المنسوب الى العكبري ، ١/ ٤٠ :
ويجوز الرفع والنصب في « الصباح والضحــى » ، فالرفع عطف على «صور» والنصب مفعول معه .

قال أبو الفتح :

ومعنى مسّاه ديداؤها : أي دأدأت فيه مساءً ، وغادَى الاضارع باكراً .[٢٣]

١٥ـ فَيَا لَكَ لَيْلاً على أعكُشٍ
أحَمَّ البِلادِ خَفِيَّ الصُّوَى

« اعكُش » : موضع ، بضم الكاف ، وهو عزيز في الاسماء المفردة .
و « الصُّوى » : الاعلام .

وفي نسخة شيخنا أبو الحزم : « أحَمّ » و « خَفِيَ » الجرّ فيهما ، وليس بشيء . وفي نسخة « اجمّ » بالجيم ، أي لا شجر فيه ، وهو في المتن .

ويروى « احم » ، أي : أسود . قاله ابن رفاعة .[٢٤]

---

(٢٣) قال أبو الفتح في كتابه : «الفسر» ١/١٣٣ :
«الجميعي» و«الاضارع» و«الدّنا» : أماكن معروفة ، ومن مياه الدنا « عين التمر » و « خفار » ما قارب العراق .
وقال الواحدي في شرحه : ص٧٠١ :
« الدأداء » و « الدأدأة » أرفع من الخبب . و « مسى » : أتى مساء . يقول : لما كان وقت المساء بلغ سيرها الجميعى ، ثم أتى بالغداة الاضارع والدّنا ، وهي أماكنَ .

(٢٤) قال أبو الفتح في كتابه «الفسر» : ١/١٣٣
«أعكش» ، موضع بعينه ، صرفه ضرورة ، و « احمّ » : اسود . و «الصوى» : أعلام من حجارة تنصب على الطريق ليهتدى بها . هذا قول ابن الاعرابي . وقال الأصمعي : «الصوى» : آكام . وغلط . وقد أصوى القوم : قال الحطيئة :

١٦ـ وَرَدْنا الرُّهَمْيَةَ في جَوْزِهِ
وباقيه أكثرُ مِمّا مَضَى

«الرُّهيمة» : ضيعة غربي الكوفة .

وقال أبو الفتح :

جوز كل شيء وسطه ، وعنى بـ «الجوز» هاهنا : صدر الليل .

قال المبارك بن أحمد :

كثيراً ما يُسأل عن هذا البيت ، فيقال : إذا كان «الجوز» : الوسط، كيف يمكن أن يكون الباقي أكثر من الماضي ؟ فيرجع في ذلك الى ما قاله أبو الفتح ، ويسقط هذا السؤال .

ووجدت في حاشية ديوان شعره «الرُّهيمة» : ماء وسط «اعكُش» أي : وردنا هذا الماء الذي في جوز اعكُش ، أي : في وسطه ، وما بقى من الليل أكثر مما مَضَى . وهذا معنى كلام ابن فورّجة .

وقال أبو العلاء المعري :

« الجوز » : الوسط ، وبعض مَن لا علم له بالعربية يسأل عن هذا البيت . ويظنّ انه مستحيل ، لأنه يحسب انّه لما ذكر « الجوز » وجب أن

صحوت السرى عيرانة ذات مبسم نكيب الصوى ترفض عنه الجنادل

ونصب «ليلا» على التمييز .

وقال الواحدي في شرحه : ٧٠١ ،

« يتعجب من ليل شديد الظلمة على هذا المكان حتى اسودت البلاد وخفيت الاعلام . و«الأحمّ» : الاسود . و«الصوى» : أعلام تبنى على الطريق ليهتدى بها .

تكون القسمة عادلة في النصفين ، فيذهب الى ان قوله « باقية أكثر مما مَضَى » كأنه نقض الكلام المتقدّم • وليس الامر كذلك ، ولكنه جعل ثلث الليل الثاني كالوسط ، وهو الجوز • ثم قال : « وباقيه أكثر مما مضى » كأنه ورد والثلث الثاني قد مَضى منه ربعه ، وبقي ثلاثة أرباعه وأكثر • وهذا بيّن واضح •

و «الهاء» في «باقيه» يجوز أن ترجع الى «الليل» أو الى «الجوز» •

قال الواحدي :

قال ابن جني : أراد بالجوز : صدر الليل • وصدر الليل لا يسمى جوز الليل • وقال القاضي أبو الحسن علي بن عبدالعزيز : أخطأ أبو الطيب لما قال « في جوزه » ثم قال : « وباقيه أكثر مما مضى » • كيف باقيه أكثر مما مضى؟ وقد قال : « في جوزه » • وقال ابن فورّجة : هذا تجنّ من القاضي • و « الهاء في جوزه » لـ «أعكُش» ، وهو مكان واسع • و«الرُّهيمة» : ماء وسط أعكُش ، والكلام صحيح • هذا كلامه •

والمعنى : وردنا هذا المكان وَسَط هذا المكان وما بقى من الليل أكثر مما مَضَى ، هذا آخر كلامهم •

قال المبارك بن أحمد :

والأجود ما قاله ابن فورّجة • وما ذكره أبو العلاء من قوله : « كأنه ورد والثلث الثاني قد مَضَى ربعه » : لا يدل عليه اللفظ • ولو حمل على انه أراد بـ «الجوز» : الثلث الثاني مِن أينَ لنا أن يكون قطع ربعه لا غير ؟

١٧ــ فلمّا أنَخْنَا رَكَزْنَا الرِّما

حَ فَوْقَ مَكَارِمِنَا والعُلَى

في حاشية بعض دواوينه : أي : لمّا بلغنا الكوفة وأنخنا ركابنا ركزنا رماحنا على عادة مَن ترك السفر ، كانت رماحنا مركوزة فوق مكارمنا وعُلانا ، لما فعلنا من فراق الاسود ، وقتال مَن قاتلنا في الطريق ، وظفرنا بمن عادانا ، وكلّ هذا يدلّ على المكارم والعُلَى • وظهرت مكارمنا بما فعلنا ، فكأنما نزلنا على المكارم والعُلَى • وهذا قول الواحدي في كتابه •

وقال أبو البقاء :

يقول : نزلنا هذا المكان ولم يكن ما نستند إليه ، وانما باشرنا الارض ومكارمنا أرضنا التي تكرم بها نطمئن ، وهي مقرّ فضائلنا وشرفنا •

١٨ـ وبِتْنا نُقَبِّلُ أسْيافَنَا
وَنَمْسَحُها مِنْ دِمَاءِ العِدَا (٢٥)

١٩ـ لِتَعْلَمَ مِصْرُ ومَنْ بالعِرَاقِ
ومَنْ بالعَوَاصِمِ أنيِّ الفَتَى

قال أبو الفتح :

يريد : ليعلم مَن بمصر ، وتقديره في الاعراب : لتعلم أهل مصر ، فحذف المضاف • ومعنى الفتى : الرجل الكامل •

---

(٢٥) رواية الكتاب المنسوب الى العكبري «وتبنا» مكان «وبتنا» .
وقال أبو الفتح في كتابه «الفسر» : ١٣٥/١ :
يقال ، قوم أعداء وعدا وعدى وعداة : بمعنى ، وقال أحمد بن يحيى : العُدى : الأعداء الذين تقابلهم ، والعِدى : الذين لا تقابلهم . والعدى : الغرباء .
وقال الواحدي في شرحه : ص٧٠٢ :
نقبّلها لأنها أخرجتنا من بين الاعداء ، ونجّتنا من المهالك .

٢٠ــ وأنّي وَفَيْتُ وأنّي أبَيْتُ

وأنّي عَتَــوْتُ على مَنْ عَتَا*

قال الواحدي :

وفيت لسيف الدولة إذ رجعت إليه ، وأبيت ضَيْمَ كافــور ، ولــم أذلّ لمن عصــاني .

٢٢ــ وَمَنْ يَكُ قَلْبٌ كَقَلْبِي لهُ

يَشُقُّ الى العِــزِّ قَلْبَ التَّــوَى

« التّوى » : الهــلاك ، أي : من كان له قلب كقلبي في الشــجاعة ، يشقّ قلب الهلاك حتى يصل الى العِزّ ، وجعل الهلاك قلباً لما ذكــر قلــب نفســه .[٢٦]

---

* ورد بعد هذا البيت في القصيدة بيتاً لم يذكره ابن المستوفي، وهو :

٢١ــ وما كل من قال قــولا وفى ولا كل من ســيم خســفاً أبى

قال أبو الفتح ،

« الخسف » : الضيم والذل .

وقال الواحدي في شــرحه :

ليس كل قائل وافياً بما قال ، وليس كل من كلف ضيماً يأبى ما كلف .

و«سيم» : من السوم ، ومنه قوله تعالى : « يسومونكم سوء العذاب » .

رواية كتاب التبيان « ولا كل من قال . . »

(٢٦) قال أبو الفتح في كتابه «الفسر» : ١٣٦/١

«التّوى» : الهلاك ، و «الثوى» : الفرد ، سمّي بذلك لانفراده وضعفه .

وقال الواحدي في شرحه : ٧٠٢ :

« اي : من كان قلبه في الشجاعة وصحة العزيمة كقلبي شق قلب الهلاك ←

٢٣ــ ولا بُدَّ لِلْقَلْبِ مِنْ آلَـةٍ

ورأيٍ يُصَدِّعُ صُمَّ الصَّفَا

قال الواحدي :

آلة القلب : العقل والرأي ، وما فيه من السجايا الكريمة[٢٧] • هذا كلامــه إذا أضفته •

وقوله : « آلة القلب : العقل » قول حسن • وجعله الرأي من آلتــه فقد أفردها أبو الطيب عن آلة القلب • ولا معنى لذكر الســجاية الكريمــة إذا أضفته الى البيت الذي قبله •

٢٤ــ وَكُلُّ طَـرِيقٍ أتـاهُ الفَتَى

على قَدْرِ الرِّجْلِ فيهِ الخُطَـا

قال أبو الفتح :

« الطريق » : يذكّر ويؤنث ، وكنّى بالرِّجْل عن صاحب الرجْــل ، وخصّها بين ســائر الاعضاء لذكره « الخُطَا » ، إذ كان بها يقع الخَطْــو ،

فخاض شــدائده حتى يصل الى العز . و«الثوى» : الهلاك ، واستعار له قلبا لما ذكر قلب نفسه .

[ذكر ابن المستوفي هذا الكلام بأغلب لفظــه في كتابه ولم ينسبه الــى الواحدي] .

وقال ابن عدلان في الكتاب المنســوب الى العكبري ، بعد ان شــرح هــذا البيت :

« وهو مقابلة حسنة واستعارة جيدة . »

(٢٧) جاء في شرح الواحــدي : ص٧٠٢ بعد قوله « من الســجايا الكريمــة » « وقوله : «يصدّع صم الصفا » ، أي : يشق الحجارة الصلبة وينفذ فيها»

هذا مثل ضربه ، ومعناه : على قدر همّ الطالب يكون سعيه .

قال الواحدي :

يقول : كل أحدٍ يخطو في الطريق الذي يأتيه على قدر رجله ، فمن اتّسعت خُطَاه طالت رجله ، وهذا مثل ، أي : كل أحد يعمل على قدر وسعه وطاقته ، كما قال :

★ على قدر أهل العزم تأتي العزائم ★

وقيل : على صاحب الرِّجْل في عرفه وعلمه يكون خُطاه فيه .

٢٥ــ وَنامَ الخُوَيْدِمُ عن لَيْلِنا
وَقَدْ نامَ قَبْلُ عَمىً لا كَرَى

قال المعري :
جرت العادة ، العامّة بأن يسمّوا الخَصِيّ خادماً ، وذلك شيء مصطلح عليه ، وكل مَن خَدَم فهو مستحقّ لهذا الاسم من فحل وخصي ، ولكنهم لمّا رأوا الخصي ناقصاً عن رتبة الفحل قصروه على هذا الاسم ، لأنه لا يصلح لغير الخدمة .

قال أبو الفتح :
يقول : هو في حال يَقَظَتِهِ في حكم النائم لعماه . والكرى: النوم.

جاء بعد هذا البيت في القصيدة بيتان لم يذكرهما ابن المستوفي وهما :
٢٧ــ لقد كنت أحسب قبل الخصيّ ان الرؤوس مقر النهى
٢٨ــ فلما نظرت الى عقله رأيت النهى كلها في الخصى
قال الواحدي في شرحهما : « كنت أحسب قبل رؤية كافور ان مقر العقل الدماغ ، فلما رأيت قلة عقله قلت العقل في الخصية ، لأنه لما كان خصي ذهب عقله . »

٢٦ــ وكانَ على قُرْبِنــا بَيْنَنَا
مَهَــامِهُ مِن جَهْلِهِ والعَمَى*

أي : حين كنا قريباً كان بيننا بُعْد من جهله ، لأن الجاهــل لا يزداد علماً بالشيء مع قربه منه ، والذي أراه : انه مع قربه منه كان يبعد من جهله وعمــاه لتباعد ما بين حاليهما •

وقال أبو الفتح :

يقول : كنّا على قرب ما بيننا على تباعد الاحوال • كقول الآخر :

وما القرب والبعد إلا ما كان بين القُلُوبِ

٢٩ــ ومــاذا بِمِصْــرِ من المُضْحِكَاتِ
ولكنَّهُ ضَحِــكٌ كالبُكَــا •

قال أبو الفتح :

يجوز أن يكون جعل « ماذا » اسماً واحداً • ويجوز أن يكون « ذا » بمعنى الذي •

قال الواحدي :

يتعجّب مما رأى بمصر مما يُضْحِك الناس والعقلاء ، ثم قال: ولكن ذلك الضحك كالبكاء ، لأنه في الفضيحة ، ثم ذكر ما بها فقال :

٣٠ــ بِهَا نَبَطِيٌّ مِن أهــلِ السَّــوَادِ
يُدَرِّسُ أنســابَ أهل العُــلا

يريد بالنبطيّ : السوادي ، هو أبو الفضل بن خنزابة ، وقيل : أبو بكر المادرائي النسّابة ، وانما يتعجب منه لأنه ليس من العرب ، وهو يعلّم الناس أنساب العرب • هذا كلامــه •

وقد يكون الانسان غير عربي ويكون نسّابة • يعرّض بالوزير أبي الفضل جعفر بن الفرات بن خنزابة ، لأنه لم يحظَ عنده بطائل • وكان ينظر في الانساب •

٣١ـ وأسْوَدُ مِشْفَرُهُ نِصْفُهُ
يُقالُ لَهُ : أنتَ بَدْرُ الدُّجَى

قال الواحدي :

وبها أسودُ عظيم الشّفَة يثنون عليه بالكذب ، وهو انهم يقولون له : أنت بدر الدّجى ، والبدر مشتمل على النور والجمال ، والأسود القبيح الخلقة العظيم الشّفة ، متى يشبه البدر؟[٢٨]

٣٢ـ وشِعْرٍ مَدَحْتُ به الكَرْكَدَنَّ
بينَ القَريضِ وبينَ الرُّقَى

قال أبو الفتح :

«الكركدن» : كناية وهجو ، أي بين الشعر وبين الرقية من الجنون•[٢٩]

وقال الواحدي :

هو دابّة له قرن في رأسه ، وقالوا : هو الحمار الهندي • وقال ثعلب: هو دابّة عظيمة تحمل الفيل على قرنها ، وبعض الفرس يزعم انه طائر • والذي ذكره ابن الاعرابي : ان الكركدن شيء أعظم من الفيل له قرن ، ويكون في البحر ، أو على شاطئه •

---

(٢٨) جاء في الكتاب المنسوب الى العكبري : ١/٤٣ ،
« جعل له مشافر لغلظ شفتيه . والمشافر تكون لذوات الخف ، وإذا وصف الرجل بالغلظ والجفاء جعلوا له مشافر » .

(٢٩) وردت في كتاب الفسر تكملة لم يذكرها ابن المستوفي ، هذا نصها :
« ... الجنون ، ما شاء يكون ما قال بعده الا دونه » .

وقال : الشعر الذي مدحته به بين الشعر وبين الرقية من الجنون •

ووجدت في بعض شروحه : ما في قصائده قصيدة أشبه بالرقى من هذه •

وقال الواحدي :

يقول : هذا الشعر الذي مدحته به هو شعر من وجه ، ورقية من وجه •

من جرّه فَبِرُبَّ ، ومَن رفعه فعلى معنى : ولي شعر • أي : كنت أرقيه لاستخراج مال • يريد : انه مما يستخرج منه ماله بنوع رقية وحيلة • وأراد بـ «الكركدن» : الاسود • فشبّهه به لعظم جثّتِه •

٣٣ــ فَمَا كانَ ذلكَ مَدْحَاً لـه
ولكنَّهُ كانَ هَجْـوَ الـوَرَى

قال أبو الفتح :

أي : إذا كانت طباعه تنافر طباع الناس كلهم سَفالاً ، ثمّ مُدح فذلك هجوٌ لهم ، لأن فيه إرغاماً لهم على قوله •

وفي حاشية : يقول : لم يكن الشعر مديحاً له ، ولكنه كان في الحقيقة هجو للخلق كلهم حيث أحوجوني الى مثله •

وفي شرح شيء من شعره : لأنه أسقطُ الخلقِ ، فاذا فضّلته عليهم فقد هجوتهم •

وقال المخزومي :

يقول : إذا كان مقصودهم وممدوحهم مثل كافور فكفاهم هذا هجواً •

قال أبو البقاء :

يقول : ان ما مدحته به آذيت الناس إذ مدحت ما لا يجوز مدحه ،

يجوز أن يكون المعنى : هجوت مَن يذمّه الناس . والاول أجود .

٣٤ــ وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُــهُ قَــدْرَهُ
رَأى غَيْرُهُ مِنْــهُ ما لا يَرَى[٣٠]

٣٥ــ وقَــدْ ضَلَّ قَــوْمٌ بأصْنَامِهِمْ
فأمَّــا بِزِقٍّ رِيَـــاحٍ فــلا

قال أبو الفتح :

جعله « زقّ رياحٍ » ، أي : هو منحــوت لا قيمة له ، وعنى أيضــاً بســواده سواد الزّقّ . شبّهه في سواده وعظمه بزقٍّ منفوخ ، لا قيمة له .

وقال أبو اليمن الكندي :

وأظنّ رماه بتسريح الريح من غير إرادة ، وذلك مما يجــوز أن يدلّ اللفظ عليه[٣١] هذا كلامه .

---

(٣٠) قال الواحدي في شرح هذا البيت : ص٧٠٤ :
يقول : من أعجب بنفسه ولم يعرف قدر نفسه إعجاباً وذهاباً في شأنه خفيت عليه عيوبه ، فاستحسن من نفسه ما يستقبحه غيره وعمى ما يراه غيره من عيوبــه .

(٣١) قال الواحدي في كتابه : ص٧٠٤ :
يقول ، الكفار قد ضلوا بأصنامهم وأحبوها فعبدوها من دون الله سفهاً وضلة ، فأما أن يضل أحد بخلق يشبه زق ريح فلم أر ذلك . يعني : انه بانتفاخ خلقته كزق ريح ، وليس فيه ما يوجب الضلال به حتى يطــاع ويملك . وإنما هذا تعجب ممن يطيعه ، وينقاد له .
[ورد كلام الواحدي هذا في الكتاب المنسوب الى العكبري بلفظه ، ولم يشر الى قائله بشيء] .

والأول أجود .

وإن كان علي بن حمزة قال : أنشدني في هذه القصيدة بيتاً ،وأمرني ألا أكتبه ، فلم أكتبه في نسخة من نسخه وهو :

٣٦ــ وماذا الخصي سوى صورة   إذا حرّكوه بِعُودٍ فَسَا*

* * *

* ذكر الواحدي والكتاب المنسوب الى العكبري بيتاً لم يذكره أبو الفتح- وقد يكون البيت الذي ذكره علي بن حمزة ولكن برواية أخرى ، وهو :

وتلك صموت وذا ناطق   إذا حركوه فسا أو هذى

ورواية الكتاب المنسوب الى العكبري : ١/٤٤

« وذاك صموت ... البيت »

وغَنّى مُغَنٍّ بحضرةِ أبي محمد الحسن بن عبيدالله بن طغج ، وأبو الطيب حاضر ، فقال :

١ـ ماذا يَقُولُ الذي يُغنّي يا خَيْرَ مَن تحتَ ذي السَّماءِ

٢ـ شَغَلْتَ قلبي بِلَحْظِ عَيْني إليكَ عَنْ حُسْنِ ذا الغِناءِ

قال أبو الفتح :

قلت له في بعض ما يجري بيني وبينه : تستعمل «ذا» و«ذي» في شعرك كثيراً ، فأمْسَكَ قليلاً ، ثمّ قال : ان هذا الشعر لم يعمل في وقت واحد ، قلت له : صدقت ، إلاّ ان المادّة واحدة ، فأمسك ،

وقال أبو زكريا :

قال أبو العلاء : وقت قراءتي عليه شعره:[1] ما كنت أحبّ أن يكون هذان البيتان في شعره ،

* * *

---

(١) هكذا وردت هذه العبارة في مخطوطة الكتاب . ويبدو ان معنى العبارة : ان ابا زكريا حين قرأ شعر أبي الطيب على أبي العلاء قال له .

نذكر هنا المقطعات والأبيات التي لم يذكرها ابن المستوفي في كتابه . وقد ذكرها الواحدي والكتاب المنسوب الى العكبري ، ودواوين شعره . إتماماً للفائدة .

* * *

وقال وقد تعلق عليه بقوله في سيف الدولة : « ليت أنا إذا ارتحلت ... » الخ . فقالوا : جعل الخيام فوقه ، فقال ارتجالاً :

١ـ لَقَدْ نَسَبُوا الخِيامَ الى عَلاء
أبَيْتُ قَبُولَهُ كُلَّ الإباءِ

قال الواحدي :

يقول : ذكروا ان الخيام فوق سيف الدولة ، وأبَيْتُ قبول ذلك. لأنّي لا أُسَلِّم أنَّ شيئاً فوقك ، وهو قوله :

٢ـ وَمَا سَلَّمْتُ فَوْقَكَ للثُّرَيّا
ولا سَلَّمْتُ فَوْقَكَ للسَّمَاءِ

قال الواحدي :

أي : لا أُسلّم للثريا انها فوقك ولا للسماء ، فمتى أسلّم العلوَّ للخيام . يعني : ان رتبتك فوق كل شيء ، فأنا لا أسلّم ان شيئاً فوقك في الرتبة .

وقال أبو العلاء ، نقلاً عن كتاب أبي المرشد سليمان المعري في كتابه « تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب » : ص٣٥ :

« قال الشيخ : « فوق » : لم تجر عادتها أن تستعمل مفعولاً ولا فاعلاً ، وإنما تجيء ظرفاً منصوباً ، أو غاية ، مثل قولهم : من فوق ، ومن

تحت • وقد جاء شعر نُسب الى سُحيم عبد بني الحساس ، وهو شاذ قليل ، وهو :

أتيتُ النساءَ الحارثيّاتِ غدوةً
بوجهٍ برَاهُ اللهُ غيرَ جميل
فشبّهنَني كلباً ولست بفوقه
ولا دونَه إن كان غيرَ جميل •

(ديوان سحيم : ٦٩)

٣ــ وَقَدْ أوْحَشْتَ أرضَ الشامِ حتّى
سَلَبْتَ رُبُوعَها ثَوْبَ البهاءِ

قال الواحدي :

يقول : لمّا خرجت من الشام أوحشتها بخروجك حتّى سلبتها الجمال الذي كان بها بكونك فيها •

٤ــ تَنَفَّسُ والعَوَاصِمُ مِنْكَ عَشْرٌ
فَيُعْرَفُ طيبُ ذلك في الهَوَاءِ

قال الواحدي في كتابه :ص٤٣٧ :

يقول : تَتَنَفَّسُ أنت وهذه البلاد منك على عشر ليال فيَعرف مَن بها طيبَ نفسك في الهواء ، وهذا منقول من قول أبي عيينة :

تطيبُ دنيانا اذا ما تنفّسَتْ كأن فَتِيتَ المِسْك في دُورنا هَبَّا

والعواصم : ثغور معروفة ، تَعصم أهلَها بما عليها من الحيطان ، منها حلب وانطاكية وقنّسرين • ومعنى : « والعواصم منك عشر » : أي : على مسيرة عشرة • فحذف حتّى أخلّ باللفظ •

* * *

وقال يهجو السامري :

قال الواحدي في كتابه : ولما أنشد هذه القصيدة (يعني قصيدته التي مطلعها : وَا حرَّ قلباه ممن قلبه شبم ...) وانصرف ، اضطرب المجلس وقال له نبطيٌّ كان في المجلس : دَعْنِي اسْعَ في دَمِهِ ، فرخّص له ذلك والنبطيّ السامري ، وكان كبيراً من كتّابه . وفيه يقول أبو الطيب :

١ــ أسامَرِّيُّ ضُحْكَةَ كُلِّ راءِ
فَطِنْتَ وأنت أغْبَى الأغْبِيَاءِ

قال الواحدي :

هو أبو الفرج السامَرّي . يقول : يا سامَرّيّ يا من يضحك منه كلُّ مَن رَآه ، علمت ما أنشدته من قصيدتي ، وأنت أجهل الجهّال . أي كيف علمت ذلك مع جهلك ؟

وقال ابن عدلان في الكتاب المنسوب الى العكبري : ١/٤٥ :

أسامري : منادى ، منسوب الى « سرّ من رأى » ، وانما تقول العامة « سامرا » والبلد أسمها « سُرَّ مَن رأى » . قال الشاعر :

لَعَمْرُكَ ما سُرِرْتُ بِسُرَّ مَن را
ولكني عَدِمْتُ بها السُّرورا

ولبعض المحدثين :

ما سُرَّ من را بِسُرّ من را
بَلْ هي سُوءٌ لِمَنْ رَآها .

٢ــ صَغُرْتَ عن المديحِ فَقُلْتَ أُهْجَى
كأنّكَ ما صَغُرْتَ عن الهِجاءِ .

٣ــ وما فكَّرْتُ قَبْلَكَ في مُحَالٍ
ولا جَرَّبْتُ سَيْفِي في هَبَاءِ

* * *

وعرض عليه أبو محمد عُبيدالله بن طُغْج سيفاً ، فأشار به الى بعض من حَضَر • وكان أبو الطيب في مجلسه ، وقال :

١ـ أرى مُرْهَفاً مُدْهِشَ الصَّيقَلَيْنْ
وبَابَةَ كُلّ غُلامٍ عَتَا

٢ـ أتأْذَنُ لي ولَكَ السَّابِقَاتْ
أُجَرِّبُهُ لكَ في ذا الفَتَى

قال أبو الفتح في كتابه الفسر : ١/١١٩ القسم المطبوع :

سمي السيف مرهفاً لارهاف شفرتيه وارقاقهما • ويقال : صيقل وصياقل وصياقلة وصيقلون •

و « عتا » : طغى وجاز الحد • وقد نطعت العرب بتأنيث « بابة » •
و « البابة » : هي الغاية ، تقول : « هذه بابتك » ، أي : غاية ما تحتاج إليه • قال الراجز :

جدب من الخير قليل الحادي   لا يهتدي لبابَةِ الرشاد

في البيت كلمتان اجتمعتا فيه : « الصيقلون » و « بابة » ، وليستا من حلو الكلام ، ولا مطهمه ولا عذبه • وكان قليل التخيّر للكلام ، إذا عبر عن المعنى الذي في نفسه بأي كلام حضره فقد بلغ غايته • والكلام يُختار كما يُختار الجوهر •

* * *